بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك اللهم ! على ما يسّرت وأسديت . وصلاةً وسلاماً على رسولك الذي انتقيته واخترته واصطفيت . وعلى آله الذين وازروه وآووه وآثروهم على

وهو كتابٌ حافلٌ بتاريخه وأخباره * جامع للمباحث الأنيقة في حياته وآثاره * منبّه على أوهام الشرق والغرب فى فهم رموزه وأسراره

مما عُنيَ بوضعه ووصفه ، وقام بجمعه ورصفه

الغريب عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي

الاستاذ بجامعة علي كره الاسلامية في الهند

لطف الله به وكرّمه

وطبع على نفقة جمعية

دار المصنفين

فى أعظم كره (الهند)

أشرف على طبعه

محب الدين الخطيب

منشئ مجلة الزهراء

المطبعة السلفية - ومكتبتها

القاهرة

١٣٤٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك اللّهم! على ما يسَّرت وأسديت . وصلاةً وسلاماً على رسولك الذي ابتعثته واخترتَ واصطفيت . وعلى الذين وازروه وآووه وآثرتهم على الأمم لصحابته وانتقيت . حتى أعليت كلمتك التي كنت أسنيت . وصيّرتهم أُسوةً لنا حسنةً كما قد أبديت

وبعدُ فهذا كُتَيِّبٌ لي وضعته وسِفر صنعته في أخبار شيخ المعرّة أبي العلاء ـ ربّ القريض والإنشاء ـ وكأني بمن يستنكر حاجة الناس اليه ويحقّق غناهم عنه بعد ما قد أكثر الأُمم من التأليف فيه ولجوّا به وبآثاره فاستنبطوا منها كل عين وأثاروا عن كل دفينة . ولم يتركوا لقائل مقالا ، ولا لفارس مجالا . فأجالوا فيها القِداح ، وشمّروا واُجدّين للكفاح .

بيد أني كنت أرى ولا أقول صوابا أن الحاجة كانت ماسّةً بعدُ إلى من يرمي عن كَثَب ، ويتعرّف بأبي العلاء تعرّف الانسان بصاحب له ذي أرب . حتى يقضي عن نفسه بعض ما وجب ، ويستقيد من شُذّاذ أطراف المباحث ما كان شرد وذهب . ويميز القشر عن اللّبّ ، والجريالَ من الرُبّ .

فالمقصد إذاً كان خطيراً ، يقتضي من الوقت فراغا ومن دواوين الأدب نصيراً وظهيراً . وكنت مشغول البال والضمير ، ولم يكن بيدي منها نقير أو قطمير . فكيف الحداء إذاً بغير بعير ، أوجوب الفلوات الفِيح ونضْوى كسير حسير . فكنتُ أتلكأُ نظراً الى صعوبة العمل ، وطول الأمد والأمل . وأتجانف بنفسي من الوقوع في مَدْحضة مَزلّة ، ليس لهيضها جَبْر ولا بَلّة .

ولكن لما رأيت هجنة المستعربين ولُثغة المتأدّبين، قد نكّبتهم عن الوصول الى غاية المأمول فوقعوا في سَلا جَمَل، وارتبكت مراكبهم في الوَحَل. اغتنمت الفُرَص وانتهزت من الآناء الخُلَس، واستنطقتُ الحُبس. فإني رأيت خفض الصوت وقصر النفس، أحسن بالفتى من العيّ والخَرَس.

وكان القول طال وتجاذب الناس فيه أطراف مطارف المباحث، من بين مُجِدّ وعابث. إلا أني وجدتُ رجلين [1] هما معوّل الآخرين ومَفْزَع الناقلين. فتوخّيت تصحيح كتابيهما اعماً أتياه من قلّة التأمل والتفكير، والارتباك بشتات الأقوال بحيث يشغل الضمير. حتى تتجلّى الحقائق في بردها القشيب، وتستعيض الشبابَ عن المشيب

ولست أبخسهما حظّهما من الإصابة، ولا أغمطهما نِعْمَتهما في الإثابة. فإني صادع بأنهما أحرزا قصبات الفضل، وفازا من بين الأقران بالخَصْل. وأجادا وأفادا، وأحسنا وزادا. إلاّ أنهما مع ما عانيا لم يسلما من وَهْن البيان، شأنَ الانسان الضعيف البنيان. ولستُ إلاّ كطليح أو كبازٍ قصيص، لا أقدر على النصيص أو القنيص. فلستُ أُقدّم كتابي هذا الى الخُطّاب والطلاّب، مدّعياً له البراءة من كل سوء وعاب. أو السلامة من الخطإ والخطل، والزلل والخلل. فحسبي أنّ فيه بُلغة للمستميح، على زمن شحيح. ونَقعةً لِكَبِدٍ حرّان، ورَشْفة لغليل الظمآن. والله المستعان، وإليه المَفْزَع وعليه التُكلان.

لاهور : منتصف شعبان سنة ١٣٤٣ هـ

عبد العزيز الميمني الراجكوتي

(١) د. س. مرجليوث فى مقدمة ترجمة الرسائل — والدكتور طه حسين في ذكرى أبى العلاء

التعريف

بجمعية « دار المصنفين »

في أعظم كرة ـ الهند

هذه جمعيّة علمية إسلامية خدمت العلوم الاسلاميّة منذ تأسيسها الى اليوم خدمة لا ينساها كلّ من في قلبه حبّة من خردل من الإيمان . ألّفت عشرات من الكتب النافعة الاصلاحيّة والدينية بالأوردية لسان مسلمى الهند . أسّسها المصلح الشهير الشيخ شِبْلى النعمانيّ المرحوم واستدرّ لها الأرزاق والمؤونات من أقْيال الهند المسلمين فدرّت بما قد كفى وأوفى ، وخلّف المرحوم ثُلّة من تلامذته الأنجاب يحتذون حَذْوَه ، ويقتفون قفوه . يتولّى رئاستهم والقيامَ بأمورهم محرّر **المعارف** أشهرِ مجلات مسلمى الهند صاحبُنا الصديق الحفى الشيخ **السيد سليمان الندوى** أنسأ الله فى عمره ، الذى تَعَرَّف به أبناء البلاد العربيّةِ لزيارته لها رئيسا لوفد جمعيّة الخلافة الهنديّة المبعوث سنة ١٣٤٣ هـ . على أن لصديقى من الآثار الجيلة كتاب (أرض القرآن) وأربع مجلدات من (سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم) التى بدأ بها استاذه المرحوم ولكن اخترمه مريب المنون قبل أن يُنجزَ عمله. ونيّة صديقنا أن يعرّب هذا الكتاب ويقيم بمصر مشرفا على طبعه ونشره .

ومن مطبوعات الجمعية العربيـة (نقد تاريخ التمدن الاسلامىّ) الذى قام بتلفيقه جورجى زيدان وقد طبع بمصر والهند مرارا ـ للشيخ شبلى المرحوم .

و(ملاحظات) على محاضرات جويدى الايطالى وبسط على أرض الاسلام وجغرافيّتها اصديقنا ستطبع .

و (تفسير أبي مسلم الاصفهانيّ) تتفه من تفسـير الفخر ابنِ خطيب الري الشيخُ سعيدٌ الانصاري

وأجزاء من (جمهرة التفاسير) لعبد الحميد الفراهي طُبعت مُفْرَزَةً .

إلى غيرها من الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة

ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته ماقاتَه ، وفضـول العيش أشغال

واني أُهنّئ الجمعيّة وأشكرها ورئيسَها على نشر مثل هذا الـكتاب مما كسد سوقه في هذه الديار

لازال شكري لهما مُواصلا لفظيَ أو يعتاقني صَرْفُ المنا .

غرة شعبان سنة ١٣٤٤ هـ

مؤلّف هذا الـكتاب

عبد العزيز الميمني الراجكوني

فهرس

الاختصارات والطبعات المخصوصة

وأما المآخذ والمواد فهى أضعاف أضعافها

البديعى ـ الصبح المنبى له بهامش شرح العكبرى على ديوان المتنبىء مصر سنة ١٣٠٨ ﻫ

البغية ـ بغية الوعاة للسيوطى

البكرى ـ معجم ما استعجم له كوتنكن سنة ١٨٧٧ م

التنوير ـ شرح السقط مصر سنة ١٣٠٣ ﻫ

التبريزى ـ شرح الحماسة له مصر ١٢٩٦ ﻫ

التتمة ـ تتمة اليتيمة نسخة باريس الخطّيّة

التكملة ـ لابن الأبار طبعتا اسبانيا والجزائر

الجواهر ـ المضيئة فى طبقات الحنفية حيدر آباد

خزانة الأدب ـ لابن حجة مصر

حياة الحيوان ـ للدميرى مصر سنة ١٣١٩ ﻫ

خر ـ خريدة القصر للعماد نسخة ليدن الخطّية

الدمية ـ دمية القصر للباخرزى نسخة كلكتة الخطّيّة

ذهبى ـ تاريخ الاسلام ـ وانظر « ﻫ »

ذ ـ ذكرى أبى العلاء مصر سنة ١٩١٤م

ر ـ رسالة .الرسالةُ . رسائلُ . الرسائلُ . أى رسائل المعرى اكسفرد ١٨٩٨ م

رسالة ابن القارح ـ مجموعة رسائل البلغاء مصر سنة ١٣٣١ ﻫ

الرحالة الفارسى ـ سفرنامه له برلين سنة ١٣٤١ ﻫ

س ـ سقط الزند مع التنوير مصر سنة ١٣٠٤ ﻫ

السهيلى ـ الروض الأُنُف مصر

السمعانى ـ أنظر الأنساب
الشافعية ـ طبقاتهم لابن السبكى مصر ١٣٠٤ هـ
الشريشى ـ شرح مقامات الحريرى له مصر ١٣١٤ هـ
شفاء العليل ـ مصر سنة ١٣٢٥ هـ
الصبح المنبى ـ انظر البديعى
ص ـ الصفحة
الضرام ـ ضرام السقط لصدر الافاضل الخوارزمى
العدل ـ العدل والتحرى لابن العديم
الغيث ـ المسجّم للصفدى مصر ١٣٠٥ هـ
الغفران ـ طبعة أمين هندية
الفوات ـ فوات الوفيات للكتبى بولاق ١٢٩٩ هـ
فهرست ـ ابن الخير الاشبيلى طبعة اسبانيا
الكمال ابن الأنبارى ـ انظر النزهة
ك ـ كشف الظنون
الكامل ـ انظر ابن الأثير
ل ـ لزوم ما يلزم للمعرى مصر ١٣٣٣ هـ
اللسان ـ لسان الميزان لابن حجر حيدر آباد
معا . المعاهد ـ معاهد التنصيص مصر ١٣١٦ هـ وترجمته مختلسة من الوافى للصفدى .ثم إنى رأيت من الوافى نسخة ونقلت منه بعض أبيات ـ
مل ـ الملئكة رسالتهم للمعرى
مرجليوث ـ مقدمة ترجمة رسائل المعرى اكسفرد ١٨٩٨ م

النسب ـ هو الانساب للسمعانى
نهاية الأرب من أنساب العرب للقلقشندى بغداد ١٣٣٢ هـ
النويري ـ نهاية الأرب له
النزهة ـ نزهة الألباء للكمال ابن الأنباري مصر سنة ١٢٩٨ هـ
النفح ـ نفح الطيب للمقّرىّ مصر وليدن
النكت ـ نكت الهميان للصفدي مصر ١٣٢٩ هـ
الوفيات ـ وفيات الاعيان لابن خلّكان مصر ١٣١٠ هـ
هـ. وذهبي ـ تاريخ الاسلام له ـ والمراد ترجمة المعري منه المطبوع مع الرسائل باكسفرد ١٨٩٨ م
ى ـ ياقوت والمراد على العموم معجم الأدباء له
اليافعى ـ مرآة الجنان له حيدر آباد
إلى غيرها من كثير من الخطّيّات والمطبوعات وصفتها في مظانّها

أبو العلاء وما إليه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وبه الحول والقُوّة

مَعرّة النعمان

﴿ لفظها وموقعها ووصفها ﴾

فيابرق[١] ليس الكرخ داري وإنما   رماني إليها الدهر منذ ليالِ
فهل فيكَ من ماء المعرّة قطرةٌ ؟   تُغيث بها ظمآنَ ليس بسالِ

أشهر الأقوال التي ذكرها ياقوت أن المَعرّة الشدة والجناية كجنايه العَرّ وهو الجَرَب وكل عَيْب ، وإلى هذا المعنى نظر صاحبنا في قوله ـ ل :

يعيّرنا لفظَ المعرّة أنها   من العَرّ قومٌ في العُلى غُرَباءُ

هذا هو المعروف في القوم إذ جهلوا أصلها ـ ووَلِعَ أبناء العصر في إرجاعها إلي اصول اختلقوها وحدَسات لفقّوها مما لا برهان لهم عليه[٢] ـ

قالوا والنعمان هو ابن بَشير الانصاري اجتاز بها واليا على حِمْصَ من قبَل

(١) س ٢ : ٤٣

(٢) فزعم مرجليوث أنه في السريانية معرتا ويشابهها من العربية لفظا ومعنى المغارة وقال صاحب ذ ان هذه القرية قد عرفت عند الاراميين ايضا بهذا الاسم ثم استبعد وجود التشديد فابدع من قبله رأيا آخر وهو أن الاصل معرس النعمان من التعريس ونقل عن نوادر ابى زيد ابدال التاء من السين في الرجز المعروف ـ وذهب عليه أنه ابتلي ببليتين اذ بلي مرجليوث بواحدة ـ وهما ابدال الضمة بالفتحة والسين بالتاء ـ ولسنا نجزم بشيء ولانحدس به رجما بالغيب كما انهما ايضا لم يجزما

مروان فمات له بهـا ولد فسُميت به وكانت قبلُ تدعى معرّة حمص كما قال البلاذري [١] ـ واستضعف ياقوت هـذا السبب وظن أن النعمان هو الساطع الجمال وانظره في عمود النسب. وقال ابن بطوطة [٢] ان النعمان اسم جبـل مُطِلّ على المعرة وقال ـ كابن العديم في العَدْل والتحرّي ـ إنها كانت تدعى في القديم ذات القصور. وقال غيره [٣] عُرفت في زمن الرومان باسم خاليس.

والمعروف في النسبة اليها معرى. ونقل السمعاني [٤] عن أبي النصر الرامُشي أن النسبة الصحيحة إليها مَعَرْنميّ والى معرّة مَسْرين مَعَرّمسيّ. قال أبو سعد غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك. والمعرى مطلقاً يراد به المنسوب إلى معرة النعمان هـذه. ومعرة مصرين بليدة من أعمال حلب بينهما نحو من خمسة فراسخ.

ومعرة النعمان كما قال ياقوت وغيره مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. أقول وكانت من ثغور الشام التى تسمى العواصم سمّاها بها هارون الرشـيد لعصمتها ما دونها من بلاد الاسلام من العدوّ. وقصبتها أنطاكيةُ كما قال ابن حوقل قال وعدّ ابن خُرداذبه [٥] العواصم فـكثّرها وجعل منها كورة مَنْبِـجَ وشَيْزَرَ وأفامِيةَ وإقليمَ معرّة النعمان وكَفَرْطاب.

(١) فتوحه مصر ١٣٨ ونقل سلمون هذا القول ولم يعزه الى مأخذ فنعى عليه صاحب ذ أنه لفق هذا القول أي ان معرة النعمن كانت تدعى قبل الفتح معرة حمص فيستنتج منه انها كانت تابعة لها ـ من عند نفسه بلا دليل ـ أقول وقد عرفت أنه كان مصيبا وأن الخطأ من صاحب ذ نفسه ـ

(٢) المشرق ٨ : ٩٢٠

(٣) هو اسماعيل بك رأفت ذ ١٢٤

(٤) أنسابه ورقة ٥٣٦ وفي تقويم أبي الفداء باريس ص ٢٦٥ عنه نسرين ومعرنسي ـ والمعروف مصرين ـ

(٥) اقول وكذا ابن الفقيه في بلدانه ص ١١١ غير انه اغفل ذكر المعرة في عدادها

وَسَلَمْيَةَ ولُبنانَ إلى غيرها ـ وكانت المعرة تُعَدّ منها قبل عهد صاحبنا وفيه وبعده بكثير الى زمن أبي الفداء صاحب حماة . وكانت العواصم ممالك سيف الدولة كما قال المتنبيء : وتفتخر الدنيا به لا العواصمُ

وورثها أبناؤه . وقال صاحبنا في حفيده سعيد الدولة[١] سنة ٣٩٠ ﻫ :

ولكن بالعواصم من عَدىّ أمير لا يكلّفنا السؤالا

وقد أكثر من الحنين اليها في شعره فمنه ثم من س :

هذي العواصم فاسألينا ما بها وذري مآرب مَن زَرودَ وراكس

تذكّرنَ من ماء العواصم شَربةً وزُرق العوالى دون زُرق جِمامه

متى سألتْ بغدادُ عني وأهلُها فإنيَ عن أرض العواصم سآلُ

ندمتُ على أرض العواصم بعدما غَدوتُ بها في السوْم غيرَ مُغال

وورد ذكرها في اللزوم[٢] أيضا :

وكانت مخيَّمَ الفتنة فيما بين الحروب والهُدنة تارةً بأيدي علوج الروم وأخرى للمسلمين بها دولة وجولة ، وسَورة وصولة . كما وصفها في غير ما موضع من نثيره ونظامه . فهاك جملة من كلامه :

كتب[٣] إلى عبد السلام البصري « ومستقرّي معرّة النعمان ـ والفتنة عندنا صمّاء ، طِعان بالمُرّان ورِماء . إنما يجيء الصيف ، وقد سُلَّ السيف . ولو قَدَرْتُ لم أتدحْ إلا بمَرْخ[٤] ، ولا سكنتُ بلدا غير الكرخ » . ومن ل :

(١) كما جاء في عنوان نسخة السقط لهذه القصيدة بدار الكتب الاهلية في باريس

(٢) ٢ : ١٧٦ (٣) ر ص ٤٦ ـ

(٤) والمرخ يكثر بنجد وما والاها ولعله كان يجلب منها الى الكرخ أو ينبت فيها ايضا قال عاصم الاندلسي استاذ ابن السيد في شرح شعر امريء القيس تحت قوله :

أمرخ خيامهم أم عشر أم القلب في اثرهم منحدر

المرخ نبات بنجد والعشر بالغور ـ والاعراب يعملون بيوتهم من نبات الارض التي ينزلونها فاراد أأنجدوا أم غاروا أم لم ينزلوها

والشأم فيه وقودُ الحرب مشتعلٍ　　يشبُّهُ القومُ شُدَّت منهم الحُجَزُ
لاشأمَ للسلطان إلاّ أن يُرَى　　نعَمُ البـداوة كالنعام الطارد
إلى اخر الثمانية الأبيات.
الِفنا بلادَ الشام إلفَ ولادة　　نُلاقى بها سُودَ الخطوب وحُمْرَها
وجميع قُطَّانها على – ماسيأتي – من تنوخ .

والمعرّة كما قال ابن حوقل[1] مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفُسْتُق وما شاكل ذلك من الـكروم . وقال ناصِرِ خُسْرُوْ العَلَوى وكان زارها في حياة أبي العلاء سنة ٤٣٨ [2] في رِحلته ماترجمته :ثم وصلنا إلى معرة النعمان وكان بها حِصن من الحجارة وكانت البلدة عامرة . ورأيت على بابهـا أُسطوانة من الحجر كُتب عليها شيء بخطّ غير العربية فسألت عنه بعضهم فقال إنه طلسم[3] للعقرب فإنها لاتدخل فيها وإن أتوا بها إليها من الخارج فلا تقربها بل تفرّ . ويكون ارتفاع الاسطوانة نحو عشر أذرع . ورأيت أسواقها غاصّة . وجامعها على نَشز من الأرض في وسط البلدة حتى يأتيه الرجال ويدخلوا من أىّ جهة شاؤا . وله ثلاث عشرة درجة يُرْتقَى منها . وزراعة أهلها الحنطةُ وتكثر بها وشجر التين والزيتون والفستق و اللوز والعنب كثيرة بها . وماؤها من الآبار

(١) ص ١١٨ –
(٢) لا سنة ثمان وعشرين واربعمائة كما كررها صاحب ذ في ص ١٢٣ فهذا الوهم اما أن يكون منه أومن مترجم الرحلة بالافرنسية فان صاحب ذ يرجع الى الترجمة كما قال . ونحن ترجمة الفصل من اصل سفرنا من (الرحلة) المطبوعة ببرلين سنة ١٣٤١ ه ص ١٥ –
(٣) قال ابن فضل الله في المسالك ان بمدينة حمص قبة يزعم اهل المدينة انها تدود عنهم العقارب وأنك لو وضعت عليها قطعة من الطين حتى تجف ثم تنقلها الى بيت في غير حمص لما دخلته العقارب وعندي أن مصدر هذا طبيعة الارض – ذ ١٢٤ ويصدّق الرحالة في امر الاسطوانة مارواه ابن الشحنة في تاريخه ص١٣٠ عن ابن العديم ولفظه ان العمود الذي بالمعرة هو طلسم للحيات –

والأمطار اه . وفي رحلة ابن جُبير [(١)] « وهى سواد كلّها بشجر الزيتون والتين والفُستق وأنواع الفواكه . ويتّصل التفافُ بساتينها وانتظامُ قُراها مسيرةَ يومين وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقا » . ولابن الوردى المعرّىّ في وصف أعمالها وذكر منتزّهاتها كلّ شعر مرقّص مُطْرِب [(٢)] في ديوانه وذَكَرَ من متفرّجاتها عين زُريق ووادى فضالة وعين معراثا والبيدرين وجريا ومشهد يوشع عليه السلام ودير سمعان الذى به قبر عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) وماء الهرماس [(٣)] ووادى المعرة ودير بيرة دادخين وغيرها ومن شعره فيها :

كم راغب في الراهبات لأنها ... بِيضٌ مزنَّرة الخُصور بُكور
المائلاتِ كأنهن ذوابل ... المُشْرِقاتِ كأنهنّ بُدور
حُور يصرن إلى جهنّم في غد ... عجبي لهن أفي جهنّم حُور
أرجاؤه محبوبة ، وسُفوحه ... مطلوبة ، وبهاؤه موتور
لله كم مرّتْ لساكنه به ... من ليلة ماشابَها تكدير
أيامَ أغصانُ الزمان وريقةٌ ... والعيش غضّ والشباب غَرِيرُ
والحادثات غوافلٌ عن أهله ... والجفن مما لايَخَبُّ قريرْ

إلى آخره وهو طويل . ومن شعره أيضا :

رعى الله عيشا بالمعرة لى مضى ... حكاه ابتسام البرق اذ هو أومضا

(١) ٢٠٤ ليدن .
(٢) انظر ديوانه ص ٢٤٧ و٢٦٢ و٣٢١ .
(٣) قال ابن ابى حصينة :

ياصاحبي سقى منازل جلق ... غيث يروى ممحلات طساسها
من لى برد شبيبة قضيتها ... فيها وفي حمص وفي عرناسها
وزمان لهو بالمعرة مونق ... بسيابها وبجانبي هرماسها

وفي ديوان ابن الوردي سباب بالموحدة . والقصيدة يوجد جلها في تاريخه ٢ : ٢٠٨ .

فما المنحنَى ماالبانِ ماالسفح ماالنقا   وما رامة عند المعرّة ما الغَضا
فو اللهِ لافضلّت في الأرض بقعة   عليها سوى مافضّل اللهُ وارتضى
منازلُ كانت مرتعى زمن الصبا   فأبعدنى المقدور عنها وأمهضا
مراتعُ آرام مرابعُ جيرة   مراتع غزلان معاهد ترتضى
فلله هاتيك الرُّبى وسفوحها   ولله عمر في سواها لىَ انقضى
وما عن رضى كانت سواها بديلةً   لها غير أن الدهر مازال مُدْحِضا

وفُستقها مما أهداه صاحبنا إلى بعض الإخوان وسماه غيظَ الجيران ووصفه بالهضم والغضّ على جارى عادته في كل مايعزَى اليـه ولفظه [(١)] « وفي هذا البلد فستق ردىء يسمىَّ غيظ الجيران . ومعنى هذا الكلام انه اذا كُسر ظنّ جيران السوء أنه ملآن فحسدوا عليه وهم لايعلمون أنه فارغ . وقد وجهتُ شيئاً منه ليعبَثَ به أتباعه» اه . وفي فستقها يقول ابن الوردىّ:

ففستقها عندى ابتسام ثغوره   يضاحك برقا قد أضاء بذى الأضا

وقال الإصطخرىّ [(٢)] : هى وما حواليها من القرى أعذاء [(٣)] ليس بجميع نواحيها ماء جارٍ ولا عين اه وهذا القول يضادّ بعضه مامرَّمن سرد أسماء المنازه غير أن المؤرخين مجمعون على أن ليس بالمعرة نهر جارٍ ولا عـين وأما نواحيها ففيها عدة من العيون ، وهذه صفتها لصاحبنا [(٤)] وليكن منك على ذُكر [(٥)] أن الكتاب إلى أمير فالمقام مقام التنقيص لا التنويه على مامضى من عادته في هضم النفس وكل شيء له به علاقة ما « وهـذه جُمَل من صفة المعرّة هى ضدّ ماقال الله عز وجل مثل الجنة التى وُعد المتقّون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية

(١) ر ص ٩١ ـ (٢) ٦١ ـ
(٣) جمع عذى كل زرع لا يسقيه الا المطر (٤) ر ص ٥٥ ـ
(٥) اذ اغتر بوصفه هذا مرجليوث فزعم انه يضاد ما وصفه الرحالون جهـلا منه بعادة المشارقة فى الغض والهضم من شأن كل مايتعلق بهم

اسمها طِيَرَة، وعند الله ترجّى الخِيَرَة. المَوْرِد بها محتبَس، وظاهر ترابها في الصيف يَبَس. ليس لها ماء جارٍ. ولا تُغْرَس بها غرائبُ الأشجار. وإذا أبرز لأهلها ذبْح، يؤمل به لديهم الربح. تحسبه صُبغ بخِطر. فكأنما يرمق به هلال الفِطر. وقد يجيئها وقت يكون فيها جَدْى المَعْز فى العِزة كجدى الفرقد، ومثلَ حَمَل اللواكب حَمَلُ النَقَد. ويبكر فقيرها على الهداية، قبل أبى الفرخين ابن دايَةَ. حتى يقف ببائع الرِسْل فكأنما وقف برضوان، يستوهبه ماء الحيوان. فإن سبقه ضياء الفجر فإنه يرجع خائبا» إلى آخر الرُقعة. قوله إذا أبرز لأهلها الذبح: يَعضُده ما نقله القِفطى[1] من أن أهل المعرة كانوا يوصفون بالبُخل أيام أبى العلاء وأنه كان يضيق بذلك لكثرة الوافدين عليه من الطُلاب وقلّة ما كان يملك من النفقة عليهم. وفى الأغانى[2] أن البحترى لما عرض على أبى تمام شعره بحِمص وشكا اليه خَلّته كتب له إلى أهل معرة النعمان وشهد له بالحِذق فمدحهم فأكرموه ووظّفوا له أربعة آلاف درهم. وهذا[3] لا يُنافى ما مرّ لتباين العصرين وقد عانت المعرّة[4] فى عصر صاحبنا من النكبات المُجْحِفة مالا خفَاء به.

ولم تزل بأيدى المسلمين[5] حتى أخذها منهم الفرنج سنة ٤٩٢ ﻫ وقتلوا نحو مائة ألف انسان وسَبَوْا كما قال ابن الوردى[6] وبقيت بأيديهم الى أن فتحها عماد الدين زنكى سنة ٥٢٩ ﻫ.

(١) ذ ١٢٢ ونقله الذهبي أيضاً ١٣٠

(٢) ١٨ · ١٦٩ الطبعة الثانية والوفيات ٢ : ١٧٥. لا الف درهم كما قال مرجليوث

(٣) كما نقل صاحب ذ عن مرجليوث ١٢٣ وأظنه أخطأ فى فهم كلام مرجليوث من عدم معرفته بالانكليزية

(٤) وفى غضب قاضى المعرة وديعة لتاجر خبر طريف وشعر ظريف أورده صاحب غرر الخصائص ٥٨

(٥) الوفيات ١ : ٣٥٠ (٦) تاريخه ٢ : ١٠

وأما وصفها الآن(١) فهي مدينــة من اعمال ولاية حلب وأهلها نحو ستة آلاف نفس ومن مبانيها خان جميل شيّده مراد المعروف بالچلبي منذ نيف وثلثمائة سنة وبإزائه خان آخر بناه سنان باشا وقلعة(٢) متخربة من عهد الصليبيين تعرف بقلعة النعمان . والبساتين المكتنفة لا تزال باقية وإن قل التفافها وسعتها مما كانت عليه في عهد ابن جبير . وهي قديمة سبقت عهد الاسلام كما يدلّ عليه قبور عاديّة وجدت حديثا في رَبَضها وآثار طامسة تُرى في جهاتها ونقود رومانيّة اكتشفت في رَدْمها ، ومنها ما يرتقي إلى القرن الثالث للمسيح . وأما جامعها الذي تُظلّه قُبّة ضخمة قائمة على ثماني أساطين ففيه قسم قديم صبر على كرّ الحدثان من ذلك منارته البديعة الهندسة(٣) وقسم آخر كانت الزلازل أسقطته فجدّد بناءه أبو الفداء. وقد وضع بعض أهل العصر(٤) تاريخا للمعرّة لم يُطْبَع .

نبهاء أهلها

كانت على صغرها تضاهي أعظم المُدُن ، وكان صيتها في كل صُقع يخترق الأُذُن . وتدَيَّرها كثير من العائلات النبيهة والرجالات الوجيهة . وكان فضلاؤها ينتجعون ريف مصر وسواد العراق ، فيفوزون بأفضل الوظائف وأسنى الاعلاق. فمنهم أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن جَابَات كان عضد الدولة استعمله على

(١) جمعنا بين رواية الاستاذ رأفت بك على ما في ذ ١٢٤ ووصف لويس شيخو في المشرق ٨ : ٩٢٠ و ٩٢١ ـ وكان زارها بنفسه

(٢) وفيها يقول ابن الوردي :

وقلعتها عندي وان بان أهلها ... كأطول من سهدي عليها وأعراضا

(٣) قال شيخو انهـا من بناء عمر بن الخطاب ولعل القائل أراد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وذكر شيخو ممن لقيهم بها مفتيها سعدي أفندي ـ والشيخ محمد رمضان الذي خلف أباه في التدريس لم يلقه ولكن وصف له

(٤) وهو الاستاذ السيد سليم الجندي . مجلة المجمع الدمشقي سنة ١٣٤٩هـ ص ٣٥٩

بغداد فى أيامه . وقال صاحبنا (١) يجيبه :

بنو الجلبات الباعثون من الندى سراياه والغازون وَسْطَ لُهامه

* * *

ولولا سعيدٌ بات ندمان كوكب يُريق له فى الارض شَطْرَ مُدامه

وكانت بقايا نعمة عَضُديّة ترُدّ إلى الزوراء بعضَ اهتمامه

وذامته أفناء العراق وإنّما ترحُّله عنهن أكبر ذامه

ووصفه الثعالبى (٢) بقوله «أحد أفراد الدهر فى الشعر وكنتُ أُنشدتُ له أُمَمًا أوردتها فى النسخة الأولى . ثم وقع إلىّ من شعره الصحيح قصائد فى الخليفة القادر بالله والوزير أبى نصر سابور بن أرد شير فأخرجتُ غُرَرَها وهى سوى ما يقع من شعره فى مجموع أشعار أهل العراق فى الوزير سابور وإذا سُقتُ ذلك أكرر ذكر ابن جلبات (٣) فى جملتهم . ومن أهل العواصم صدقة بن يوسف الفلاحى الذى أُرسل من مصر صُحبةَ والى الشام (٤) منتجب الدولة أنوشتكين ناظرا فى الأموال ونفقة الرجال بعد أن كان قبلُ خِصّيصا بعزيز الدولة الرومىّ وكان صدقة طلب أبا العلاء الى حضرة عزيز الدولة على ما يأتى كله فى محلّه . ثم إنه ارتفعت به الحال الى أن صار بعد وفاة الجرْجرائى وزيرا للمستنصر الفاطمى سنة ٤٤٠ ﻫ وفيها قُتل .

وأما بنو سليمان فإن جُلهم تولّى قضاء المعرّة كما سيأتى. وقال ابن القلانسى « فى سنة ٤٨٩ ﻫ توفى أبومسلم وادع بن سليمان قاضى معرة النعمان والمستولى عليها.

(١) س ١ : ١٠٢ وعده الباخرزي في المعريين فيما أذكر

(٢) اليتيمة ٢ : ٢٧٠

(٣) لم يكرره في هذه النسخة المطبوعة بدمشق . وورد كثير من شعره في سابور في التحفة الناصرية المطبوع بإيران . وتصحف فيه بابن جلباب

(٤) تاريخ ابن القلانسى ٧٣ .لامنتخب الدولة كما قد تصحف على مرجليوث ٣١و٤٤

وكان له همة مشهورة وطريقة فى اليقظة مشكورة اهـ وهذا صريح فى أنه تغلّب عليها بعد وفاة صاحبنا وانظر وادعافي الشجرة وكان القاضي أبو اليَسَر [1] شاكر كاتب الانشاء لنورالدين محمود بن زنكى ثم استعفى فخلفه العماد الاصفهانيّ .

وفي غير بنى سليمان ـ ممّن كان قبل أبي العلاء أو في عصره أو بعده ـ كثرة . وقد أتى على جلهم العماد في الخريدة [2]

فمنهم بنو أبى حُصين ويجتمعون مع بنى سليمان في داود بن المطهر وعدّد منهم العماد عشرة . وذكرهم السمعاني في الانساب [3] أيضاً . منهم أبو الرضى عبد الواحد، ورثى صاحبنا على ما يأتى .

وبنو المُهَنّا وهم نيف وعشرون عند العماد . ومنهم القاضي عبد القاهر بن المهنّا أبو محمد كمال الدين التنوخى المعري المعروف بخصَى البغل ذكر الازدي [4] خبراً في ارتجاله شعراً

وبنو الدُوَيْدة وفيهم كثرة . ومنهم أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن الدويدة ذكره العماد وياقوت . [5]

وبنو عبد اللطيف . ذكر منهم العماد ستة وأغفل أبا المجد [6] مرشد بن على بن عبد اللطيف المعري المتوفى سنه ٥٥٣ هـ .

---

(١) هو صاحب الحكايات الآتية ذكره العماد وياقوت ١ : ١٦٦ لا أبو النصر كما تصحيف على مرجليوث

(٢) انظره فى فهرست خزانة ليدن ٢ : ٢٦٦

(٣) ورق ٥٣٦ اليسرى ـ ومنهم أبو غانم له فى المرقصات ص ٥٠ أبيات ثلاثة

(٤) بدائع البدائه ٢ : ٤٧

(٥) ٢ : ١٩٠ وورد اسمه مصحفا وكذا في المرقصات ٤٦

(٦) وذكره ابن القلانسى ٣٠٤ قال وكان من الرجال الاشداء الكفاة فيما كان يستنهض به في الايام الاتابكية وكذلك فى الايام النورية وكان مع ذلك موصوفا بالخيرية وسلامة الطبع مستمراً في ذلك على منهاج اسرته

وذكر الثعالبي في بدء تتمة اليتيمة[1] من شعرائها المعاصريه ولا بد أن يكونوا عاصروا صاحبنا أيضاً أبا الحسين أحمد بن محمد المعرّي وأبا الخير المفضل ابن سعيد بن عمرو المعري . وقيل [2] إن جعفر بن علي بن المهذّب ـ الذي رثاه أبو العلاء بدالية من س ـ من أهلها .

وشاعر المعرّة على الاطلاق بعد صاحبنا الأميرُ أبو الفتح ابن ابي حصينة شاعر أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس ونصر بن صالح ، وولاّه ممدوحه المعرّة ، ورآه ابن بطلان[3] المتطبّب لما ورد حلب نحو سنة ٤٤٠ ﻫ بها . وهذا يدل على نبوغه في عصر صاحبنا . وله تأبينةٌ في صاحبنا جيّدة تأتي . وتوفي في حدود سنة ٥٠٠ ﻫ ـ ترجم له ابن عساكر [4] والكتبي [5]

ومن أهلها ممن كان يُكنى أبا العلاء ـ على ماذكر العماد ـ أبو العلاء ابن عبد الله بن المحسن المعري ، وابو العلاء بن أبي الندَى المعري وذكره أيضاً الصلاح في الغيث [6] وصاحب المُغْرِبْ في المرقّصات

وترجم ابن عساكر[7] للقاضي الحسن بن إسحاق بن بلبل المعري المحدّث الرحلة ، ورشأ[8] بن نظيف بن ما شاء الله أبي الحسن القاريء سكن دمشق وهو معاصر لصاحبنا .

ومن أهلها المعروفين في الأداني بله الاقاصي أبو حفص عمر بن مظفّر زين الدين ابن الوردي الشاعر الديّن الفقيه صاحب المقامات والديوان والتاريخ وغيرها

(١) نسخة باريس الخطية ورأينا صورتها (٢) صاحب شرح المجانى ١٢٤٩
(٣) انظر البلدان رسم حلب (٤) مختصر تاريخه المطبوع ٤ : ٣٠٥
(٥) بولاق ١ : ١٢٢ ومن ديوانه لسخة باسكوريال . واورد ابن الوردي فى تاريخه كثيراً من شعره (٦) ٢ : ١٦٨ ـ ص ٥٠
(٧) ٤ : ١٥٤ قال ورحلٌ فى طلب الحديث الى دمشق والمقدس والكوفة
(٨) ٥ : ٣٢١ وتبين كذب المفتري ١٤٤ ﻫ

وإنما أسهبنا[١] لئلا يسبق الى وهم واهم [٢] أن المعرة بليدة أو قرية خاملة ، ليس لها من صيت في مجالس العلم الحافلة .

وأما وصفه لها فانه على عادته كما مرّ وها كه من الاغريضية [٣] يخاطب الوزير أبا القاسم المَغْرِبيّ « وقد كنت عرّفتُ سيّدنا فيما سلف أن الأدب كعهود في غبّ عهود ، أروتِ النجادَ فما ظنّك بالوُهود . وأني نزلتُ من ذلك الغيث ببلد طَسْم ، كأثر الوشم . منعه القِراع ، من الامراع . يابؤسَ بني سدوسَ العدوّ حازب ، والكلأ عازب . ياخِصْبَ بني عبد المَدان ، ضأن في الحُرْبُث وإبل في السّعدان . فلما رأيتُ ذلك أتعبتُ الأظلّ ، فلم أجد الا الحنظل . فليس في اللبيد ، الا الهبيد . جنيتُه من شجرة اجْتُثّت من فوق الأرض مالها من قرار . لبنُ الإبل عن المرار مُرّ ، وعن الأراك طيّب حُرّ . هذا مَثَلي في الأدب » اهـ . وقال ابن القارح[٤] فيها وأنشد أربعة أبيات للبحتري وهي :

إن أيامه من البيض بيض ما رأين المفارق السُود سُودا
واذا المَحْل ثار ثاروا غيوثا وإذا النقع ثار ثاروا أُسودا
يحْسُن الذكر عندهم والأحاديث اذا حدث الحديد الحديدا
بلدة تُنْبِتُ المعالي فما يَثْغَرُ الطفل فيهم أن يسودا

(١) وشعيب بن محمد المعري ترجم له فى الفوات ١ : ١٨٧ والسابق المعرى المتوفى بعد ٥٠٠ هـ تلميذ التبريزي الفوات ٢ : ١٩٩ والمرقصات ص ٤٦ . وابن شقير الاديب الشاعر وأخوه المحدث نصر الله الفوات ٢ : ٢٢٩ وابن عوض المعري المرقصات ٥٥

(٢) كما ذهب على مرجليوث حيث زعم أن ما يوجد من اخبار شعرائها في كتب التراجم أقل قليل نظرا الى اهميتها من جهة السياسة

(٣) ر ١٩ وصبح الاعشى ١٤ : ١٩٠ وساق الاغريضية بتمامها ونسختنا اصح واصلح مما فى الرسائل - واللبيد العدل والهبيد الحنظل والحربث نبت طيب الرائحة

(٤) رسالته ٢٠٤

وهذه صفة المعرّة به أدام الله تأييده لا خلت منه ومن النعمة عليه وعنده فقد وجدت أهلها معترفين بعوارفه . اه

أبو العلاء المعري

﴿ اسمه ، وكُنيته ، وسياق نسبه ﴾

ل دُعيتَ أبا العلاء وذاكَ مَين ولكنّ الصحيح أبو النُزول

سألتُكم لا تكنّوني لتكرمة وصغّروني تصغيراً بترحيم

وما ألومكَ في خفضي ومنقصتي لكن ألومك في رفعي وتفخيمي

وأحمد سمّاني كبيري وقلّما فعلتُ سوى ما أستحقّ به الذمّا

هو أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان (وسليمان ثلاث مرات[١] على ما في الخريدة) بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة ابن الحرث بن ربيعة بن أنور [٢] بن أسحم بن أرقم بن النعمان الساطع الجمال ابن عدي بن عبد غطفَان بن عمرو بن بَريح (بالموحدة المفتوحة كأمير) بن خُزيمة بن تَيْم اللات (هو تيم الله وهو تَنُوخُ أيضاً) ابن اسد بن وبَرَةَ بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعةَ التنوخيُّ المعري

وكنيته أبو العلاء بالفتح والمدّ إلا أن الناس كانوا ينطقون بها مقصورة في عصره كما قال ٠ل:

والإلفُ هان لهأمري فقصّرني كما تهون على ذي المنطق الالفُ

(١) انظر عمود في سليمان

(٢) كذا في الوفيات والسمعاني والعيني ١ : ٥٤٠ وفي البلدان والجواهر ١:١٩٦ والخريدة انور بن أرقم بن أسحم وفي النكت والادباء ارقم بن أنور بن أسحم ـ وهذا عجب من اختلاف الاقوال ـ وقد تعدد قول ياقوت في كتابه وهو أعجب . ولم اتمكن من رد السياق الى أصله وكم في الانساب من مثله

وقد شنّع على أبي الحسين النُكتيّ البصْري وهو من أصدقاء شيوخه في تسميتِهِ إياه محمداً بدل أحمد وأبا العُلَى موضع أبي العلاء تشنيعاً يَشوبه هُزْءٌ وأطال ، وشَمّرَ أردانه للجدال والنضال . مع أن الرجل كان يستحقّ العُذْرَ من جهة أن صنيعه هذا كان في الشعر ولم يكن لقيه في الدهر إلاّ مرّةً أو مرتين قال ووصف شعره بالخُلُوّ عن الزحافات والعِلل وضرورات الشّعر والقافية بأسرها في عدّة صفحات:

فكيف استجاز ان يَقْصُرَ كُنية صديقه : أما السمة فغيّرها وأما الكُنية فقَصرها فانا لله وانا اليه راجعون . هذا أمر من أمر الله ليس هو من ضَعف الشاعر ولا وَهْن القائل ولكنه من سوء الحظّ لمن خوطب والاتفاق الرديء لمن سُمي وذكر . ولا يَقلْ سيدي الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ قد قصرت الشعراء قديمها ومولّدُها وأوّلها السالف وآخرها وفصيحها الطَبَعيُّ ومتكلّفُها ـ فانه لو كان استعمل ضرورةً غيرتلك لقُبلتْ حُجتّهُ ، ولكنه ألغَى الضرورات بأسرها ورفض العيوب فلم يستعملها . وإنما تغوّثتُ من ذلك لاني قصير الهمة قصير اليد مقصور النظر أي مكفوف مقصور في البيت أي لازم له . فما كفاني ذلك مع قِصَرِ الجسم حتى يضاف اليه قصر الاسم اهـ

﴿ قُضاعة ﴾

﴿ أمن عدنان هي ، أم من قحطان ؟ ﴾

قال ابن اسحاق (١) كان قُضاعة بِكْرَ معدّ الذي به يُكنَى فيما يزعُمون قال ابن هشام فقالت اليمن وقُضاعةُ قضاعة بن مالك بن حِمْيَر ، وقال

(١) السيرة مع الروض ١ : ١٧

السهيلي [١] أكثر النسّابين يذهبون الى أن قضاعة هو ابنُ معدّ وهو مذهب الزُبيريّن وابن هشام ثم روى فيه حديثا مرفوعا معارضا له بآخر مرفوع مثله وأنشد رجز عمرو بن مرة الصحابي الآتي [قال ذو الحسبَين [٢] قال الزبير : الشعر لأفلح بن اليعبوب] وانشد ابن قتيبة في الميْسِر له [٣] للكميت في قضاعة وتحوّلها الى اليمن على ما سيأتي وادّعائها اليها وهي من نزار [٤] في قول بعضهم :

فَمَهْلًا يا قُضاعَ فلا تكوني مَنيحًا في قداحِ يَدَيْ مُجيل

قال : يريد لا تكوني هناك غريبة كهذا المنيح في هذه القداح ولكن ارجعي الى نسبك في نزار [٤] اه . ومثله قول جَميل :

أنا جميل في السنام من مَعَدّْ في الذُروة الحصداء والركن الاشدّ

وذكر ابن عساكر [٥] ونشوان الحِمْيَري [٦] أنها نسبت أيام معاوية وابنه يزيد إلى معدّ فانهما بذلا لرؤسائهم أموالا جسيمة على التمعدد والانتفاء من التيمّن فساعدهما إلى ذلك بعض رؤسائهم فلما بلغ ذلك قضاعة غضبوا وأنكروا فجشدوا واجتمعوا في مسجد دمشق يوم الجمعة على يزيد وهم يرتجزون ويقولون :

يا أيها الداعي ادْعُنا وأبْشِرْ نحن بنو الشيخ الهِجان الأزهرْ
قضاعةَ بن مالك بن حِمْيَرْ النسبِ المعروف غيرِ المنْكَرْ
مَنْ قال قولا غير ذا تنَصَّرْ

(١) الروض ١: ١٥ - ومنهم ابن عبد البر النهاية للقلقشندي ٣٤ والبكري معجمه ص ١٣
(٢) وذو النسبين ايضا وهو الحافظ ابو الخطاب ابن دحية الاندلسي
(٣) ص ٧٢
(٤) كذا في الموضعين . والظاهر أنه ليس من تصحيف الناسخ فلعله كقول صاحب التمضر كما سيأتي . لان قبائل معد انما تشعبت من نزار ثم من مضر - فيريدون بمضر ونزار معداً والا فظاهر أن قضاعة على هذا يكون ابن معد اخا نزار وعم مضر
(٥) ٥ : ٣٩٢
(٦) مختصر شمس العلوم ص ٨٦

أي دخل في النصارى ، فالحقهم يزيد باليمن . وكان معاوية أطعم عمرو بن مرة خراج العراقين في ذلك فانكر وأنشد شعراً منه :

قحطان والدنا الذي نُدْعَى له   وأبو خُزيمة خِنْدِفُ بن نِزار
أنبيع والدنا الذي نُدْعى له   بأبي معاشرَ عائبٍ مِبْوار

قال نشوان[١] هو قضاعة بن مالك بن عمْرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير . قال السهيلي ولما تعارض القولان في قضاعة وتكافأت الحجاج نظرنا فاذا الزبير النسابةُ ذكر ما يدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن امرأة مالك بن حمير [٢] واسمها عكبرة آمت منه وهي ترضع قضاعة فتزوّجها معدّ وتبنّاه وتكنّى به ويقال بل ولدته على فِراشه فنسب اليه وهو قول الزبير. وقضاعة كما في العين كلب الماء [واسمه عمرو[٣]] . اه قال المبرد في الكتاب الكامل[٤] ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير ـ وهو الحقّ ـ قال فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل وهو الحق وقول المبرّزين من العلماء إنما العرب المتقدّمة من أولاد عابرَ ورهطُه عادٌ وطَسْمٌ وجَديس وجُرْهمٌ والعماليق فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهَمَيْسَع بن تيْمَنَ بن نبْت بن قَيْذارَ بن اسمعيل . أقول ومهما كان فإن قضاعة لا تعترف لهم بهذا ولا ذاك وتندّد بالإنكار ، والقولُ في ذلك قولهم فهم أعرف بأبيهم . وأما صاحبنا فإنه على قوله بالاختلاط في الانساب[٥] كما نبحث عنه فيما بعدُ يشير

(١) ومثله عند القلقشندي في نهاية الارب من انساب العرب طبع بغداد ص ٣٢٤
(٢) هـذا لايتأتى على صحة قول نشوان والقلقشندي فى سياق نسب قضاعـة
(٣) وكذا عند البكري ١٣
(٤) مصر ١ : ٢٢٣ ولبسيك ٢٦٥
(٥) ومن قوله فى ذلك ـ ل :

وأفسد جوهر الاحساب أشب   كما اختلطت من الخيل العراب

الى أن المدّعين منهم إلى معدّ راغبون ليس الاّ حيث يقول . ل :

ولقد علمتُ فما التمضُّرُ نافعي أني سأتبع نيْسباً لاّ بَيّ سَياً

وهما حمير وكهلان والنيْسَب الطريق الواضح . وليُعْلمْ أن المراد بالتمضّر هنا التمَعْدُد .

﴿ تَنوخُ وجلاؤها إلى العواصم ﴾

قال السمعاني[1] هو اسم لعدّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر وأقاموا هنالك فسُمّوا تَنوخا والتّنوخ الإقامة ، وجماعة منهم نزلت معرة النعمان(وكذا قال اليعقوبيّ في بلدانه[2]) . وذكر البكري[3] أن قضاعة بن معد ورث من أبيه جدّة وسكن بها أولاده الى أن قال خُزَاعيٌّ في امرأة من ربيعة بن نزار شعراً وكان يتعشقّها فتفاقم الامر ونما الشرّ فاجتمعت نزار على قضاعة وقهروهم فظعنوا مُنْجدين فسارت تيم اللات بن أسد من قضاعة مع قبائل نحو البحرين حتى وردوا هَجَرَ ولكن أُجلُوا منها أيضاً . ولما نزلوها قالوا للزرقاء بنت زهير الكاهنة : ما تقولين ؟ قالت : سَعَفٌ وأمان ، وتمر وألبان ، خير من الهوان . ثم أنشأت تقول :

وَدِّعْ تِهامة لا وداعَ مُخالق بذمامة لكن قِلىً وملام

لا تنكُرنْ هجراً مقامَ غريبة أن تعدَمي من ظاعنين تَهام

قالوا فما ترين يازرقاء ، قالت: مُقامٌ وتُنوخٌ . إلى آخر سجعها. فسميت تلك القبائل تَنُوخَ لقول الزرقاء . ونزلت تنوخ بالبحرين ثم ارتحلوا واختطّوا الحيرة ثم أغار عليهم سابور ذو الأكتاف فساروا الى الحضْر من الجزيرة يقودهم

(١) ١١٠

(٢) ٣٢٤

(٣) معجم، ١٣ — ١٩

الضَيْزَن بن معاوية التنوخيّ. وقال ابن شبّة ثم ظعنت قضاعة كلهم من غور تهامة مُنْجِدِين غير بعضهم ممن تنخ بالبحرين وانتشر سائرهم في البلاد فوجدوا بلاداً خالية في أطراف الشام وغيرها. انتهت الأُسطورة بغاية الاختصار

وقد أبدع صاحبنا في قوله(١) في الثلج :

أتانا في الولادة وهو شيخ فأزرى بالشباب وبالشيوخ
فقال اريد عندكم تُنوخاً فقلتُ أصبتَ إنا من تنوخ

وقال البلاذري (٢) قالوا سار أبو عبيدة .... ثم أتى قِنَّسرين وعلى مقدّمته خالد بن الوليد فقاتله أهلها .... فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حِمْصَ وغلب المسلمون على أرضها وقُراها وكان حاضر قنّسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خِيَم الشعرَ ثم ابتنَوا به المنازل فدعاهم أبو عبيدة الى الاسلام .اه . ثم قال بعده بأسطر (٣) وكان بقرب مدينة حَلَبَ حاضر تدعى حاضر حلب تجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم . ونقل القلقشندى(٤) عن الحَمْدانى أن المعرة من بلاد الشام هي صلبية تنوخ ، بمعنى أن بها جمعهم المستكثر.

وكان عند القاضي التنوخى الصغير جزء من أشعار تنوخ في الجاهلية جمعه والده المحسّن(٥) استعاره أبو العلاء ونذكر أمره فيما بعد . وكان صاحبنا يَمُتُّ إليه بنسبه فى تنوخ قال يهنئه بمولود (٦) :

كَنَىً محمد! نسبى مفيدى ودادَك والهوى أمر بَدِىٌّ

(١) أنظره في الفائت (٢) فتوحه مصر ١٥١
(٣) ص ١٥٢ (٤) النهاية ١٦١
(٥) بكسر السين المشددة ويأتي (٦) س ٢ : ٦٧

ومن شعره ما قال في صباه ـ س [1] :

لِتَذْكُرْ قضاعةُ أيّامها وتُزْهَ ! بأملاكها حِمْيَرُ

ومن ل ـ :

فشِعاري قاطِعٌ وكان شعارا لتنوخ في سالف الدهر واصِلْ

* * *

عمود بنى سليمان

ليعلم أن سياق النسب من الخريدة والنكت والوفيات . ولم نعوّل على تصحيفات المؤلفين . وتبعنا العماد فى أن سليمان وهو أول من تولى القضاء منهم هو جدّ جدّ (مكررا) أبى العلاء . ولم نتبع ياقوت والصفدى فى جعله جدّ أبى العلاء . ثم نقل القضاء منه الى محمد عم أبى العلاء ثم الى عبد الله والد أبى العلاء . لان العماد هو عماد كلهم وممكن أن يكون نُسّاخ نُسَخهم من الخريدة حذفوا من جدّ المكرّر واحدا . وليس بممكن زيادته من الناسخ فى نسخة ليدن لأن كلام العماد يختلّ من ترك التكرير والله أعلم . ولفظ ياقوت وكان سليمان جدُّ أبى العلاء قاضى المعرّة ولى القضاء بحمص وبهامات فى سنة ٢٩٠ ه ثم أنشد شعر الصنوبرىّ فى مدحه . وهذا بعينه لفظ الخريدة فى جدّ الجد . قال ياقوت بعد سرد أكثر هؤلاء « وغيرُ هؤلاء حذفت أسماءهم اختصارا وإنما قصدت الإخبار عن إعراقه فى بيت العلم » . وقد سردهم الصاحب كمال الدين ابن العديم فى الباب الثانى من العدل والتحرى حتى وصل بهم الى زمنه وهو منتصف القرن السابع كما سردناهم من غير أن نقف على كتابه ولله الحمد .

(١) ٢ : ٢٤

داود

بن

سليمان

بن

أحمـد

بن

(٩) سليمان

بن

(٨) محمـــد

{في خر والنكت والوفيات دون غيره١٠

بن

(٧) أبي الحسن سليمان

أبو بكر محمد (١٠) ان صح قول ياقوت   مسلم عم أبي العلاء (١٢)

بن

عبد الله (١٣)

(٦) عبد الله

وادع القاضي (١٤)

النعمان (١٥)

أبو الهيثم عبد الواحد (١١)   أبو العلاء . صاحبنا

بن

(٥) أبي المجد محمد أخي أبي العلاء

أبو الحسن على تولى قضاء المعرة . خر والعدل

أبو مرشد سليمان (١٦)   ومدرك

بن

أبو سهل عبد الرحمن (١٧)٠

(٤) القاضي عبـد الله ابو محمد   وأخوه أبو المعالي صاعد(١٨)٠

وادع على ما في خر وأدبا وأظنه غلطا والظر ١٩٢

بن

(٣) القاضي أبي المجد محمد

بن

(٢) أبي محمد عبد الله

بن

(١) القاضي تقي الدين أبي اليسر شاكر

أبو المجد سليمان ولد بحلب سنة ٥٤٠ هـ خر   بن   أبو البركات محمد ـ خر

(ج) أبي إسحق ابراهيم

بن

(ب) ابي اليسر إسماعيل

بن

(أ) تقي الد..

(أ) مسند الشام كتب للناصر داود وروى عنه ابن تيمية وأخواه . ترجم له صاحب الفوات ١ : ١٢

(ب) عرفناه من الفوات فقط

(ج) عرفناه من الفوات ومن التكملة لابن الآبار عدد ١٤٥٨ ويأتى في باب « هو والاندلس » .

(١) لا أبو نصر كما قد تصحّف على مرجليوث ص ٣٣ قال العماد ذكر لى أن مولده بشيزر فى جمادى الآخرة سنة ٤٧٦ ﻫ وفي أدبا عنه قال وكان كاتب الانشاء لنور الدين محمود بن زنكى قبلى فلما استعفى وقعد فى بيته توليت الانشاء بعده . ونقل عنه في الولادة سنة ٤٩٦ وهذا من اختلاف نسخ الخريدة ثم أورد من شعره جملة .

(٢) وتوفي سنة ٥١٦ ﻫ . خر

(٣) ولى قضاء المعرة الى أن دخلها الفرنج سنة ٤٩٢ ومات بحماه سنة ٥٢٣ ومولده سنة ٤٤٠ ﻫ وله ديوان ورسائل . ياقوت وخر .

(٤) زعم خر وتبعه أدبا أنه أبو القاضى وادع وأراه غلطا منهما [1] وحجّتى خط يد النعمان بن وادع على ختام نسخة نقائض جرير والأخطل لابى تمام وهذا نصّه ورق ١٤٤ نسخة الآستانة « قرأته جميعه في المحرّم من سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكتب النعمان بن وداع بن عبد الله بن مسلم » ويبعد أن يكون وادع على قولهما في آبائه أدرك أبا العلاء . مع أنه أدركه حقّا إذ مولده كما قالا ٤٣١ ﻫ وهذا سهل ان جعلنا مسلما عم أبى العلاء جدّا له .

(٥) كان أسنّ من أبى العلاء . وأورد ياقوت شعراً له . خر وأدبا . وذكره

(١) وشاهد وهو ان كنية وادع « أبو مسلم » ومعروف فى الكنى تسمية الابناء باسم الاجداد .

أبو العلاء بلفظ سيدى في ر الى خاله أبي القاسم ص١١٢ والعجب من مرجليوث ص ٤٣ حيث زعم ان الرسائل لا تشير اليه إشارة ما وهو شارحها وترجمانها وأغرب منه زعمه أبا المجد مستمليا له وكلّه غلط لا دليل له . وتوفي سنة ٤٣٠ هـ وقدّم أبو العلاء الشيخ أبا صالح محمد بن المهذّب للصلاة عليه ـ ابن الوردى ١ : ٣٤٥

(٦) له شعر في مرثية والده أورده ياقوت وتوفي بحمص سنة ٣٧٧ هـ . خر وادباء ويأتي ذكره فيما بعدُ . ويوهم كلام ياقوت وخر أنه تولى قضاء المعرّة أيضا ، وفي إنباه الرُواة للقِفْطيّ بخطّه في ترجمة محمد بن حمزة أن له قصيدة مدح بها القاضى أبا محمد عبد الله بن محمد بن سليمن المعرى ثم أورد منها ١٣ بيتا على الراء وأظنه أبا عبد الله هذا والله أعلم

(٧) هو الذي تولى قضاء المعرّة وحمص . وبها مات سنة ٢٩٠ هـ على قول ياقوت إن صح . وقد غلط صاحب ذ ص ١٣٠ حيث زعم أن جده سليمان بن داود تولى قضاءها ثم سرد النسب ص ١٣٥ كما نقلناه من الخريدة . إذ كيف يمكنه أن يجعل سليمان بن داود جده وهو على سياق النسب عنده بنفسه جد جد جد (ثلاثا) أبي العلاء فقد خبط خبط عشواء ولم يتبع هذا ولا ذاك.

(٨) هو قاضي المعَرّة أبو بكر الذي جعله ياقوت أخا أبي صاحبنا

(٩) جد جد (مرتين) أبي العلاء وأول من ولي قضاءها سنة ٢٩٠ هـ كذا في خر وهو الذي وهم في أمره ياقوت فجعله جد أبي العلاء

(١٠) على قول ياقوت عم أبي العلاء ولي قضاءها بعد سليمان بن أحمد جده على قوله ثم نقل قول الصنوبري الشاعر في مدحه

(١١) نقل بعضهم عن الوافي أنه كان حيا أيام حصار صالح سنة ٤١٧ هـ

أو بعده بقليل

(١٢) ورد ذكره في حكاية وزير محمود وترد . وأغفله خر وأدباء . وقد ذكرنا حجتنا في جعله جد القاضي وادع ولكن ليس في الخط مايدل على كونه عم أبي العلاء وإنما علمناه من الحكاية

(١٣) لم نعلمه إلا من خط النعماني

(١٤) أبو مسلم تولى قضاء المعرّة وكفر طاب وحماه وكان مشهوراً بالكرم . ولد سنة ٤٣١ هـ وله رسائل حسنة وشعر بديع ثم أنشد منه شيئاً ـ ادباء ١ : ١٦٧ و ٢ : ١٩٥ وخر . وفي تاريخ ابن القلانسي ص ١٣٢ أنه توفي سنة ٤٨٩ هـ وكان استولى على المعرّة قال وكان له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة اهـ وفي نسخة من انباء الرواة للقفطي بخطه أرانيها الحظ ـ أن أبا سعد محمد بن احمد الشاعر المعري رثاه بقصيدة رائية طويلة أوردها القفطي

(١٥) أبو عدي من أهل العلم والفضل صاحب الخط على النقائض لا بي تمام أنشد له ياقوت بيتين ـ أدباء وخر . قالا ومات سنة ٥٥٠ هـ ونيف

(١٦) ذكره ياقوت والعماد قال انتقل الى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة وكونى بها . قال ياقوت ولي قضاء المعرة وله رسائل وشعر (ثم أنشد له)

(١٧) ذكره ياقوت قال ومولده ومنشؤه بشيزر وحماة وتوفي في الزلزلة كانت بحماه سنة ٥٥٠ هـ وكان شاعراً مطبوعاً (ثم أنشد له)

(١٨) ذكره ياقوت قال مولده ومنشؤه شيزر وحماة ومات بالمعرّة (ثم أنشد له)

أخواله آل سبيكة

من مرثية والدته يخاطبها ـ س [١] :

وكم لكِ من أب وَسَمَ الليالي على جَبَهاتها سِمةَ اللئام
مضى وتعرَّفُ الأعلام فيه غنيُّ الوَسْمِ عن ألف ولام

هم كما يظهر من كتبه اليهم ومن شعره فيهم في س كانوا غرّة في جبهة الأيام ، ودائرة سامة في وجوه الغطارفة الكرام . مُعْرِقين في أصالة الشرف ، وناشئهم المقتبَلُ لا يقلّ في السماحة عن أبي دُلَف ، ولا ينُون يبتغون من فضل الله في كل ناحية وطرف ، حرصاً أن يحوزوا كنز النَّطَف . ولكن لا للشرَه والبطَر ، أو التكاثر أو الأشَر . بل لكسب المعدوم ، وفك العاني المظلوم . وصلة الأقارب ، والإعانة على النوائب . كما قال في ر [٢] الى أبي طاهر « وان مروءته تغلب حاله ، وتُجشّمه السفر وارتحاله »

وجدّه لامه محمَّدٌ كان حيًّا قبل رحلته الى بغداد فيما يظهر [٣] ، وأقرأه السلامَ في رقعتين له الى أبي طاهر وهما ١٢ و ١٤ ، وكان له ثلاثة من الأولاد الذكور ، وهم على ترتيب الأسنان فيما يظهر من فحوى الرسالة الثلاثين [٤] وغيرها : أبو القاسم علي [٥] بن محمد بن سَبيكة ، أبو بكر ، أبو طاهر المشرّف . فأما أبو

(١) ٢ : ٩٧

(٢) س ٤٣ ـ

(٣) وقال مرجليوث في ترجمة ر الى أبي طاهر وهي الـ ١٤ انها كتبت بعد سنة ٤٠٠ هـ ولم أعثر له على شاهد يعضده وأظنه رجما منه بالغيب . وعلى كل فانه قرأ فيها السلام على جده لأمه

(٤) أعني جميع الرسائل الى أبي القاسم التي أهدى فيها السلام الى أبي طاهر

(٥) التنوير ١ : ١٦٥ وعنوان ر الـ ١٧ اليه ـ

القاسم فكتب اليـه داليّة [1] من س وكان سافر الى المغرب ذكر فيها أن بني سبيكة لهم وُلوع بالأسفار ، وركوب الأخطار ، في البراري والبحار . وكانوا يركبون تارة بحر الروم الى مصر والمغرب ، واخرى في بلاد الجزيرة والعراق لهم مستزادٌ ومذهب ـ س ٠

كان بني سبيكة فوق طير   يجوبون الغوائر والنجادا
أبالإسكندر الملكِ اقتديتم   فما تضعُونَ في بلدٍ وسادا

وله اليـه من الرسائل الـ ٧ عند طلوعه من العراق وهي مصدر كثير من الفوائد التاريخية و الـ١٧ و الـ ١٨ والـ ٣٠

وأما أبو بكر فإنا لم نعرفه الا عن ر الى أبي القاسم في التعزية بوفاته وكان توفي بدمشق وخلّف ولدا كهْلاً وأبناءً لهذا الولد فتيانا [2]

وأما أبو طاهر المشرّف فهو المخاطب بالرّسالة الـ ١٠ وكان صاحبنا جشّمه أن يستنسخ له شرح الـكتاب ـ كتاب سيبويه ـ ببغداد لا عكسه [3] كما ذهب

(١) ١ : ١٦٥ . والذي أظن ان جملة رسائله الى خاليه في زمن شبابه ـ

(٢) ر ص١١١ ـ

(٣) أى أن يكون أبو طاهر كتب اليه من حلب الى بغداد أن يستكتب له الشرح كما زعم مرجليوث وتبعه صاحب ذ ١٣٢ ولعـله بنى زعمه على علمه برحلة صاحبنا اليها . وغريب أن يكون نسي أن أبا طاهر كان سافر اليها أيضا كما هو فى عنوان ر ١٢ ولفظه : وكتب الى أبي طاهر ابن سبيكة وكان قدم من العراق اهـ وعنوان ر ١٣ ولفظه : وكتب الى ... فى بعض أوباته من العراق ـ وكان لأبي طاهر ببغداد أصدقاء كما فى ص ٣١ من ر ـ وانى لا اقضى العجب من مرجليوث وهو ترجمان ر : كيف تمكن من فهم جمل في الرسالتين على مزعمه وهي من الـ ١٠ « وفهمت ماذكره من أمر النسخة المحصلة وهو ٠٠٠ الـكريم المتكرم وأنا المثقل المبرم ـ جرى لي التفضل على الرسم ، والحمت الحاح الوسم » . وذكر أبا عمرو الاستراباذى في هذه الرسالة وكان كلفه الغرض عينه كما يظهر من ر اليه وهي الـ ١١ ـ ثم ختمها بقوله وانا أهدى الى ٠٠٠ سلاما تأرج الـكتب بحمله ، وتروض المجدبة من سبله . فهل تصلح كلمة المجدبة من السبل بالمسافر أم بالمقيم . وطالعهما ٠ ثم انه اقترح عليه في ر الـ ١٢ أن يعرفه بالثمن المصروف (في الاستنساخ) حتى يؤديه اليه ـ على أن أبا طاهر وهو تاجر لم يكن الشرح مما يهمه ـ

على كثير من أبناء العصر وبا١٣ وكان له غلام (عبد) لا يزال أبو العلاء يهدى اليه السلام ويظهر تحفيه به وانظر ا١٢ و ا١٣ وكان لأبى طاهر ولد أو أولاد ورد ذكرهم في ر ا٣٠ ـ

وأما مولدهم فانه حلب الشهباء على ما هو الظاهر وهى مُقامهم أيضاً غير أن أبا بكر كان توفي بدمشق كما مرّ وهذا مما لا يشكّ فيه اثنان [1] طالعا الرسائل بإمعان

وكان صاحبنا يحبهم من صميم قلبه ، ويبذل لهم نخيلةَ صدره ، ويتحنّن لهم تحنّن النكداءِ الى بكره ، والطائر الى وكره . ولم تزل المهاداة الدالّة على الوئام والوفاق ، قائمة بينه وبينهم على ساق . على رغم آرائه في الأنساب ، والحاق الجناية بالآباء الأنجاب . قال فى ر [2] «وكيف لا يضطرم شوق ولدته القرابة وأرضعته بلبانها المَوَدّة وربّته الأيدى المتتابعة » . وكانوا يبذلون على ابن اختهم هَنِيّ المطالب وسنيّ الرغائب ، بل لو قلنا إنهم هم الذين كفلوه من ريْعانه الى محتوم إبّانه لم نُبْعد ، وهم الذين أعانوه بالمرافق واللوازم فى رحلته الى بغداد كما يأتى * وأما امه فانها ترد في محلّ وفاتهـا

ولادته

وُلد بالمعرّة يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع

(١) وانظر الرسائل ـ وأما مرجليوث فان كلامه ص ١٤ يوهم خـلاف ذلك وان كانت حوالات الحاشية صحيحة الا ان كلام المتن موهم لاشك • وصاحبنا يقرىء في جل رقاعه الى أبى القاسم السلام على أبى طاهر وهذا لايمكن الا على أن يكونا بموضع

(٢) ر ص ٤٢ ـ

الاول سنة ٣٦٣ هـ [١] كما قال الكمال ابن الأنباريّ [٢] رواية عن التبريزي وابن خلكان والصفَـديّ وغيرهم .

عماه وبعض خصائصه

قال صاحبُ النزهة والوفيات وعَمِيَ من الجُدَرِيّ أول سنة سبع وستين غشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملةً . قال الحافظ السِلَفيّ أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن عُزَيْب [٣] (أو غَرِيب [٤]) الإيادي أنه دخل مع عمّه على أبي العلاء يزوره فرآه قاعداً على سَجادة لِبد وهو شيخ [فانٍ] قال فدعا لي ومسح على رأسي وكنت صبياً قال وكأني أنظر اليه الساعة وإلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جِداً ، وهو مجدَّر الوجه نحيف الجسم اهـ وروى ابن العديم في العَدْل عن ابن منقِذ أنه رأى أبا العلاء وهو صبيٌّ دونَ البلوغ ووصفه بقوله « هو دميم الخلقة مجدور الوجه على عينيه بياض من أثر الجُدَرِيّ كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلا » ـ

قال الذهبي [٥] والصفدي وأبو الفداء والسيوطي إنه جُدِّر في السنة الثالثة من عمره . أقول وهذا وهم من هؤلاء إذ لم يَحْسُبوا سنة الولادة وكان وُلد في شهرها الثالث على مامرّ . فالصواب إذاً في الرابعة من عمره كما قال صاحبنا نفسه في رسالته [٦] إلى داعي الدُّعاة « وقد علم الله أن سمعي ثقيل ، وبصري عن

(١) وقال أبو الفداء وقيل سنة ٣٦٦ هـ ٢ :١٧٦
(٢) النزهة ٤٢٦ والوفيات ١: ٣٤ والنكت ١٠٩ والمعاهد ١ : ٤٩ ـ
(٣) كما فى الوفيات ١ : ٣٤ (٤) كما فى النكت والمعاهد وفى العدل عريب ولعله تصحيف
(٥) ١٢٩ ، النكت ١٠٩ ، ٢ : ١٧٦ ، البغية ١٣٦ ولاء
(٦) أدبا ١ : ١٩٨ وفيه النازل وهو تصحيف لم يتنبه له مرجليوث ـ هذا وقال صاحب

الإبصار كليل. قُضي عليّ وأنا ابن أربع، لا أفرّق بين البازل والرُّبَع » ــ قال ابن الأنباري كان ضريراً أعمى ولم يكن أكمه كما توهمه[1] من لاعلم له. وورد ذكر الجُدري في اللزوم :

أضرَّ من جَدَري ٍ شان حاملَه   بحمله جَدَريٌّ جاءمن جَدَر[2]

وأنه أورثه دَمامة قال. ل :

الحظّ لي ولأهل الأرض كلهم   أن لا يراني أُخرى الدهر أصحابي

وشِقوة غَشيت وجهي بنضرته   أبرُّ بي من نعيم جرّ أشجاني[3]

وكان يقول[4] لا أعرف من الألوان إلاّ الأحمر فإني أُلبستُ في الجُدَري ثوبا مصبوغا بالعُصْفُر لا أعقل غير ذلك. وكان يحمد الله على عماه كما يحمده غيره على البصر، فقد صنع له وأحسن به اذ كفاه رؤية الثقلاء البغضاء على ماتقل الثعالبي من قوله ــ وكان قصيراً كما اعترف به في رسالة له[5] وكما قال. ل

فلا أجدك رديئا في ذوي أَمَم   وكن نبيلا مع القوم التنابيل

ونحيلا كما قال. ل :

تحَفَّوْا بالكلام وأكرموني   على ماكان من جسد نحيل

آثار العجم بالفارسية ما تعريبه ص ٤٨ إنه عمي حين بلغ سبعين عاما وقيل انه عمي في صباه ونرجح صحة القول الاول لما رأينا له من عدة تآليف اه أقول هذا مبلغه من العلم وما كان أغناني عن نقل قول أمثاله من علماء الفرس الذين ليس عندهم خبرة ولا خبر ولا رواية ولا أثر ــ

(١) وهذا القول الغريب نقله أبو الفداء أيضا ٢ : ١٧٦ ــ

(٢) قرية تجلب منها الخمر بين حمص وسلمية قال فيها صحبنا ل :

لا تقربن جدريا ما أردت به   داء يرى بل شرابا مودعا جدرا ــ

(٣) وفي ل أشجابي وهو تصحيف ــ

(٤) نكت ١٠٩ معا ١ : ٤٩ بغية ١٣٦ والذهبي ١٢٩ ــ

(٥) رص ٧٩ ــ وكذا في حكاية نقلها القفطي ادبا ١ : ٢١٥

وذكيًّا حكى الذهبي (١) أنه أكل في مغارته دبْساً فنقط على صدره منه ولم يشعُر فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة ياسيدى أكلت دبساً فأسرع بيده إلى صدره يمسه فقال : نعم ، لعن الله النَهَم . فاستحسنوا سرعة فهمه اه وروى السيد العيدروس في النور (٢) السافر عن عجائب البلدان للقزويني أنه كان لأبي العلاء سرير يجلس عليه فجعلوا في غيبته تحت قوائمها أربعة دراهم تحت كل قائمة درهم فقال إن الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئاً يسيراً أو السماء نزلت اه وفي روضات الجنات (٣) عن تلخيص الآثار قيل إنه أخذ حمّصة وقال هذا يشبه رأس البازي ، وهذا تشبيه عجيب من أولي البصائر فضلا عن الأكمه (كذا) اه وقال ابن العديم في العدل إنه كان متوقد الخاطر على غاية من الذكاء من صغره وتحدث الناس بذلك وهو إذ ذاك صبيّ يلعب مع الصبيان . فكان الناس يأتون اليه ليشاهدوا منه ذلك فخرج جماعة من أهل حلب إلى ناحية معرّة النعمان وقصدوا أن يشاهدوا أبا العلاء وينظروا ما يحكى عنه من الفطنة والذكاء . فوصلوا إلى معرّة النعمان وسألوا عنه ، فقيل لهم هو يلعب مع الصبيان ، فجاؤا اليه وسلموا عليه ، فردّ عليهم السلام . فقيل له إن هؤلاء جماعة من أكابر حلب جاؤا لينظروك ويمتحنوك فقال لهم هل لكم في المقاناة (٤) بالشعر ، فقالوا نعم . فجعل كل واحد منهم ينشد بيتاً وهو ينشده على قافيته حتى فرّغ محفوظهم بأجمعهم وقهرهم فقال لهم أعجزتم أن يعمل كل واحد منكم بيتاً عند الحاجة اليه

---

(١) ص ١٣٠ ـ

(٢) ورق ٣٦٥ نسخة لكنئو ـ ومثله في نامه دا نشوران ١ : ٣٦٧ طبعة ايران ـ

(٣) ص ٧٣ طبعة ايران ـ

(٤) فن يسمى اليوم هذا كرة الأنفاس وهو أن ينشد كل واحد على روى بيت الآخر وهذا على روي ذلك الى أن يعيا أحدهما .

على القافية التي يريد ؟ فقالوا له فافعل أنت ذلك . قال فجعل كلما أنشده واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافيته حتى قطعهم كلهم ـ فعجبوا منه . وانصرفوا . اه

وله شعر كثير فى عماه . ل :

ذهاب عينيَّ صان الجسم آونةً عن التطوح [1] في البيد الاماليس .

ومابيَ طرقٌ [2] للمسير ولا السُّرَى لأني ضرير لا تضيء لِيَ الطُّرْق

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتي القُصوى ثلاثُ ليال .

أعمى البصيرة لا يهديه ناظرُه إذ كلُّ أعمى لديه من عصاً هادِ

إذا مرَّ أعمى فارحموه وأيقنوا وإن لم تكفّوا ان كلكم أعمى

تصدَّقْ على الأعمى بأخذ يمينه لتهديَه وامْنُنْ بإفهامك الصُّما

أنا أعمى فكيف أهدي إلى المنـ ـهج والناس كلّهم عُميان

والعصا للضرير خير من القا ئد فيه الفجور و العصيان

وبصير الأقوام مثلِيَ اعمى فهلمّوا في حِنْدِس نتصادَمْ

وانظر في المعنى بيتاً له (الأمورِ) وقطعتين نونيّتين في الفائت

حفظه وواعيته

العُمْيان أصحُّ الناس حفظاً وأوعاهم وأذكاهم وأرعاهم . والسبب في ذلك عدم تشتّت الباصرة في المغازي والمسالك وأن كل قوة طَبَعيّة يزيد فيها الأعمال ،

(١) وفي الاصل التطرح مصحفا

(٢) بالكسر قوة .

وينقص منها الأهمال . والعميان أحوجُ من البُصَراء ، الى حفظ الأشياء . وقد رُوى في حفظهم أخبار ونوادر ، شوارد سوائر . وناهيك بما ألمّ به الصَّفَديّ منها في النَّكْت [1] والغيث . والمعروفون بقوة الواعية منهم لا يبلغهم إحصاء ، ولا يأتي عليهم أو يعترف بالعجز دون بلوغ الغاية والإعياء . والعَلَم الفَرْد في ذلك حَبْر الأمة وتُرْجُمان القرآن عبد الله بن عباس رض وذلك معروف في خبر نافع بن الأزرق [2] وعمر بن أبي ربيعة معه ـ وحكى ابن حجر [3] وغيره عن المتنبي أنه تلقّى من رجل كتاباً للأصمعي نحو ثلاثين ورقة وأخذ ينظر فيه فقال الرجل ياهذا أريد بيعَه فإن كنت تريد حفظه فهذا ان شاء الله يكون بعد شهر . فقال فإن كنت حفظته في هذه المدّة فمالى عليك ؟ قال أهب لك الكتاب فأخذ يتلوه حتى أتى عليه .

---

(١) النكت ٨٤ بعد أن نقل بيتا للأعشى وآخر لبشار ثم روى عن الجاحظ قوله « وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق الامور الى مالا يبلغه تمييز البصراء : ولبشار خاصة في هـذا الباب ماليس لاحـد » ثم زاد عليه « قلت أعجب الجاحظ من قولهما وكيف به لو سمع قول أبي العلاء :

رب ليل كانه الصبح في الحسـ ـن وان كان أسـود الطيلسان

الي قوله ثم شاب الدجى س ١ : ٩١ و ٩٢ ـ وقوله :

ولاح هلال مثل نون أجادها بجاري النضار الـكاتب ابن هلال

وقال في س ٨٣ قل أن وجد أعمى بليداً أولا يرأى أعمى الا وهو ذكي منهم ... وأبو العلاء المعرى ... والسبب الذى أراه في ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ولا يعود متشعباً بما يراه . ونحن نرى الانسان اذا أراد أن يتذكر شيئا لسيه أغمض عينيه وفكر فيقع على ما شرد من حافظته وفي المثل أحفظ من العميان أورده الميـداني في أمثاله اه أقول ومثل قوله المار في الوصف ماقال يصف الخاتم من قصيدته:

نبي من الغربان ليس على شرع س ٢ : ٧١

وورد ذكر العميان في الغيث ٢ : ١٨٨ ـ ١٩٣

(٢) الـكامل للمبرد ٢ : ١٥١

(٣) لسان الميزان ١ : ١٦ والبديعي ١ : ٧ ـ

ومثله ما يُحكى عن أبي تمام (١) أن البحتري لما أنشد أبا سعيد محمد بن يوسف قصيدته التي أولها :

أأفاق صبٌّ من هوًى فأُفيقا أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

وهي طويلة وسُرَّ بها أبو سعيد قال أبو تمام ولم يكن بينهما معرفة أما تستحي هذا شعري تنتحله . ثم أنشدها لم يخرم منها حرفاً فلام أبو سعيد البحتري فوجم نادما وخرج إلى باب الدار حتى رده الغلمان على أبي تمام فقال الشعر لك ولكن ظننت أنك تهاونتَ بموضعي وأقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة بيننا ثم عانقه وأخذ يُثني عليه. ونادرة الزمان ، في قوة الحفظ وشذوذ النسيان ، هو ربّ القريض والبيان ، علاّمةُ همذان ، بديعُ الزمان .

ونأتي هنا على أخبار رواها الثقات عن الثقات والأصاغر عن الأكابر سوى بعضها مما وقع فيه خلل في النقل . وما أكثر من يستنكرها من أبناء العصر ، إذ حُرموا هذه الفضيلة اللهم إلاّ شِرذمة منهم نَزْر . والعرب أحفظ الأمم « ومَنْ يُشابِهْ أَبهُ فما ظلَمْ » . والباعث على ذلك ليس إلا عِرْقهم في البداوة وسُكنى الوَبَرُ والمَدَر . وبُعدهم عن الوسائل المغنية عنها في الحَضر .

(١) روى السمعاني في الأنساب(٢) عن التبريزي أنه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عنده سنتين(٣) ولم أر أحدا من أهل بلدي . فدخل مُغافصة المسجد بعضُ جيراننا

---

(١) البديعي ١ : ٢٤ وغيره .

(٢) ورق ١١٠ . وياقوت عنه ١ : ١٧٣ والنكت ١٠٢ والبديعي ١ : ١٠ والبغية ١٣٦ والمعاهد ١ : ٤٩ .

(٣) وفي غير نسخة الانساب أقمت عنده سنين .

للصلاة فرأيته وعرفته وتغيّرت من الفرح . فقال أبو العلاء ما أصابك . فحكيت له أنى رأيتُ جارا لى بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدي سنين [١] فقال لى قم وكلّمه . فقلت له حتى أتمّم السبق [٢] . فقال قم أنا أنتظرك . فقمت وكلّمته بالأذْرَبيّة شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت . فلما عُدتُ وقعدت بين يديه قال لى أىّ لسان هذا ؟ قلت هذا لسان أهل أذْرَبيجانَ . فقال لى ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أنى حفظت ما قلتما ثم أعاد لفظا بلفظ ما قلنا (من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه) فجعل جارى يتعجب غاية العجب ويقول كيف حفظ شيئاً لم يفهمه ا هـ قال ياقوت وهذا غاية ليس بعدها شيء فى حسن الحفظ . وقال الصفدى هذا أمرٌ مُعجز فانه بلغنا عن جماعةمن الحُفّاظ . وما يحكى عن البديع الهَمَذَانى وابن الأنباري (لعله أبو بكر محمد) وغيرهما ما هو قريب من الإمكان وأما حفظ ما لم يسمعه (؟ يفهمه) الانسان ولا يعلم مفرداته ولا مركّباته وهو أقلّ ما يكون أربع مائة سطر (؟ بدون الجواب) .

(٢) قال ابن العديم فى العدل قيل إنه أملى من ديوانه لزوم مالا يلزم في ليلة واحدة نحو ألفىْ بيت كان يسكت زمانا ثم يُملى نحو خمسمائة بيت ثم يعود الى الفكرة والعمل الى أن كملت العدّة المذكورة

(٣) وروى ابن العديم أيضا أن بعض أمراء حلب قيل له إن اللغة التى ينقلها أبو العلاء إنما هى من الجمهرة . وعنده من الجمهرة نسخة ليس في الدنيا مثلها وأشاروا عليه بطلبها منه قصدا لأذاه . فسيّر أميرُ حلب رسولا الى أبى العلاء يطلبها منه . فأجابه بالسمع والطاعة وقال تقيم عندنا أياما حتى تقضى شغلك . ثم أمر من يقرأ عليه كتاب الجمهرة فقرئت عليه حتى فرغوا من قراءتها ثم

(١) كذا هنا فى الكتب باسرها الا أدبا فانه روى سنتين ـ

(٢) بمعنى الدرس كما هو مستعمل الى الآن بإيران والهند ـ

دفعها إلى الرسول وقال له ما قصدتُ بتعويقك إلاّ أن أعيدها على خاطري خوفا من أن يكون قد شذّ منها شيء عن خاطري . فعاد الرسول وأخبر أمير حلب بذلك فقال : من يكون هذا حاله لا يجوز أن يؤخذ منه هذا الكتاب وأمر بردّه اليه

(٤) وروي أيضا أن البغداديين أرادوا امتحان حافظته فأحضروا دُستور الخراج الذي في الديوان وجعلوا يوردون ذلك عليه مُياومةً وهو يسمع الى أن فرغوا من ذلك فابتدأ أبو العلاء وسَرد عليهم كلّ ما أوردوا عليه

(٥) روى البديعيّ [1] عن الأمير أسامة (؟) بن منقذ عن أبي العلاء المعرّي قال كان بإنطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلا علويّاً فجلست يوماً عنده فقال قد خبأتُ لي خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ . قلت وما هي . قال صبيّ دون البلوغ ضرير يتردّد إليّ وقد حفّظتُه في أيام قلائل عدّة كتب وذلك أني أقرأ عليه الكرّاسةَ والكرّاستين مرّة واحدة فلا يستعيد الا ما شكّ فيه . ثم يتلو عليّ ما قد سمعه كأنه كان محفوظاً له . قلت فلعله قد يكون محفوظا له ، قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار اليه وهو صبيّ دميم الخلقة مجدّر الوجه على عينيه قليلا وهو يتوقّد ذكاء يقوده رجل طويل من الرجال أحسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن ياولدي هذا السيّد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال سمعاً وطاعة ! فيختار (؟ فليختر) ما يريد . قال ابن منقذ فاخترت شيئاً وقرأته على الصبيّ وهو يموج ويستزيد . فاذا مرّ بشيء يحتاج الى تقريره

---

(١) الصبح المنبي ١ : ٧ ـ وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير منسوبة الى التبريزى في غرر الخصائص ١٨٧ ـ

فى خاطره يقول أعِدْ هذا . فارددّه عليه مرة اخرى . حتى انتهيتُ على ما يزيد على كرّاسة ثم قلت له يُقنع هـذا من قِبَل نفسى . قال أجلْ حرسك الله قلتَ كذا وتلا عليّ ما أمليته عليه وأنا اعارضه بالـكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت الى حيث وقفتُ عليه فـكاد عقلي يذهب لما رأيتُ منه وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلاّ ان شاء الله . وسألت عنه فقيل لى هـذا أبو العلاء المعرّي من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى اه أقول جمع البديعىّ بين الضبّ والنون وحاول أن يُجرى في البراريّ الفُلْكَ المشحون فان صاحبنا توفي سنة ٤٤٩ ه واسامة وُلد سنة ٤٨٨ ه فلعل الحـكاية عن بعض متقدمى بنى منقِذ قبـل أن يملـكوا شيزَرَ بنحو نصف قرن أو أ كثر أو الأصل « عمّن حدثه عن أبى العلاء » فيوجد ثَمّ واسطة بينهما . والراجح هو الأول ففى مساق هذه الحـكاية فى العدل والتحرى ما يدلّ على أن صاحب أبي العلاء هو أبو المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ وكان يسكن حلب وهو الذي ترجم له ابن خلـكان وياقوت والعماد . ولـكن هذه الخزانة على ما قال ابن العديم كانت في كَفر طاب أو في حلب . وذ كر خبرا طريفاً عن خزانة حلَبَ

(٦) وروى[1] أيضاً قال : وأعجب من هذه ما حكى بعض طلبته عنه قال: كان لأبى العلاء جار أعجمىّ فاتّفق أنه غاب عن المعرّة فحضر رجل يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائبًا فلم يمكنه المُقام . فأشار اليه أبو العـلاء أن يذ كر حاجته اليه فجعل ذلك الرجل يتكلّم بالفارسيّة وأبو العلاء يُصغى اليـه الى أن فرغ من كلامه . ولم يكن أبو العلاء يعرف بالفارسية ومضى الرجل . وقدم جاره الغائب وحضر عند أبى العلاء فذ كر له حال الرجل وجعل يذ كر له بالفارسية

(١) ١: ٩ ولعله من العدل لابن العديم

ما قال . والرجل يبكي ويستغيث ويلطم الى أن فرغ من حديثه وسئل عن حاله. فأخبر أنه أُخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله .

(٧) وحكى [١] أيضاً عن بعض أصحابه أن جاراً له سَمَّانا كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة فجاء ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعى فيها مايأخذه منها عند حاجته اليه . وكان أبو العلاء فى غرفة يسمع محاسبتهما . قال. فسمع أبو العلاء السَمَّانَ المذكور بعد مُدَّة يتأوَّه ويتململ ، فسأل عن حاله فقال كنت حاسبت فلانا برقاع كانت له عندي وقدعدمتها ولا يحضرني حسابه فقال ما عليك من بأس أنا أُملي عليك حِسابه وجعل يملي معاملته رقعة برقعة والسمان يكتبها الى أن فرغ وقام . فما مضت الا أيام يسيرة ووجد السمان الرقاع فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء فطابق إملاؤه الرقاع اه ومثله ما في الوفيات [٢] عن أبي بكر النحويّ قال لما قدِم الحسن بن سهل العراقَ قال أحبّ أن أجمع قوماً من أهل الأدب ، فأحضر أبا عبيدة والاصمعيّ ونصر بن عليّ الجهْضَميّ وحضرتُ معهم فابتدأ الحسن فنظر فى رِقاع بين يديه للناس في حاجاتهم فوقَّع عليها فكانت خمسين رقعة ثم أمر فدُفعت الى الخازن . ثم أقبل علينا فقال قد فعلنا وخيرا نظرنا فى بعض مانرجو نفعه من امور الناس والرعية فنأخذ الآن فيما نحتاج اليه . فأفَضْنا فى ذكر الحفّاظ فذكرنا الزهريّ وقَتادة ومررنا فالتفت أبو عبيدة فقال ما الغرض أيها الامير فى ذكر من مضى وبالحضرة هاهنا من يقول ما قرأ كتابا قطّ فاحتاج الى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه فالتفت الاصمعيّ وقال انما يريدنى بهذا القول أيها الأمير والأمر فى ذلك على ما حكى وانا اقرّب اليك قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع وانا

---

(١) الصبح المنبي ١ : ١١ (٢) ١ : ٢٨٩

اعيد ما فيها وما وقّع به الامير على رقعة رقعة قال فأمر وأُحضرت الرقاع . فقال الاصمعي سأل صاحب الرقعة الاولى كذا واسمه كذا فوقّع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مرّ فى نَيّف واربعين رقعة . فالتفت اليه نصر بن عليّ فقال أيها الرجل أبْقِ على نفسك من العين . فكفّ الاصمعي اه . وأغرب منه وأعجب ما روى الحميديّ فى الجذوة والخطيب فى تاريخ بغداد عن البخاري ومحْنته هناك فى مائة حديث مقلوبة الاسانيد والمتون وراجع الوفيات (١)

(٨) زعموا (٢) أن رجلا من أهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع أوله فعرضه على طائفة من أهل العلم فكلهم لم ينفعه (؟ يعرفْهُ) ولم يدله على اسم الكتاب فلما عرضه على أبي العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه وأملى عليه ماضاع منه . قال ابن العديم قيل ان الكتاب هو ديوان الأدب للفارابيّ . وفي النور السافر للسيد العيدروس « وذكر عنه أنه أملى المحكم والمخصص من صدره » أقول لعل الراوي اشتبه عليه تهذيب الأزهري بالكتابين وإلا فإنهما لم يكونا صُنِّفا بعدُ .

(٩) حكى بعض العصريين (٣) والعُهدة عليه إذ لم يحل على مأخذ أنه سمع محاورة إسرائيليين بالعبْرية وهو في شأن غير شأنهما ثم طلب بعد مُدة مديدة للشهادة فأعاد تلك المحاورة وهو لا يفقه من العِبْرِيّة حرفا اه ولم أعثر على الخبر فيما بيدي من دواوين الاخبار . وليس ببدْع من صاحبنا إلا أنى رأيت المتأخرين يتكلون على حفظ ليس حفظَ أبي العلاء ولا يرجعون إلى الأصول

(١) ١ : ٤٥٥

(٢) ابن العديم في العدل وصاحب ذ ٢٢٢ ولعله عن القفطي .

(٣) وهو صاحب الالياذة العربية في مقدمتها ٣٨ . فان صح اتكاله على الحفظ فهو الخبر الاول هنا .

فيخبطون ويَخَلّطون والعِصمةُ لله وحده .[١]

هذا وغَرّ أكثر الغربيّين قولُ الصَفَديّ[٢] أظُنُّهُ « وللناس حكايات يَضعَونها في عجائب ذكائه وهي مشهورة وغالبها مستحيل » وإني لأعجب كيف ذهب عليهم أو خفي عنهم مثل هذا مع أنه ترك شغل السماع والمطالعة حين بلغ من العمر أشُدَّه وهذه جُمَل من نثره[٣]

قال في مقدمة س[٤] « قد كنتُ في رَيّان الحداثة وجِنّ النشاط مائلا في صَغْو الفريض . . . . ثم رفضته رفض السَّقْب غَرْسَهُ والرَأْل تريكته اه . وفي الملائكة لو أعرضت الأغربة عن النعيب ، إعراضي عن الأدب والأديب ، لأصبحت لاتُحِسّ نعيبا اه . وفيه وقد حُرّم عليّ الكلام في هذه الأشياء لأني طلّقتها طلاقا بائنًا لا أملك فيه الرجعة اه . وفيه ولو كنت في عمر الحِسْل لكنت قد أُنسيت أو نسيت لأني حديثي لايُجْهَل في لزوم عَطَني الضيّق . . . . وإنما ينال الرُتَب من الآداب من يباشرها بنفسه ويُفني الزمن بدرسه اه . ومرّ لنا نقل قوله من الإغريضيّة . وفي ر[٥] الى الفلاّحي ، وإن العامة عَهِدتني في صدر العمر أستصحب شيئًا من أساطير الأولين فقالت عالم ، والناطق بذلك هو الظالم » ومن ر[٦] الى أبي المعلّى « من غدا بفرع منال ، فقد بَعُد عهدي بالنِضال . ألم

(١) ويجيء في أبواب بغداد حكاية عرض المعري عليه شعره أولا بالمرة وثانيا بها وهي الآية المثلى في الدلالة على الحفظ والذكاء

(٢) معاهد ١ : ٤٩ وليعلم أن ترجمته له صدى لصوت الصفدي في الوافي ـ

(٣) ومن نظمه في المعنى قوله ـ ل :

وكيف أروم في أدب وفهم   دراسا والمآل هو اندراسي

وانظر آخر باب فذلكة الآراء ـ

(٤) ١ : ٦ ـ

(٥) ص : ٦٠ ـ

(٦) ص : ٦٤ ـ

يبلغك . . . أني دفعت الأدب الى جانب كليب ، وعقدتُه بأُذن الضُّبَيب » اه وفي رسالته [1] الى النُّـكَتِيّ وكان دعاه أبا العُلَى (مقصورا) ومحمدا بدل أحمد ينعى عليه سوء حفظه ثم قال «فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ولم أنس أيامه ولا مذاكرته ... فمهدى به تعجبه هذه الأرجوزة» اه. وهذا كله دليل على أن هذه المعارف اللغوية والنحويّة والتاريخيّة والدينية وغيرها مما نجده مبعثرا في كتبه ورقاعه ، ومما يُدْهِشِ اللبيب ويُكِلُّ من حدّ بنانه ويراعه . ومن فنون يضيق عنها نِطاقُ الدهر ، وغايةٍ يحصُر دونها نجائب العمر . وغرائبِ الأخبـار ، وطرائفِ الآثار . كلُّها من مكاسب صِباه وشَرْخه ، وثمرٌ غَضٌّ لريعان عمره قبل حُنكته ورَسْخِهِ .وظاهرٌ أن عقد الثلاثين لايفي بجمع مثل هذا العلم الجمّ . مالم يكن ثَمَّ واعيةٌ لا يشذِعنها شيء حلَّ بها أو أمّ ، وبحرُ حفظٍ لعُبابه زَخْرٌ وطَمّ . وكيف لنا بالتكذيب والتبريزى أحد الثقات الأثبات فيما ينقله . وهذا ابن القارح يشهد له بذلك ويفضّله فيه على أعيان أشياخه قال[2] « والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه .... لأسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرّزين المنظوم . وهذا سهل بالقول صعب بالفعل» (ثم رجحه فيه على ابن خالويه وأبى الطيّب اللغوى وأبى عمر الزاهد الأُسوةِ في الحفظ .)

لولا بدائع صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عَصَب

وقال الذهبيّ مع عداوته له : «ويقال عنه إنه كان يحفظ مايمرّ بسمعه. وكان عجبا من الذكاء المفرط والاطّلاع الباهر على اللغة وشواهدها»[3]ـ وأوثق من كل

(١) ٧٧ ـ (٢) رسالته ٢١٠ ـ (٣) ونجد فى الامية كثيرا من مفلقى الحفظ فان حرارة البلاد ترقق المزاج وتلطف الاخلاط والامشاج . والبلاد قد انجبت وأمرقت . وكنت قد قرأت فى بعض الجرائد أن بمدراس صبية من مشركة الهند حُفّظت عنها كتب سنسكريتية وهي لم تعد الثامنة من العمر بعد فأشار الاطباء على اهلها ان يخلوها وشأنها فى حجرة فارغة من الشواغل ابقاء على دماغها ورفقا بواعيتها

ما مر مارواه ابن العديم في العدل أن بعضهم سأل أبا العلاء عن حفظه فأجابه بقوله « ما سمعتُ شيئاً إلاّ وحفظته وماحفظت شيئاً فنسيتُه »

ولكن هذا الحفظ الباهر بطلعته اختلّ في كُهولته على ما يقول . ل :

رَضيتُ مُلاوةً فوعيتُ علما وأحفظنى الزمان فقلّ حفظى

طلبه للعلم

لم يكن بيته من العلم مجدبا ، بل كان جنابه بالأدب مُخْصِبا . فقرأ أوّلا النحو واللغة على أبيه بالمعرّة وعلى محمد بن عبـد الله بن سعد النحوىّ بحلب وغيرهما من بنى كوثر وأصحاب ابن خالويه ، ومنهم أبوالقاسم المبارك بن عبد العزيز صديق النُّكَتى الذى بعث إليه أبو العلاء ر ا ٢٧ . وسرد ابن العديم فى الباب الرابع من العَدْل أسماء شيوخه بالمعرّة وحَلَبَ وبغداد ولعل هذا وهم منه فانه لم يتلمذ ببغداد لأحد كما سنبحث عنه .

وأماعلمه بالحديث فانه يحدث عن أبيه وجدّه[1] . وسمع بالمعرة عاليا من يحيى ابن مِسعَر[2] التنوخىّ صاحب أبى عَروبة الحرّانىّ وجزءًا من أبي الفتح[3] محمد بن الحسين صاحب خَيْثمة فى صِباه[4] . قال السِلَفىّ[5] حدثنا الخليل بن عبدالجبار بقزوين وكان ثقة حدثنا أبو العلاء التنوخى بالمعرّة حدثنا أبوالفتح محمد بن الحسين حدثنا خيثمة فذكر حديثا . وروى السيوطى في ختام بُغيته[6] بطريقه حديثا مسنداً يتعلق بغرض لصاحبنا ونُلِمُّ بذكره في محلّه فأحببنا إيراده هنا . قال

(١) بغية ١٣٦

(٢) لا مصير كما هو عند ذ ١٤٤ ولعل هذا التصحيف من اتكاله على المآخذ الافرنجية ـ

(٣) الازدى الموصلى الحافظ الف فى علوم الحديث . ترجم له ابن حجر في اللسان ٥ : ١٣٩ ومات سنة ٣٧٤ هـ ـ

(٤) ذهبى ١٣٠ واللسان ١ ـ ٢٠٤

(٥) ذهبى ١٣٢ ـ (٦) ص : ٤٥١

«شافهنى أبو الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي» بالمدينة الشريفة عن والده عن الشرف البارزي» أخبرنا الكمال بن العديم حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن البنّاء البغدادي» بدمشق أنبأنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر الزاغوني» حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري» من لفظه أنبأنا أبو العلاء المعرّي» قراءةً عليه بالمعرة حدثنا أبو زكريا يحيى بن مِسْعَر التنوخي» المعري حدثنا أبو عَروبة بن أبي معشر الحرّاني أنبأنا هَوْبَر حدثنا محمد بن عيسى الخياط عن أبي الزِناد عن أنس بن مالك (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول« إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب وان الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماءُ النارَ، والصلاة نور المؤمن، والصيام جُنّة من النار » وقال في الغفران (١) بعد أن نقل عن أبي معشر المدني» في كتاب المبعث حديثاً في ذبحه عليه السلام ذبيحة للأصنام ثم إنه ألقاه بمنع زيد بن عمرو « وفي حديث آخر وقد سمعته باسناد أن تميم بن أوس الداري» كان يُهْدِي الى النبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة راويةً من خمر فجاء بها في بعض السنين وقد حُرّمت (٢) الخمر فأراقها. قال السِّلَفي» (٣) قرأ القرآآت بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات . وقال السمعانى سمع الحديث اليسير وحدث به . وقد عقد الصاحب ابن العديم بابا وهو السادس من العدل في ماوقع اليه من حديث أبي العلاء (٤) مسنداً وروى منه شيئاً غير يسير .

وأما علمه باللغة والنحو والأدب فهو الغاية القصوى . قال الصفدي وعدّد من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها « وأبو العلاء المعرّي» في

(١) ١٧٦
(٢) في الاصل حرحت ؟
(٣) ذهبي ١٣٥ واللسان عدد ٦٤٢
(٤) غيث ١ : ١١٨

الاطلاع على اللغة » . ولا يكاد يقضي العجب من تبحرّه من طالع الغفران لاسيا [١] تفننه في قوافي بيتين للنمر بن تَوْلَب العُكْليّ حتى أتى على جُل حروف المعجم . ونقل المجد في البُلغة [٢] عن محمد بن رادة اللغوي قال كان بالمشرق لغويّ وبالمغرب لغويّ في عصر واحد لم يكن لهما ثالث وهما أبو العلاء وابن سِيْده اهـ - وروى ابن العديم عن تلميذه التبريزي أنه قال « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرّيّ » .

وأما تبحره فى علمى العروض والقوافي فبحسبك فيه مقدّمة اللزوم ورسالة له إلى النُكتيّ وهي الـ ٢٧ ، وله تآليف فيهما

وله إلمام بالفقه والفروع والمذاهب قال صدر الافاضل في شرح قوله س :

في معشر كجِمار الرمى أجمعها ليلا وفي الصبح أُلقيها إلى القاع

« في هذا البيت ماينبهّك علي أن أبا العلاء كان قد ضرب فى الفقه بنصيب - وذلك أن كثيراً من الفقهاء يتوهمون أن الإفاضة من المزدلفة إلى مِنىً ورَمْيَ جَمْرة العقبة بعد طلوع الشمس من يوم النحر والصواب أنهما بعد إسفار الفجر من ذلك اليوم - فلذلك جعل أبو العلاء رمى الجمار في الصبح فلله دَرّه من نحرير لايغيض بحره » اهـ . ومما يدلّ له من اللزوم :

زكّوا على مذهب الكوفي [٣] أرضكم وجانِبوا رأيه في مسكر طُبِخا

وانظر جميع شعره في المذاهب في النظرة -

وأما علمه بالملل والأديان وفِرَق المسلمين فإن صفحات الغفران مُتْرَعَة به ويأتي الإلمام ببعضه آنفا وفي النظرة -

(١) س ١٤

(٢) فى ائمة اللغة (خط)

(٣) أبي حنيفه ر ح

وكذلك الفرائض قال . ل :

هى الدنيا إذا طُلبت أهانت ... وعالت والفريضة ذات عَوْل

وكان يعرف شيئاً من الحساب أيضاً على عماه قال . ل :

وتداني الأيام يحدث نقصا ... وازديادا، والجسم للنفس تِبْعُ
خمسة في نظيرها خمس خمسا ... ت تنمّتْ والنصف في النصف رُبْعُ (١)
سما نفر ضربُ المئين ولم أزل ... بحمدك مثل الكسر يضرب في الكسر (٢)

وأما النجوم فإنه مع عدم ايمانه باحكامها يعرف مالا بد للأديب منها قال . ل :

والمال خِدْن النفس غير مُدافَع ... والفقر موت جاء بالإهمال
أو ما ترى حكم النجوم مصوّرا ... بيت الحياة يليه بيت المال

وكان آية في معرفة الأخبار والتاريخ الماضي والحاضر، وهذا غفرانه ذكر فيه جميع الزنادقة والملاحدة ومستظرفات اخبارهم ومستطرفات آثارهم حتى إنه نقل في خبر فتح محمود الغزنوى للهند ما هو معلوم من إحراق المرأة نفسها على زوجها الميت ويسمّى بلسانهم ستيْ الى غيره من أخبارهم وآرائهم، وانظر النظرة . وهذه رسالته في وفاة أبي بكر الى خاله أبي القاسم تطرّف فيها بذكر أكثر ملوك الأمم، ومصيرهم للبلى والرِمَم . وصيرها مُثلةً وأُسوة، ولمن أتى بعده من نحو ابن عَبْدون قُدوة . ومن شعره في المعنى . ل :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن ... إلا وعنديَ من اخبارهم طُرَفُ

وهذا كله على أنه كان في صِباه ظريفاً يدخل في كل فنّ من الجِدّ والهَزْل.

(١) اي يحصل ٢٥ بضرب ٥ في ٥ في الزيادة و ¼ من ضرب ½ في ½ ـ ولم يفهم المعنى حتى اللزوم ـ
(٢) معناه كالسابق

وكان يلعب بالشِطْرَنج والنرد على ما حكاه أبو الحسن الدُلَفيُّ وكان رآه في عنفوان شبابه بالمعرة على ما حكاه الثعالبي عنه في تتمّة اليتيمة[١]. ومن شعره الى لاعب . س [٢] :

أيها اللاعب الذي فرس الشطْـــرَنْج همَّت في كفّه بالصّهيل
من يُباريك والبياذق في كفّـــك يَغْلِبْن كلَّ رُخّ وفيل
تصرع الشاه[٣] في المجال ولوجا ء مردًّى بالتاج والإِكليل
أنت فوق الصُولى[٤] في هذه الخلّـــة مُزْرٍ في غيرها بالخليل

ومن ل في الدنيا :

في بُقعة من رُقعةَ يَسَّرت للبيذق الفتكَ بفرزانها
إن لم تُحَوّل فرازينا بياذقهم فالشاهُ فيل وذاك الفيل فرزان

قال الصفدي [٥] وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصاً متجنداً يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشِطْرَنْج مع العوالى ويحطُّهم

(١) نسخة باريس الخطية ـ وزعم مرجليوث ٣٠ ان هذا في زمن عزلته وهذا غلط منه ولعله لم يتأمل عبارة التتمة على أنا نرىأ بصاحبنا ان يذهب عمره ادراج الرياح ـ وهو يقول س ٢ :١٤١

جنيت ذنبا وألهى خاطري وسن عشرين حولا فلما نبه اعتذرا

واما ابو الحسن فقد افرغت مجهودي في التطلب عنه فوجدته والحمد لله على ذلك في الصبح المنبي ١ : ٤٢٤ وهو ابو الحسن محمد بن عبد الله بن حمدان الدلفي العجلي النحوي شرح ديوان المتنبي فى عشر مجلدات قال صاحب البغية ٥٢ نقلا عن ياقوت « انه كان من أصحاب الرماني وكان فاضلا بارعا ومات بمصر سنة ستين واربعمائة » أقول كذا فيها وهو يورث الاختلاج مع قول الثعالبي انه لقيه قديما وحديثا في مدة ثلاثين سنة الا أن يكون بلغ من العمر ٩٠ سنة (٢) ٢ : ٢٢٣

(٣) بالهاء بدون النقطتين

(٤) في التنوير هو ابو اسحق ولعل هذا وهم فالمعروف به في الناس أبو بكر الصولى الشطرنجى صاحب أدب الكاتب

(٥) الغيث ٢ : ٥١

ويغلبهم وما راعني فيه إلا أنه يقعد ويتحدث وينشد لنا الأشعار الى آخر ما حكى من أمره ثم قال « وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج » ثم ذكر رجالا يلعبون وهم غُيَّبٌ أو على عِدَّة رقاع فى وقت. وظنى أن صاحبنا أضرب عنه فيما زهد فيه من زهرات هذه الحياة على انه يشدّد الإنكار على من يضيع ساعة من عمره فيما لا يعنيه ـ

والظاهر انه لم يكن يعرفُ غير العربية من اللغات الا ان واعيته البديعة حفظت له كل مارٍّ بسمعه من كلمات غير العربية فنراه يَنْفُثُ بها نفثا قال :

لا يُبْصرِ القومُ في مَغْناكَ غِسلَ يد على الطعام إلى أن يُرفع السوْرُ
إذا قيل لك اخش الله مولاكَ فقل آرا !

والسور دعوة الوليمة وكل سُرور . وآرا نعم . وكلاهما من الفارسية [١]

فياقَسّ وقّعْ برزق الخطيب وانظر بمسجدنا يا مُنَشّْ

قالوا هو الناظر بالعبرية :

وقفتَ على كل باب رأيت حتى نهاكَ أبو ضابط

قالوا هو كنية الموت بالحَبَشيّة :

وأما طلبه فقد انقضى قبل بلوغه عشرين سنة كما صرّح بنفسه وصدع به في [٢] ر له الى خاله أبي القاسم « وانصرفت (عن بغداد) وماء وجهي فى سقاء غير سَرِب . وما أرقت منه قطرة فى طلب أدب ولا مال . ومنذ [٣] فارقت العشرين من العمر ما حَدَّثتْ نفسي باجتداء علم من عراقٍ ولا شآمٍ »

(١) وذكر في الغفران لفظ الباسنة والجمع بواسن بمعنى الآنية ١٦٩ وهي هندية فيما أحسب ـ

(٢) ص ٣٢ ـ

(٣) وأما رحليوث وكل من قلده من أبناء جلدته ففهم انه لم يطلب العلم ولا المال بعد العشرين وهذا لا يصح فانه لم يطلب المال قبل العشرين أيضا كما هو ظاهر من العبارة .

ولم يتكثر بالشيوخ والانتساب اليهم قبل العشرين أيضاً . ونقل القفطي[١] عن التبريزي أنه لما قرأ عليه إصلاح المنطق طالبَه بالسند فقال له : ان كنت تريد العلم فخذه عني ولا تَعْدُنى وان كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري . قال القِفطي فهذا يدلّ على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وإنها في عصره لأنضج منها في عصر ابن السكّيت . أقول وكأن أبا الفداء لاحظ هذا المعنى حيث قال لم يتلمّذ أبو العلاء لأحد أصلا . على أن الملك المؤيّد رحمه الله وهو بَلَدِيُّه لم يمنحه استيفاء بإلحاده كبيرَ جانبٍ من الالتفات . فتراه يأتي[٢] فى ذكره وهو نحو تسعة أسطرُ بالأقوال المرغوب عنها .

هذا وفي الضرام أنه تلمّذ على عبد الوهاب بن نصر المالكي [والظاهر ببغداد أو بعد الرجوع] الذي أرسل اليه أبو العلاء ثلاثين درهما مع قطعة[٣] في الاعتذار وذكره في اخرى[٤] إلى التنوخي الصغير أيضاً ـ ولعله اغترّ بقوله في الاولى :

وما أنا الا قطرة من سحابة ولو أنّني صنّفتُ ألف كتاب

وفي الاسعاف[٥] والبُغية[٦] أنه سمع من عبد السلام بن الحسين البصري [ببغداد] ولعله اغترّ برواية المعري عنه بلفظ « حدّثني » حكايةً[٧] جرت

(١) د ٣٠٤ ـ
(٢) ٢ : ١٧٦ وقال ابن الوردي فى مختصر أبى الفداء وقد طالت هذه الترجمة فانى رأيت المؤلف (ابا الفداء) سامحه الله غض من الشيخ فأحببت أن انبه على ذلك اه
(٣) س ٢ : ١٢٨ و ١٢٩
(٤) س ٢ : ١٤٠
(٥) في شرح أبيات الكشاف للخضر الموصلي ٦٣ من نسخة حيدر آباد . وقد زاد ضغثا على ابالة حتى سماه عبد الله اه
(٦) ١٣٦
(٧) الوفيات ٢ : ٣٥٠

في مجلس السيرافي وكانت سبباً لتجرُّد ابن السيرافي يوسفَ في طلب العلم. ولكن فيها « وكان لي صديقاً صدوقا » ولا يقال مثل هذا في الشيوخ ، فكلا الرجلين إمّا غالط أو مغالِطٌ . وكان الرجل أعمى لا يستطيع أن يقرأ بنفسه شيئاً . فان قرأ له أحد أو ذاكره بشيء لا يتدرج الى استاذيته وإلا فجُملة تلامذته أساتذة له . نعم إن عبد السلام كان أسنَّ منه ونذكره في رحلة بغداد .

به ذكر هاتيك العلوم ، في اللزوم

﴿ النحو واللغة والعروض ﴾

تولّى سيبويهِ وجاش[1] سِيْبٌ من الأيام فاختلَّ الخليلُ
ويونس أوحشت منه المغاني وغيرُ مُصابه النبأُ الجليل
أتت عِلَلُ المنون فما بَكاهم من اللفظ الصحيحُ أو العليلُ
ولو أن الكلام يُحِسُّ شيئاً لكان له وراءهم أليل
ودَلَّتهم[2] إلى حفرٍ أيادٍ لنا بورودها وضح الدليل

أصاب الأخفشين[3] بصيرُ خَطْبٍ أعاد الأعشيَيْنِ[4] بلا حِوار
وغِيلَ المازنيُّ من الليالي بزَنْد من خطوب الدهر وارِ
وللجرْميّ[5] ما اجترمتْ يداه وحَسْبُكَ من فلاح أو بَوار
فأما فَرْخُه[6] فبلا جَناح يطير بحمل أثقال جوار

(١) مجرى الماء والنهر (٢) من التدلية
(٣) الاكبر والاوسط اي ابو الخطاب استاذ سيبويه وتلميذه ابو الحسن سعيد بن مسعدة
(٤) اعشى قيس الاكبر ميمون بن قيس واعشى باهلة عامر بن الحرث .
(٥) صالح بن اسحق مولى جرم بن زبان المتوفى سنة ٢٢٥ هـ بغيه ٢٦٨ .
(٦) كتاب للجرمي في النحو – ابن النديم ص ٥٧

ثم بعد وصف الفرخ في ٧ أبيات :

وما نقع (١) المبرّدَ من حميم   وصادت ثعلباً نُوَبٌ ضوارِ

أرى ابن (٢) أبي اسحاق أسحقه الردى .   وأدرك عُمْرُ الدهر نفسَ أبي عمرو (٣)
تَباهَوا بأمر صَيَّرُوه مكاسباً   فعاد عليهم بالخسيس من الأمر (٤)

تخيَّلٌ من بني الدنيا غدا عجباً   للمفكرين وكل الناس محسور
كأن إعراب أعراب ثَوَوْا زمنا   بالدَّوّ فينا بحكم النحو مأسور
فناطقٌ يسكنُ الأمصار من عجم   نطْقَ ابن بيداء لَمَّا يحْوِهِ سُورُ
وناظم لعروض الشعر عن عُرُض   وما يُحسُّ بأن البيت مكسور
ومغتدٍ بحبال الصيد ينْصِبُها   كيما يَفِيء له من ذاك ميسور

لا تقطع الحين مغتابا لغافلة   من النفوس ولا تجلس إلى السَّمَر
تَوَخَّ نقل أبي زيد وكُتْبَ أبي (٥)   عمرو وخَلِّ كلاماً في أبي عُمَر (٦)

﴿ التجويد ﴾

صار الكتاب أغانيَّ الغواة لهم   به أغانيٌّ في حمّ و الزُمَرِ
صلَّوا به ثم صَلّوا فى مظالمهم   مثل السيوف على المستأنِس القمرِ

---

(١) في الاصل نقم بالقاف مصحفا .

(٢) ابو بحر عبد الله من متقدمي النحاة توفي سنة ١١٧ هـ

(٣) ابن العلاء معاصر بن ابى اسحاق توفي سنة ١٥٤ هـ   (٤) وبعده :

بكسوة برد او باعطاء بلغة   من العيش لاجم العطاء ولا غمر
ولم يصنعوا شيئا ولكن تنازعوا   اباطيل تضحى مثل هامدة الجمر

(٥) ابن العلاء او اسحق بن مرار الشيباني -

(٦) الزاهد غلام ثعلب اتهم بوضع اللغة من جهة سوء حفظه والمحدثون يوثقونه - انظر النزهة وأدبا

تلا كتاب الله من حفظه من هو بالكأس مليء حفيّ
كأنه من سوء أفعاله يبدد الخمر على المصحف

خُمساً وعُشراً أجادوا في قراءتهم ووفّروا المال من خُمس ومن عُشُر

وانظر كلامه فى المنظرة في باقي العلوم

ابن خالويه واصحابه وآل حمدان

ملوك آل حمدان كانوا في جَلْب العلماء ، والرغبة في الأدب والادباء ، بحيث سار بأخبارهم الركبان ، وطار طائر صيتهم في أقاصي البلدان . كانوا يرتاحون للندى ، ويُنزلون من محروفي العلم الصدَى . فاجتمع ببابهم ، وانضوى بجنابهم . ومال إلى حضرتهم،ورغب فى كَنَفهم وناحيتهم ، من جِلّة الشعراء وجهابذة الفضلاء ، ما صاروا محسودين به بين ملوك الأطراف . وأُحدوثةً في السامر والألّاف . وهذا كبش ملوك الطوائف وفحلهم فنّا خُسرو جلب من حلب أبا على الفَسَوي ، حتى مال إلى حضرته وثوى . وهذا أبو الطيب لم ير لمدحه محلا صالحا بعد سيف الدولة إلا عضد الدولة . ولم ينتثر نظام وُفوده ، ولا رِسلْك عقوده . إلا بعد نكبات الروميين بالشام ، ومُصابهم بلاد الإسلام بمِحَن وآلام . ولا نجد في تاريخ المسلمين على سعته في الصقَب والبَعَد ، ولا في جرائد أخبارهم على طول الأمد . ممدَّحا شرْواه ، وممَلَّكا يجرى مجراه . في إسناء الجوائز والصِلات ، وإعطاء اللُّهَى بعد اللهى على عَوادٍ من الدهر الخؤون وهَناتٍ . وكان [١] المتنبيء لمـّا عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال قد تجوّزت في قولي واغتنمتُ الراحة منذ فارقت آل حَمْدان . وهذا شاعر أفخم ملوك الطوائف بالأنْدَلُسِ لمـّا رأى صاحبه يتمثل ببيت من شعر شاعر سيف الدولة قال :

(١) البديعى ١ : ٨٧

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فإنما بجود العطايا واللُّها تفتح اللُّها
تَنَبَّأَ عُجبًا بالقريض ولو درى بأنك تروى شعره لتأَلَّها

على أن كلهم أو جلهم شعراء وصيارفة الشعر وجهابذته . فسيف الدولة شاعرٌ أيُّ شاعر وكذلك أبو فراس[1] الذي قيل فيه على قولٍ « بُديء الشعر بملك وخُتم بملك » يعنون امرأ القيس وإياه . وقد أطنب الثعالبي في ترجمته وإيراد غُرَر شعره وأسهب . والحق أنه أرقصُ وأطرب . ومنهم ثم من مُعاصري صاحبنا أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة ترجمله الثعالبي في اليتيمة وتتمتها . وأورد أكثر شعراء حضرة سيف الدولة وناهيك به وببيانه ، فقد تسلسل دُرّ بنانه ، وعِقدُ جُمانه . فراجع كتابَيْه . وإنما نتطرّف ببعض ما وجدناه عند غيره .

وهذا لفظ[2] محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الحِلْباجة «وقد خدمتُ سيف الدولة ـ وأنا ابن ١٩ سنة تميل بي سِنة الصبا وتنقاد بي اريحية الشباب ـ بهذا العلم ، وكان كَلِفا به عَلِقا عَلاقةَ المُغْرَم بأهله منقّباً عن أسراره . ووَزُنْتُ في مجلسه ـ تكرمةً وإدناءً وتسويةً في الرتبة ولم تُسْفِر خَدّاي[3] عن عِذارَيْهما ـ بأبي عليّ الفارسيّ وهو فارس العربية وحائز قَصَب السبق فيها منذ أربعين سنة . وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائز في علوم العربية تصرّفا في أنواعه ، وتوسعاً في معرفة قواعده وأوضاعه . وبأبي الطيّب اللّغويّ وكان كما قيل حتفَ الكلمة الشَرود حفظاً وتيقّظاً (ثم أورد أبياتاً له في مدح سيف الدولة

(١) وبحسبك في فضله واحراز خصله حكاية ادعائه السرقة في بيت بيت من ميمية المتنبيء في عتاب سيف الدولة انظرها عند البديعي ١ : ٦٧ ـ
(٢) ادبا ٦ : ٥٠٣ ـ
(٣) في الاصل حذاي مصحفا ـ

ثم رسالة مخاطبة جرت بينه وبين المتنبيء).

وعمدة الباب العلاّمة اللغويّ ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد رُحْلة الشام فقد أقام بحلب إقامةَ لا ظاعنٍ في بَعَد أو كَثَب . ودَّع بلده همَذَانَ ، وفارق الأوطان . وخيم بحلب إذ وجد الجناب مُخْضَلا ، فأهلا به وسهلا لامجتويًا ولا مجفوًّا مُهْمَلا . قال الثعالبي[1] وابن خلكان : وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب . وكانت إليه الرحلة من الآفاق . وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه . وهو القائل دخلت يومًا على سيف الدولة فلما مثلت بين يديه قال لي اقعدْ ولم يقل اجلِس . فتبينتُ بذلك اعتلاقَه بأهداب الأدب . يعني لأن المختار أن يقال للقائم اقعد وللنائم والساجد اجلس ذهابًا إلى أصلهما من الاشتقاق . وكان درس على أبي عُمَرَ الزاهد وأبي بكر بن الأنباريْ وابن دُريد ونِفْطَوَيْهِ . وفي البغية[2] رأيت في تاريخ حلب لابن العديم بخطّه قال رأيت في جزء من أماليّ ابن خالويه سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا لا . فقال لابن خالويه ماتقول أنت ؟ قلتُ أنا أعرف اسمين . قال ماهما ؟ قلت لاأقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخَذَ بلا شكر وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجَرْميّ في كتاب التنبيه وهما صَلفاء وصَلافَى وهي الأرض الغليظة وخَبْراء وخَبارَى وهي أرض فيها نُدوَّة ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفا خامسا ذكره ابن دريد في الجمهرة وهي سَبتاء وسَباتَى وهي الأرض الخشنة اهأقول ولكنه زاد في (كتاب[3]

---

(١) اليتيمة ١ : ٧٦ وقوله ينتهي على « يقتبسون منه » والباقي من الوفيات ١ : ٥٧ ،
(٢) ٢٣٢ .
(٣) مصر : ٢٠

ليس) له: ثلاثة أحرف أخرى وهي وحفْاء ووحافى أرض فيها حجارة ونَبْخاء ونباخى ونَفْخاء ونفاخى اه ومات سيف الدولة سنة ٣٥٦ ﻫ ولم يَرِم ابن خالويه من حلب حتى لقى قضاءه المحتوم، وأجله المرقوم، سنة ٣٧٠ ﻫ أي حين بلغ صاحبنا ثمانية أعوام غير أشهر فلم يتمكّن من الاقتباس من شموسه، أو الاستفادة من دروسه. ولكنه خلّف أصحابا وتلامذةً أنجاباً. أخذ عنهم صاحبنا في حلب وغيرها من أمّهات بلاد الشام. وذكر منهم أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز في ر له الى النُكَتي: والأسف أن الرجلين لم يتعرّفا لي بعدُ مع طول التنقيب. وصاحبنا يذكر ابن خالويه بكلّ أدب. ويصف بحر علمه الزاخر ذا التيّار والعبَب، ويصبو اليه والى ذكره، صَبْوَة الواله الى بِكره. جرى ذكره في الغفران [1] بما نصّه (قال في ابن القارح) «وجلس لهم في بعض المساجد بحلب حرسها الله فإنها من بعد أبي عبد الله بن خالويه عَطلت من خلخال وسوار، ونارت من الادب أشدّ النّوار». وكان ابن القارح [2] كتب اليه في شأن حفظه ما نصّه بعد ما مرّ ذكره في فصل الحفظ «حدثني أبو عليّ الصقِلّيّ بدمشق قال كنتُ في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته وأخرج كتب اللغة وفرّقها على اصحابه يفتّشونها ليجيب عنها وتركته وذهبت إلى أبي الطيب اللغويّ وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الُحمرة فأجاب به ولم يغيره قدرةً على الجواب. وقال أبو الطيب قرأت على ابي عمر [الزاهد غلام ثعلب] الفصيحَ واصلاح المنطق حفظًا اه فأجاب عنه في الغفران [3] «وأما ابو عبد الله بن

(١) ١٧٨
(٢) رسالته ٢١١
(٣) ١٩١

خالويه وإحضاره للبحث النُسَخ . فانه ما عجز ولا انسخ (أي نَسِيَ) ولكن الحازم يريد استظهاراً ، ويزيد على الشهادة الثانية ظِهاراً

أرى الحاجات عند ابي خُبيب نَكِدن ولا أُميَّةُ بالبلاد

أين كأبي عبد الله ؟ لقد عدِمه الشام ، فكان كَكَّة إذ فُقد هشام[1] لأن الشاعر رثاه فقال :

أصبح بطنُ مكَّة مقشعِرّا كأن الارض ليس بها هشام

(مع بيتين يتلوانه) وأبو الطيب اللغوي اسمه عبد الواحد بن عليّ ، له كتاب في الإِتْباع صغير على حروف المعجم في أيدي البغداديين . وله كتاب يعرف بكتاب الإبدال قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب في القلب . وكتاب يعرف بشجر الدُرّ سلك به مسلك أبي عمرو [2] (؟) في المداخل . وكتاب في الفَرْق قد أكثر فيه وأسهب ولا شكّ أنه ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب وكان ابن خالويه يلقبه قُرموطة الكَبَرْتَل يريد دحروجة الجبل لأنه كان قصيراً » الى آخر ما ترجمه به وإنما طوّلتُ لأني لم أر لابى الطيب صاحب مراتب النحويين [3] ترجمة أوفى من ترجمة صاحبنا . وهذا كله يدل على أن الذين فاقوه فى لقاء متقدمى الشيوخ كانوا يعدّونه من بينهم أو أفضل ، وأعلى منهم كعبا وأمثل . وكان ابن القارح تلميذ ابن خالويه وأبى على وأبى سعيد والرُمّانى والمرزبانى وغيرهم كما صرّح بنفسه في رسالته [4] . وهذا

---

(١) ابن المغيرة سيد مخزوم وهم ريحانة قريش . وعزا ابن أبى الحديد هذا البيت في ٤ : ٢٩٣ الى عبد الله بن ثور الخفاجى وفى ٢٩٧ الى الحرث بن أمية الصمرى (؟ الضمرى)

(٢) كذا غلطا والصواب حذف الواو وهو الزاهد المطرز غلام ثعلب ، له كتاب بهذا الاسم . بغية ٧٠

(٣) بقى منه نسخة بخزانة العلامة الجليل أحمد تيمور باشا حفظه الله تعالى

(٤) ٢٠٨

السُكَني يكاتبه صاحبنا مكاتبة الأقران للأقران ، ويجري معه في الرِهان ، طَلْقَ الجموح ومطلَقَ العنان . بـل يأخذ عليه بعض ما سبق به قلمه أودعته اليه الضرورة الشعرية ولا يتحاشى من ذلك ولا يتحرّج ، وهو ممن على أقران ابن خالويه تَخرّج .

ومن أصحاب ابن خالويه غير من مرّ أبو على الحسن[(١)] بن على الشيزري وابو بكر الخوارزمي[(٢)] وعبد المنعم بن غليون[(٣)] والحسن بن سليمان[(٤)] إلى غيرهم

وفاة والده

وبينما كان يشتغل بالتعلم إذ فَجِئَة وفاة والده الْحدِب عبد الله . وكان مات بحِمْصَ سنة ٣٧٧ ه ليلا[(٥)] . أي حين ناهز صاحبنا ١٥ عاما من عمره[(٦)] . فرثاه وذكر أنه كان شاعراً كإخوانه وأبنائه وأسلافه ، كما فى الضرام ومعجم الأدباء ــ قال . س :

أمولى القوافي كم أراك انقيادُها   لكَ الفصحاءُ العُربَ كالعَجَم اللُّكْن

ويدلّ شعره هذا على أنه كان يحنو عليـه ، وكان طاهر الذيل ديّنا وَقوراً لبيباً صَموتاً حسن السَمْت مرضيّ الطريقـة . ولسنا نتعرض لتهجين[(٧)] هذا

(١) ترجم له ابن عساكر ٤ : ٢٣٦ (٢) نزهة ٣٨٤ ــ (٣) الشافعية ٢ : ٢١٢ وفي البغية ٢٣٢ عبد المنعم بن عبيد الله وانظر ــ (٤) بغية ٢٣٢ ــ
(٥) كما فى مرثيته وفى الضرام ــ (٦) لا ١٤ كما زعم غير واحد ومنهم صاحب ذ ١٤٨
(٧) كما فعله صاحب ذ ١٤٥ ــ وفي س كثير من قصائد صباه وبعضها أقدم من هذه القصيدة ــ ولعله يصعب عليه أن يهجنها مع انه ليس ثمه دليل على أن هذه قيلت بعد الوفاة متصلا ــ على أن الوجوه التي أبانهـا مستبشعة ليس وراءها مايهم ــ وعلى ان له من الشعر قبل ١٥ عاما من عمره مالا يمكنه أن يستخرج فيه ماينقض به منه اذ ذاك . وانظر « شعر صباه »

الشعر لأنه شعر الصبا . والقصيدة جيدة تُنْبِيء عن بنات الصدر ، وتنمّ بما سيكون له من الخطَر والقدْر ، في قرْض الشعر . وإني لأعجب ممن يضعّف كل بيت منه من جهة الصنعة مع اعترافه بأنه شعر رجل أوتي الحُكْمَ صبيا ، وخُلق ألمعياً ذكيًا . وهذه التأبينة تدل على أنه زهد في الدنيا ورغب عنها ورأى كل حلوها مُرًّا مقِراً ، وكل صفوها كدِراً . وفيه تقوية لقول القفطي والذهبي [١] أن شعره في الصبا ينُمّ عن بعض ماتعلمه بأنطاكية واللاذقيّة على ما سيأتي فمن ذلك قوله . س : [٢]

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذي يراد بنا ، والعلم لله ذي المنّ
إذا غُيّب المرء استسَرّ حديثه ولم يُخْبر الأفكار عنه بما يُغْني

وانظر في النظرة « أتى الدنيا كرْها وفارقها كذلك » وما يجاوره . ثم يقول فى أصحاب القبور المجاورة لأبيه :

طلبتُ يقيناً ياجُهينة عنهم ولم تخبريني ياجُهَينَ سوى الظنّ

وذكره ببغداد متناسياً [٣] س :

نسيتُ أبي كما نَسيت ركابي وتلك الخيلُ أعوجَ والجَديلا

رحلته الى بلاد الشام

﴿ وتشتت آرائه وزهده في ملاذ الحياة ﴾

ليس بأيدينا ما يدل على تعيين سنتها إلاّ أنّا رأينا أن الرجل لم يكن يحتاج إليها ووالده حيّ وعمره قصيرٌ ـ أما رحلته إلى حلب فقد ذكرها في

(١) ذ ١٤٥ والعجب من صاحبها حيث يقول بعد نقل قولهما « ولكنهما لم يرويا شيئا من هذا الشعر » هذا وقد اتينا بشعره فى المعنى ـ (٢) ١ : ١٩٥ ـ
(٣) ٢ : ٢

قصيدة له [1] إلى ابي ابراهيم محمد بن اسحق العلويّ الحلبي . س :

ليت التحمّل عن ذَراك حُلول والسيرَ عن حلب إليك رحيل

وهو الذي [2] رثاه وقد مات بحلب بقصيدة آخرها :

لعلك في يوم القيٰمة ذاكري فتسأل ربي أن يخفّف من إثمى

ولعله كان يتردد اليه بحلب إذ أقام بها عند أخواله . وكان أبو ابراهيم ضرب من قرض الشعر بنصيب . فأنفذ اليه نونية أجاب عنها صاحبنا بمثلها [3]. وله أخ شاعر يدعى أبا ابراهيم [4] موسى بن إسحق أجاب صاحبنا [5] عن حائية له . وذكر في الغفران عدة من أمرائها وحوادثها ورجالها [6] .

قال القفطي [7] والذهبي إنه بعد أخذه عن علماء بلاده رحل الى طرابُلُس وكانت بها خزائن كتب موقوفة فاجتاز باللاذقيّة ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع أبو العلاء كلامه فحصل له به شكوك ولم يكن عنده مايرفع به ذلك فحصل له بعض الِخلال [8] وأودع من ذلك بعض شعره فنهم من

(١) س ١ : ١٨٣ وفي العنوان اسمه ابراهيم وهو مصحف عن أبي ابراهيم وانظر في المتن ١٨٤ حيث ورد اسمه محمد ـ

(٢) س ١ : ٢٠١ قال صدر الافاضل هذا البيت يشهد لقائله بصفاء الاعتقاد وحسن الايمان وفي ذ ٢٦ أن ابا العلاء لم يسم المرثى في الديوان ولم يدلنا عليه التاريخ وهذا لايصح فان اسم المرثى ورد في العنوان وفي القصيدة نفسها مرتين

(٣) ا : ٩٠ ورد هنا في اسمه في العنوان ابو ابراهيم موسى بن اسحق وفي نسخة أبو ابراهيم فقط والصواب محمد انظر بيتا له ص ٩٥

(٤) كذا وردت هذه الكنية الأخوين وورد اسمه موسى في متن س ١ : ٦٤

(٥) س ١ : ٥٦ ـ

(٦) عبد المنعم قاضيها أيام شبل الدولة ٥٨ الامير ابو المرجى ٦١ طهاتها ٦٥ الزاهدة حمدونة الحلبية ٧٣ قتل والي حلب أبا جوف ١٦٩ وابن عساكر ٣ : ٤١٨ ابن القارح بحلب ١٧١ ـ

(٧) ذ : ١٦٥ وذهبى ١٢٩ ـ

(٨) ومر لنا ذكر شعره في الباب من س ـ

يقول ارعوى وتاب واستغفر اهـ ومثله عند الصفدي [١] والسيوطي والعباسي. ولا نستبعد [٢] أصلا أن يستغوى راهب ـ قد أكل الدهر عليه وشرب ـ ناشئاً غرّاً همّ أترابه في اللهو واللعب. وكانت اللاذقية إذ ذاك بيد الروم بها قاض وخطيب وجامع لعبّاد المسلمين إذا أذّنوا ضرب الروم النواقيس [٣] كياداً لهم وينحل له شعر في المعنى انظره في الحاء من الفائت. وحدّث في الغفران [٤] حكايتين في أبي الطيّب وبدء أمره لما كان بديوانها إحداهما عن رجل منها كان أبو الطيب استخفى عنده. وأما خزانة طرابلس فقد قال ابن العديم « قد ذكر بعض المصنّفين أن أبا العلاء رحل الى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها واشتبه عليه ذلك بدار العلم ببغداد ولم يكن بطرابلس دار علم في أيام أبي العلاء وإنما جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمّار سنة ٤٧٣ هـ وكان أبو العلاء مات سنة ٤٤٩ هـ ووقف ابن عمار بها من تصانيف أبي العلاء الصاهل والسجع السلطاني والفصول والسادن وإقليد الغايات والإغريض » اهـ أقول وكانت الخزانة [٥] إحدى عجائب الدنيا ولكن أحرقها

---

(١) نكت ١٠٣ بغية ١٣٦ ومعا ١ : ٤٩ ـ

(٢) كرجليوث فانه ارتاب من وقوعه زعماً منه أن الاعراب ينسبون الى الرهبان كل سوأة سوآء واخترع لدخول الشكوك في عقيدة أبي العلاء وجهاً لا يرتضيه كل من له أدنى مسكة وهو أن الذي حذا صاحبنا حذوه من الشعراء هو المتنبي وكان لا يذكر الانبياء بالتبجيل اهـ وظلم منه أن يقيسه بالمتنبي وهو لم يقتد به في التملق للمدحين ولا في غيره من الامور وبينهما في الآراء والافكار بون ليس بهين فكيف القياس مع الفارق ـ وحبه المتنبي ليس الا من جهة اقامته بوطن أبي العلاء كما كان يحب ابن خالويه وأبا الطيب اللغوى وغيرهما من علماء حلب دون الفارسي مع ان منزلته مما لا يجهله اثنان (٣) انظر رسالة ابن بطلان في الحكماء للقفطي مصر ١٩٥ (٤) ١٣٦ وشعره في اللاذقية الذى المعنا اليه مما يقوى المعنى ـ على ان القفطي اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

(٥) وكانت تسمى دار العلم وكان بها ثلاثة آلاف الف الف (؟) كتاب وخمسون الف مصحف وعشرون الف تفسير وقال الشيخ يحيى بن أبي طي حميد النجار الحلبي لم يكن في جميع البلاد مثلها كثرة وحسنا وجودة. وانظر مانشر من تاريخ ابن الفرات في الزهراء ص ١١٠ سنة ١٣٤٤هـ

الفرنج سنة ٥٠٣ هـ

وأما رحلته الى أنطاكِيَةَ (وتملكها الروم [1] ٣٥٣ ـ ٤٧٧ أي مدة حياة أبي العلاء وقُبيلها وبُعيدها ثم استردّها منهم السلاجقة) فقد مرّ ذكرها في حكاية أسامة في فصل الحفظ ـ ولم أر أحدا من أصحاب التراجم ذكرها ـ ولكن شعر ل يشهد لها قال:

لا ينزلن بأَنْطاكِيَةٍ [2] وَرِعٌ ... كم حَلَّل الدين عَقْدٌ للزنانير

بها مُدام كذَوْب التبر تَمْزُجه ... للشاربين وجوه كالدنانير

بيض لوابس ديباج حمدتُ لها ... سُودَ الإماء وشعرى الصنانير

وعندنا ما يَعْضُد قول القفطى والذهبى وهو أنه نقل عن كتاب بدء الخلق من كتب التوراة في الغفران [3] قال وذكر من نظر في كتاب المبتدإ حديث طالوت لما أمر ابنته ـ وهى امرأة داودَ عليه السلام ـ أن تُدخله عليه وهو نائم. فجعلت له فى فراش داود زقّ خمر ودسّته عليه وضربه بالسيف وسالت الخمر فظن أنها الدم ـ فأدركه الأسف والنَدَم. فأومأ بالسيف ليقتل نفسه ومعه ابنته فأمسكت يده وحدثته ما فعلته فشكرها على ذلك اهـ. ولا يُستغرب إن قلنا انه أحال على غيره من ناظرى الكتاب، تنصلا من القذف بالإلحاد أو الارتياب. على أن الرجل أعمى لا ينظر. أى إنّ صنيعه هذا أحد الملاحن والمعاذير وهى فى الناس تكثر. واستعماله كلمة عبريّة وأخرى حبشية على ما مر يشهد لمخالطته بالقوم بالبلدتين النصرانيّتين وهذا على كثير من عاداتهم وأخلاقهم التى ألمّ بها فى ل وراجع النظرة.

---

(١) بلداف رسم الطاكية ـ

(٢) وانظر لتحقيق لفظها الغفران ١٩٠ واللفظة مخففة الياء وشددها كامريء القيس وزهير

(٣) ١٨٠ ـ

وقال الحافظ ابن حجر[١] انه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم اهـ أقول ولعله يريد قبل رحلته إلى بغداد فإنه بعد الرحلة لم يختص بتركه فى موطن دون آخر على أن أحدا من مترجميه لم ينقل عنه رحلة بعد الرجوع منها ـ والصواب أن بدء زهده فى ملاذّ هذه الحيـاة : من ترك اللحم والاقتناع بالنبات ، وصوم الدهر ـ غـير إفطار العيدين ـ بعـد هذه الرحلة بأعوام . وكذا معرفته بالفلسفة وعلوم الأوائل واختلاف أرباب الديانات والملل فكلّه فى هذه المدّة . وأما المقالات الإسلامية والنِحَل، وعلوم أصول الدين والجدَل . فإنه تعرّف بها على ماهو الظاهر ببغداد ، إذ كانت مخيَّمَ المعتزلة والمتكلمين والمراد . وهذه لُمَعٌ من كلامه تشير إلى مرامه. قال فى ر[٢] إلى داعى الدعاة « وقد سمع العبد الضعيف من اختـلاف القدماء ثم أطال فى ترتيب قضيته واستنتاجها فى أن الله (والعياذ به) لايريد الخير ـ ثم قال ـ فلما بلغ العبدَ الضعيفَ العاجز اختلافُ الأقوال وبلغ ثلاثين عاماً (أى بدء سنة ٣٩٣ هـ) سأل ربه إنعاماً ورزقه صوم الدهر . فلم يُفْطِر فى السنة ولاالشهر . إلاّ في العيدين . وصبر على توالى الجديدَيْن وظَنَّ اقتناعَةَ بالنباتِ . يُثبت له جميلَ العافيـة » ثم أتى بما يستشنع ذكره ويستبشع نشره مما يَرْمى إلىٰ المُروق . وأنّ فُتوق دينـه كما قالوا ليس لها من رُتوق . وقال في أخرى[٣] اليه « انه اجتنب عن اللحم ٤٥ سنة » ولا نسلّم قول[٤] ابن الهبّارية انه توفّى بعد إرسال اخر ر الي الداعى متّصلا فإن كلام أبى العلاء يكذّبه . والمرء يصدَّق فيما يروى عن نفسه . ومما يشهد له قوله . س[٥]

(١) اللسان ١ : ٢٠٤
(٢) ادبا ١ : ١٩٩ و ٢٠٠ ـ
(٣) ص ٢٠٧ ـ
(٤) أدبا ١ : ١٩٤ ـ
(٥) ٢ : ١٤١ ـ

جَنَيْتُ ذنبا وألهى خاطرى وَسَنٌ   عشرين حولا فلما نبّه اعتذرا

إلا أن رأيه هذا كان فَجّا بعدُ لم ينضج إلاّ ببغداد . فانه تم له بعد الرجوع منها ما أراد . كما قال في . ل :

تنسّكتَ بعد الأربعينْ ضرورة   ولم يبق إلاّ أن تقوم الصوارخ

انى رقدت فعُمْتُ في لُجَجِ المُنَى   ثم انتبهتُ فعادنى اقصارُ

ولم ينقل أحد عنه أنه ردّ شيئاً من لذائذ الدنيا مباحا ، ومن رغائبها طِلْقا حَلالا أيّام اقامته بها . فأحْرِبنا أن نَعِدَ القرّاء بفُرصة أخرى ،وزَوْرة تُثَنَّى .

بضاعته

وعسره أو يسره

وحصلتُ من ورقٍ على وَرَق   بيض يَشُقُّ متونها الحبرُ

الذي يجزَمُ به في الباب ، ويُعتقَدُ حقّاً لامرية تتطرّق اليه ولا ارتياب . انه لم يرث من أبيه كبير طائل ، أو خطير نائل . وصدع الرجل فى ر [1] الى الداعى أن الذي له فى السنة نَيِّف وعشرون ديناراً يشركُ فيها خادمه (قَنبَرَ أو غيره) ولفظه «فاذا أخذ خادمي بعض ما يجب ، بقى لى ما لا يُعجبْ. فاقتصرت على فُول و بُلسُن ، وما لا يعذُب على الألسُن . فأما الآن فاذا صار الى من يخدُمنى كبير [ما] عندي . وعنده هيّن . فما حظّى الا اليسير المتعيّن . ولست اريد فى رزقي زيادة ، ولا أُوثِر لسقمي عيادة » اه ثم إن الداعي كتب الى تاج [2]

(١) ادبا ١ : ٢٠١

(٢) ادبا ١ : ٢٠٤ . وهو ابوالدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس الذي عمل صاحبنا لابنه عزيز الدولة اللامع العزيزي ويأتي إراجمرادبا ١ : ١٨٨، او ليس صدقة بن يوسف الفلاحي كما زعم مرجليوث ولا سماه أحد تاج الامراء . وكان امراء آل مرداس يخضعون لدعوة العبيدين وكان الافتاء بحلب نحو سنة ٤٤٠ ه وهى سنة هذه المراسلات على مذهبهم كما نقل ابن بطلان وانظر فى البلدان رسم حلب

الامراء أن يتقدم اليه بما هو بُلغة مثله من ألذّ الطعام . فأجابه بعد الدعاء للتاج أن يجعل الله له جميع جبال الشام ذهباً . انه يستحيي من حضرة التاج أن ينظر اليه بعين من يرغب اليه في العاجلة . وقال الذهبي وابن حجر ومن تبعه أنها ثلاثون دينارا . ولكن القول في هذا قوله . فنقدّرها بخمسة وعشرين تقريباً والذي كان يَصل اليه منها زُهاء اثنى عشر دينارا أي نحو خمس جنيهات إنكليزيّة

ويدلّنا غفرانه أن الذي كان خلّفه أبوه عقار كان يُكرْيه ولفظه (١) «وكان لي كَرِيٌّ من اهل البادية يعرف بعلوان وله امرأة تزعم أنها من طيّء اه » ولعله كان له بعض أراضي تُغِلّ له الثمار وغيرها كما يدل عليه ر (٢) الى خاله أبي القاسم في شأن عجوز كانت تخدمه وكان أهدى الى رجل لم يسمّه شيئاً من الفستق فهل كان من غراسه كما في ر ١٩ .

ويظهر من شعره في س أنه كان له بعض ثراء عَبِثَتْ به أيدي الضياع فصار حليفَ إدقاع . وهو (٣) :

أثارني عنكم أمران : والدةٌ لم ألقها ، وثراءٌ عاد مسفوتا
أحياهما الله عصرَ البين ثم قضَى قبل الإياب الى الذخرين أن مُوْتا

ويشهد له من حكاية حفظه بأنطاكية قول الخازن إنه من بيت الثروة والغنى

وأما هداياه الى إخوانه وإعانته لأصدقائه ونجاح بعض حاجاته التى لها خطَر فالظاهر أنها من صِلات أخواله وكانت لهم ثروة طائلة كبيرة ، ونعمة ظاهرة أثيرة . كما مرّ ولكن لم يكن عليهم كلاًّ وَكَلاً ، يضيقون به محتملا . كما كتب الى خاله (٤) أبي طاهر وكان استنسخ له من بغداد نسخة شرح

(١) ٢٠٥ . (٢) ص ٥٠ (٣) س ٢ : ١١٩

(٤) لا أن يكون كتب خاله اليه من حلب الى بغداد كما قد أصلحنا بهذا الغلط من قبل في ذكر أخواله

السيرافىّ أن يعرّفه ما وزن فى القيمة ليبادر بإنفاذه . وهذا يدلّ على أنه لم يكن يقبل من أخواله أيضاً غيرما يتبرّعون به من تحف الاسفار. وكان قبولها أيضاً على جهة التنصّل والانكار . نعم ان هداياهم ربما جاوزت الحاجة الى الاسراف والتبذير فيشدّد اذا البراءة والتنكير[1] .

وكان قانعًا باليسير ، لم يكن يحرص على التوفير من المال والتكثير . كما قال في مقدمة س [2] « ولم أطْرُق مسامع الرؤساء بالنشيد . ولا مدحت طالبًا للثواب . وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس . فالحمد لله الذي سَتَرَ بغُفّة من قوام العيش ، ورَزَق شُعْبةً من القناعة أوفتْ على جزيل الوفر » وفي الاغريضية [3] « فأما في النشب فلم تزل لى بحمد الله تعالى وبقاء سيّدنا بُلْغتان بُلغة صبر وبُلغة وَفْر » ومرّ من ر الى الداعى أنه لا يحبّ الاستزادة من المال . ولا يؤثر الإثراء على الإقلال . وكان الوزير أبو القاسم المغربي أيضاً طلبه بمصر فكتب اليه مثل ما كتب الى الداعى[4] . ولا كان يحب السفر ليتموّل قال. ل :

إلزم ذَراكَ وان لقيتَ خَصاصةً فالليث يستر حالَه الإخدارُ

---

(١) قال فى ر له الى أبى طاهر ص ٤٢ « قد كان يجب . . . أن يقتصر من بر الجماعة على ماساله من الحاجة المؤذية . . . فالآن جاءت الحاجة ميسرة والهدية مضاعفة موفرة . . . فالحمد لله ولولا التمسك بطاعته والخشية من الملام سخطه . . . ان مافعل سرف ولو انه من بحر يغترف . لو كان قليلا او وسطاً لكان العذر فى قبوله منبسطا . فاما هذه القيمة التي هى بغية للمهاجر وبضاعة للتاجر اه »

(٢) ص ٦

(٣) ر ٢٠ وفيها النسب و لعنة وفر بالفاء وصحح،ر صبح الاعشى ١٤ : ١٩٠ وقد سرد الاغريضية بتمامها ونسخته أصح من نسخة الرسائل . وما للوفر والبانة ؟ والوقر يريد من الوقار والله اعلم

(٤) ر ص ٥٦ ولفظه ولو كنت من نفسى راضيا لشرفتها بزيارة حضرته ولكنى عنها غير راض اه

لم تدر ناقة صالح لما غدت أن الرواح يُحَمُّ فيه قُدار

وكون الفتى فى رهطه نيل عزّة على أن داء الدهر ليس له حَسْمُ

ولم يكن(١) تعليمه وتأديبه ترشيحاً له على أن يحذو حذو المتنبيء فى الحصول على جوائز الملوك والامراء. وإنا لنربأ بصاحبنا أن يخْلدَ الى زهرة الحياة وقد أتينا على شهادة الرجل فى نفسه من مقدمة س. على أنه لا يرى مكاسب الشعراء من الحلال المُباح فيما يدين الله به كائنا ما كان، مع تنفير الرجل عن أكل مال الحرام والترغيب فى الحلال. وله فى المعنى شعر كثير. ل:

وما شعراؤكم الا ذئاب تَلَصَّصُ في المدائح والسباب

سيّان عندى مادح متخرّص فى قوله وأخو الهجاء إذا ثَلَبْ

فِرَقًا شعرتُ بأنها لا تقتني خيراً وأنّ شرارها شعراؤها

تكسّب الناس بالاجسام فامتهنوا أرواحهم بالرزايا فى الصناعات

وحاولوا الرزق بالأفواه فاجتهدوا فى جذب نفع بنظم أو سجاعات

كلوا طيّباً فالطيب فيما طعمتم يُبين على أفواهكم خالص الشكر

لا تأنفَنْ من احترافك طالباً حِلاًّ وعَدّ مكاسب الفُجّار

فالمجد أدركه على عِلاّته قومٌ بيثربَ من بنى النجّار

ومُغْرَمٌ بالمخازى طالبٌ صلةً مُغْرًى بتنفيق أشعار له كُسُدِ

متى ما تُصِبْ يوماً طعاماً لظالم فقم عنه وافغرْ بعده فَم قالس

خذي من رزق ربكِ غير بسل كما أخذتْ من المرعى الوُحوشُ

---

(١) كما زعم مرجليوث ١٧

ويُعجبني دأبُ الذين ترهبوا سوى أ كلهم كدّ النفوس الشحائح

الأبيات الثلاثة :

وأرْوَحُ الرزق ماوافاك فى دَعَة حِلاً وقُسّم في أيّامه بُلَغا

جَهِلتُ، اقاضي الوىّ أكثر مأثما بما نَصَّه أم شاعر يتغزّلُ

لا خير فى جزل العطاء أتى رجلا بأن كلامه جزْلُ

يرجو فيمدح غيرَ مرتقب رَبّاوكلٌّ كلامه إزل[1]

خير لعمري من جمائله[2] الـــكُرْم الجلاد جمائل جُزْلُ

شَهَرَت سيوفَ الهند طائفةٌ كذُبٌ وأفضلُ منهم العُزْل

والبَرّ يلتمسُ الحلال ولم أجد هذا الورى الاّ فقيداً رِحلُهُ

اذا فاتكَ الإثراءُ من غير[3] وجهه فإن قليـل الخَلّ أولى وأبْرَكُ

وكذلك لم يكن يستبيح لأحد من الممدّحين أن يجلسوا لسماع المدائح ويبطروا . ل :

وأقلُّ عيبٍ من جلوس ممدّح للوفد يقصِد أن يروح مؤبَّنا

وتحبّ أن يُثنى عليك بأنك الـــبَرّ التقىّ وأنت صِلّ أرقم

لا يقال إنه كذا كان في عُزلته ولكنْ مَدَح في دَوْر حياته الأول سنة[4]

---

(١) كذب

(٢) يشير الى خبر النابغة مع النعمان وقوله :

الواهب المائة المعكاه زينها سعدان توضح فى أوبارها اللبد

والجزل بالضم من الجزل محركا وهو الدبر

(٣) كذا ؟ ولعل لفظة غير مصحفه

(٤) كما جاء في عنوان أول قصيدة فى س في نسخة الخزانة الاهلية بباريس.

٣٩٠ هـ سعيد الدولة حفيد سيف الدولة ولا يخلو مثل هذا عن غرض . فإن ما تقدم عن مقدمة س ليس الا لدفع مثل هذا الوهم . على انه لم ينقل لنا التاريخ أنه دخل حلب حضرة السعيد بعد سنة ٣٨٣ هـ عام خَتْمه طلبه كما مرّ فأين أنشده شعره على أنه كان ثَمّة كثيرٌ من جِلّة الشعراء يفضُل عليه أشعارهم وهو ابن ٢٠ سنة . فلم يكن هذا المديح وأمثاله إلا على معنى الرياضة وتمرين الخاطر كما مرّ من قوله ليس الا . على أن الرجل كان أحيى[1] من العذراء في خِدْرها فكيف يسمح له حَياؤه أن يقوم مقام مجتَدٍ متملّق ، من أميرٍ متمدّح متفيهق . وقد عقد ابن العديم بابا برأسه وهو ا١٣ من العدل في قناعةً نفسه وشرفها وعفّتها عن أخذ صلات الناس وظلمها ـ

ولم يكن[2] يصل اليه من تلامذته شيء بل كان بضدّه يَصِلهم كما سيأتى في حكاية البطيخ في ذكر بضاعته . قال الذهبي[3] وكان يعتذر الى من يرحل اليه من الطلبة فإنه كان ليس له سعة ، وأهل اليسار بالمعرّة يعرفون بالبُخْل وكان يتأوّه عن ذلك ونذكر كثيرا من شعره في المعنى ومنه نَقْداً . ل :

ماذا تريدون لا مالٌ تَيَسَّرَ لى فيستماحُ ولا علم فيقتبَسُ

وأما حاله في ذلك ببغداد فهذه أبيات من قصيدة كتب بها الى أبى حامد الإسفرائنى عند دخوله بها :

ولا أُثقّل في جاه ولا نَشَب ولو غدوتُ أخا عُدم وإدقاع

(١) قال س : ٢ : ٣٧ :

لك الخير قدا نفدت ماهو ملبسى حياء وعند الله من قائل علم

(٢) كما زعم مرجليوث ٣٤ من عدم معرفته بعادة اهل المشرق في ذلك

(٣) ١٣٠ ـ وهذا التبريزي تلميذه وصله الخطيب ابو بكر اذ كان التبريزى يشتغل عليه بقراءة كتب الادب بجامع دمشق بخمسة دنانير ثم باخرى مثلها وانظر تذكرة الحفاظ ٣ : ٣١٥ —

ان الهدايا كرامات لآخذها إنْ كُنَّ لسن لإسراف وإطماع
ولاهديّة عندى غيرُ ماحملت[1] عن المسيَّب أرواحٌ لقعقاع
مُقِلٌّ من الأهلَيْنِ يُسْرٍ وأُسْرةٍ كفى حزَناً بَيْنٌ مُشتٌّ واقلالُ

وكان أبو طاهر وَصَّى أصدقاءه من أهلها به فكلما [2] سألوه انجاحَ حاجة أو قضاء طلبة يُعرض وينشد (لزهير):

ومن لا يزلْ يستحمل الناسَ نفسَه ولا يُعفْها يوما عن الذُلّ يُسأَمِ

وكانت المُهاداة كما مرَّ جاريّة بينه وبين أصدقائه . وكان صريع الدلاء ذو الخلاعتين البصرى المتوفَّى سنة ٤١٢ ﻫ استهداه قُبيل وفاته خمرا فأرسل اليه قليل نفقة واعتذر بقطعة منها [3] :

فإنْ يك ما بعثت به قليلاً فلى حال أقلّ من القليل

ثم ان القاضي عبد الوهاب المالكى نبا به المقام ببغداد فرحل ولقيه بالمعرّة فقَراه أبو العلاء ، ولما أراد النُقلة منها الى مصر حيث تُوفِّى بُعيد الوصول على ما يأتى أهداه ثلاثين درهماً واعتذر بقطعة وهى في س [4]. وذكر ابن العديم في العدل في الباب الثـانى كثيراً من أمثلة كرمه على قلة ماله ، وجوده على نزارة موجوده .

ولعل الأمراء أيضاً كانوا يهادونه وفي س [5] قطعة الى رجل أهداه شيئاً

---

(١) أي القصيدة

(٢) ر ٣١ — وذكر أن أهلها عرضوا عليه لما عزم على الرجوع عنها أموالهم عرض الجد فصادفوه غير هش الى معروف الاقوام ر ص ٣٥

(٣) س ٢ : ٢٤ -

(٤) ٢ : ١٣٨ -

(٥) ٢ : ٣٧

وأخرى [١] الى من أهداه كتابا ثبت عليه سماعه ـ وكان أيضا يُهْدِى [٢] الى الناس ـ

وقال الرّحالة الفارسي [٣] وكان زار المعرة سنة ٤٣٨ هـ ما تعريبه « وكان بها رجل ضرير يدعى أبا العلاء وكان أمير البلدة . وله من النعمة والعبيد والخَدَم ما يُستَكثَر ، وكان جُلّ أهلها كالعبيد له إلا أنه سلك طريق النُسك وتردّى ببُرْجُد في بيته . وكان يأكل كلّ يوم نصف مَنّ من خبز الشعير لا غير [٤] . وبلغني أنه فتح بابه ويتولّى عنه نوّابه وعُمّاله أمور البلدة إلاّ فيما يَهُمّ فيرجعون إليه . وهو لا يمنع أحدا مما آتاه الله ويصوم الدهر ويقوم الليل ولا يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا .... وقيل له [٥] إن الله خوّلكَ ما نرى من المال والنعمة لماذا تعطى الناس وتبذلهم ولا تتمتّع أنت بنفسك . فقال ليس لى منه إلاّ ما أتبلغ به من القوت فحسبُ . ولمّا وصلتها كان حيّاً يُرْزَق ا هـ واغترّ بنقله هذا بعض أهل العصر [٦] فزعم أنه تولاّها من قِبَل صالح حين قال له قد وهبتها [٧] لك على ما يأتى في خبر صالح وهذا باطل نفصله . ويستدلّ لثرائه غير ما مرّ بحكاية أسامة المارة في حفظه ـ إلا أنّا لم نر للرجل بيتاً فذّاً في المعنى ولا أثبته

---

(١) ٢ : ٢٢٤ . (٢) اهدي الي بعض العلوية قليل نفقة واعتذر بر الا ٩ . والى مجهول فستقامع رس الا ٢٩ — (٣) سفرنامه ناصر خسرو طبعة برلين ص ١٠ ـ

(٤) من نحو الادام فانه ربما تركه ليلا كما قال :

أقفرت من جهتين قفر مفازة وطعام ليل جاء وهو قفار

اي بلا ادام

(٥) وقال:

ويقول الغواة خولك الله كذبتم لغيري التخويل

(٦) صاحب ذ ٢١٥

(٧) معناه صفحت عن زلة أهل المعرة من أجلك لامازعم صاحب ذ ٢١٥ ولفظ أبى غالب المعرى وهو العمدة (أدبا ١ : ٢١٦) قد وهبتهم لك ـ وأما رواية قد وهبت لك المعرة وأهلها فليس الا عن مجهول كما يأتي

أحد من مترجميه فلا بدّ أن نأوّل كل ما جاء من هذا القبيل بأنّ الرّحالة استنتج هذا لما سمع باحترام النـاس له ، فلا غرو أن أهلها زادوا في تكريمه مذ أنقذهم من أيدي صالح ، والرّحالة لم يكن لقيه وإنما روى ما بلغه [1] في الخان الذي نزله . وبأن بيته لا ريب بيتُ قضاةٍ مثْرين الاّ أنه لم يصله من ثَرائهم ما يؤثَرُ ولعل سببه الفِتن المتوالية التى كانت تُهدّد الشام من هجوم الاعراب وشَنّهم الغارات . وطمعِ العُبيديين في تملّك الشامات . وهذا كلّه من جهة أنا نرى التاريخ [2] حفظ لنا تغلّب القاضى وادع عليها . ومرَّ في بنى سليمان فلِمَ أغفل عنه مع اعتناء الناس بشؤونه وأخباره أكثر بكثير من عنايتهم بوادع . ولا نُقِل عن أبي اليسر في المعنى شيء . نعم روى ياقوت [3] عن الكمال بن العديم قال قرأت بخط أبي اليسر شاكر المعرّى أن المستنصر صاحب مصر بذل لأبي العلاء ما ببيت المال بالمعرّة من الحلال فلم يقبل منه شيئاً وقال قِطْعتين (وانظرهما في الفائت أسْوانِ . رزقى) ومثله في النكت [4] وغيره . وروى [5] القفطيّ أن طُلابه ذكروا بحضرته يوما بطيخ حلب قال فتكاف أبو العلاء وبعث من جاءه منه بحمل فأكلتِ الجماعةُ وأفردوا له منه شيئاً لم يذقه ولم يَعرّض له حتى فسد. والرواية ليست تدلّ [6] على أنه كان يملك من المال وَفْراً . وانظر فيها لفظة « فتكلّف » على أنه كان من السهل عليه أن يكتب فيه الى أخواله وزد عليه أنّ البطّيخ مما لا يُعوِز على المُقِلّين . وله كثير من الشعر في معنى القنـاعة والتبلّغ

(١) سفر نامه ١٥

(٢) تاريخ ابن القلانسى س ١٣٢

(٣) أدبا ١ :٨ ١٧

(٤) س ١٠٥

(٥) ذ ٢١٦

(٦) كما اغتر صاحب ذ ٢١٦

يا الكفاف في أدوار حياته الثلاثة . س[1]:

قنعتُ فخلت أن النجم دونى   وسيّان التقنّعُ والجهاد

فما ينفكّ ذا مال عتيد   فتًى جعل القُنوعَ له عتادا[2]

ومن المقول ببغداد:

سيطلبنى رزقي الذى لو طلبته   لما زاد والدنيا حُظوظ وإقبالُ[3]

رحلتُ لم آت قرواشا ازاوله   ولا المهذّب أبغى النيل تقويتا[4]

والموت أحسن بالنفس التى الفت   بعزّ القَناعة من أن تسأل القوتا

ومن ل وهو كثير جدًّا:

وهى النفوس اذا تميز بينها   فأعزّها في العيش مقتنعاتها

الحمد لله قد أصبحت في دعةٍ   أرضى القليل ولا أهتمّ بالقوت

لكن اقضّى مدّتي بتقنّع   يُغنيْ وأفرح باليسير الأروَج

كشفيَ رأسي وافتقارى بها   خيرٌ من التمليك والتاج

أرضى الأنام تقىٌّ فى ذُرى جبل   يرضى القليل ويأبى الوَشْيَ والتاجا

آليت ما مُثرى الزمان وإن طغا   مُثرٍ ولا مسعوده مسعود

ما سرّنى أنى إمامُ زمانه   تُلْقَى إلىّ من الامور مقالدُ

---

(١) س ١ : ٦٥

(٢) س ١ : ١٧١

(٣) س ٢ : ٥٥

(٤) س ٢ : ١١٩ و ١٢٠

فزَجِّ دنياكَ فما يخلدُ الـــــناقص في العيش ولا الزائد

قوتي غِناي وطِمري ساتري وتُقى مولاي كنزي ووِرْدُ الموت موعودي

محمودنا الله والمسعود خائفه فعَدِّ عن ذكر محمود ومسعود

واذا غلا البُرُّ النقيُّ فشاركِ الـــفرسَ الكريمِ وساوِ طِرْفَكَ تمجُدِ
واجعل لنفسك من سليط ضيائها أُدُما ونَزْرَ حلاوة من مُنْجدُ
يكفيك صيفَك من ثيابك ساترٌ واذا شتوت فقطعة من بُرْجُد
أنهاكَ أن تلي الحكومة أو تَرَى حِلْفَ الخَطابة أو إمامَ المسجد
تلك الامور كرهتُها لأقاربٍ وأصادق فابخَلْ بنفسك أو جُدِ

مَن لِيَ أن لا اقيم في بلد أُذكَر فيه بغير ما يَجبُ
يُظَنّ بيَ اليُسْرُ والديانة والـــعلم وبيني وبينها حُجُبُ

أضحت تُظَنّ بكَ الديانةوالغِنى والعلم فاهتاجت لك الحُسّاد

هذا وربّ صديق لي أفاد غِنىً زهدتُ فيه على عُدْمي وإزهادي

لِيَ القوتُ فليعمُرْ سَرَنْدِيبَ حظُّها من الدرّ أو يكثر بعانة تِبْرُها

ومن يذخَرْ لطول العيش مالا فإن تُقايَ عند الله ذُخري

ما سرَّني بقناعة أُوتيتُها في العيش مُلكا غالبٍ وذَمار

والمُدُّ يكفيك ولكنَّ في طبعك أن يُدَّخَرَ الكُرُّ

دنيا كم لكمو دوني حكمت بها حُكم ابن عَجلان[1] يَجنيها الذي أبرا

---

(١) هو مالك .وراجع الخبر في الكامل لبسيك ص ١٣٧

ماذا تريدون لا مال تيسَّرَلي فيستماحُ ولا علم فيقتَبَسُ

ما كنتُ ذا يُسر فأجمعه ولا ذا صِحةٍ فأحالفَ التغليسا

واتهامي بالمال كلّف أن يُطـلب مني [1] ما يقتضي التمويل

ويقول الغُواة خوّلك اللـه كذبتم لغيري التخويلُ

قطعنا الى السهل الحُزُونةَ نبتغي يساراً فلم نُلْفِ اليسير ولا السهلا

ألم ترني حميتُ بناتِ صدري فما زوّجتهنّ وقد عَنِسْنَه
ولا أبرزتُهن الى أنيس اذا نُورُ [2] الوحوش به أَنِسنه
ورُضْتُ صعابَ آمالي فكانت خيولا في مراتعها شَمِسنه
ولم أُعرض عن اللذّات إلاّ لأن خيارها عني خَنِسنه

ولي أمل كأنه القنا وحال كأقصر سهم يكون
فيا ألف اللفظ لا تأملي حَرا كأفالكِ الاّ السكونُ

إني أُواري خَلَّتي فأُريهم رِيّاً وفي سرّ الفؤاد أُوار [3]

وما سَرَّني أني ابن ساسان أغتدي على الملك في الألوان أُصبح أو أُمسى

فلسٌ ما اخترتَ انَّ أرْوَحَ من يَسار قارون عِفّةٌ وفَلَسْ

يُغني الفتى مَلبَس يُستّره وقوته في دُجى الظلام فقط

(١) من الزكاة — (٢) نوافرها —

(٣) من قوله «قطعنا» الى هذا البيت : يرمي الى غرض غير القناعة. ولعلنا نلم به في أبوابه بعد ذلك —

صَدَقْتُكَ صاحبي لا مال عندي وقد كثر الضيافنُ والضيوف

ووجدتُ نفس الُحرّ تجعل كفَّه صِفرا وتُلزمه بما لم يَلْزَمِ

شعر صباه

قالوا إنه قال الشعروهو ابن إحدى عشرةسنة أو اثنتي عشرة سنة(١) . إلا أننا أخّرنا هذا الباب ظناً منّا أنه لم يدرج في س مما قاله باديء بدء من عمره شيئاً وجلُّ شعر صِباه في س مما قيل بين ١٣ـ٢٠ من عمره ـ وأظن أن قصيدتيه اللتين أولها :

أليس(٢) الذى قاد الجياد مُغِذّةً روافلَ في ثوب من النقع ذائل

لتَذكُرَ (٣) قضاعة أيامَها وتُزْهَى بأملاكها حِمْيَرُ

واللتين في عنوانهما « قالها في الصبِي » أنشأهما في هذا العمر فإن لم يُخْلِف ظنّي فقد أتى بفِلْقة من الفِلَق ـ ودهاناً بينت طَبَق . حيث قال في الأولى :

إذا الناس حلَّوْا شعرهم بنشيدهم فدونك مني كلُّ حسناء عاطل

ومن كان يستدعى الجمال بحِلْية أضَرَّ به فَقْدُ البُرَى والمراسل

وهذا المعنى مما لا يستطيعه القُرَّح والنِيْب ، فأنّى يكون لقريع منه نصيب ، غير أنه كما قال:

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

ومما يقوّي ماذهبنا اليه ما قاله التبريزي في شرح السِقْط أنه كان يغيّر شعر صباه . ويشهد له مايوجد في عناوين بعض القصائد من لفظة (٤) « من قصيدة »

---

(١) نكت ١٠٣ ومعا ١:٤٩ .

(٢) س ٢ : ٢٠ : في عنوانها « قالها في الصبي »

(٣) س ٢ : ٢٤ وفي العنوان كالسابق

(٤) س ١: ١٦٣ و ٢: ٢٤ و١٥ .

وأرى أن ما خلا منها من المطالع المصرَّعة أيضا من هذا القبيل . ولم يأتِ في عنوان رثائه لأبيه إذ تُوفي وعمره ١٥ عاما شيء من ذكر الصبا فلعلّه قيل بعد وفاته بمدة غير طويلة . ولم يرد ذكر الصبي في أول قصيدة من س وكان قالها سنة ٣٩٠ هـ إذ كان ابن ٢٧ عاما إلا أشهرا .

فترة الشباب

أو خمسة عشر عاماً وأشهر

٣٨٣ — ٣٩٨

لعل رحلاته التي رحلها إلى أمهات بلاد الشام اختارها بعد وفاة والده لأنه صرَّح بنفسه أنه لم يتعلّم بعد العشرين مِن مُعْرِق ولا شامٍ. وكان الرأي له بعد مفارقته والدَه الرحيم وأدَبه العميمَ أن يتعلّلَ بلقاء الرجال ،ويتسلى بشد الرحال . فقضى أربه منها قبل سنة ٣٨٣ هـ . ثم أقام بالمعرَّة في بيته يشتغل بالتعليم لبعض أبناء وطنه وسماعِ كتب النحو والعروض والأدب واللغة والأخبار من أصحابه ليستكثر حَظّه من العلوم . ويُتقِنَ معرفته بهاتيك الفنون . وفي خِلال ذلك كان يمرّن خاطره ويَرُوضه على قَرْض الشعر وإنشاء الأسجاع والترسّل الى علماء الأدب وأمراء بلاده ووزرائها (١) . وقد حفظ لنا التاريخ أنه كان مدة هذه الفَتْرة كَلِفا بالعلم مُغْرًى به غرام المشوق بالشائق . كأنهما العَذْراء ووامق

رضيعَيْ لِبان ثَدْيَ أمٍ تقاسَمَا بأسحمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفرّقُ

يحبّ منه الاستكثارَ والاستئثارَ . وربما ضاق ذرعا إذ لم يجد في أنحاء

---

(١) قال الدلفي على مافي التتمة وحضرته يوما وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء : وافي الكتاب وأوجب الشكرا... الابيات . وهي في الفائت

بلاده والأقطار . ما يُروى غُلَّة حرّانَ ، وينقعُ غليلَ القلب بالرَّشفانِ .
فيُحدّث نفسه بمفارقة البلاد ، والمجال في الأرض والمستراد . وربما تسامى به
قَرونه المتشوّقة إلي رحلة بغداد . كما قال. س [1] :

كَلِفْنا بالعراق ونحن شَرْخ فلم نُلمِمْ بها إلا كُهولا

إن فسدت من زمنى نيَّةٌ أو ظهرت منه خَبيّاتُ
فالأعوجيّات لنا عُدّة تَقْدُمهنّ الأرحبيّاتُ [2]

إلا أنه كان ينكُصُ على عقبيه حينما يتفكر في مشاق الشقّة ومتاعب الرحلة وضيق ذات اليد . وهُجوم العلماء بها ماتَغَصُّ بهم ويختنق منها المقلَّد. إلا أنه يُقنع نفسه ويخفّض جأشه على رأى يرتئيه وفكر ينتحيه وهو أن الرحلة اليها تجلب له من الإكرام واحتفال الكرام حينما يَسْبقه صيته إليها وسُمعته الطائرة تتغلغل قبله بِمسْمَعَيْها .

وفي هذه [3] المدّة زاره أبو الحسن الدُلَفِيُّ المَصّيّصيّ الكاتب الذي نقل عنه الثعالبي في تتمّة اليتيمة أخباره . فإنه صرّح أنه لقى الدُلَفيّ في مدة ثلاثين سنة . وتوفيّ الثعالبي سنة ٤٢٩ ﻫ

ونرى أن جُلَّ شعر السقْط غير ماقيل في الصبا أوفى أمر بغداد والدرعيّات وغير قليل من المقاطيع أُنشيء في خِلالها . كقطعة له إلى شِطْرَنجيّ [4] ولاميّته على لسان سائق الحاج [5] ورثاء ابي حمزة وكان مات قبل الأربعمائة كما

---

(١) ٢ : ٨٣ .
(٢) ١ : ١٧٨ .
(٣) بدء التتمة نسخة باريس الخطية وانظر ترجمته في حاشيتنا في باب طلبه العلم .
(٤) س ٢ : ٢٢٣
(٥) ٢ : ٢١٩

في الجواهر المُضيئة (١) ورثاء أبي إبراهيم العَلَوي (٢) وقصيدته (٣) إلى ابن جَلَبات الميمية وما مدح به الأمراء كسعيد الدولة (٤) وأبي الرضَى الفُصَيْصي (٥) أو أنشأه (٦) بطلب منهم وفيها أجاب شاعرا يسمّى المفضّل (٧) عن قصيدة قافية مدحه بها بأخرى على رويّها وفيها خاطب أبا الخطّاب الجُبُلي القصير وكان فارق وطنه بالعراق وزاره ببائية (٨) وكان مدح صاحبَنا بقصيدة وأعطاه نُسختَها. وفيها صنع لابن السقّاء دالية (٩) وكان سأله أن يعمل له قصيدة إلى صاحبه يصف فيها ماشاهد منه من الوفاء والإخلاص.

وأرى أنه كتب من المعرة في خلالها إلى خاله أبي طاهر - وكان ببغداد - أن يستنسخ له شرح الكتاب لأبي سعيد السيرافي كما مرّ مع إيضاح مَدْحَضَةَ مَزَلّةٍ هوى فيها كثيرون .

وإن صحّ خبر عرض أبي نصر المنازي الوزير شعره عليه بالمعرّة ثم ببغداد كما يأتي بيانه فإنه أيضاً في خلالها

(١) حيدر اباد ١ : ١٩٦ والرثاء في س ١ : ٢٠٨ وليس المرثى به ابا الخطاب الجبلي كما قاله السمعاني وتبعه ياقوت على ما نفصله فيما بعد .

(٢) ١ : ٢٠١ . وله غير الرثاء اليه والى اخيه قصائد ١ : ٥٦ ، ٩٠ ، ١٨٣ .

(٣) ١ : ٩١ .

(٤) ١ : ١٤، ٤١ ، ٥٣ ولم يذكر اسمه في الآخرين

(٥) س ١ : ٣٠ والمعاهد ٢ : ٩٨ . وقد عثرت بعد ما دل الفحص في انباء الرواة للقفطي بخطه في ترجمة محمد بن جعدر أن له شعرا في مدح ابي الرضى الفصيصي قال والفصيصيون مقامهم بحلب وقد كان منهم من يتجند في ايام آل حمدان - ويعلم من رائية المعرى انه من قحطان من تنوخ كما في التنوير

(٦) ١ : ١٤٧ -

(٧) ١ : ١٤٧ . ولعله المفضل بن محمد ابو المحاسن المعري وكان معاصرا لابي العلاء وترجم له في البغية ٣٩٦ أو هو المفضل بن سعد الذي خلف صاحبنا بحضرة عزيز الدولة لما اعتذر بكبره على ما نقله مرجليوث عن الكمال ابن العديم ص ٣١ ولكن الصواب المفضل بن سعيد ابن عمرو المعرى قال الثعالبي في التتمة ويلقب بالعزيزى اه . ويأتي في الحكام

(٨) ١ : ١٥٣

(٩) ١ : ١٧٤

أبو القاسم الوزير المغربي
وأبوه أبو الحسن[١]

أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين نمى الحافظ بن عساكر. وابن خلكان نسبه إلى ساسان ثم منه إلى بهرام جُوْرَ وأسند هذا الأخيرُ سياقة النسب إلى ابن الصيرفي وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور . ونقل عن أدب الخواص للمغربي أنه مغربي حقيقة .

ونقل ابن أبي الحديد العلاّمة المعتزلي عن أبي جعفر العلوي النقيب أنه كان يُنْسَب في الأزد ويتعصب لقحطان على عدنان وللأنصار على قريش وكان غاليا في ذلك مع تشيّعه . ثم نقل أن القادر وجد في مجموعة بخطّه قصيدة طويلة غضّ فيها من عدنان إلى غيرها من الهنات . ومنها في النبي صلى الله عليه وسلم :

نحن الذين بنا استجار فلم يُضَع ... فينا وأصبح في أعزّ جوار
بسيوفنا أمست سَخينةُ[٣] بُرّكا ... في بدرها كنحائر الجزّار

إلى آخرها وهي طويلة . ومن أخرى وُجدت بخطّه :

إن الذي أرسى دعائمَ أحمدٍ ... وعلا بدعوته على كيوان
أبناء قيلة[٤] وارثو شرف العُلى ... وعَرَاعرُ الأقيال من قحطان

---

(١) هو الاكثر وأبو الحسين في بعض المواطن أظنه تصحيفا . واخذنا هذا الفصل عن الوفيات ١ : ١٥٥ ور ابن العارح ٢٠٨ والغفران ١٨٥ — ١٩١ وابن عساكر ٤ : ٣٠٩ وتاريخ ابن القلانسي ٦٢ — ٦٤ وغيرها والكامل ٩ : ٣٦ ، ٣٧ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٥٠ وابن أبي الحديد ٢ : ٦ و ٤ : ٥٠٧ واللزوم ٢ : ٣٦٦ وجرزة الحاطب والشريشي وغيرها قال الباخرزي في الدمية قرأت في رسائل ابي العلاء المعري ما نبهني عليه وعرفني درجته في البلاغة واختصاصه من صناعتي النظم والنثر بحسن الصياغة وكان يلقب بالكامل ذي الجلالتين اه وهذا يكفي في اثبات فضله .

(٢) نبزلقريش

(٣) ام الاوس والخزرج .

فغَضَّ القادر بذلك من دينه . وكان أبو القاسم يتبرأ منهما ويجحدهما . ولسنا نجزم بما أتى به النقيبُ ولا نظُنّ ، فإن النقيب ليس بمأمون عندنا فيما له علاقة بالمذهب الذي ينتحله.على أن التّاريخ يسمّي لنا كثيرا من رجال عصره نُسب اليهم ببغداد وأُمهات البلاد ماهم منه بَراءٌ براءة الذئب من دم ابن يعقوب . فإن صَحّ وقيل فيه « أأزديّا مرة وقيسيا أخرى » أنشدنا فيه قول[1] عِمْران بن حِطّانَ ـ عاذرين إياه والحقّ أنه يَبْسُطُ له العُذْرَ ماعاناه من صروف الحدثان :ـ

يارَوْحُ كم من أخي مثوًى نزلتُ به قد ظنّ ظَنَّك من لَخْم وغسّان
حتى إذا خِفْتُه فارقتُ منزلَه من بعد ماقيل « عمران بن حِطّان »

***

فاعذِر أخاك ابن زنباع فإن له في النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمانٍ إذا لاقيتُ ذايمن وإن لقيتُ معدّيًّا فعدناني

كان[2] أبو الحسن والده من أصحاب سيف الدولة . قال ابن القارح « كنت أدرس على أبي عبد الله بن خالويه وأختلف إلى دار أبي الحسين[3] المغربي [بحلب] ثم إنه انتقلت به الأحوال حتى صار كاتب بكجور[3] ووزيره . وكان بكجور غلاما لفرغويه[4] أحد غلمان سيف الدولة. وكان فرغويه قد استناب بكجور في حلب فلما قوي أمره قبض على مولاه وحبسه في قلعتها . وأقام نحو ستّ سنين ـ ثم إن سعد الدولة أبا المعالي بن سيف الدولة تغلّب عليها وأخرجه منها وولاه حمصَ فكتب إلى العزيز صاحب مصر أن يولّيه دمشق فولاّه إيّاها . ثم كاتبه

---

(١) رأس القصد من الصفرية . وانظر الكتاب الكامل للمبرد مصر سنة ١٣٢٣ هـ ٢ : ١٢٣

(٢) كامل ٩ : ١٣٧ وقارح ٢٠٨ ـ

(٣) كامل ٩ : ٣٦ ـ

(٤) وفي بعض الكتب فرعويه وفي بعضها قرعويه ـ

يُطمعه في أخذ حلب باشارة من وزيره أبي الحسن فوعده بالإنجاد إلاّ أن أسباباً عرضت دون مُناه فأخذه سعد الدولة وقتله . وكان أبو الحسن انتقل إلى الرّقة لمّا أحسّ بسوء العاقبة. ولكن لما سار سعد الدولة إليها أيضاً فرّ منها إلى مشهد عليّ . ثم ان أبا الحسن انتقل منها إلى مصر عند العزيز [وتوفيّ هنا سعد الدولة وخلفه ولده أبو الفضائل سعيد الدولة] فعظّم له أمر حلب وهوّن أمر تملكه عليها له . فسيّر إليها منجوتكين صُحبة أبي الحسن ليقوم بالأمروالتدبير . وتحصّن أبو الفضائل . وكان خادمه لؤلؤ الموكَّل به من قِبَل أبيه كاتبَ ملكَ الروم بسبيل في الاستنجاد فأنجده بخمسين ألفا [1] . فجنح منجوتكين إليهموقتل منهم ونهب وسَبَى ما شاء . ثم رجع الى حلب . فلما يئس لؤلؤ من الروم كاتبَ المغربيَّ وبذل له المالَ على أن يشير على منجوتكين بالانصراف . فانصرف الى دمشق . ولكن العزيز لم يُعجبه صنيعه هذا ، ووجد أعداء المغربى طريقاً الى الطعن عليه والوقيعة فيه . فصرفه . ثم أرسل منجوتكينَ فى العام القابل اليها وجهّزه بالعُدّة والعديد . فاستغاث لؤلؤ الى ملك الروم . فسار بنفسه وهزم المصريين أقبحَ هزيمة فعظم على العزيز ذلك . فخرج بنفسه في عساكر كثيفة ولكنه توفي في طريقه . وخلفه الحاكم ذلك الفاتك القاسي القلب الجسور . وكان من تقلّب الوزارة فى عهده ما كان . الى أن تولاّها منصور بن عبدون . قال ابن القلانسي وكان نصرانياً خبيثاً وبينه وبين أبي القاسم ووالده عداوة قديمة لأن أبا القاسم صُرف به عن ديوان السواد . فواصلَ أبو القاسم الوقيعةَ فيه . وكان النصرانى المذكور يعتمد فيهم مثل ذلك ، اذ كان الناظرَ في الدواوين بمصر . حتى تقدّم الحاكم الى السيّاف أن يقتل أبا الحسن ومحمدا ابنَيْ المغربىّ . ففعل . ثم أمره أن

(١) كامل ٩ : ٣٧ وعند ابن القلانسى ٤١ بخمسة آلاف ولكنه غلط يدل عليه ماعند نفسه في ص ٤٢ –

يحضر أبا القاسم وأخويه ويقتلهم قال ابن[١] القارح «وعُذْتُ من الحجّ الى مصر وقد قتل الحاكم أبا الحسن . فجاء نى أولاده سِرًّا يرومون الرجوع اليهم[٢] . فقلت لهم خيرُ مالى ولكم الهرَبُ ولأبيكم ببغداد ودائع خمسمائة ألف دينار فاهربوا وأهرُبُ . ففعلوا وفعلت . وبلغنى قتلهم بدمشق وأنا بطرابلس» اه.وهذا كله سنة ٤٠٠ هـ ونجا أبو القاسم بحيلته وحصل بحِلَّة[٣] حسّان بن المفرّج الطائي صاحب الرملة — ويجيء فى ذكر ولاة عهده — فاستجاره ومدحه بقصيدة بائية جيّدة أوردها ابن القلانسي[٤] فسكّن حسّان جأشه ، وبذل له من الوعود ما أزال به استيحاشه . ثم إن أبا القاسم أفسد نيّة حسان على الحاكم وتوجّه الى الحجاز وأطمع صاحبه أبا الفتوح العلويّ فى الحاكم ومصر واستقدمه الى الرملة . فأنفذ الحاكم الى حسان مالا جزيلا وأفسد معه حالَ أبي الفتوح . فسار أبو الفتوح الى مكة . وقصد أبو القاسم العراق واتصل بفخر الملك الوزير . الا أن القادر اتهمه بتشيّعه وراسلَ فخرَ الملك في إبعاده . فاعتذر هذا وأصحبه الى واسط فبقي معه الى أن قُتل فخر الملك . ثم انه أخذ في استعطاف القادر الى أن صلح له بعض الصلاح . فعاد الى بغداد وأقام قليلا الى أن فارقها الى الموصل واستكتب لصاحبها قِرواش . ولكن لما خافه من جهة مكاتبة الخليفة به فى أمره سار عنه الى أبي نصر بن مروان يمّيًا فارقين — الى أن توفي عنده وقيل عند أحمد ابن مروان صاحب ديار بكر وكان[٥] صار وزيراً له . فحُمل تابوته بتوصيته

---

(١) ر ٢٠٩ —
(٢) كذا — ويعنى المصريين —
(٣) وهذا هو الصواب لا بجلة بالجيم كما هو عند ابن القلانسى ٦٢ —
(٤) ٦٢ —

(٥) وفى ديوان مهيار ١ : ٨٥ ، ٢٠٦ قصيدتان طنانتان فى مدحه احداهما عند تقلده الوزارة سنة ٤١٤ هـ أنشدها اياه فى داره بباب الشعير والاخرى فى استمادته الى بغداد سنة ٤١٥ هـ —

من ميّا فارقين الى مشهد عليّ ودُفن فى قربه سنة ٤١٨هـ وكان وُلد سنة ٣٧٠ هـ على ما نُقل عن خطّ والده (١)

ولا شك أنه كان حُوّلا قُلّبا مِخْلَطا مِزْيلاً أديباً مِصقْعا شاعراً مُفْلِقا داهية . وأكثر الناس يرمونه بأدواء . ويصفونه بكل سَوْأة سوآء . فمنهم من يطعَن فى دينه كما مرّ عن النقيب، وآخر يصفه بخُبث النية وسوء الطويّة كابن الأثير (٢) وكصاحبه ابن القارح فانه بلغ في هجوه الغاية كما في الادباء (٣) ورسالته (٤) المكتوبة الى صاحبنا بعد وفاته ووصفه فيها بالجنون والسآمة والحقد وذكر من سوء صنيعه إذ كان يسعى لنَصْب أبي الفتوح وترشيحه للخلافة ما أضربنا عنه .

أقول وكتاب مُقطّعات مَراثٍ المطبوع بلَيْدِنَ في مجموعة جُرْزة الحاطب هو روايته عن ثعلب (بالوِجادة) وفي طُرّته « نقلتُ من خط . . . عليّ بن ثِروان ابن الحسن الكِندى النحوى ما صورته كان بخط الوزير أبي القاسم المغربى على وجه الجزء ما هذا حكايته ـ جزءٌ جميعه منسوخ من خط أبى العباس اهـ » وله كثير من الحواشي والشروح عليه الدالّة على تضلّعه من علوم الأدب ، ومثله من خط ابن ثِروان على ديوان امريء القيس (٥) صنع السكّري انه نقله من خط ابى القاسم المذكور

(١) الوفيات ١ : ١٥٦ ـ
(٢) ٩ : ١٣٨ ـ
(٣) ٥ : ٤٢٥ ـ
(٤) ٢٠٨ ـ ٢١٠ ـ
(٥) راجع فهرس ليدن ٣٤٧ ـ وابن ثروان هذا ابن عم أبي اليمن الكندى قرأ على الجواليقي وتوفى نحو سنة ٥٦٥.

﴿ عماد المعرّي ﴾

وأما المعرّيّ فانه على رغم ابن القارح كان يحسن فيه وفي أبيه الظنّ . ولم يكن عنده لهما قرْف أو زَنّ . بل عفو وصفْح ، وغضّ وسَمح . كما قيل :

اذا ما أتت من صاحب لك زَلّة   فكن أنت محتالا لزَلّته عذرا

قال في الغفران [١] « وأما انحيازه الى أبي الحسن رحمه الله فقد كان ذلك الرجل سيّدا . ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيّدا . ولمن قوي منهم واداّ . ودونه للنُّوَب مُحاداً كما قال القائل [٢] :

وإذا رأيتَ صديقه وشقيقَهُ   لم تدرِ أيهما ذوو الأرحام

وكما قال الطائى :

كل شِعْب كنتم به آلَ وهب   فهو شعبي وشعب كل أديب

والمثــل السائر [٣] على أهلها تجنْي بَراقشُ . . . . . وما زال الشبّان المحِسّون من أنفسهم بالنهضة يبغون ما شرُف من المَراهص [٤] ، وكيف بالسلامة من الواهص [٥] . ورأى [٦] الشيخ خير من مشهد الغلام . وقال بعده [٧] بصفحات: وأما صديقه الذي جُذب عند السبّر ، فهو يعرف المثل « أعرضْ عن ذى قبْر » . اذا حجز دون الشخص تراب ، فقد تقضّت الآراب . مَن ليم فى

---

(١) ١٨٥ ـ
(٢) الحماسي ـ
(٣) انظر النويرى ٣ : ٤٠ والميداني فى الطبعات الثلاث ١ : ٢ ، ٤٠ ، ٣١٠ ، ٤٢٢ ولاء ـ
(٤) المراتب ـ
(٥) الرأى العنيف والكاسر والشادخ
(٦) الميدانى الطبعات الثلاث ١ : ٢٥٧ ، ١٩٧ ، ٢٦٧ ولاء
(٧) ١٩٠

حال حياته ، استحق المعذرة فى مماته . ولعله نطق بما نطق فى معنى انبساط ، ولا هو بالكلم ساطٍ . ومَن غَفر ذنبَ حيّ وهو يُلحق به الأذاة ، فكيف لا يغفر له بعد الميتة وقد عَدِمَ منه الشذاةَ . وسلامٌ على رسم من مخالس ، يعدل بألف تسليمة فى المجالس وهو يعرف ما قالوه في معنى البيت « وآتي صاحبي حيث وَدَّعا » أي أزور قبره اه . وهذه نفثات أنطقه بها إخلاص المودّة ، والمروّة والفتوّة . والوفاء بالإخوان ، والنصح للأصدقاء والخُلاّن . وتدلّ على ما جُبل عليه الرجل من كرم الشيَم ، عن خال وعن عمّ . « ومن يُشابهْ أبَهُ فما ظلَم » . ورثى أبا القاسم فى ل رِثاء يُنبىء عن بنات الشوق والإخاء ، والصدق والصفاء . وها كه[1] :

ليس يبقى الضرْبُ الطويل على الدهـــــر ولا ذو العَبالة الدِرْحايَهْ
يا أبا القاسم الوزيرَ ترحّلـــــتَ وخلّفتَنى ثِقالَ رَحايَهْ
وتركتَ الـكُتْبَ الثمينة للنا س وما رُحتَ عنهم بسحايَهْ
ليتني كنتُ قبلَ أن تشرب المو ت أصيلا ـ شُرِبْتُه بضُحايَهْ
إن نحتك المنونُ قبلى فإنى مُنتَحاها وإنها مُنتَحايَهْ
أُمُّ دَفْر تقول بعدك للذا ئق لا طَعْمَ لي فأين فَحايَهْ
إن يحُطَّ الذنبَ اليسيرَ حفيظا كَ فكمْ من فضيلة محّايَه

والبيت الثالث ظاهر فى أنه كان جمّاعةً للكتب[2]، وأنه كان له ولَعٌ بها وحُبّ . والآخرُ فى أنه ليس من المكابرين يدّعى عِصْمته . الا أنه يرجو من فضل الله عفوه ورحمته

---

(١) الضرب الخفيف من الرجال . والعبالة الغلظه . والدرحاية القصير • وسحاية القرطاس ماسحى منه أي أخذ . والفحا بالفتح مقصورا توابل القدر وأبازيرها . ومحاية مبالغة فى المحو.

(٢) نقل مرجليوث أن ابا القاسم وقف كتبه على اهل ميا فارقين م ر ١٦٠.

ويوجد له من راليه ثلاث وهي على الترتيب الذي وُضعت عليه رسالة [١] المَنيح والإغريضيّة [٢] وبطاقة [٣] له في الاعتذار اذ طلبه الى حضرته بمصر

فأما الاولى فالذي انتقيناه منها بعد طول البحث وإعمال الرويّة أنها رسالة أدبيّة فحسبُ وصف فيها بلاغة أبي القاسم وأثنى على فضله وأدبه الغزير وأبدى شوقه اليه . ويظهر أن المغربى كان أقام بالمعرّة وخالط رجالها في صباه واصطفى صاحبنا صديقاً لنفسه . فلما بلغ مع أبيه مصر كاتب أهل المعرة عموماً وصاحبنا خصوصاً وأرسل جملة من شعره للعَرْض عليه عادةَ الشعراء به ووعد بارسال شعره ونثره في الآتي أيضاً . فأجابه صاحبنا أن اهلها دَهِشوا لما رأوه من معجزات بلاغته ، وعجزوا عن الجواب فلم ينبِسوا فيه ببنت شَفَة . وأن عبده موسى وافاهم بقصيدتين له ميمية وواوية ثم أطنب في وصفهما بالفصاحة وأن أهلها أرادوا أن يجعلوهما إماما لهم فى الآتى في كل ما يقرضونه من الشعر . ثم ذكر غبطة المعرّة بإقامته فيها فى بعض الأيام الماضية وجرّها على غيرها من البلاد ذيل الفخار فبقيت بعد رحيله منها كجسم فارق رُوحاً. ثم ذكر عزمه على أن يتخذ آثاره مشاهد للأدب محضورة . كما يتقيّل الخلف الصالح آثار السلف الفاضل . ثم عذره وعذر المعرّة في الافتراق بأنها لم تكن تصلح لمثله من النُبهاء . ثم قال وقد أفادت هذه البقعة الصيت البعيد وانقادت لها أزمّة الجدّ السعيد . ليالىَ آمنتها المكارم عليه ، واستودعتها البراعة حدّة أصغريه . فظعن وأرجه مقيم ، وارتحل وللثناء تخييم . ثم التمس منه على بعد المزار وتنائى الديار . أن لايحرم أهل المعرّة إرشاده وحكمته وإبصاره . فإنه وإن ألقى عصا التسيار بمصر فلا يزال أهل المعرّة

(١) ص ٣

(٢) ١٤ وصبح الاعشى ١٤ : ١٩٠ .

(٣) ٥٦ .

يَمُتُّون اليه بالحُرَم والمزالف ، ويترقبون كلاءته ترقب الصيب الوا كف. ثم ذكر أنهم أضاعوا الفُرْصَةَ ولم ينتهزوها بالاقتباس منه أيام كونه بها. ثم قال انهم وإن فقدوا شيئاً لا خطر له إلا أنه خطير لمثلهم ذوى البضاعة المُزْجاة (وهذه الجملة هى التى أوهمت بعض المستعربة) ثم قال إن الأَوْلى بحالهم أن لا يضاهوه في الكتابة والشعر إجلالا له وتكرمة . إلاّ أن قليل العلم منهم وهم بدار المخافة مرتقبين كل آفة لعله يُستطرف منهم خاصّة . وإن زُهي أحد منهم على فضله فإنما زهْوه على أمثاله من مُقِلّي البضاعة . ثم وصفه بكل فضل وأبدى شكر مننه أن أدبه في أدبه كالقطرة من الغدير . وذكر أفضال والده عليه . ثم فضله على الأدباء قاطبة وختمها بقوله « إن إقْدامه على حضرته بالمكاتبة لعرض الحال ، لا لإبداء الفصاحة في المقال. فانه ليس عنده منها إلاّ ذرّة » اه وسردتُ معنى ر لأني رأيت بعض المستعربة وقع في وادي تُضُلِّلَ وَسَلا جمل ، فخلط بين الأب والابن[1] ولم يعرف الهرّ من البرّ. وزعم أن المغربي (؟) أرسل الى أهل المعرّة عامة كتابه لما كانت العساكر المصرية[2] في حصار حلب فانضمت الى المصريين فحمل عليها الحلبيّون إلا أن المصريين أنقذوها من أيديهم . وكل هذه مزاعم أُودعاوٍ زائفة لم يُقم على شيء منها دليلا . وما أجدرها بالردّ الا أننا نُزيفها لئلا يقع في مَهْوَاتها أحد من الأغرار وكثيرٌ ماهم . (١) الكاتب الى اهلها رليس الا أبا القاسم وكان وُلد[3] سنة ٣٧٠ ه وماله[4] وللسياسة في هذا العمر القصير (٢) لم

(١) او نقل ممن خلط بينهما وهو مرجليوث في ترجمة الرسائل .ص ٢ ـ
(٢) وقعت هـذه الفتن مابين سنتي ٣٨٢ ـ ٣٨٦
(٣) على مانقل في الوفيات مما وجد بخط والده أبى الحسن
(٤) على انه الف مختصر الاصلاح الذي قرظه المعري في الافريضية سنة ٣٨٧ وهو ابن ١٧ عاما . فظاهر أنه أرسل الى صاحبنا رسالته وهو ابن نحو ١٥ عاما. لايقال انه وقع ثمة فترة بين الرسالتين فان فيهما ما ينفيه على انه وعد في الافريضية أن ينفذ اليه في كل أسبوع كتابا ص ١٥ ـ

يُنفِذْ كتاب المغربي (؟) من حلب بل من مصر كما في ر[١] المنيح تصريحاً (٣) وجنوح المعرّة وأهلها الى المصريين باطل . فان صاحبنا لم يكن يميل اليهم أو الى مذهبهم بل لايزال يشنّع على نِحْلتهم وينْعَى على حُكامهم سُوْء أعمالهم وانظر النظرة . وإني لاستغرب من هذه الدعوى وهل صاحب حلب فى هذه الأيام إلا أبو الفضائل سعيد الدولة وكان من ممدوحي صاحبنا . وأول قصيدة من س مدحه بها[٢] سنة ٣٩٠ هـ . على أن ابن القلانسي[٣] ذكر أن أبا المعالي سعد الدولة لما كاتبه رجال فرغويه من حلب ليمتلكها سار الى المعرّة فملكها أولا وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له زهير . وكان ذلك سنة ٣٦٦ هـ . فهذا يدلّ على صِلَة المعرّة بسعد وسعيد قبل سنة ٣٨٦ هـ التى سماها ذلك المستعرب وبعدها . على أنا نراه يفضّل أمراء آل حمدان على غيرهم قال . س[٤] :

لاتأمَنَنَّ فوارساً من عامر ... إلاّ بذمة فارس من وائل

نقل الخوارزمى عن التبريزى ماخلاصته أن عامر بن صعصعة هم المستولون على العراق والجزيرة والشام . وآل حمدان ملوك حلب من وائل فكأنه. يشكو فى هذا البيت عامرا ويشكر وائلا وفيه إيماء الى أن فارساً من وائل يعدل بفوارس من عامر اهـ . ومن ل :

ياوالى المصر والإقليم قد حُفظت ... صنائعٌ لك أم كلّ امرىءٍ ناسِ
أُوْدِعْتَ ضِغْناً فلا تَجْحَدْهُ مُوْدِعَه ... إن الأمانة لم تُرفع من الناس
وكل من فوق الثرى خائن ... حتى عُدول المصر مثل اللصوصْ
أيا والى المصر لا تظلِمنّ ... فكم جاء مثلك ثم انصرف

(١) ص٩ ولفظه وان ضرب أرواق البيتية بمصر.
(٢) كما جاء فى عنوان نسخة باريس الخطية من س .
(٣) ص ٢٨ .
(٤) ١ : ١٥٧ .

يقولون فى المصر العُدُول وانما حقيقة ماقالوا العدول عن الحق
ولستُ بمختار لقومىَ كونهم قضاةً ولاوضعَ الشهادة فى رَق
مضى قَبل[١] مصر الى ربه وخلّى السيـــاسة للخائل
أما عرف المقيم بأرض مصر وميض بوارق وَدَوِىَّ رَعْدِ
إن نال من مصر قضاء نازل فمصير هذا الخلق شرّ مصير

والمصر المحلى بأل هو مصر لاغير كما نرجّح . وهذا للتنصّل وقت الحاجة.
وأما بعض جُمَل منرر لها علاقةجزئية بالسياسة فإنها كما يكاتب بهالاخوان ليس غيرُ . فقد كتب[٢] الى أبى أحمد عبد السلام بعد الرجوع من بغداد والفتنة عند صَمّاء . طِعان بالمُرّان ورِ ماء . إنما يجىء الصيف وقدسلّ السيف اه فهل يقول فيها أيضاً انها سياسيّة. وكل هذا نتيجة وَلَع أبناء المغرب بالسياسة لا علاقة صاحبنا بها .

وتصدّى للرد عليه وشَمّر بعض شُبان العصر[٣] الاّ أنه وقع فى مَهْوَاة أخرى فظنّ أن كاتب بكجور هو أبو الحسن الحسين بن على المغربىّ فجعل الوالدمجموعة الأب والابن حيث كناه بكُنية الأب وسمّاه باسم الابن . ثم قال إنا لا نشكّ فى أن الوزير المغربى إنما يطلق على أبى القاسم وحده . أقول ولكن ابن الأثير[٤] وابن خلدون دعوا الأب أيضا وزيرا . والأعمال التى دبّرها مع بكجور تدلّ على وزارته لا كتابته فحسبُ . وأما اختلاف المؤرخين في إطلاق

---

(١) لعله يريد العزيز والحاكم .
(٢) ر ص ٤٧ .
(٣) صاحب ذ ١٥٩ .
(٤) الكامل ٩ : ٣٦ . والعبر ٤ : ٢٥١

لفظي المغربي [١] وابن المغربي على الوالد والولد وعلى عكسه فهذا سائغ فان كلا منهما مغربي وابن مغربي أيضا . كما أن الجمهور يطلقون على التبريزي لفظ الخطيب ولكن ياقوت [٢] يصحح ابن الخطيب فإنه لم يكن بنفسه خطيبا بل أحد أسلافه ولكنا نرى كلى الإطلاقين سائغا جاريا . وزعم أن صاحبنا لقب أبا القاسم الوزيرَ في رسائله ثم استشكل ذاك إذ لم يكن ولى الوزارة بعدُ . وهذا كله دعاوٍ فارغة فإني تقبّتُ عن الرسائل الثلاث فلم أجده يخاطبه بالوزير أصلا [٣] بل خاطبه بالسيّد الجليل وخاطب والده بالسيّد الأجل والأكبر

وأما الاغريضيّة فانها في تقريظ مختصر إصلاح المنطق الذى وضعه أبو القاسم وذكر فيها كالأولى أن لوالده عليه أياديَ . ووصف شعرا له أرسله . وذكر أن عبديه موسى والزهيريّ ورداه وطلب منه موسى جواب كتاب صاحبه وذكر أن له بلُغة يتبرّض بها وأنه في المراسلة به دون والده كمن سجد للشمس زاعما إياها الإلاهَ وأن الرسالة الاولى عرضت منه موضع الإكرام فبعث أختها واجيًا لها بحقها . والذي يهُمّ أنه أظهر فيها وجده الى زيارة فِنائه . والظاهر أن أبا القاسم طلبه إلى حضرته إلاّ أنه اعتذر عنه برسالته ال٢١ ـ

القاضي أبو حمزة التنوخي [٤] وأبو الحسين النكتي وأبو الخطاب الجبلي

فأما الأول فهو الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهَّر ويجتمع مع صاحبنا في داود على ما نماه صاحب الجواهر

(١) انظر ابن العلاسي ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٦١ ، ٦٢ ، وغيره ـ

(٢) المعية ٤١٣ ـ

(٣) بلى خاطبه بالوزارة بعد وفاته في رثائه المار وكان ولى الوزارة قبل موته مرارا ـ

(٤) قاضي منبج كان ـ الوفيات ٢ : ٤١٧ ـ

المضيئة (١) قال ومات قبل الأربعمائة اهـ فرثاه أبو العلاء بداليته (٢) التي أولها:

غيرُ مجْدٍ في مِلّتي واعتقادي   نَوْحُ باكٍ ولا ترنّم شادِ

وهي (٣) من غُرر المراثي وحسَناتها، ودُرَر التآبين لاخرَزاتها. أبان فيها عن صدق الإخاء، والوفاء للاصدقاء. وكان من أُسرة الدين والتقوى والإنابة والرَعْوَى وكان خِدْنَ صِباه لم يَحُلّ لجهل حُباه. قال س (٤):

كنتَ خلَّ الصبيَ فلما أراد البَيْنَ وافقتَ رأيه في المُراد

ومنه يظهر أنه مات في غضارة شبابه وخلّف أخا يدعى محَسّنا (٥) ذكره صاحبنا في القصيدة وترجم له صاحب الجواهر (٦) أيضا وأبناه (٧) — ووصفه فيها بالخَطابة والفقه ورواية الحديث — والقصيدة تَنُمُّ بالخُطّة الّتي توخّاها في عُزلته من إعراضه عن الدهر ولذّته فلا بأس أن نلمع ببعضها. فمنها بعدالبيت الأول:

وشبيهٌ صوت النَعيّ إذا قِيْسَ بصوت البشير في كل نادِ

أَبَكَتْ تلكم الحمامةُ أم غَنّتْ على فرع غُصنها الميّاد

صاحِ !هذي قبورُنا تملأ الرُحْبَ فأين القبور من عهد عاد

خفّفِ الوطء ما أظنّ أديمَ الأرض إلاّ من هذه الأجساد

وقبيحٌ بنا وإن قَدُم العهدُ هوانَ الآباء والأجداد

(١) حيدر آباد ١ : ١٩٦ —

(٢) س ١ : ٢٠٨ — وزعم صاحب ذ ٢٣٩ أن القصيدة من شعره في دور حياته الثالث بعد الرجوع عن بغداد وهذا غلط منه كما ترى —

(٣) قال الصفدي الغيث ٢ : ٢٤٤ وما أكثر حكمة المعري من هذه القصيدة اهـ —

(٤) س ١ : ٢١٥ —

(٥) س ١ : ٢١٦ —

(٦) ٢ : ١٥١ —

(٧) س ١ : ٢١٧ —

سِرِ إن أسطعتَ في الهواءِ رُويداً لا اختيالاً على رُفاتِ العباد
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحُمِ الأضداد
ودفينٍ على بقايا دفينٍ في طويل الأزمان والآباد

.....

تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـجَبُ إلاّ من راغبٍ في ازدياد
إنَّ حزْناً في ساعة الموت أضعا فُ سرورٍ في ساعة الميلاد
خُلِق الناسُ للبقاء فضَلّت أمةٌ يحسبونهم للنَّفاد
إنما يُنقَلون من دار أعما لٍ إلى دار شِقوةٍ أو رشاد
ضَجعة الموت رقدةٌ يستريح الـجسمُ فيها والعيش مثل السُّهاد

.....

كل بيت للهَدْم ، ما تبتني الور قاءُ والسيّدُ الرفيعُ العِماد
والفتى ظاعنٌ ويكفيه ظل السّـدْر ضَرْبَ الأطنابِ والأوتاد
بانَ أمرُ الإلَه واختلف النا سُ فداعٍ إلى ضلالٍ وهادٍ
والذي حارت البريّة فيه حَيَوانٌ مستحدَثٌ من جماد
واللبيب اللبيب من ليس يغترّ بكَونٍ مَصيرُه للفَساد

قال السمعانيّ في النَّسَب[1] « أبو الخطّاب الشاعر الجَبَليُّ . وكان من المُجيدين قال ابن ماكولا : له معرفة باللغة والنحو ومدح أبي وعمّي قاضيَ القضاة أبا عبد الله . قلت وكان بينه وبين أبي العلاء المعرّيّ مشاعرة ، ومدحه أبو العلاء بقصيدته التي أنشدناها الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلاّل بأصبهان [قال أنشدنا] أبو المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهري [قال] أنشدنا أبو العلاء ... لنفسه غير مُجد البيت . ومات أبو الخطاب في ذي

(١) ورق ١٢٢ وصحح كلامه من البلدان رسم جبل وفيه اسمه محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم كما في التتمة أيضا

القعدة سنة ٤٣٩ » اه قال ابن خلكان [١] وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعرّي الى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضي مَنْبِج كان ، وقد ذكر ذلك القاضي كمال الدين عُرِفَ بابن العديم الحلبي" اه. قال العاجز أما القصيدة فانها في أبي حمزة حقّاً وفي عنوانها يرثى « فقيها حنفياً » وسَمَّى فيها أبا حمزة وأخاه محسّنا وأبناءه كما مرّ. وقد علمت ان محسّنا أخو أبي حمزة من الجواهر أيضا . على أن القصيدة ليست من المشاعرة في شيء . ويلزم على هذا أن يكون في س من الشعر ما قيل بعد سنة ٤٣٩[٢] وهو باطل . إلا أن ابن خلكان سبق قلمه فتابعَ السمعانيّ في قوله « بل كتبها إلى » اه فإن القصائد ليست مما يكتب الى الاموات . فوجه العبارة « بل كتبها في » اهوأبو الخطاب يأتي في الزوّار أيضا. وأما قصيدة أبي العلاء إليه فإنها بائية [٣] من س أجاب بها عن قصيدة مدح بها أبا العلاء ودفع نسختها إليه وجاء في عنوان البائية أنه كان مفرط القصر .

وورد ذكر أبي حمزة في ر [٤] له إلى النكتيّ بما نصّه «وأما صديقنا أبو حمزة رحمه الله فقد نقله الله جلّ اسمه من دار الشقاء الى دار النعيم والبقاء» اه

هذا يدلّ على أن هذه الدرر الثلاث من عقد قد انفصم . فاستأثر بأبي حمزة الأوّاب الجَذَع الازلم . وأما النكتيّ فانه أبو الحسين أحمد بن عثمان البصريّ . ولم أعثر من أخباره غير ر[٥] وتدل على أن الرجل شاعر أديب راوية وله كتاب في تفسير سورة الاخلاص ذكر أن نسخته كانت عند أبي

(١) ٢ : ٤١٧

(٢) ويأتي في ذكر س أن آخر قصيدة فيه مارثى به ابن المهذب نحو سنة ٤٣٥ هـ ان صح قول شارح الجاني ص ١٢٤٩

(٣) ١ : ١٥٣

(٤) ٨٧

(٥) وهي الـ ٢٧ ص ٦٥

بكر المؤدّب وذكر صديقاً للنكتي يدعى أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز من تلامذة ابن خالويه. وروى عنه أبو العلاء خبرا فلعل النكتي أيضاً من أصحاب ابن خالويه أو من أصحاب أقرانه. ومر أمر قَصْره كنيةَ صاحبنا وغيرُه. وقد أطال صاحبنا في سَرْد الضرورات الشعرية بما خلا عنه أكثر كتب العروض. وهذا يدل على اضطلاع الرجل من العروض اضطلاعاً لا مزيد عليه. وذكر أن صاحَبه قبل هذا وأن الرجل رَحّالة. وأما تاريخ هذا الكتاب فهو نحو ٤٠٠ ﻫ أو بعده. والله أعلم

أسباب رحلته الى بغداد

قد نقلنا فيما سبق بيتاً له في أنه كان يُحدّث نفسه بالرحلة اليها من شَرْخ شبابه إلاّ أنها لم تَتِحْ له إلا بعد الكهولة. فأما جواب مُسائلي لِمَه؟ فانى أسأله لماذا كان رحل الى حلب وغيرها من بلاد الشام؟ فما أجابنى فهو جوابى له غير التعلّم. والذي يَخلُص إلينا من كلامه نثره ونظامه أنه زارها لدار الكتب، ولقاء فحول العلم والأدب. والاستمتاع بحضور محافلهم وحلقاتهم، والافادة والاستفادة من محاضرته ومحاضراتهم. لأن عام بغداد في هذا الغرض كان يَفْضُلْ على قَرْن المعرّة. على أنه كان أسأمه بأوطانه الضرير والمَضرّة. فاذاً السبب الثانى تبرّمه من الفِتن الهائلة، والدول الدائلة. وتَوَثّبُ أجلاف البَدْو، وحَملة المصريين والغَزْو. على ما كان الروميون المجُاورون يسومونهم من أنواع الخَسْف، ويكيدونهم به من الحيف والعَسْف. فكأن هاتيك الفتن المتوالية رنّقت سائغ منهله فعزم على الرِحلة والنُقلة. بعد أن كان يجمجم بها في العُزْلة. وهذه شواهد لسانه ومرقوم بنانه: كتب إلى ابن سختكين[١] « وكنت عرّفته

---

(١) ر ص ٥٧ -

أن من رحل عن بغداد لم يجد منها عِوَضاً ، وإن وجد محلاًّ مروّضا . لأن غاير العلم بها غريض ، وصحيح الأدب فى سواها مريض » ـ وكتب الى خاله أبي القاسم [١] « والذى أقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها » [الحماسي] :

ولستُ وإن أحببتُ من يسكن الغضا بأول راجٍ حاجةً لا ينالها

شرفا لذلك المنزل منزلا وللساكنين به نفرا ولماء دجله واديا ومشربا . ومما كتب الى أهل المعرة [٢] وقد عزم على الرجوع «وأحلف ماسافرت أستكثر من النشب ولا أتكثّر بلقاء الرجال . ولكن آثرتُ الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يُسعْف الزمن بإقامتى فيه » . ومما كتب الى الواجكا [٣] بعد الرجوع « ولو قدرت لم أقدح الا بمَرْخ [٤] ولا سكنتُ بلداً غير الكرخ » .

وفي س [٥] :

وما أرَبي إلا مُعرِّسُ معشر هم الناس لاسوق العَروس ولا الشَّطُّ

قال صاحبا التنوير والضرام يعنى دار الكتب ببغداد لأنها مجمع العقلاء والعلماء الذين هم الناس . وسوق العروس مجمع الطرائف بها . ومن ل :

إذا دنوتِ لشام أو مررتِ به فنكّبيه وراء الظهر أو حيدى

قد غيّر الدهر منه بعد مبتَهَج وألحد السيف فيه بعد توحيد

ألِفنا بلادَ الشأم إلْفَ ولادة نُلاقي بها سُرْدَ الخطوب وحُمْرها

والشأم فيه وقود الحرب مشتعِل يُشبُّ القومُ شُدَّت منهم الحُجزُ

(١) ر ٣٢
(٢) ر ٣٤
(٣) ر ٤٧ ـ
(٤) مر شرحه فيما قبل ـ والمرخ يكثر بنجد وما جاورها ـ
(٥) ٢ : ١٢٥ ـ

وبالعراق وميض يَسْتهلُّ دماً ورواعدُ بلقاء الشرّ يرتجز

وتراه يكرّر أنه لم ينوها للإثراء ، ولا قام من أحد مقام المستميح بالمدح والاطراء . كأنه كان يعلم بما به يُظَنّ ، ويُقرَفُ ويُزَنّ . س :

وأني تيمّمتُ العراق لغير ما تيمّمه غيلانُ عند بلال (١)

وكم ماجد في سِيفِ دجلة لم أَشِم له بارقاً والمرء كالمُزن هطّال (٢)

وكتب الى ابن فورجّة وهما ببغداد :

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الحظّ الجزيلا (٣)

وكتب الى التنوخي الصغير بعد الرجوع :

رحلتُ لم آتِ قِرواشاً أزاوله ولا المهذّبَ يوماً أبتغي القوتا (٤)

والموت أحسن بالنفس التي أَلِفت عِزّ القناعة من أن تسأل القوتا

وقال في مرثية أبي أحمد الموسوي يخاطب وَلَدَيه :

أوضعتُ في طُرْق التشرّف سامياً بكما ولم أسلُك طريق العافي (٥)

ومما كتب الى أبي حامد :

وبالعراق رجال قربهم شرف هاجرتُ في حبّهم رهطي وأشياعي (٦)

على سنين تقضّت عند غيرهم أَسِفتُ لا بل على الأيّام والساع

ولا أتقّل في جاه ولا نشب ولو غدوتُ أخا عُـدم وادقاع

(١) ٢ : ٤٥ -
(٢) ٢ : ٥٤ -
(٣) ٢ : ٨٧ -
(٤) ٢ : ١١٩
(٥) ٢ : ٦٦
(٦) ١ : ١٦١ ، ١٦٢

هـذا وقال القفطى[١] في إنباء الرواة بأنباء النحاة والذهبي[٢] في تاريخه الـكبير « أن عامل حلب قد كان عارض أبا العلاء في وقف كان له فسافر الى بغداد متظلماً منه » اه ولعل العامل هو أبو نصر بن لؤلؤ[٣] المستولى على أبي الفضائل سعيد الدولة وكان أبوه لؤلؤ من موالي أبي المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة . ويُستشكل على هذا أن أبا نصر كان خطب للحاكم العلوي لا للخليفة العباسي حتى يكون مسيره اليه للتظلم والاستصراخ ، ولـكنى أرى أن أبا نصر لم يكن ليبذل للفاطميّ نخيلة صدره ونصيحةَ ضميره . ولم تكن الخطبة باسمه الا استظهاراً على أبي الفضائل واستكفاءً لشرّ العُبيديّين . ويعجبنى قول[٤] من قال على أنه من الممكن أن نسلّم أن مسيره الي بغداد كان تبرّماً من أمر اختلال معيشته لا تظلماً الى الخليفة فى استرداد وقفه وضَيْعته . فانا لم نجد ذكراً للوقف المذكور مدّة إقامته بها . على أن بيتين له من س يكذّبان ما روياه ـ قال بعد الرجوع يخاطب أهل بغداد :

أثارنى عنكم أمران : والدةٌ   لم ألقها ، وثَراء عادَ مسفوتا
أحياهما الله عصرَ البين ثم قضى   قبل الاياب الى الذُّخْرَين أنْ موتا

فقوله أحياهما إلخ صريح فى أن ثراءه عاد مسفوتاً بعد مفارقته المعرّة وقبل رجوعه إليها ـ لا قبل مفارقته المعرة ـ ولم أر أحداً من مترجميه أثبت صلة له بالخليفة إلا دَولت شاه الفارسى وقوله مردود عليه كما يأتى . ولا نظن[٥] أن العامل هو سعيد الدولة فانا نرى شيئاً إدًّا وأمراً بدعا أن

---

(١) ذ ٥٥
(٢) ذهبي ١٢٩
(٣) كما يفهم من سوق ابن الاثير ٩ : ٩٤ وأبي الفداء ٢ : ١٤٠ لا لؤلؤ كما فى ذ ٥٥ وانظره فى الحكام
(٤) هو المستعرب د ـ س . مرجليوث
(٥) كما ذهب على صاحب ذ ٥٥

ينتزع من صاحبنا وقفه مع أنه لم يكن مضى على مدحه إيّاه بعدّة قصائد كما مرّ الا بضعةُ أعوام

وروى ابن الوردي [١] عن الشيخ أبي غالب فيما حدثه أبو العلاء من لفظه أنه نزل بغداد ليقرأ بها العلم فلم يصادف بها مثله . وقال ابن العديم في العدل إنه أقام ببغداد يتفقّد خزائن الكتب بها . والقولان يؤيدان ما أسلفناه .

بغداد

فيم كانت إذ ذاك ؟

كانت بغداد في هذا العصر وقبله وبعده محفوفةً الى غيرها من حواضر الاسلام بمنافسات السياسة . فعادت مجال فرسان ملوك الأطراف ومطمح أنظارهم المتعارضة التي جعلت الخليفة تحت الحراسة . فكان كالعبة يُقبَص على اغراضهم . يُقبل بإقبالهم ويُدبر بإعراضهم . ولا كان لأوامره نجاز ، او إكرام وإعزاز كما قيل فيما كان قبله من الجيل :

خليفة في قفَص بين وصيف وبُغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وكان المستولي عليه ـ من ملوك آل بُوَيْه ـ بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن قويًا أيِّدا ، ولا كريمًا سيّدا . كان يعيش من خُلوّ الجوّ خُلوّ البوّ ، وإقفار الدوّ ، كجُبًّا بتَوّ

إلاّ أنها مع ضعفها من جهة السياسة كانت مُخيَّم علماء الإسلام ، وآحاد الأنام ، ونخبة الأيام ، من كل محصّل همام . رَقيت في العلم رُقيًّا لم يقدَّر لها فيما مضى عليها من القرون ، على هنات وشجون ، وتشتّت الشؤون . والسبب

---

(١) ١ : ٣٢١

فيما أعلم أن كل الملوك كانوا ارتضعوا أفاويق الحضارة الإسلاميّة ومعاشرتها وتبرّضوا أوشالها وغمْرتها . وتربّوا في ظلّها السابغ ، على كل نبيه نابغ . فخرج كلهم ابن بَجْدَتِه ، ونسيجَ وحده . فكان فحل آل بويه عضد الدولة نحويًا أديبًا شاعرا . وسيفُ الدولة لغويا شاعراً أيّ شاعر . والصاحب والاستاذ ابن العميد لم يُخْلِفا بعدهما من يجاريهما فى الرهان . فكيف بإحراز الخَصْلِ عليهما عند الأقران .

وكانت بغداد مدينة السلام وبيضةَ الإسلام فاجتمع بها من أرباب المقالات والملل ، والآراء والنحل ، والفقه والأصلَيْن والجَدَل . والأخبار والآثار ، وعلماء الحديث والنحو والأدب واللغة الأخيار . ما يجاوز الوفا ، ويَمتد على اذان الدهر شنوفا . ولم يكن مضى بعدُ على وفاة أبي على وأبي سعيد والصاحب وابن العميد . والبديع . وابن فارس . وابن جنّي وهو فارس مضمار العربية أيّ فارس كبيرُ مُدة ، وطويلُ بُرْهة . فالعلم بها غضّ غريض ، ولم يكن الجريضُ ، حالَ بعدُ دون القريض . فهي غاصة بعلمائها وفقهائها ، شارقة بأعيانها ووُجهائها . وكان بها من أماثلها ممن لم نعثر له على صلة بصاحبنا أبو بكر البرْقاني وابن المحامليّ من أصحاب أبي حامد والقاضي عبد الجبار المعتزلي والاستاذ أبو منصور البغدادي ومن أعيان العصر القادر بالله الخليفة وبهاء الدولة البُوَيهي والوزير أبو نصر وقِرْواش صاحب الموصل والمهذّب صاحب البطيحة والسلطان محمود الغزنويّ وهو متغلغل في مجاهل الهند . وممن عثرنا له على صلة به شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني والامام الرئيس أبو حامد الاسفرائنى وكان ذا كلمة نافذة يحضر حلقته ٧٠٠ متفقه كما قال الخطيب (١) ورُجح (٢) أنه مجدد المائة الرابعة وأبو (٣)

(١) الشافعية ٣ : ٢٥ والوفيات ١ : ٢٠ ـ

(٢) الشافعية ١ : ١٠٥ و ٣ : ٢٦ ـ وكان يدرس بقطيعة الفقهاء كما سيأتي ـ

(٣) أحمد بن محمد الضرير ترجم له في الشافعية ٣ : ٣٣ ـ

سعيد الخوارزمي من تلامذته وكان زار صاحبنا بالمعرة سنة ٣٩٨ ﻫ وهو بنية الحج ، قالوا ولم يكن في عصره بعد أبي الطيب أفقهُ منه . والامام أبو الطيب الطبري الفقيه النظّار شيخ الخطيب أبي بكر والامام ابي إسحق الشيرازي . والقاضي عبد الوهاب أكبر علماء المالكية . وعليّ بن عيسي الربَعي صاحب أبي علي الخِصّيص وصاحب أبي سعيد . والأديب الراوية الجِهْبذ الواجكا وسيرِدُ والشريفان المرتضى عَلَم الهدى والرضيُّ الشاعر وهما إذ ذاك مأْثَرتا بغداد وعَلماها ، ورأساها الشُرْسوران لا قَدَماها ، وأبوهما الشريف النقيب أبو أحمد الموسوي ، وأبو القاسم على بن المحسّن (١) وهو القاضي التنوخيّ الصغير ، الى غيرهم ، وهم كثيرون ويُورِث سَرْدُهم السأم والملل « وعن البحر اجتزاء بالوشَل »

تجهزه للسفر

ووصف طريقه اليها

بينما كان يُعدّ المعِدّات لسفره إذ ورده بالمعرّة الشيخ أبو سعيد الخوارزمي الضرير من بغداد في رمضان سنة ٣٩٨ ﻫ . وهو من أكابر أصحاب أبي حامد ويقال انه لم يكن في عصره من الشيوخ بعد أبي الطيّب الطبرى أفقهُ منه ومات سنة ٤٤٠ ﻫ . ترجم له صاحب طبقات الشافعية (٢) . وكان صحبته كتاب من أبي الطيّب الطبرى الى أبي العلاء إلا أن البادية اختطفته في جُملة كتبه ونهبته . وقد أخذ صاحبنا في جواب هذا الكتاب المفقود إلاَّ أنه لم يكمل.

(١) بتشديد السين المكسورة قال في س ٢ : ١١٨ :

يا ابن المحسن ما أنسيت مكرمة النخ

(٢) ٣ : ٢٣

فيوْصَلَ اليه كما في عنوان ر[١] الا أني أرى الأصلح أن يصير بنفسه جوابه المُعَدّ فان رحلته كانت أزِفت وكأنْ قدْ ويظهر منه أنه كان متردّدا[٢] بعدُ في السفر على السفُن الدُهْم ، أو النوْق الجلاد الأُدْم .

وذكر في رسالته الى أبي القاسم أن جملة مُعِدّات السفر من السفينة والمطيّة كانت منه وكان أخوه أبو طاهر قد تقدّمَ الى مَعارفه ببغداد في التوصية بصاحبنا وهـذا لفظه[٣] « وماهبطتُ في طريقي واديا ولا فرعتُ جملا ، ولا حملتْني سفينة ولا ذلّتْ لى مطيّة ، الاّ بمَنّ الله سبحانه ومِنةِ سيّدى وعنايته . . . وقد علمتُ أنه يعمل ذلك معي لا يريد جزاء ولا شكورا . وأما سيدي أبو طاهر. ما زالت كتبُهُ تَطْرُق أصدقاءه محافظةً على المكارم ، ومراعاةً لأمر غير لازم حتى جعلهم إليَّ كعَرْف انفرس أو قُوَى المَرَس وكلّما عرضوا قضاء حاجة أعرضتُ عن تكليف المشقّة لأني أعتقد حكمةَ زهير في قوله :

ومن لا يزلْ .....البيتَ ومرّ

ولما دَخلها كتب الى أبى حامد عينية من س[٤] وصف فيها طريقه المخوف وسفينته وبذل له فيها ودّه قال :

إسمع أبا حامد فُتياً قُصدتَ بها ... من زائر لجميـــل الوُدّ مبتاع
مؤدّبِ النفس ا كالٍ على سغَبٍ ... لحمَ النوائب شرّابٍ بأنقاع
ارضى وأُنصفُ الا انني رُبما ... أربيتُ غيرَ مُجيز خُرْقَ إجماع
وذاك اني أُعطى الوَسْقَ منتحيا ... من المودّة مُعْطي الودّ بالصاع

(١) وهي اا ٢٥ ص ٦٢
(٢) ر ص ٦٣
(٣) س ٣٠
(٤) ١ : ١٥٨

ولا اثقلُ في جاه ولا نَشَب ولو غدوتُ أخا عُدم وإدقاع
مَن قال صادقْ لِئام الناس قلت له قولَ ابن أسلتَ «قدأبلغتَ أسماعي»

وحضّه على استخلاص سفينته ولكنه لم يوفَّق الى ذلك وخلّصها آل حكّار فشكر لهم صنيعهم ونذكره فيما بعدُ :

مطيّتي في مكان لستُ آمَنُه على المطايا وسرْحانٌ له راعِ
فارفع بكفّي فاني طائش قدمي وامدُد بضَبْعي فإني ضيّق باعي
وما يكنْ فلكَ الحمدُ الجميلُ به وإن أُضيعتْ فاني شاكر داعِ

فالظاهر إذاً أن يسير من المعرة[1] الى وادى الفرات على النُوْق حيث كانت سفينته مُعَدَّةً فيركب فيها الى الفارسية بالفاء والراء وهي قرية على ضفّة نهر عيسى بعد المحوّل من قرى بغداد بينهما فرسخان وذكرها ياقوت . وفيها أخذها العَشّارون وكانت من عود الفِرْصاد وأظنها هي التي كان يركبها أخواله في رِحلاتهم الى بغداد للتجارة . وفي طبعات السقط :

سارت فزارت بنا الأنبار سالمة تُزْجَى وتَدفع في موج ودُفّاع
والقادسيةَ أدّتها إلى نفر طافوا بها فأناخوها بجَعْجاع

القادسية بالقاف والدال وكذا في طبعات التنوير أيضاً . وهو تصحيف شنيع أوقع كلاً من كتب عن أبي العلاء شيئاً[٢] في غلط قبيح . قال الخوارزمىّ في شرحه هى بالفاء والراء عن الامامين صاحب الايضاح (٤) وصاحب التنوير

---

(١) وذهب على مرجليوث ومن تبعه انه رحل من حلب وهذا غلط فانه صرح في رسالته ص ٢٩ الى أبي القاسم أنه نكب حلب في الابداء والانكفاء أي الذهاب والاياب . ومثل هذا الخطأ غريب من ترجمان الرسائل ، وكم له من مثله

(٢) كمرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته وغير جلدته كصاحب ذ ١٧٠ وعجب منه أن يقول «انه يصف في العينية طريقه البرية »ولعله اغتر بذكر الناقة في أولها فهل غفل لنظره عن قوله على نجاة من الفرصاد البيت فانه كنى بالناقة عن السفينة

(٤) هو التبريزى

وكان الاستاذ البارع (يريد شيخه [1] برهان الدين أبا المظفّر ناصرَ الدين بن أبي المكارم عبد السيد المطرّزي صاحبَ شرح المقامات والمصباح والمُغْرِب المتوفى سنة ٥٩٦ ه .) قد أسمعنيه (؟) بالقاف والدال وهو سهو لان القادسية أوّل منزل في البادية بينها وبين الكوفة مرحلة . وما للسفينة والبادية ؟ وحكى لى بعض إخوانى من الأفاضل أنه [2] قد وقع فيه بينى وبين الاستاذ البارع منازعة فتحا كمنا الى بعض العلماء من مستعربة تلك البلاد فحكم لى اه مختصراً قال بعض مستعربة العصر [3] ان سفينته لما وصلت الأنبار سالمةً وكان هناك نهر يمكنه المسير فيه الى بغداد الا أنه أعرض عنه لعارضة الفصل فسال بسفينته الى القادسية من طريق اخرى (؟ ؟ ؟) فحبسها أصحاب السلطان [4] هناك اه وهذا الرجل سار بها في البرّ فياللعَجَب وقد استغنينا عن ردّ قوله بما مضى

ولا شكّ أن رحلته هذه واحدة . وذهب على ابن خلّكان [5] ومنزلته من التحقيق معلومة أنهما رحلتان له اليها وهو وهم منه لا مَحالة . وقلّده بعض أهل العصر [6] فوقع فيما وقع فيه . ولم أقف على مصدره بعدُ . وأما انفصاله من المعرّة فالذي نستنتجه أنه وقع في آخر شوّال بل أوّل ذي القعدة سنة ٣٩٨ ه . وذلك أنه كان في رمضان بالمعرة كما مرّ حيث زاره أبو سعيد الفقيه الضرير فلم يكن يمكنه الاّ أن يسير في شوّال لدُنوّ العيد . وان مدّة إقامته بها سنة وتسعة

---

(١) فانه روى عنه السقط قراءة . وانظر مقدمة ضرام

(٢) لعل الاصل قال انه الخ

(٣) هو مرجليوث في م ر ص ٢١ وسالخ كلامه صاحب ذ ١٣٠ وغيرهما

(٤) ولو انه نظر عنوان الطائية ٢ : ١٢١ س لكفاه وفيه « وامر الزورق الذى كان نزل معه الى بغداد » وهذا الرجل حبسه في البر على القادسية

(٥) ١ : ٣٤ ـ وتبعه اليافعي ٣ : ٦٨

(٦) كجورجي زيدان وفان كريمر الالماني وغيرهما

اشهر كما في النزهة (١) لابن الأنباري روايةً عن التبريزي تنتهي على رمضان سنة ٤٠٠ ه وكان ودّعها لستٍّ بقين منها كما هو في ر (٢) الى خاله ابي القاسم. وقال ياقوت وتبعه ابن خلكان والصفدي انها سنة وسبعة اشهر (٣). ولا ارى ما ذهبوا اليه صوابا. وذلك انه لم يدخلها الا اول سنة ٣٩٩ ه كما في النسب للسمعاني والنزهة. ولعل هذه المزلّة هي التي ثنّى من جهتها ابن خلكان رحلته الفذّةَ حيث زعم أنه دخلها أولا سنة ٣٩٨ ه ثم سنة ٣٩٩ ه

ويظهر من ر له (٤) أنه استأذن أمّه البرّة في أمر هذه الرحلة فأذِنت فيها وكانت تحسبها هُنيهةً. ومديدة وبُريهةً. الا أنها طالت. الى أن وافاها الحِمام ففادت. ولم يكن صاحبنا انتحاها للفراق. بل ليقيم ببغداد الى ان يخترمه حلاقِ الى ما قال. ل:

إذا غدوتَ عن الأوطان مرتحلا فضاهِ في البين حذف الواو من يَعِدِ
كانت فبانت وما حنّت الى وطن وعاد غادٍ الى وَكْرٍ ولم تعُدِ

ومن شعره في المغنى. س (٥):

فياوطني إن فاتني بك سابق من الدهر فلينعم لساكنك البالُ
فإن أستطع في الحشر آتِك زائراً وهيهات لي يوم القيامة اشغالُ

ومن ر (٦) «فشاهدتُ انفس مكان لم يُسعِف الزمن بإقامتي فيه» — ومما

---

(١) ٤٢٧

(٢) ص ٣٢

(٣) وكذا في حاشية من شرح التبريزي على السقط. وليس معلقها التبريزي نفسه كما زعم مرجليوث ص ٢٠ وكيف يقول هذا القول مع صحة الرواية عنه بسنة وتسعة اشهر

(٤) ٢٩

(٥) ٢ : ٥٤.

(٦) ص ٣٤ —

كتبه [١] الى خاله ابى القاسم ولما فاتنى المقام بحيث اخترت الخ ويأتى للبحث تتمة في وداعه لها .

وفي العدل لابن العديم إشارة الى أن أبا العلاء وصل بغداد يوم موت أبي احمد الموسوي مع قوله بأنه وصلها سنة ٣٩٩ هـ وهـذا تناقض ولعله ممن [٢] روى عنه فلا ريب ثَمّ اصلا في ان موت الشريف وقع في جمادى الاولى سنة ٤٠٠ هـ وكان دخول أبي العلاء بغداد سنة ٣٩٩ هـ كما مر.

مقامه بها ومنزله

الذي يُرْشِدنا إليه بيت من س [٣] مما كتبه إلى التنوخي الصغيروهو :

آيام واصلتَني وُدّا وتكرمةً وبالقطيعة داري تحضُرُ النهَرا

أينّ مُقامه القطيعةُ . وبالكرخ من بغداد وهو الجانب الغربيّ الذي تَدَيّره منها قطيعتان إحدهما قطيعة الربيع كان يسكنها التُجّار والأُخرى قطيعة الفقهاء ولا نجزم بإحداهما لفَقْدنا مأخذا من التاريخ إلاّ أننا نرجّح قطيعة الفقهاء ومستدَلُّنا بيت من س [٤] :

بمحلّة الفقهاء لا يعشو الفتى ناري ولا ينضو المطيَّ عزائمي

وإن كان صاحبا التنوير والضرام أرادا بمحلّة الفقهاء بغداد . وأظن أن هذا من عدم علمهما بمُقامه ، وإلاّ فظاهر أن المحلّة لا يراد منها مدينة عادةً.

وأما نزوله بالكرخ فقد تواتر لدينا دلائله . وبه كان في محلّة بين السورين

(١) ص ٣٣ ـ

(٢) وهو عيسى اسكندر المعلوف الذي وصف نسخة العدل المخرومة في مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٣٩ هـ ص ٢٣٦ ـ ٢٤٤ ـ

(٣) ٢ : ١٤٠ ـ

(٤) ٢ : ١٠٠ قال ابن الاثير ٩: ١٠٨ كان ابو حامد الاسفرائني يدرس بمسجد عبد الله ابن المبارك بقطيعة الفقهاء

خزانة سابور . ولعل منزله بالقطيعة كان من دار سابور الملحقةِ بخزانته مما وقفه لأهل العلم الذين يستفيدون منها وذكرها في س[١] بقوله:

وغنَّت لنا في دار سابورَ قَيْنةٌ من الوُرْقِ مِطرابُ الأصائل ميهال

ويأتي قول مهيار فيها ـ

وقال أبو الطيّب الطبريّ [٢] على ما نقل عنه السلَفيّ في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء « كتبتُ إلى أبي العلاء المعرّي الأديب حين وافى بغداد وكان قد نزل في سويقة غالب (وهي من محالّها) ثم أتى بأبياته وبجوابها على اللام ـ وانظرهما في الفائت ـ فلعل نزوله بها كان بادى بدء عند بعض معارف خاله أبي طاهر أو من مُكاتِبيه من أعيان فقهائها ، ثم يكون انتقل منها إلى القطيعة

وكان الكرخ إذ ذاك محطُّ رحال أماثل الفضلاء ، نشأ فيه ناشئة من بلغاء الأدباء والشعراء . وبحسبك في الباب ما أورده ياقوت [٣] في ترجمة الباخرزي عن السمعانيّ أنه لما ورد بغداد مدح القائم بقصيدة (ذكر بعضها ياقوت) فاستهجن البغداديون شعره وقالوا فيه برُودة العجم فانتقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسُوقتها مدّة وتخلّق بأخلاقهم واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدة (ذكر أيضاً بعضها) فاستحسنوها وقالوا : تغيّر شعره ورقّ طبعه اه. أقول وكأن صاحبنا أشار إلى هذا المعنى بقوله ـ س[٤]:

(١) ٢ : ٥١ ـ

(٢) الوفيات ١ : ٢٣٣ والبدائع للازدى ٢ : ١١٤ ولم يذكر الازدى سويقة غالب وأورد الخبر مسندا فقال أخبرني ابن المقدسي قال اخبرني الحافظ السلفي قال سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول سمعت القاضي ابا الطيب الطبري يقول كتبت الى أبي العلاء المعرى حين وافى بغداد اه مختصرا واليافعي ٣ : ٧٠ ـ وابن الوردي ١ : ٣٦١

(٣) ٥ : ١٢٣ ـ

(٤) ٢ : ٧٦ ـ

وما الفصحاء الصِّيدُ والبُدْرُ دارُها ... بأفصحَ قولا من إمائكم الرُّكْع

وفي دَرْب الزعفران من الكرخ يقول القاضي أبو الحسن المِيانِجي[١] الفقيه وكان رفيقاً لأبي إسحاق الشيرازي في القراءة على أبي الطيّب الطبري، ويصف ما وَشَانَ همذَان:

إذا ذُكر الحِسان من الجنان ... فحيّهلاً ! بوادي الماوَشَان
تَجِدْ شعباً تُشعّبُ (؟) كلَّ همّ ... ومَلْهىً مُلْهياً عن كلّ شان
ومَغْنًى مُغْنِياً عن كلّ ظبي ... وغانيةً تُدِلّ على الغواني
بروض مُونِق وخرير ماء ... ألذّ من المثالث والمثاني
وتغريدِ الهزار على ثمار ... تراها كالعقيق وكالجمان
فيالكَ منزلا ! لولا اشتياقي ... أُصيحابي بدَرْب الزعفرانِ

أُنشدتْ هذه الأبيات بين يدَيْ أبي إسحاق وكان متكئاً فلما بلغ إلى البيت الأخير جلس مستويا وقال المراد بأصيحاب درب الزعفران أنا – ما أحسن عمده[٢] اشتاق إلينا من الجنّة.

دار الكتب القديمة
وأبو أحمد الموسوي وولداه

كان ببغداد خزانة الخلفاء وكان فيها من الكتب ما لا يوصف كثرة ولا يقوّم عليه نفاسةً ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد – كما في صبح الأعشى[٣] – وأظن الواجكا من خازني هذه الدار . وذكر في الغفران[٤] ابن

(١) عليّ بن الحسن بن عليّ –
(٢) كذا والظاهر ماعمده –
(٣) ١ : ٤٦٦
(٤) ١٠

حاجب النعمان وهو أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم. قال النديم في الفهرست[١] وقد ترجم له «ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة» اهـ. ولا نستغرب أن يكون صاحبنا استفاد منها ومن غيرها من الخزائن الخصوصية. ثم إن بهاء الدولة بن عضد الدولة أنشأ[٢] خزانة بشيراز وولّى رعايتها عليّ بن هلال المعروف بابن البوّاب ـ صاحب الخطّ الشهير ـ فلعل هذا كان الباعث لوزيره أبي نَصر سابور بن اردشير الملقَّب بهاء الدولة المتوفى سنة ٤١٦ هـ على أن أنشأ بالكرخ في محلّة بين السُورَين داراً حافلةً بالكتب الثمينة العتيقة. قال ياقوت «بين السُورَين محلّة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من أحسن محالّها وأعمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير سابور، ولم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرَّرة، واحترقت فيما احترق من محالّ الكرخ عند ورود طُغرل بك أوَّل ملوك السلاجقة الى بغداد سنة ٤٤٧هـ[٣]» اهـ زاد ابن الأثير[٤] أنه عملها سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها أكثر[٥] من عشرة آلاف مجلَّد ـ وفي الوافي[٦] أنه جعل رعايتها الى عَلَويَّين أحدهما أبو عبد الله ابن البطحاوي العلويّ وكان حيا سنة ٤٠٢[٧]هـ. هذا وقال ابن الاثير بنفسه في حوادث سنة ٣٨٣ هـ وفيها بنى أبو النصر سابور ببغداد دار العلم ووقف فيها

(١) ص ١٣٤، ١٦٦ وكان القادر استوزره ولمهيار الديلمي فيه قصيدة في ديوانه ١: ٦٧
(٢) أدبا ـ ٥ : ٤٤٦ ـ
(٣) وقال ابن الاثير ٩ : ١٤٥ سنة ٤٥٠ . وعند مرجليوث سنة ٤٥١ ـ
(٤) ٩ : ١٤٥
(٥) وفي الوافي على مانقل عنه مرجليوث ١٠٤٠٠ غير مائة نسخة من المصاحف المكتوبة بخط بني مقلة .
(٦) على مانقل عنه مرجليوث ٢٤
(٧) الكامل ٩ : ٩٨

كتبا كثيرة على المسلمين المتفقين بها اهـ . فانظر فبأىّ قولَيه تأخذ وعلى أيهما تعوّل

خُذا بطنَ هَرشَى أوقفاها فإنما كلا جانِبَيْ هَرْشَى لهنّ طريقُ

وتأتي فيما بعدُ حكاية تدل على ما كان لهذه الدار من القيمة إذ ذاك . وأُخرى . وسابور هـذا كان ممدّحا جوادا . وبابه محطّ لرحال الشعراء ومَرادا . وعقد الثعالبي في يتيمته[1] بابا لمُدّاحه وأورد كثيرا من أشعارهم . وكان أبو إسحاق الصابيء من أصدقائه وله فيه شعر كثير أورد بعضَه ابن خلّكان[2] وياقوت[3] ـ وأظنّ أن لأبي أحمد الموسوى وولدَيْه يداً قويّة في إنشائها ـ ومما يقوّي ظنّي أن الرضيّ أصهر إليه في ابنته فتزوّجها وأورد نسخة هـذا العقد وهي من إنشاء الصابيء صاحبُ صبح الاعشى[4] ـ وفى هذه الدار يقول مِهْيار الديلمىّ كما في الضِرام :

نزلنا في بنى ساسان دُوْراً بها تُسْلَى بيوتكِ في قضاعَهْ
اذا ما الضَيْمُ رابكِ فاستجيرى ذَرا سابورَ وانتجعىْ بقاعَهْ

ولعل ابن البواب كان يتردّد اليها حيث تعرّفَ به صاحبنا وذكره في شعره . من[5]:

ولاح هلالٌ مثلُ نون أجادها بماء النضار الكاتبُ ابن هِلال

وأما خازنها اذ ذاك فإني مع طول التنقيب لم أتمكن من الجزم بأحد الرجلين الواجكا أو أبي منصور الا أن الظاهر ترجيح أبي منصور . والواجكا يكون

(١) ٢ : ٢٩٠
(٢) ١ : ٢٠٠
(٣) أدبا ١ : ٣٤٨ ، ٣٥٣
(٤) ١٤ : ٩٧
(٥) ٢ : ٤٤

خازن خزانة الخلفاء والله أعلم . وأما صاحبنا فانه يدعوها دار العلم أو دار الكتب والقديمة صفة للكتب في اسم دار الكتب القديمة لا صفة للدار كما ذهب على بعض شبّان العصر (١) .

وأما الشريف النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي فانه كان يتولى نقابة الطالبيّين قديماً ببغداد والنظرَ في المظالم والحجَّ بالناس ، ثم رُدَّت هذه الأمور كلّها سنة ٣٨٠ هـ لا سنة ٣٨٨ هـ كما ذهب على ابن خلكان ومستندنا نسخة هذه الولاية بتمامها في صبح الأعشى (٢) الى ولده الرضيّ (٣) محمد ابى الحسن في حياة أبيه . وناهيك من جلالة قدرهم (٤) أن أبا الفتح عثمان بن جنى صنف كتابا في تفسير أربع قصائد للرضيّ وسماه تفسير العلويّات . وللرضيّ في مدحه شعرٌ أنظره في ديوانه . وللمرتضى وهو أكبر من الرضيّ في الردّ على أبي الفتح تصنيفان (٥) تتبّع أبيات المعاني للمتنبيء التى تكلّم عليها ابن جى وكتاب النقض على ابن جنّى في الحكاية والمحكّى . وله الأماليّ المعروفة (٦) بدُرَر الفرائد وغُرَر الفوائد أو الدُرَر والغُرَر . وهؤلاء الثلاثة كانوا في الشغف

(١) صاحب ذ ١٦٨ ولفظه : احداهما قديمة أسسها الرشيد وهي بيت الحكمة والاخرى حديثة أنشأها سابور اهـ والعجب انه نقل بعد هذا كلام ياقوت وفيه كما مر لنا نقله اسم دار سابور دار الكتب القديمة لا الحديثة . وانظر الادباء ايضا ٦ : ٣٥٨

(٢) ١٠ : ٢٤٧ ـ

(٣) كالأمير لا كالى قال صاحبنا س :

ساوى الرضيّ المرتضى وتقاسما خططَ العلى بتناصفٍ وتصافِ ،

(٤) ادباء ٥ : ٣٠

(٥) ادباء ٥ : ١٧٤ ـ

(٦) طبع بايران ثم بمصر ـ

وترجم للولدين ابن خلكان ١ : ٣٣٦ و ٢ : ٢ وللمرتضى ياقوت ٥ : ١٧٣ وأبو جعفر الطوسي في فهرسته . وللرضى ترجمة حافلة عند ابن أبي الحديد ١ : ١٠ ـ واليتيمة ٣ : ٢٩٧ ـ

بالعلم وأهله ، والوَلَع بالمعتَنِينَ بنقله وحمله . ما يُحْرزون به قصبات السبق على أبناء عصرهم وأعيان مصرهم وكانت حلقاتهم عُصرة فضلاء الدهر ونُخبةِ أماثل العصر . وكان الناس يعرضون عليهم الشعر ويمتصّون من أخلاف حوافل محافلهم غزيرَ الدَرّ . وهذه بعض حكايات ترمى إلى الغرض وتقضى عنا بعض المفترَض:

حكى الكمال ابن الأنبارى [١] وابن الجوزى وياقوت وغيرهم أن الربعى كان على شاطىء دجلة في يوم شديد الحرّ وهو عريان يَسْبَحُ فاجتاز عليه المرتضى ومعه عثمان بن جنى وهما في سُميريّة [٢] [ياقوت زبْزَب] [٢] وعليهما مِظَلّة تَظِلّهما من الشمس. فلما رأى المرتضى عرفه وعرف أن معه عثمان بن جنى فقال له يا مرتضى ما أحسن هذا التشيّعَ ! علىّ (الرَبَعيُّ) تتقلّى كبده في الشمس من شدّة الحرّ وعثمان عنـدك في الظلّ تحت المنكور [٣] لئلا تصيبه الشمس . فقال المرتضى للملاح جدَّ وأسْرِعْ قبل أن يَسُبَّنا .

أورد ياقوت [٤] في ترجمة أحمد بن علىّ البَتّيّ كاتب القادر من نوادره الشائعة وكان مَزّاحاً « أنه انحدر مع الرضيّ والمرتضى وابن أبي الريّان الوزير وجماعة من الأكابر لاستقبال بعض الملوك فخرج عليهم اللصوص ورَمَوْهم بالحرّاقات وجعلوا يقولون أدخلوا بأزواج القحاب . فقال البَتّيّ ما خرج هؤلاء علينا إلاّ بعَيْنٍ . قالوا ومن أين علمتَ . قال وإلاّ فمن أين علموا أنا أزواج قحاب».

قال المرتضى [٥] « دخل علىّ أبو الحسن بن المحاملى مع أبى حامد الإسفرائنى ولم أكن أعرفه فقال لى أبو حامد هذا أبو الحسن بن المحاملىّ وهو اليوم أحفظ للفقه والفقه منى » .

(١) نزهة ٤١٦ الاذكياء٦٥ ادباء ٥:٢٨٤ الكامل ٩ : ١٦٤

(٢) كلاهما ضرب من السفينة وردا فى مناقب بغداد لابن الجوزى ص ٢٧ ـ

(٣) لم أجد الكلمة فى المعاجم المعروفة الحاضرة

(٤) ١ : ٢٣٤ ـ وبتّ بالفتح قرية من أعمال بغداد

(٥) الشافعية ٣ : ٢٠

نقل ياقوت [١] في ترجمة وليّ الدولة ابن خيران أنه سلّم لبعض الأعيان بمصر جزئين من شعره ورسائله ليستصحبهما إلى بغداد ويعرضهما على المرتضي وغيره من الرؤساء ويستشير في تخليدهما دارَ العلم . فينفذ بقيَّةَ الديوان والرسائل إن علِمَ أن ما أنفذه قبلُ ارتُضي واستُجيد اهـ

وفي الغيث [٢] والأدباء أن المرتضى كان جالساً في علّية له تُشرف على الطريق فمرّ تحته المطرّز (الغيث ابن المطرّزى) الشاعر يجرّ نعلا باليةً وهي تثير الغبار. فأمر بإحضاره . فلما حضر قال له أنشدني أبياتك التي تقول فيها:

اذا لم تبلّغنى اليكم ركائبي فلا وردت ماء ولا رَعَت العُشبا

فأنشده اياها فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية .وقال له أهذه كانت من ركائبك ؟فأطرق [المطرّزى غيث] ساعة . ثم قال له لما عادت هبات سيّدنا الشريف أيده الله الى مثل قوله :

وخُذ النـومَ من جفونى فإنى قد خلعتُ الكَرَى على العُشَّاق

عادت ركائبي إلى مثل ما ترى لأنك خلعت مالا تملكه على من لا يقبل - فاستحيى الشريف منه . وكان [٣] الشيخ صدر الدين ابن الوكيل يقول « والله إن قول المطرزيّ عندي أحسن من قول الشريف » .

ونقل ابن الجوزي في الاذكياء [٤] عن طراد بن محمد أن يهوديا ناظر

(١) ١ : ٢٤٢ -

(٢) ١ : ٢٢٩ - ٥ : ١٧٨ - والمطرز هو أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى ابن أيوب ذكره ابن الاثير وأورد له أبياتا قال وتوفى سنة ٤٣٩ هـ انظر ٩ : ٢٢٦ وترجم له الباخرزى في دمية القصر وسماه وكناه كابن الاثير والثعالبي في التتمة ودعاه أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد ثم أورد له الابيات وفيها: اذا لم الخ . والباخرزي والثعالبي دعواه ابن المطرز لا المطرز ولا ابن المطرزي وهو الظاهر -

(٣) هذه الزيادة من الغيث -

(٤) ١٠٥

مسلما أظنه قال في مجلس المرتضى . فقال اليهودي أَيْشْ ؟ أقول في قول سماهم الله. مُدْبِرين يعني النبيّ صلى الله عليه وسلَّم وأصحابَه يوم حُنين . فقال المسلم فإذا كان موسى أدبر منهم (كذا) . قال له كيف ؟ قال لأَن الله تعالى قال ولَّى . مُدْبراً ولم يعقّبْ وهؤلاء ما قال فيهم ولم يعقّبوا . فسكَتَ

فإن شئت فقل هذه أسمار وحكايات . ولكن عندي أنها آيات بيّنات .. تدل على مزايا العهد وخصائصه ، للباحث عن العلم وغائصه. وما مُنِحَه السيد المرتضى وبيته من الإكرام والتبجيل على ما أتيتُ به وانتقيتُه

الشيخ أبو أحمد عبد السلام

المعروف بالواجكا [١] خازن دار العلم ٣٢٩ ـ ٤٠٥

هو الأديب [٢] النحوي الراوية اللغوى عبد السلام بن الحسين بن محمد ـ ابن عبد الله البِصْري ـ وكان من أصحاب أبي سعيد السيرافي [٣] وابن جنّي [٤] والقرميسيني [٥] النحوي وأبي القاسم الدِهَكيّ [٦] قرأ عليه أشعار ربيعة الجوع ؛ وجد نسختهـا ياقوت بخط أبي أحمد . وممن أخذ عنه ابن بَرْهان النحوي [٧]

---

(١) بغية ٣٠٥ وغفران ١٨٤ والاشباه ٣:١٣٣ ـ وفى فهرست ابن الخير الاشبيلى . ٣٣١ أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرميسينى البصري .

(٢) وزعم مرجليوث ٢٤ وتبعه صاحب ذ ١٦٧ أنه صاحب الصوت البعيد في علم تقويم ـ البلدان ـ ولم أر هذا عند غيرهما وفيما عند غيرهما مقنع .

(٣) لا ابنه أبى محمد يوسف وهو السيرافى الصغير كما زعم مرجليوث ٢٥ غلطا وانظر الحكاية الآتية ـ وفي آخر نسخة الموشح للمرزباني أن عبد السلام انتسخها سنة ٣٦٦ هـ ـ وهذا يؤيد ماقلنا

(٤) نزهة ٤٠٩ ادبا ٥:١٩.

(٥) ادبا ٥ : ٤٤٠.

(٦) ادبا ٥ : ٧٨

(٧) نزهة ٤٢٨ .

وعبد العزيز الأزجي[١] ترجم له صاحب النزهة[٢] واختلسه صاحب الضرام وصاحب البُغية وقد خبط خبطًا شنيعاً[٣] ـ وفي فهرست أبي بكر بن الخير[٤] الإشبيلي قال أبو بكر المصحفيّ قال لي الفقيه الراوية أبو الحسن عليّ بن إبراهيم في بعض ما كان يُخبرني به: أكبرُ من لقيتُ من رُواة كتب اللغة والنحو والتفسير والأخبار ونوادر العرب وأيّامها الشيخ أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري وكان راوية بغداد يومئذ اه.

وكان لصاحبنا صديقا صدوقا، يبجّله ويرتشف من كأس وداده صبوحا وغبوقا. ولم يتلمذ عليه صاحبنا كما وهم صاحب البغية وقد شرحناه فيما مضى. وروى عنه كثيرا من الأخبار. وسيرد بعضها. وهاكَ هُنا ما يصلح منها للاسمار:

نُقل[٥] من نسخة لكتاب إصلاح المنطق قال أبو العلاء المعرّيّ حدثني عبد السلام البصري وكان خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقا صدوقا قال كنت في مجلس أبي سعيد السيرافيّ وبعض أصحابه يقرأ عليه[٦] إصلاح المنطق فمضى ببيت حميد بن ثور (رض):

ومطويّةُ الأقراب أما نهارُها فسَبْتٌ وأما ليلها فذميل

فقال أبو سعيد ومطويّةِ أصلحه بالخفض. ثم التفت إلينا فقال هذه واو ربّ. فقلت أطال الله بقاء القاضي إن قبله ما يدل على الرفع. فقال ماهو؟.

---

(١) بغيه ٣٠٦

(٢) ٤١٢.

(٣) حيث قلد الصفدي (مرجليوث ٢٤) في سنة وفاته أنها ٣٢٩ ﻫ وهي سنة الولادة وقال انه قرأ على الفارسي أيضا. وسمى أباه الحسن وهو الحسين بن محمد نزهة ٤١٢ وغيره.

(٤) ٣٨٧ طبع اسبانيا.

(٥) الوفيات ٢: ٣٥٠.

(٦) وأورد البيتين التبريزي في تهذيب الاصلاح ١ : ١٥ والسبت السير السريع.

فقلت :

أتاك بِيَ الله الذي أنزل الهدى   ونور وإسلام عليك دليل

ومطويّة الأقراب ... فعاد وأصلحه وكان ابنه [أبو] محمد حاضراً فتغير وجهه لذلك فنهض لساعته ووقته والغضب يستطير في شمائله الى دكّانه وكان سمّانا فباعها واشتغل بالعلم الى أن برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح إصلاح المنطق . قال أبو العلاء وحدثني من رآه وبين يديه أربعمائة ديوان وهو يعمل هذا الديوان اه فانظر الى غزارة أدبه وعلمه وكونه باعثا على نبوغ عالم من خيرة العلماء بين ظهرانَيْنا .

وفي الغفران(١) قد شاهدت عند أبي أحمد عبد السلام بن الحسين المعروف بالواجكا رحمه الله ـ فلقد كان من أحرار الناس ـ كُتُبا عليها سماع لرجل من أهل حلب وما أشك أنه الشيخ (يعني ابن القارح) اه

وقال في الغفران (٢) حكى لى الثقة أن أبا عليّ الفارسي كان يذكر أن أبا بكر ابن السرَّاج عمل من المُوْجَز النصف الأول لرجل بَزّار ثم تقدَّم إلى أبي عليّ بإتمامه اه ومن قطعة في س(٣) بعث بها إلى التنوخي :

جزءٌ بدَرْب جميل فى يدى ثقة   سألتُه ردَّ مضمون إذ قدرا

ولا ريب أنه أراد بالثقة فى البيت الواجكا ، فأحرِ به أن يريده به في الحكاية أيضاً . ودَرْب جميل الذى كان به منزل الواجكا أغفله ياقوت إلاّ أن بيتاً من س(٤) يرشدنا إلى أنه بالكرخ :

وهل يُرْجِس الكرخيّ والدارغَرْبةٌ   من الشأم رِحسُ الراعد المترجّع

---

(١) ١٨٤ .

(٢) ١٣٧ .

(٣) ٢ : ١٤٠ .

(٤) ٢ : ١١٠ .

وكان صاحبنا يجتمع معه كلّ جمعة فى مجلس المحاضرات ولعل ذلك فى جامع المنصور. ومستندنا ما فاض من أمر المحاضرات والمناظرات به فى ذلك العصر[1]. وقال أهل العصر[2] ان ذلك بدار الواجكا ولكن لم يأتوا بما يعوّل عليه فى الباب. قال ـ س[3]:

تُهَيِّج أشواقي عَروبةُ إنّها إليكَ زَوَتْني عن حضور بمجمع

وله إليه بعد الرجوع عينيّة من س[4] وورد ذكره فى عنوان التائيّة[5] إلى التنوخي وفيها أيضاً[6] وفى الرائية[7] إليه أيضاً ـ والطائيه[8] التى فى عنوانها «مخاطب خازن دار العلم» أيضا إليه على ما أظنّ وسيرد أمرها. ومن الرسائل ر ا ١٦ إليه بعد الرجوع ذكر فيها أن كتبه لا تصله فيحتاج إلى الاعتذار وأنه يشتاق إليه وإلى الكرخ شوقا بلغ الغاية ـ وتطرّب إليه فى ا ١٥ إلى الصابونى ـ وورد ذكره مراراً في الغفران تصريحاً وكناية كما مضى وكما يأتي

روى القفطيّ[9] أنه عرض على صاحبنا ما بخزانته من الكتب فلم ير فيها شيئاً غريبا إذ كان قد قرأها كلّها بطرابُلُسَ إلاّ ديوان تيم اللات فاستعاره منه وسافر إلى المعرّة وهو معه فردّه إليه مع قصيدته التائية اه والحكاية بحيث ترى مجموعة أوهام وذلك أنه لم يكن إذ ذاك بطرابلس دارٌ للكتب أصلاً

(١) انظر حياة الحيوان ١ : ٢٣٥ والشافعية ٣ : ١٨٢ وغيرها

(٢) صاحب ذ ١٧٩ ـ وكل من تبعه هو ـ

(٣) ٢ : ١١٠ ـ

(٤) ٢ : ١٠١

(٥) ٢ : ١١٢

(٦) ٢ : ١٢٠

(٧) ٢ : ١٤٠

(٨) ٢ : ١٢١

(٩) قال صاحب ذ ١٧٨ والذهبى ـ أقول ولعله وهم منه فليس هذا القول في تاريخ الاسلام له ـ

كما قد مضى روايته عن العَدْل. وإنا نراه يقدر الكتب حقَّ قدرها واستفاد منها علما جَمًّا. ومن ذا الذي يستغني عن أعلاق الأسفار كائنًا مَن كان، على أنه سيرد بعد هذا ما يردّها، وإن كان ما قاله له وجهٌ لم يكن تَطَرَّ به إلى دار الكتب بلغ به إلى هذه الغاية. على أن الديوان لم يكن منها بل هو صُنع المحسّن والد أبي القاسم التنوخي وكان استعاره من أبي القاسم لا من عبد السلام ولم يستصحبه إلى المعرّة بل أودعه عَبْدَ السلام وأوصاه أن يوصله إلى التنوخيّ، والتائية ليست إليه بل إلى التنوخي. ولكن الصاحب بن العديم قارب في العدل حيث ذكر أن أبا العلاء طلب ببغداد أن تعرض عليه الكتب التي في خزائنها فأدخل إليها وجعل لا يُقرَأ عليه كتاب إلا حفظه

وورد في عنوان العينيَّة [١] إليه «عبد السلام صاحب الدولة» ولا توجد هذه الكلمة في سائر النسخ ولا أثبتها فيه أحد من أصحاب التراجم بل قالوا بأجمعهم إنه تولَّى الإشراف على دار الكتب ولا تحقَّقت معناها فيه من أيّ جهة كان؟

رجعنا إلى ذكر المجمع العلمي مع الواجكا ـ قال بعض الشبان [٢] وكأن هذا المجمع السرّيّ هو الذي أسماه إخوان الصفاء لشيوع هذا اللفظ بين المسلمين في ذلك العصر . . . . حيث يقول . . . . .

ـ وإذا أضاعتني الخطوب فلن أُرَى لوداد إخوان الصفاء مُضيعا اهـ

أقول وهذا رجمٌ منه بالغيب وغلط، فلم يكن المجمع من السرّ في شيء، ولا كان فيه أحد من متفلسفي ذلك العصر. وأكثر أعضاء مجمع إخوان الصفاء كانوا ماتوا عند وروده ببغداد. وأما هذا البيت فإنه أحد أبيات ثلاثة [٣] قالها على لسان الحافظ الرحّالة المحدّث أبي الوليد الحسن بن محمد البلخيّ الدَّرْبندي

---

(١) س ٢ : ١٠١ ـ
(٢) صاحب ذ ١٧٩ ـ
(٣) س ٢ : ١٣٦ وأدبا ١ : ١٧٥

المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ترجم له ابن عساكر [١] وياقوت رسم دربند، وكان زاره بالمعرّة [٢]، وما للمحدّثين ومجامع الفلاسفة؟ وورد في حماسة البحترى [٣] لإسماعيل بن بشّار وكان قبل ظهور هذه الجماعة بقرنين:

وإن أيقنتَ أن الغيَّ فيما دعاك إليه إخوانُ الصفاء

على أن الرجل كانْ زاره بعد الرجوع بزمان وكان رحّالة لا يُلقى عصا التسيار. ولا يملّ من الأسفار، وله أُسوة في هذا الرجم بصاحب الضرام ولفظه « عنى بإخوان الصفاء أصدقاءه الصافية الوداد، وكأنه يوهم أنه عنى بهم أصحاب الرسائل المعروفة برسائل إخوان [الصفاء] وهى رسائل فصيحة تشتمل على ضروب الحكمة، صنفها جماعة من الحكماء منهم (أبو [٤]) سليمان محمد (ابن) معشر المقدسى وأبو الحسن علي بن زهرون [٥] الزنجانى وأبو أحمد النهرجورى [٦] وزيد بن رفاعة. وألفاظ هذه الرسائل للمقدسى » اهـ وهو فى الغلط شريكه إلاّ أن لفظة « كأنه يوهم » يقلّل نصيبه مما ملأ منه عصريّنا عِدْله.

أبو منصور خازن دار العلم

ذكر فى الغفران [٧] توفيقَ السوداء التى كانت تخدم فى دار العلم ببغداد

(١) ٤ : ٢٤٧ .
(٢) وانظره فى زوّاره بالمعرة .
(٣) الخطيه ٣٦٥ .
(٤) الاصلاح من تاريخ الحكماء للقفطي مصر ص ٥٩ والشانمية ٣ : ٢٧ والملل للشهرستانى .
(٥) عند القفطي هارون .
(٦) عند القفطي المهرجاني .
(٧) ٧٣

على زمان أبي منصور محمد بن علي الخازن وكانت تُخرج الكتب إلى النُسّاخ اهـ.

فهذا نصٌ في اسمه واسم أبيه . وهذا الرجل بعث إليه صاحبنا بره١٩ خاطبه فيها « بسيدي الشيخ » ورغب في الاجتماع معه والسير إليه ثم اعتذر عنه بعجزه وأن كُتُبه إليه تَترى الاّ أنه لم يَحظ بأجوبتها وأنه أرسل إليه قصيدة لزومية ولم يدر هل وصلت أم لا ؟ فالظاهر أنها بُعَيْد الرجوع إذ كان يهمس برحلة أخرى إلى بغداد ـ كما يشير إليه قوله أدنى إشارة ـ س[1] :

أظنّ الليالي وهي خُوْنٌ غوادر بردّى إلى بغداد ضيّقةَ الذرع

ولا أرى التاريخ يفيدنا أكثر مما مرّ . وأمّا خزانته التي كان يتولى رعايتها فالظاهر أنها دار الكتب القديمة إلا أنه ليس ثمّة نصّ على ذلك ـ وأما الطائيّة[2] فالظاهر أنها إلى أبي أحمد المذكور والله أعلم . (للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني) :

ومـــا أعجبتْني قطُّ دعوى عريضةٌ وإن قام في تصديقها ألفُ شاهد

وهناك أبو منصور محمّد آخرُ بُعيد ذلك العصر ورد اسمه بآخر نسخة[3] شعر أبي دَهْبل الجمحي في صورة سماع أخيه الشيخ أبي غالب محمد بن أحمد بن طاهر بن حَمْدٍ من الشيخ أبي القاسم التنوخي عليّ بن المُحَسّن فعدّد أبو غالب أسماء من سمع الديوان معه وفيهم أخوه المذكور من غير أن يسميه خازنا ـ وورد اسم أبي غالب محمد مراراً على أول الديوان وآخره مع لفظ الخازن ـ وهذه الخطوط مما لا يتطرّق إليه أدنى ريب ـ

(١) ٢ : ٧٩ ـ

(٢) وفي د ٢١٢ مايدل على أنها قيلت بعد سنة ٤٢٠هـ وماهو دعوى محضة

(٣) نسخة جامعة لبسيك (ألمانيا) عدد V. 807 والعدد القديم D C. 354 وقد طبعوها مع صور ورقي الأول والآخر بمجلة الجمعية الآسيوية ١٠١٧ ـ ١٠٧٥ سنة ١٩١٠ م

وترجم ياقوت لمحمد بن احمد بن طاهر الخ قال هو أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة مات سنة ٥١٠ ﻫ ذكر ذلك ابن الجوزى. سمع علي التنوخى الصغير وكان فقيها على مذهب الإمامية ثم روى عن غرْس النعمة في كتاب الهفوات ما خلاصته قال كان بدار العلم التى وقفها سابور خازن يعرف بأبى منصور. واتفق بعد وفاة سابور بسنين كثيرة أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى فرتّب معه آخرَ يُعْرف بأبي عبدالله بن حَمْد(؟) مشرفًا عليه وكان داهية فصمد لأبى منصور كيدا ثم سرد الحكاية قال ياقوت هكذا وجدت هذا الخبر وقد وافق رواية ابن الجوزيّ في كون ابن حَمْدٍ خازن الكتب بين السُوْرَين وفي مقاربة العصر وخالفه فى الكُنية ولا أدري هل هو هذا أو غيره أو قد غلط أحدهما في الكُنية والله أعلم. ثم وقفتُ على المذيّل الذي للسمعانىّ بخطّه على حاشية (؟) ملحقا أن محمد بن عطّاف الموصلى سأل أبا منصور بن حَمْدٍ الخازنَ عن مولده فقال سنة ٤١٨ ﻫ قال وسأله غيري فقال سنة ٤١٧ ﻫ وهذا يدلّ على أن هذه الحكاية ليست عنه لان المرتضى مات سنة ٤٣٦ ﻫ فيكون حينئذ قد كان ابن حمد ابن اثنتى عشرة (؟ ثمانى عشرة) سنة فيستحيل أن تكون الحكاية عنه وعساها عن أبيه والله عز وجل أعلم بالصواب اﻫ على طوله. وترجم له ابن حجر أيضا في اللسان [1] وذكر اسمه وكنيته كياقوت وكذا سنتيْ ولادته ووفاته وزاد ذكر أخيه أبي غالب. فهذا صريح في أن أبا منصور أيضا خازن كأخيه أبي غالب كما مرّ.

وقد تمَكّنّا على بُعد عهدنا والحمد لله على ذلك من كشف بعض ما أُبهم على ياقوت. وذلك أن أبا منصور صاحبَ الحكاية في الهفوات هو صاحب أبي العلاء لا أخو أبي غالب الذى رُتّب معه آخراً بعد وفاة سابور وهو المذكور في الحكاية بأبى عبد الله بن حَمْد ولعله كان يُكْنَى إذذاك كذلك ثم يكون

(١) ٥ : ٣٨ عدد ١٣٠ -

تكنّى بأبي منصور بعد وفاة أبي منصور صاحب أبي العلاء . فهذا يفيدنا أن صاحب أبي العلاء كان خازنَ دار الكتب القديمة ـ كما كنا أبديناه ظنًّا ـ وأنه بقي بعد وفاة سابور . و يعضُده ما مرّ من أمر ر إليه بعد الرجوع . بقي أمر ترتيب ابن حمد بالخزانة وهو ابن ١٨ سنة فهذا فيه نوع غرابة أولعل ابن حمد هذا هو أخوه أبو غالب على أن يكون أسنّ من أبي منصور بل هو الراجح ان شاء الله . فاذاً المترجم في الادباء واللسان هو أبو منصور بن حَمْد لاشك . وأما أمر اشرافه على الخزانة فلعلّه مع أخيه أبي غالب أو بعده . هذا ما بلغ بنا البحثُ إليه وعند الله علم الجلية .

ولما وقع ياقوت وهو الجذل المحكّك والمجرّب المحنّك فيما وقع فيه فكيف بقرْعَى العصر. إلاّ أنني أنقل قول بعض المستعربة [1] استطرافا (أ) لقى [2] أبا منصور صاحبنا ببغداد (ب) هو الذى [3] أرسل إليه طائيته على ما صرّح به في ر إليه (ج) وأبو منصور [4] هذا هو المترجم له في الادباء (أي المولود بعد رجوع صاحبنا من بغداد بـ ١٨ سنة) (د) وأن قول ياقوت [5] « ولا أدري هل هو هذا أو غيره » وهم منه .

فأنت تراه أتى بدعاوى يكذّب بعضها بعضا . فكيف لقيه ببغداد ولم يولد بعدُ وكيف يرسل اليه الطائية ولم يُخْلَق . والطائيّة ليست مرادة بالقصيدة اللزومية التى ذكر إرسالها فى ر إلى أبي منصور . فانها من س وليس فيه شيء

---

(١) هو د س مرجليوث.

(٢) م ر ص ٢٥

(٣) حاشية ترجمه ر ص ٥٨ والعدد ٤.

(٤) حاشية الادباء عدد ١ـ٦: ٣٥٨.

(٥) حاشية الادباء عدد ١ـ٦: ٣٦٠.

من اللزوم . وكيف يثبت وهم ياقوت بدعوى فارغة .

ولما وصلت إلى هذا الموضع وجدتُ في البغية[١] عن ياقوت ترجمة لصاحب أبي العلاء إن شاء الله إلاّ أنه لم يُسمّه خازنا قال محمد بن عليّ بن عمر بن الجيّان أبو منصور أحد حسنات الريّ وعلمائها الأعيان جيّد المعرفة باللغة باقعة الوقت وفرد الدهر الى آخر ما وصفه به . كان من ندماء الصاحب وهو صاحب الشامل في اللغة قرئ عليه سنة ٤١٦ هـ وسكن اصبهان وكان من أصحاب أبي عليّ وقرأ عليه عبد الواحد بن بَرْهان اه المقصود منها . وذكر في ترجمة ابن بَرْهان (بالفتح)[٢] أنه قرأ على عبد السلام أيضا وفي النزهة[٣] أنه كان يُقرىء بالكرخ[٤] وتوفي سنة ٤٥٠ هـ . فلم يبق كما ترى إلاّ أمر ولاية الخزانة .

القاضي التنوخي الصغير

٣٧٠ — ٤٤٧

هو أبو القاسم[٥] علي بن المحسّن[٦] أبي علي صاحب الفَرَج والنِشْوار وأشعار تنوخ ابن أبي القاسم علي وهو القاضي التنوخي الكبير صاحب المقصورة[٧] ابن محمد بن أبي الفَهْم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر ينمى إلى تيم

(١) ٧٩ ـ والترجمة أطول مما أوردناه .
(٢) ٣١٧ ونزهة ٤٢٨ .
(٣) ٤٢٣
(٤) نزهة ٤٣٠.
(٥) ترجم للثلاثة على الولاء في اليتيمة ٢:١١٦ و١١٥ و١٠٥ ـ والادباء ٥ :٣٠١، ٦:٢٥١ ـ ٥ :٣٣٢ ـ الوفيات ١:٤٤٦، ٤٤٥، ٣٤٣ ـ ودون الأوسط السمانى ورق ١١٠ والحفيد فقط الفوات ١:٦٨ واضطرام في يائية التهشة واللسان ٤ :٢٥٢
(٦) بتشديد السين والكسر . وفي س ٢:١١٨ ياابن المحسن ... البيت.
(٧) المروج على هامش النفح مصر ٣:٤١١ وهي في مدح تنوخ وقضاعة

اللات ثم الى قضاعة . قرأ على غير واحد من شيوخ بغداد منهم (١) الرَبَعي وابن كيسان والرَزّاز وغيرهم . ومن تلامذته الخطيب البغدادي وقد أكثر من الأخذ عنه وهو قارئ شعر أبي دهبل عليه وجملة السامعين ٢٥ نفساً على ماورد في صورة سماع الشيخ أبي غالب عليه (٢) سنة ٤٣٢ هـ منهم أبو منصور ابن حَمْد المذكور . كان ثقة ثبتا قبلت شهادته في حداثته وتقلد قضاء عِدَّة نواحٍ من المدائن وأعمالها ودَرْزِيجان (٣) والبَرَدان وقرميسين وغيرها . قال الخطيب وكان دَخله كل شهر من القضاء ودار الضرب وغيرهما ستين دينارا فيمرّ الشهر وليس له شيء . وكان ينفق على أصحاب الحديث . قال ياقوت وكان الخطيب والصوري وغيرهما يبيتون عنده .

وكان من بيت العلم والأدب والقضاء متحفّيا بصاحبنا مكرما له . قرأ عليه مع أنه من أقرانه كما فى النزهة (٤) والضرام وتاريخ الذهبي لما ورد بغداد شعر صباه أعنى ما أُنشيء من شعر السقْط إلى ذلك الوقت.قال ابن خلكان (٥) كان يصحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه كثيراً . ثم قال إنه كانت بينه وبين أبي زكريّا التبريزيّ مؤانَسة واتحاد بطريق أبي العلاء اهـ .وفى البغية (٦) أن التبريزي تلمذ على التنوخي أيضا .أقول أما المؤانسة فنَعَمْ ولكن بعد رجوع صاحبنا بدهر فان التبريزي وُلد سنة ٤٢١ هـ كما قال ابن خلكان (٧) نفسه . وأما أن تكون

---

(١) ابن الشيخ ٢:٢٥٦.
(٢) تجاه ص ٤٤-١ سنة ١٩١٠ م من مجلة الجمعية الاسيوية.
(٣) كذا في الانساب وهي قرية بغربي بغداد . لا أزر بيجان كما هو فى الوفيات مصحفة ١ : ٤٤٧ .
(٤) ٤٢٥ اليائية : ١٣٧ .
(٥) ١ : ٤٤٦.
(٦) ٤١٤- واليافعى ٣ : ٦٧
(٧) ٢ : ٢٣٥

بطريق أبي العلاء فاني ارتاب فيه فإن الطريق لم تكن وُطئت قبل ورود التبريزيّ المعرّة وأما بعد رجوعه منها فإن حتف التنوخيّ قد دنا . والذي أرى أن يكون قرأ على التنوخي وهو ابن ١٨ سنة ثم بعد رجوعه من المعرّة يكون هذه الوصلة قد تأكّدت وان لم تبق الا هُنيهة كالبرق الخاطف . وكان يزور صاحبنا بالقطيعة(١) محافظةً على الوداد ، وتأميناً لسوقه من الكساد . وكان صاحبنا يُدِلّ بأنه نسيبه في تنوخ ويُزهى . وان مَساعى(٢) بيته لقضاعة اليها الموئل والمنتهى . س(٣) :

لولا مساعيك لم نَعْدُد مساعِيَنا   ولم نُسامِ بأحكام العُلى مُضَرا
أذا كُرّ أنت عصر أمرّ عندك لى   فليس مثلي بناسٍ ذلك العُصُرا
أيّامَ واصلتَني وداً وتكرمةً   وبالقَطيعة داري تحضُر النهَرا(٤)

كَنَى(٥) محمد ا نَسبى مفيدي   ودادُك والهوى أمر بَديُّ
بنو الفَهْم الذين بَنَى علاهم   أبو الفهم الهُمام الهِبْرِزيُّ
سَمَوْا فى الجاهلية بالمَعالى   وزادوا بعد ما بُعث النبيُّ

ومن شعر صاحبنا اليه في س(٦) تائيّته الطويلة فيأمر ديوانأشعار تيم اللات في الجاهلية جمعه الله أبي على وكان استعاره منه وتركه عند الواجكا ورحل فسأله

(١) كما أن صاحبنا كان يزوره في حلقته على ما يأتي في حكاية يوح
(٢) من أمر المنصورة في مدح قضاعة آنفا
(٣) ٢ : ١٣٩
(٤) دجلة
(٥) ١ : ٦٧
(٦) ٢ : ١١٢

بعد أن أقرأه السلامَ أن يَسْلمه التنوخيّ . وورد أمره في الرائية [١] اليه أيضا أقول وذكر مترجمو الواجكا أنه كان جوادا ربّما اعترضه السائل وليس معه شيء فيعطيه من الكتب المتقوّمة شيئًا . وانظر في عنوّان التائية « فنخشى أن يكون جرت غفلة في أمر الكتاب » فهذا ينظر الى ما ذكروا . وله اليه يائية [٢] ببغداد يهنئه فيها بمولود وُلد له كناه صاحبنا أبا علي وسماه محمداً . ولا شك أنها قيلت ببغداد ويدل عليه قوله منها :

إذا نأتِ العراقَ بنا المطايا فلا كُنَّا ولا كان المطيُّ

على أن ذكر بغداد ورد في عنوان بعض النسخ [٣] أيضا ولكن ياقوت [٤] نقل عن بعضهم أن المولود وُلد سنة نيف و ٤٤٠ هـ وروى حكاية تشبهه عن القاضي الدامغاني قال دخلت على أبي القاسم قبل موته بقليل وقد علت سنّه فأخرج اليه ولده من جاريته فلما رآه بكى . فقلت يعيش (؟) إن شاء الله وتُربيه ويُقر الله عينك به فقال هيهات والله ما يتربّى الاّ يتيما وأنشد (من شعر صاحبنا في اللزوم [٥]) :

أرى ولد الفتى عِبأً عليه لقد سعد الذي أمسى عقيما
فإمّا أن يخلّفه عدُواً وإما أن يُربيَــــه يتيما

ثم قال اريد أن تزوّجني من أمه فإني قد أعتقتُها على صَداق عشرة دنانير ففعلت . وكان كما قال تربّى يتيما وهو أبو الحسن محمد بن عليّ قبل القاضي

(١) س ٢ : ١٤٠
(٢) ٢ : ٦٦
(٣) المصرية دون الايرانية
(٤) أدبا ٥ : ٣٠٢
(٥) ٢ : ٢٤٩

أبو عبد الله شهادته ثم مات سنة ٤٩٤هـ . وانقرض بيته اهـ . وترجم له صاحب الجواهر المضية(١) قال هو بو الحسين (وقدمرّ عند ياقوت أبو الحسن) محمد ابن على أبي القاسم اهـ. ثم نقل عن ابن النجّار حكاية له وقال مات سنة ٤٩٤ هـ كذا ذكره ابن النجار اهـ . وهذا كله صريح في أنه وُلد بعد رجوع صاحبنا بنيف واربعين سنة . فالظاهر أنهما ولدان بينهما نحوٌ من أربعين سنة وكلاهما محمد على اختلافهما في الكُنية بأبى على وأبي الحسن . على انه من الممكن أن يكون تكنيته من صاحبنا لم توافق الرواج والنَفاذ . ولصاحبنا في حلْقته خبر وسيأتى

﴿ هو في حلْقة الرَبَعى ﴾

روى الكمال ابن الانباري (٢)عن التنوخيّ الصغير وياقوت(٣) وغيرهما أنّه لما ورد الى بغداد قصد أبا الحسن علىّ بن عيسى الرَبَعي [النحوي صاحب أبي على الفسويّ] ليقرأ عليه شيئاً من النحو . فقال له ليَصْعَدِ الاصطبلُ . فخرج مغضبًا ولم يَعُد اليه . والاصطبل فى لغة أهل الشام الاعمى ولعلّها معرّبةاهـ. أقول وكان التنوخى تلميذاً للربعى كما ذكر ابن الشيخ البلَوى(٤) . ومثل هذا القَذَع والجبه ، واذالة الوجْه ، لم يكن ببدع من الرَبعىّ فما ذاك بأوّل قارورة له كسرت ، ولا أول هَناة أُتيتْ . فأنّه كان مغفّلاً مجنونا ، وبسفاسف الأمور مفتونا . كما نقل كل من ترجم له قال . ابن الانباري (٥) « ويُحْكى من سيره

(١) ٢ : ٩٨
(٢) ٤٢٥
(٣) ١ : ١٦٩
(٤) ٢ : ٢٥٦
(٥) ٤١٦

وتصرّفاته ما طيه أحسنُ من نَشْره » . وقال التبريزى (١) سألت أبا القاسم ابن بَرْهان فقلت له يا سيدنا تتركُ الرَّبعي والأخذَ عنه مع إدراكك إيّاه وتأخذ عن أصحابه · فقال لى كان مجنونًا وأنا كما ترى . فما كنّا نتفق . اه يعنى المثل ـ أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق . ومرّ حكاية جنونه مع المرتضى وابن جنى . وقال الخفاجى فى شفاء الغليل (٢) اصطبل بلغة أهل الشام معناه الاعمى كما في كتاب الهميان ولذا قال ابن عباد جُرّوا الإصطبل في حكايته مع المعرّي اه . وهذا وهم شنيع وتخليط مستهجَن لثلاث حكايات هذه إحداها والأخريان ستأتيان في بيان « مجلس المرتضى » على ان اسم كتاب الصفَدِيّ نَكْتُ الهميان وفيه (٣) اسطبل بالسين

اعتراض له على فقهائها

من شعره في اللزوم (٤):

تناقض مالنا إلاّ السكوت له وأن نعوذ بمولانا عن النار
يد بخمس مئين عسجدً[ا] فُديت ما بالُها قُطعت في رُبْع دينار

روى الحافظ عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي من أصحاب حجة الله على أهل الارض الامام ابن تيمية الحراني رضى الله عنه فى تفسيره (٥) ذكروا أن أبا العلاء المعرّيّ لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالا على الفقهاء في

(١) أدبا ٥ : ٢٨٧
(٢) ص ٣٣ مصر سنة ١٣٢٥ اه
(٣) ص ١٠٣
(٤) ٢ : ٣١٧
(٥) ٣ : ٣٤٥ بهامش فتح البيان

جعلهم نصاب السَرِقة رُبع دينار ونظم في ذلك شعراً دلَّ على جهله وقلّة عقله يد . . . الخ البيتين ولمـّا قال ذلك واشـتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم. وقد أجابه الناس في ذلك فـكان جواب القاضي عبد الوهاب المالـكي رحمه الله أنه قال « لمـّا كانت أمينةً كانت ثمينة ولمـّا خانتْ هانتْ» ومنهم من قال هذا من تمام الحـكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة . فان في باب الجنايات ناسب أن تعـَظم قيمة اليد بخمسمائة دينار لئلا يُجْنى عليها وفي باب السَرِقة ناسَبَ أن يكون القدر الذى تُقطع فيه ربع دينار لئلا يسارع الناس في سَرِقة الأموال. فهذا هو عين الحـكمة عند ذوى الالباب اه

وقال الذهبي[1] أنبأتنا أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم أنا فرْقد الـكِناني سنة ٦٠٨ ه أنا السِلَفى سمعت أبا زكريا التبريزي قال لمّا قرأت على أبى العلاء بالمعرّة قوله : « يد بخمس مئى من عسجد » البيتين . سألته عن معناه فقال هذا مثل قول الفقهاء عبارة لا يعْقل معناها قلت لو أراد ذلك لقال تعبّد. مالنا اه ؟ ولمـا اعترض على الله بالبيت الثانى قال السِلَفي ان قال هذا الشعر معتقداً معناه فالنار مأواه وليس له في الاسـلام نصيب اه

وقال ابن الشيخ البلوى[2] الاندلسي صاحب السامي ويقال أن المعرّي كتب الى ابن حزم بهذا البيت يد . . . البيت فقال :

صيانة النفس أغلاها وأرخصها خيانة المال فافهم حكمة الباري

بلغ البيت غيره فقال :

---

(١) ١٣٢ ونقله ابن حجر فى لسانه ١ : ٢٠٥ـ
(٢) ٢ : ٣٨٢ ـ

بذاكَ سُنة خير الناس قد وردت فلا سبيل الى تعليل لآثار .اه .

أما جواب ابن حزم فقد عزاه محشي اللزوم الى القاضي عبد الوهاب . وقال الصَفَدي [١] وصاحب المعاهد [٢] أنه لعلم الدين السخاوي وهو أيضاً من تلامذة السِلفى فكيف يمكن أن يَعْزو ابن الشيخ جواب صاحبه الى من تقدمهما بنحو قرن ونصف إلا أن روايتهما :

عِزّ الامانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة . . . . . البيت

وهي الاصلح. وأما عزو المحشي فأنه أراه وهما منه ، كما وهم صاحب النور السافر [٣] في عَزْوه الى الشريف الرضي وصاحب روضات الجنات [٤] في عزوه الى المرتضى

وقال ياقوت [٥] كأنَّ المعري حمار لا يفقه شيئاً ثم أجاب بمثل جواب ابن كثير الآخر . وتصدّى للدفاع عنهُ محشي اللزوم فقال أرى ان اعتراض المعرّي واقع على الفقهاء القائلين بقطعها لا على الباري بدليل قوله وأن نعوذ الخ. لان بعض الفقهاء قال لا تُقطع الا في الثمين من المال وأما الخسيس [٦] ففيه التعزير.

---

(١) الغيث ١ : ٤٨ والنكت ١٠٧ ـ

(٢) ١ : ٥١ ـ

(٣) انظر ص ٣٦٤ من نسخته الخطية بخزانة الشيخ عبد الحي في لكنؤ

(٤) ص ٧٤ ولفظه «ومن المشهور أن المعرى اعترض يوما على المرتضى بقوله يد البيت فأجابه بقوله: عز البيت. وأجابه رجل آخر من أهل المجلس بقوله :

هناك مظلومة غالت بقيمتها وههنا ظلمت هانت على الباري

اه مختصرا

(٥) ١ : ١٩٢ ـ

(٦) وذلك ان الكتاب والسنة سا كتان عن تقدير النصاب وأما الائمة الاربعة فمذهب مالك القطع في ثلاثة دراهم فصاعدا ومذهب الشافعي في ربع الدينار ومذهب أحمد الجمع بين القولين . ومذهب أبي حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري أن النصاب عشرة دراهم مضروبة وقال بعض السلف لاتقطع الخمس الا في خمس (؟) أي في خمسة دنانير أو خمسين درهما وينقل هذا عن سعيد بن جبير فهو الاوفق بمذهب صاحبنا ان سلم قول المحشي

والضرب بالحبْس والضرب فكأنه لا يرى رأي القائلين بالقطع ويرى أن التقدير اجتهاد فيكون الحكم عليها بربع دينار مع الحكم لها بخمسمائة دينار تناقض (؟)اه

ووجدته في اللزوم يحظر عن القطع مطلقاً :

لا تُحدِثِ القطع في كفٍّ ولا قَدَم ولا تَعَرَّضْ بذى الدنيا لسَفْكِ دم

وأرى أنه اعترض على الفقهاء في تقدير النصاب كما هو ظاهر من عبارة ابن كثير . ومنشؤه حرصه على الدخول في عداد المتفقّهة لما رأى جمهورهم عا كفين ببغداد أو الافتتان وشَحذ الخاطر والاستطراف أو استنزاف ما عندهم من قوّة القريحة وجَوْدة الخاطر . لا الاعتراض على حكمة الباري سبحانه . ولو كان هذا دليلا على كفره لم ينزل عليه القاضي عبد الوهّاب بالمعرّة بعد الرجوع بزمان مع أنه أول غرض لسهم اعتراضه ولا شيخ الاسلام الصابونى وهما هما ولكان لسان أهل بغداد طلقاً بتكفيره كما نرى ألسنة المتأخرين ويا هل تُرى دَهماء البغاددة وأعيان علمائها اجتمعوا للاحتفال بتوديع زنديق ملحد . وهل يريد ما قاله السلفيّ وهو الذي يقول[1] (ان كان قاله) :

زعم الجهول ومن يقول بقوله ان المعاصى من قضاء الخالق

إن كان حقّاً ما يقول فلِمْ قَضَى حدَّ الزناء وقطعَ كفِّ السارق

فليس بيتاه اذاً الا خَطْرةً عَرَضت . ونَفْثةً ما نَضِجَتْ . وشِقْشِقةً هَدَرَتْ ولما صادفتْ جواب صديقه عبد الوهاب هَدَأت . والا فما معنى قوله من اللزوم :

ماقيمتي فَلسٌ وفي حكمه أنِيَ أُودَى ألفَ دينار

وعند الله علم السرائر . وهو يتولى الضمائر .

---

(١) ١ : ٤٨ من الغيث

﴿ هو بحضرة القائم الخليفة ﴾

لم أر أحدا من رُواة أخباره ذكر شيئاً مما يجذب الى معنى العنوان ـ غير أني رأيت عند دَوْلتْ شاه السمرقندي أُسطورةً هي بأساطير رُسْتَم وإسْفَنْدَيارَ أشبهُ منها بصحائف التاريخ والأخبار . ورأيت كثيراً من علماء الفرس . والله شهيد أني لا اريد الغضّ منهم أو التنقّص لهم ربما يأتون بما يُطرَى معهُ البُكم الخُرْس . وإني طالما :

جرَّبتهم فوجدتهم لمّا سَبرْتَهم زُيُوفْ

وهذا تعريبُ زَمْزَمته وبيان جَمْجمته قال فى تذكرته [1] . ولأبي العلاء فى علمي المعانى والبيان عدّة كتب (؟ ؟ فأين هى ؟) وكان القائم بأمر الله الخليفة العباسيّ يكرمه ويتفقّده (فلماذا رجع اذاً وشكا عُسرته ببغداد [2]) وله في مدح آل عبّاس قصائد (لم نجد منها شفعا ولا وتْرا) . حُكي أن أبا سعيد الرستمي [3] وهومن أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء كان يتلمّذعليه لمّا عميَ فى آخر عُمُرُه (ياسبحان الله ! !) ولذا يدعونه أبا العلاء الضرير . وكان كلّما أنشأ مديحًا فى الخليفة قاده أبو سعيد الى مجلسه . وقالوا إن أبواب دار الخلافة كانت من الارتفاع بحيث ان أصحاب الرايات كانوا يدخلون فيها من دون أن ينكسوها . فكلما وصل به الرستمي الى باب من أبوابها قال له انحنِ أيها الاستاذ . فينثني

(١) طبعة ليدن ص ٢٤ و ٢٥ ـ

(٢) ٢ : ٥٣ :

مقل من الاهلين يسر واسرة كفى حزنا بين مشت واقلال

(٣) وهو محمد بن محمد بن الحسين الوفيات ٢ : ١١ وأورد كثيرا من شعره صاحب اليتيمة . وترجم له السمعاني . ولم أجد بعد سنة وفاته . الا ان في اليتيمة ٣ : ١٣٠ أنه لما شاخ في عهد الصاحب أقل من قول الشعر وهذا يجذب الى تكذيب الفارسى فان الصاحب توفي سنة ٣٨٥ ه .

فكان الخليفة ومن بحضرته من الأعيان يضحكون على ذلك . فيقول أبو العلاء مستنكراً لله دَرُّكَ من تلميذ ! اه

ولم يذكر أحدٌ تَلَمُّذَ الرستميّ عليه ولا أحسَبُهُ من الأحياء إذ ذاك فانه من الطارئين على باب الصاحب بن عبّاد . على أن أبا العلاء ممن يرى الموت أمرأ وأهنأ من أن يصير هُزْأَةً يُسْخَرُ منه لأبناء الدُّنَى . س [1]

فياموتُ زُر إن الحياة ذميمة ويانفس جِدّى ان دهركِ هازل

---

[2] رحلتُ لم آتِ قِرْواشاً أُزاوله ولا المهذَّبَ أبغي النيل تقويتا
والموت أحسن بالنفس التي أَلِفت عِزَّ القناعة من أن تسأل القوتا

عرض الاشعار عليه بها

نقل الحافظ ابن سيّد الناس اليَعْمَرِيُّ الأندلسي [3] أن أبا نصر المَنازيَّ واسمه أحمد بن يوسف [4] دخل على أبي العلاء المعرّيّ في جماعة من أهل الأدب فأنشد كلٌّ واحد منهم من شعره ما تيسر فأنشده أبو نصر :

وقانا لَفحةَ الرَمضـــاء وادٍ سقاه مُضاعَفُ الغيثِ العميم

---

(١) ١ : ١١٢ .

(٢) ٢ : ١١٩

(٣) ثمرات الاوراق بهامش المستطرف ١ : ٢٣ ونسمة السحر (خط) ١ : ١١٤ والوفيات طبعة غوتنجن ٣ : ١٤ من الحواشي رواية عن تقى الدين التميمى فى طبقاته ـ والابيات الميميّة فى البلدان رسم منازجرد قال ياقوت ولم أسمع فى معناه أحسن منه وروايته مضاعف الظل وعلى اليتيم وارق من المدامة ـ وأبو الفداء ٢ : ١٦٨ وروايته وقاه مضاعف النبت ـ والفطيم ـ وابن خلكان ١ : ٤٥ وروايته كأبى الفداء قال والابيات بديعة فى بابها ـ والمعاهد ١ : ٨٥ وروايته كالثمرات الا أرق وأتى بقلب بعضهم للابيات ـ ونزهة الأنام ٩٦ والمرقصات ٤٧ وابن الوردى ١ : ٣٤٩ ـ ونقلها الفرولى من خط ابن سيد الناس (٦٠٠ ـ ٦٧٢ هـ) فى مطالع البدور ١ : ٧٠ روى أن أبا نصر المنازى اه

(٤) ويأتى فى زواره بالمعرة بأبسط مما هنا ـ

نزلنا دَوْحهُ فحنَا علينـــا حنُوَّ الوالدات على الفـطيم
وأرْشَفَنـا على ظمأٍ زُلالاً ألذَّ من المُـــدامة للنـديم
يَصُدّ الشمس أنَّى واجَهَتْنا فيَحْجُبُهـــا ويأذَن للنسيم
تروع حَصاهُ حاليةَ العذارى فتلمِس جانبَ العِقْـد النظـيم

فقال أبو العلاء « أنت أشعر من بالشام » ثم رحل أبو العلاء[1] إلى بغداد فدخل المنازىّ عليه فى جماعة من أهل الأدب ببغداد ـ وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا ـ فأنشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنَازىّ فأنشد :

لقد عَرَض الحَمَامُ لنا بسَجْعٍ إذا أصغى له رَكْبٌ تلَاحَى
شجا قلبَ الخلىّ فقيل [2] غَنَّى وبَرَّحَ بالشجىّ فقيـل ناحا
وكم للشوق ـ فى أحشاء صبّ ـ إذا اندملتْ أجَدَّ لها ـ جِراحا
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوَى وسكران الفؤاد وإن تَصاحَى
بذاك بنو الهوى سَكرى صُحاةٌ كأحداق المَها سكرى صحاحَا

فقال أبو العلاء « ومَنْ بالعراق » ـ عطفا على قوله و(؟) مَن بالشام اه

وحكى ابن العديم فى تاريخ حلب[1] ما نصّه « وبلغنى أن المنازى عمل هذه الأبيات [الميمية] ليعرضها على أبى العلاء المعرىّ ـ فلما وصل إليه أنشده الأبيـات ، فجعل المنازى كلما أنشده المصراعَ الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما نظمه . ولما أنشده قوله نزلنا المصراعَ قال أبو العلاء : حُنوَّ الوالدات على الفطيم : فقال المنازىْ إنما قلتُ على

---

(١) وفى نسخة السحر ١ : ١١٤ أن هذا العرض الثانى وقع أيضا بالمعرة بعد نحو عشرة اعوام ولفظه وكان الشعراء يعرضون أشعارهم عليه الخ ـ ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١ : ٢٨١.

(٢) وفى الاصل بالعين المهملة ـ والبيتان الأولان يوجدان فى الغيث ٢ : ١٩٩ معزوين الى ابن قاضى ميلة ـ وروايته زها قلب الخلى فقال غنى بالغين المعجمة ـ

(٣) النفح مصر ٢ : ٤٩٢ وليدن ٢ : ٦٣١ وروايته كما أتينا به وحنو المرضعات ـ

اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن » اه

وقال ابن البَرّاق [١] فى سَوْق أخبار حَمْدة (ويقال حمدونة بنت زيادٍ المؤدّب خنساء المغرب من وادى آش) العوفيةِ ونسب بعضهم إلى حمدة هذه الأبياتَ الشهيرة بهذه البلاد المشرقيّة وهى وقانا الخمسةَ الأبياتَ ـ وممن جزم بذلك الرُعَيْنىّ وقال « إن مؤرّخى بلاد الأندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يخرج المنازىّ من العدم إلى الوجود » اه ولسنا نستطيع أن نجزم بالحُكْم إلا أنّا نستكبر عَزْوَ الوهم إلى هؤلاء الجمّ الغفير ، وما منهم إلا صيرفىٌّ نحرير . وأما أبو نصر هذا فإنه وَزَرَ لابن مروان صاحب ميّا فارقين ، وكان فاضلا شاعرا كافيا ، ترسّل إلى القسطنطينية مِرارا ، وكان جمّاعةً للكتب مُغْرَماً بها ، توفى سنة ٤٣٧ هـ ـ والأبيات عملها فى بلدة بُزاعا بالعين المهملة وهى فيما بين مَنْبِجَ وحلَبَ لمّا مرّ بواديه فأعجبه ، وهو نزِهٌ . وفيه يقول ابن الوردى [٢] المعرّيُّ وفى الباب ـ

إن وادى الباب قد أذكرنى جنّة المأوى فلله العجبْ
فيه دَوْح يحجُبُ الشمسَ إذا مال قال للصَبا جُزْ بأدب

***

طيره مُعْرِبةٌ فى لحنها تُطرِب الحىَّ كما تُحْيِي الطرب
مَرْجُه مبتسِمٌ مما بكت سُحُبٌ فى ذيلها الطِيبُ انسحَبْ

***

نهره إن قابل الشمسَ ترى فضّة بيضاء فى نهرِ ذَهَبْ

---

(١) النفح مصر ٢ : ٤٩١ وليدن ٢ : ٦٣٠ ـ

(٢) ديوانه ٢٤٢ والأبيات سبعة ، وهناك فيه روح يحجب وهو تصحيف لا شك ثم رأيتها فى تاريخه ايضا ١ : ٣٥٠ على الصواب

والحكاية تدلّ على أن البغاددة كانوا يعرضون عليه أشعارهم ، وأن الطارقين لبابه كثيرون ، إلا أن التاريخ لم يحفظ لنا أخبارهم

رواة شعره بها

روى غير واحد [١] عن التنوخى الصغير أنه قال ورد أبو العلاء بغداد وقرأت عليه شعره . ونقل صاحب البغية [٢] أن ابن فُورَجّة أيضاً قرأ عليه بها . وظنُّنا أن المقروء ديوان المتنبي وشيء من السقط ـ وفى الدُمية من رواة شعره من س شيخ الإسلام أبو عثمان الصابونى وأبو محمد الهمذانى فهل روياه عنه بها أو بالمعرّة ؟ هذا مما لا نتمكن من الجزم على أحد شِقّيه ـ ويجيء في التلامذة عدة من الأندلسيّين فهل لقيه بعضهم ببغداد ؟ ـ

وارتاب بعضهم [٣] فى قبوله مستدلاً بأن السقط لم يتمّ إلاّ بعد الرجوع بعدّة أعوام وتدرّج منه إلى أنه لم يكن ببغداد أستاذاً ولا تلميذا اه والقول بحيث ترى ، فلا يمنع نقص السقط إذ ذاك عن رواية ماتم منه . وإنى أرى أنْ كان السقط أو جملة شعره إلى آخر سنة ٣٩٨ هـ حاضرا لديه ببغـداد ، ثم إنه زاد فيه ما قاله بها أوفي أمرها بُعيد الرجوع . ولا بُدّ أن يعطى نسخة شعره للقارئيه عليه . نعم إنه أضاف اليه نحو الرُبع بعد الرجوع . وكذا الدرعيّات فنرى أن الأولين كانوا يُفرزونها من السقط وهي فى الشروح الحاضرة ملحقة به. على أن نُسَخ السقط تختلف فى قلّة الشعر وكثرته وانظره فى بيان تآليفه

وأما الأستاذيّة فلا يستنكرها من قرأ هذا الفصل ـ على أنه ان لم يكن يُقرىء فبماذا كان يقضى ساعاته هنالك ؟ والواجكا وأبو منصور والتنوخيّ لم

(١) كالكمال ابن الانبارى وصدر الأفاضل والذهبي وصاحب البغية وغيرهم
(٢) ١٣٦ ـ
(٣) صاحب د ١٦٧ ـ

يكونوا فارغين لـيبقوا معه آناء الليل وآناء النهار ـ وعثرتُ في افادة لأهلها على خبر طريف وهو ـ :

قالوا في بيت س (١) :

ويوشعُ ردَّ يُوحَى بعض يوم وأنت متى سفرتَ رددتَ يوحَى

أن (٢) أبا العلاء لمـا ورد بغداد اعترضوا عليه وقالوا صحَّفت انما هى بوح (؟) بالباء الموحَّدة لا بالياء المثناة في حَلْقة ابن المحسّن [القاضي التنوخيّ الصغير] واحتجوا عليه بكتاب الالفاظ ليعقوب ـ فقال هذه نسخ مُحْدَثة غيَّرها شيوخكم ولـكن أخرجوا ما في دار العلم من الـكتب القديمـة ـ فأخرجوهـا فوجدوهـا مقيَّدة بالمثنَّاة التحتية كما قال اه . قلت وممن جزم بالباء الموحدة المبرّد وأبو على البغدادي وابن الأنباري وثبت عليه وجرى في ذلك بينه وبين أبي عُمر الزاهد كلّ شيء حتى قال الشعراء فيهما قال ابن خالويه ثم أخرجنا كتاب الشمس والقمر لأبي حاتم السجستانيّ فاذا هو يوح بالمثنَّاة ـ وبالمثناة ورد اللفظتان يُوْحُ (غير مُجْرَى) ويُوْحَى في الحلَبيات للفارسيّ ـ وقـد كثر من غـره تصحيف نُسَخ الالفاظ لتداوله ومنهم ابن سِيْدَهْ فظن أن يعقوب رواه بالموحَّدة وذكرها صاحب القاموس فى الموضعين والجوهري في بعض النسخ بالموحَّدة فقط والسهيلي أيضا . وهاك ماورد في طبعة الألفاظ (٣) « ويقال قـد طلعت يُوْحُ ياهـذا [بالياء غيرَ مصروف فالصواب على ماذُكر ـ وفي النُسَخ بُوْح بالباء كما ذكره ابن الأنباري وثبت عليه وفي كتاب المعبدي والصيدلانى بوح بالباء بنقطة واحدة] »

---

(١) ١: ٦٥

(٢) المعاهد ٢ : ١٨٩ وتاج العروس٢ :٢٤٩ ـ وجمعنا بين روايتيهما ـ وكأنهما رويا عن الاقتضاب ص ٢٨٠ من دون تنبيه عليه ـ

(٣) تهذيب الألفاظ ص ٣٩٠ ـ

فالحكاية صريحة فى أن كان ثمه كثير من الحاضرين فى حلقة التنوخيّ من رواة شعره وانهم أذعنوا بفضله على مشايخهم إذ دلّهم على تصحيفهم الذى ورثه كابرٌ عن كابر. وأبقاه الأول للآخر . وأنّ دار الكتب سواء كانت القديمةَ أو العبّاسيّةَ بحيث وصفها غيرُ واحد . لايستغنى عنها مقرّ أو جاحد. يهاجَر لمثلها على تراخى الشقّة ومَطْلها

ومما يَرْمى الى غرض الباب ماروى ابن الجوزى في الأذكياء[١] وياقوت[٢] في الادباء ونقله عنهما كثير من العلماء[٣] . قال الأول روى رفيقنا عبدالكريم ابن منصور قال سمعت المبارك بن أحمد بن الأفوه (أو الأخوث) يقول خرج رجل من بغداد على سبيل الفُرجة فقعد على الجسر . فأقبلت امرأة من جهة الرُصافة متوجّهةً الى الجانب الغربى [الكرْخ] . فاستقبلها شابٌّ فقال رحم الله عليّ بن الجَهْم . فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري . وما وقفا بل مرّ الرجل مشرّقا ومرّت المرأة مغرّبة . فتبعتُ المرأة وقلتُ إن لم تقولى لي ما أراد وما أردتِ والا فضحتُكِ . فضحكت وقالت أراد الشابّ بقوله رحم الله على بن الجهم قوله :

عيونُ المَها بين الرُصافة والجَسْر جلبن الهوى منحيث أدري ولا أدري

وأردت أنا بقولي رحم الله أبا العلاء المعري قوله[٤] :

(١) ١٧٤ دون السند والغيث من الاذكياء والسياق هنا منه ١ : ٢٣٦ وهذا يدل على أن طبعة الاذكياء مختصرة وليس الكتاب على غره الاول
(٢) ادبا ١ : ١٧٦
(٣) الخزانة ١٨٦ وثمرات الاوراق بهامش المستطرف ١ : ١١٤ والمعاهد ٢ : ١٩٧ والبديعي ٢ : ١٣٦
(٤) س ٢ : ٤٩ والقصيدة قالها بمدينة السلام

فيادارها بالخَيْفِ إنّ مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوالُ

ولفظ ياقوت قرأت بخط أبي سعد [السمعاني وتوفي سنة ٥٦٢ هـ] قال سمعت المبارك بن أحمد بن الأخوث مذاكرة: خرج رجل الحكاية . والغرض من سياق هذا السند أن يُستدلّ به على قرب عهد وقوع الحكاية بعهد أبي العلاء بأهل بغداد . فأخلِقْ به أن أُهنّئه بقولي :

فصيتُكَ ياشيخَ المعرّة طائر مَطيرَ العُقاب حيث ندري ولا ندري
وشعرك ُنزنوه بلحظِ كرامة عُيونُ المَها بين الرُصافة والجَسْر
تمَثَّلَ في شرق وغرب بذكره مشاهدُ أُنس للبُداة وللحضْر
فسَقْياً ! لعهد كنت بيتَ قصيده ورَعياً ! لأيام مضين على النهْر

بعض ما استفاد بها

مرّ بعضه في ذكر الواجكا وغيره وهاك ما وجدته غير ما تقدم وهو لايخلو عن فائدة أدبية :

(١) قال في الغفران [1] كنتُ بمدينة السلام فشاهدت بعض الورّاقين يسأل عن قافية عديّ بن زيد التي أولها :

بكر العاذلون في غَلَس الصبـــح يقولون لي ألا تستفيق
ودعا بالصبوح فجراً فجاءت قينة في يمينها إبريق

وزعَمَ الورّاق أن ابن حاجب النعمان [2] سأل عن هذه القصيدة . وطُلبت

---

(١) ١٠ ـ ورواية غيره ودعوا بالصبوح يوما . وللابيات خبر مستملح الظرف معها في درة الغواص استنبول ١١١ والخزانة الكبرى ٤ : ١٣٠ والوفيات ١ : ١٩٥ والاغاني. الطبعة الثانية ٥ : ١٥٨ وابن عساكر ٤ : ٤٢٨ وكل من ترجم لحماد الراوية

(٢) ترجم له ابن النديم ص ١٣٤ قال وكان أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة كتابة الدواوين وكان اليه في أيام معز الدولة ديوان السواد ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها الخ ومر في فصل دار الكتب .

في نسخ من ديوان عديّ فلم توجد . ثم سمعت بعد ذلك رجلا من أهل أستراباذ يقرأ هذه القافية في ديوان العِبادىّ ولم تكن في النسخة التي في دار العلم .

(٢) وفيه [١] أيضاً ما فحواه أن بعض الادباء بمدينة السلام سئل عن قول عمرو بن كلثوم :

فما وَجدتْ كوجدى أمُّ سَقْبٍ أضلّتْه فرجّعتِ الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقَاها لها من تسعة الاّ جنينا

هل يجوز نصب شمطاء فلم يجب بشيء ثم ذكر جوازَه من وجهين كأنه قال ولا أذكر شمطاء أى انها أوجَدُ أ ولا تنسَ شمطاء .

(٣) وفيه [٢] أن رواة بغداد كانوا ينشدون فى قِفانَبْكِ هذه الأبيات بزيادة الواو (يذهبون فيها مذهب الخَزْم) وكان ذُرَى رأس المُجيْمر البيت وكأن مُكاكىّ البيتَ وكأن السباع البيت . ثم شنّع عليهم أنهم تبعوا في ذلك من لا غريزة له فى القريض والاّ فأىّ فرق يبقى اذاً بين النثر والشعر .

(٤) وذكر فيه [٣] أن لأبي الطيّب اللغوى كتابا في الإتباع صغيرا في أيدى البغداديّين .

(٥) [٤] وذكر ابن الرومي الشاعر والبغداديون يدّعون أنه متشيّع ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيميّة وما أُراه الا على مذهب غيره من الشعراء.

(٦) وفيه [٥] والبغداديون يحكون أن أبا سعيد السيرافى عمل من كتابه المعروف بالمُقْنعَ أو الإقناع الى باب التصغير ثم تُوُفي . وأتمّه بعده ولده أبو محمد

(١) ٩٠
(٢) ٨٧
(٣) ١٩٢
(٤) ١٦١
(٥) ١٣٢ ـ ومثله فى الادباء ٣ :٨٦

(٧) وروى فى مقدمة ل[1] أنه شاهد بعض المتحققين بالأدب ببغداد يجعل الروي الياء في قول الشاعر [2] :

يا أيها الراكبان السائران معاً قولا لِسِنْبِسَ فلتقطفْ قوافيْها

قال وما أحسب هذا ممن قاله الا وهما لأن الرويّ الساكن لا يكون بعده وصل . أقول ومستدلّه فيما ذهب اليه مصطلح الخليل ليس الاّ . وخالفه المتأخرون قاطبةً حيث يجعلون الروى فى مثله الياء ويوردون مثله في الدواوين فى باب الياء لا فى الياء كما فعل في اللزوم . ولم يفهم بعض مستعربة العصر[3] مصطلحه فى ذلك فحكم على كثير من شعره فى ل فى فصل الهاء وغيرها أنه لا يوجد فيه مع أنه موجود في الهاء وغيرها الا أنه بحث عنه فى فصل الياء وغيرها فأخفق .

(٨) قال ابن الوردى [4] حدّث أبو العلاء المعري أن البغداديين حدّثوه بها أنه لما عَبَرَتِ السنّةُ (يريد أهلها) بأبي عمر [الزاهد] في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير والتهليل قال قائل هذا والله لا كمن دُفنت ليلا يعنى فاطمة عليها السلام فثار أهلُ الكرخ وقُتل بينهم جماعة وطُرح أبو عمر عن النعش وجُرح جراحاً كثيرة .

(٩) وحكى ابن مهذب[4] فى تاريخه حدّثنى الشيخ أبو العلاء المعرى أنه سمع عنه (عن الزجاج) ببغداد أنه لمّا حضرته الوفاة سئل عن سنّه فعقد لهم سبعين وآخر ما سُمع منه : اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل.

وظننا أنه كان يحضر مناظرات الفقهاء ومحاضرات العلماء والادباء بمحافلهم

---

(١) ١ : ٢٢ ـ

(٢) من شعراء حماسة أبي تمام

(٣) هو مرجليوث في حاشية الادباء ١ : ١٩١ ، ١٩٣ حيث ترك (سطروه) غفلا اذ لم يجده فى ل ـ

(٤) تاريخ ابن الوردي ـ

المشهودة ومجامعهم المحضورة لا سيّما بجامع المنصور ، وهو قطب رحى الدهور . ويلاقي نُظّار أهل الجَدَل ، وعلماء الأديان والملل . فنرى شعره طافحا فى ل بأرباب المقالات ، وآرائهم والمنتحلات . فذكر المعتزلة وأئمتهم وآراءهم والمتكلمين وأهل الجبر والقدر والشيعة وأهل السنة والمحدثين والفقهاء والقرامطة والعبيديين وآراء المجوس وديانات الهنود وعاداتهم وانظر النظرة . وا كتفي هنا بنقل حكاية في عادة سَتيّ عن الغفران [١] قال حدثنى قوم من الفقهاء ماهم في الحكاية بكاذبين ولا في أسباب النِحَل جاذبين أنهم كانوا فى بلاد محمود وكان معه جماعة من الهند قد وثِق بصفائهم يُفيض عليهم الأعطية لوفائهم ويكونون أقرب الجند اليه اذا حلّ واذا ارتحل وأن رجلا منهم سافر في جيش جهّزه فجاء خبره أنه هلك بموت أو قتل . فجمعت امرأته لها حطباً كثيراً وأوقدت ناراً عظيمة واقتحمتها والناس ينظرون . وكان ذلك الخبر باطلا . فلما قدم الزوج أوقد له ناراً جاحمة ليُحرق نفسه حتى يلحق بصاحبته . فاجتمع خلق كثير للنظر اليه . وأن أصحابه من الهند كانوا يجيئون اليه فيُوَصُّونه بأشياء الى أمواتهم هذا الى أبيه وهذا الى أخيه وجاءه إنسان منهم بوردة وقال أعط هذه فلانًا يعنى ميّتا له . وقذف نفسه في تلك النار . وحدّث من شاهد إحراقهم نفوسهم أنهم اذا لذعتهم النار أرادوا الخروج فيدفعهم من حضر اليها بالعصىّ والخُشُب. فلا إله الا الله لقد جئتم شيئًا إدًّا ! اه. والخبر مما نشاهده كلّ يوم ليس فيه ذرّة من المبالغة . ولعل أخبار الملاحدة [٢] والزنادقة والمتنبئين والمتألّهين من طرائف مكاسبه بها لا من بِلاد الشام .

ويُرشدنا بيتان من ل أنه كان يتعرفّ بجالية الأقطار الشاسعة . وانه

---

(١) ١٥٣ .

(٢) التي نرى منها حياض الغفران مترعة وكأسها دهاقا .

حلقة معارفه بها كانت واسعة . وهما :

مالي وللنفر الذين عهدتُهم ... بالكرخ من شاس ومن إيلاق
حَلقٌ مُجادِلةٌ كشَرْبِ مهلهل [١] ... شربوا على رغم بكأس حَلاقِ

سائر معارفه بها

مضى معظمهم ويأتي الآخرون في زُوّاره بالمعرة أو في تلامذته وممن لم يُذكر في الموضعين ابن تميم البرقيّ هذا الرجل كتب اليه أبياتاً يشكو فيها مرضه وأنه لم يَعُدْه . فأجابه بأبيات من س [٢] وهي غاية في الظرف والملاحة . تدل على ولوجه بها في كل باب وساحة . وذكر فيها أن شكواه ليست من عاهة أو آفة . بل هي من حدَق المراض المتردّدة بين الجِسْر والرُصافة :

أمُعاتبي في الهجر إن جاريتَني ... طَلْقَ الجدال وُجدتَ عينَ الظالم
حُوشيتَ من شكوى تُعاد وإنما ... شكواكَ من نظر بدجلةَ عارم
فاكفُف جفونك عن غرائر فارس ... فالضرب يَثْلِم في غِرار الصارم
وعيادةُ المرضى يراها ذو النهى ... فرضاً ولم تُفْرَضْ عيادةُ هائم

ولا نعرف هل كان أبو بكر الصابوني وأبو عمرو الاستراباذي ـ اللذَيْن كاتبهما في أمر استنساخ شرح السيرافي ـ بعدُ حيّين يُرْزَقان ، أم غالت بهما أيدي الحدثان

---

(١) يريد قوله :

ما أرجي بالعيش بعد ندامي ... كلهم قد سقوا بكأس حلاق

وايلاق مدينة بلاد الشاس متصلة ببلدان الترك . والبيت من كلمة تمامها في حرب بكر وتغلب عن محمد بن اسحاق وغيره ص ١١٤ ـ

(٢) ٢ : ٩٨ ـ

موت النقيب أبي أحمد الموسوى

توفي أبو أحمد والد الشريفين فى جمادى الاولى سنة ٤٠٠ هـ فرثاه أبو العلاء بقافية [١] ساحرة وكلمة سائرة . أولها :

أودَى فليت الحادثاتِ كَفافِ　　مالُ المُسيف وعنبرُ المستاف

وهي طويلة قال ابن خلكان [٢] أجاد فيها كل الإجادة . يقول فيها في الشريفين :

أبقيتَ فينا كوكبين سناهما　　في الصبح والظلماءِ ليس بخافِ
قَدَرَيْن [٣] في الإرداء بل مطرين في الـ　　إجداء بل قمرين في الإسْداف
ساوَى الرضيُّ المرتضى وتقاسما　　خِططَ العُلَى بتناصُفٍ وتصافِ
حِلْفا نَدًى سبقا وصلَّى الاطهر الـ　　مَرْضِيُّ [٤] فيا لِثلاثةٍ أحلاف
المُوقدِيْ نارِ القِرَى الآصالَ والـ　　أسحارَ بالأهضام والأشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى　　ترمى بكل شَرارة كطِراف

***

وأنا [٥] الذي أهدَى أقلَّ بَهارة　　حُسنًا لأحسن روضة مئناف

---

(١) ٢ : ٥٥ س ـ
(٢) ٢ : ٤ ـ
(٣) هذه اللفظة طيرة وان لم يتنبه له أحد كما ذكروا أن المتنبيء لما انصرف من حضرة عضدالدولة ـ وكان فيها ـ قال يودعه :

وأيّا شئت ياطرقي فكوني　　أذاة أو نجاة أو هلاكا

فكانت الاذاة والهلاك حيث قتل فى طريقه تلك ـ
(٤) كمسعى لا بتشديد الياء على زنة المفعول كما هو فى س ـ وهو مصدر كالرضى (كالى) ويستعملان بمعنى المفعول ـ
(٥) يتضاءل للرضى فانه أشعر قريش فيطوال القصائد وكثرة الشعر

أوضعتُ في طُرُق التشرّف سامياً بكما ولم أسلكُ طريقَ العافي

قال الزمخشري في الكشّاف (١) في تفسير إنها ترمي بشرر كالقصر الآية بعد أن نقل البيتين الموقدى . حمراء . « وكأنه قصد بخُبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبَجُّحهِ بما سوّلَ لهمن توهمُّ الزيادة جاءفيصدر بيته بقوله حمراء توطئةً لها ومناداةً عليها وتنبيهاً للسامعين على مكانها . ولقد عَمِيَ جمع اللهُ له عَمَى الدارين عن قوله عز وجلّ « كأنه جِمالات صُفر» فانه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة . فأبعد الله إغرابَه في طِرافه ، وما نفَخَ شِدْقَيْهِ من استطرافه اه

أقول وأَيْمُ اللهإنه جُنّ جنونَ المُوَسْوسين ، وهَذَى هذيانالمُبرْسَمين . أساء سمعاً فأساء إجابة ، ومن جهل شيئاً عابه . ولم يعمل بما قال الأول المنصِف ، لا تَهْرِفْ بما لا تعرف . وقد أحسن الإمام ابن خطيب الرّيّ في الردّ عليه في تفسيره وأطال فراجعه . وهذا بلديّه صدر الأفاضل الخوارزميّ قال (٢) بعد أن ذكر أن التشبيه في العظم والاستدارة والحمرة وهذا من قوله تعالى ترمي الآيتين . فانظر الى اتّفاقهما في البلدة ، مع التباين في الرفق والشدّة ، والتُؤَدة والحِدّة . وصدق أبوالطيّب :

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفتُه من الفهم السقيم

---

(١) الاميرية سنة ١٣١٩ ـ ٣ : ٢٤٤ ـ

(٢) وفي نسخة نسخةالسحر ١ : ١١١ بعد نقل قول الزمخشري : ولا أدري من أين له انه قصد الزيادة على تشبيه القرآن . فمن المعلوم أن القصر اعظم من الطراف . . . ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيرا اه ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١ : ٢٨٢ ـ

وهذا على أن الزمخشريّ كان مولعًا بالسقط [1] فكتب منه نسخة بخطّه على ما رآه صدر الأفاضل .

وهذا كلّه قبل أن ينزل الزوّ ـ ويتجافى مسافةُ الدَوّ ـ ويُظْـلِمَ الجوّ بين المرتضي وصاحبنا في أمر أبي الطيّب حين لا يُغنِى لَيْتٌ ولا لَوٌّ ـ فقبّح الله حصائدَ الالسنة ـ وفلَتاتِ الآونة ـ

هو فى مجلس المرتضى
أوّلا وآخراً

نقل ياقوت [2] وغيره أنه دخل على المرتضى فعَثَرَ برَجُل ـ فقال من هذا الـكلب فقال المعرّيّ الـكلب من لا يعرف للـكلب سبعين اسما . وسمعه المرتضى فاستدناه واختبره فوجده عالما مُشبَعًا بالفِطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالا كثيرا . وكان أبو العلاء يتعصّب للمتنبيء ويزعم أنه أشعر المُحْدَثين ويفضّله على بشار ومن بعده مثل أبي نواس وأبي تمّام . وكان المرتضى يبغض المتنبيء ويتعصّب عليه ، فجرى يوما بحضرته ذكر المتنبيء فتنقصه المرتضى وجعل يتّبع عيوبَه ، فقال المعرى : لو لم يكن للمتنبيء من الشعر إلاّ قوله :

لكِ يامنازلُ في القلوب منازلُ

لـكفاه فضلا . فغضب المرتضى وأمر بسَحْبِ رِجله ، وأُخرج من مجلسه . وقال لمن بحضرته أتدرون أيّ شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟فإن للمتنبيء ما هو أجود منها . فقيل النقيبُ السيّدُ أعرفُ . فقال أراد قوله في هذه القصيدة

وإذا أتتْك مذمّتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ . اهـ

---

(١) الضرام شرح ليت الجياد خرسن يوم حلاحل ...

(٢) ادبا ١ : ١٦٩ ـ النزهة ٤٢٦ ـ البغية ١٣٦ ـ ثمرات الاوراق بهامش المستطرف ١ : ١١٣ ـ حياة الحيوان ٢ : ٢٣٠ المعاهد ١ : ٤٩ ، ٢ : ١٩٣ الصبح المنبي ٢ : ٦١ النكت ١٠٣ الخزانة ١٨٦ ـ اليافعي ٣ : ٦٨

أقول وهاتان حكايتان وقعتا في أوّل مدّة إقامة صاحبنا وآخرها ـ ولا بدّ أن تكون الثانية وقعت بعد وفاة أبي أحمد ـ وقد أحسن صاحب المعاهد في إفرازهما . وصرّح صاحب حياة الحيوان أن القائل له من هذا الكلب هو ذلك الرجل الذى عثر به لا المرتضى . وهذا التصريح يفيد ما أوهمه ضمير قال عند الآخرين . وقد صدق من عدّ الضمائر من المبهمات :

ومثله ماروى [١] عن جُنادةَ اللغوى وكان صاحبنا يعرفه [٢] أنه حضر مجلس الصاحب بشيراز وهو شَعِثُ الزِيّ ، فجلس قريبا منه وكان مشغولا فلما بصر به قَطّب وقال قم يا كلب من ههنا ، فقال له جُنادة الكلب هو الذي لا يعرف للكلب ثلاثمائة اسم . فمدّ عند ذلك الصاحبُ يده وقال قم إلى ههنا فما يجب أن يكون مكانك حيث جلست ورفعه إلى جانبه

وأما قول المرتضى أتدرون أىّ شيء الخ فيضاهيه في الفطنة والذكاء [٣] ما يروى أن سيف الدولة كان يبالغ في مدح المتنّبىء فقال السَرِىُّ الرَفّاء وكان يحسدمنزلته انتخِبْ لي قصيدة له أُعارضْها ـ فقال عارِض لنا قصيدته التى أوّلها

لعينَـيْك ما يلقَى الفؤاد وما لَقِيْ

قال السرىّ فاعتبرتُها تلك الليلة فلم أرها منمختاراته ـ ثم فَطِنتُ أنه أشار إلى بيت في اخرها :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ أراه غبارى ثم قال له الْحَقِ اه

وأخطأ أبو المحاسن فى زعمه أن الحكاية جرت له مع الرضىّ كما أخطأ الخفاجى في تخليطه ثلاث حكايات حكايةمعالربعيومع المرتضىوحكاية جُنادة ـوقد مرّ ـ

(١) البغية ٢١٣ ـ
(٢) الغفران ١٧٤ ـ وكان اسامة استاذ ابي القاسم المغربى
(٣) الخزانة ١٨٦ ـ فصاحبنا اذا معلى فى هذه الفطنة والسري مجل له ـ والمعاهد ٢ : ١٩٣ ـ

وقال بعض أهل العصر [1] ان أبا العلاء لم يختر أن يكون متعصبا للمتنبي، وشديدا على المرتضى كما أن هذا لم يختر أن يكون متعصبا عليه الخ . وكلا شِقّية باطل فإن المرتضى حاله في تنقّص المتنبيء مما لا يجهله متأدّب قرأ أماليَه [2] وأما تعصّب صاحبنا له فإنه أشهر [3] من نار على علَمَ ومن البدر في داجي الظُلَم. ومر لنا حكاية بعض ما يدل عليه وسيأتي بعضه في ذكر ابن فُورَّجة.

ولم يكن غضب الشريف بهيّن ، وان لم يوجد له ثَمّ أثرٌ متبيّن . فإن أسرته كانت تُسامى منصِبَ الخلافة [4] ، وتُناصيها في الوجاهة . وكان أبو أحمد مبجّلا في الخلافة ودولة بني بُوَيْه . خاطبه بهاء الدولة البُوَيْهيّ بالطاهر الأوحد وَليَ نقابةَ الطالبيّن خمس مرّات ، وكان السفيرَ بين الخليفة والبويهيّن والحمدانيّن . والمرتضى كان متكلّما أديبا وله الأماليّ وغيره . على أن صاحبنا كان يَضنّ بعرْضه ، ولم يكن يسمح أن يبذُل ماء وجهه . أو يبقى كلاّ على الإخوان مدفّعا ، ومستثقَلا مضيَّعا . وهو القائل – ل :

إذا كان إكرامي صديقيَ واجبا فإكرام نفسي لا محالة أوجب

وانزل بعِرضك في أعزّ محلة فالغَوْر ليس بموْطِن للمُنجِد

وجاء في ل بيتان وهما :

وأصحابُ الشريف ولا تَساوِ كأصحاب ابن زُرعةَ وابن سَمْح [5]

فأميرُهم نال الإمارة بالخنا وتقيُّهم بصلاته متصيّدُ

---

(١) صاحب ذ ١٨٣ –

(٢) مصر ٣ : ١٢٨ وغيرها

(٣) وانظر اليديعي ١ : ٤٧

(٤) أنظر الوفيات ٢ : ٢ ومقدمة ابن أبي الحديد

(٥) هما نصرانيان من أصحاب المنطق – وترجم للاول ابن النديم ص ٢٦٤ –

ورواية سرّ العالَمَيْن [١] المنحول للغزاليّ وتقييهم فإن صحت فهل أراد بهما الشريف النقيب أبا القاسم المرتضى ؟ لا ! بل هو يربأ بنفسه أن يهجو أحداً كما نقل من قوله عبد السلام القزوينيّ المعتزليّ ويأتي في الزُوّار . فليس مثل هذا إلاّ من عِداد نقده لجملة الطوائف ورجالاتها ، وعاداتها وحالاتها

وروى أبو منصور الطبرسي في كتاب الاحتجاج [٢] والعُهدة عليه أن أبا العلاء دخل على المرتضى فقال أيها السيّد ما قولك في الكُلّ ؟ فقال السيّد ما قولك في الجزء ؟ فقال ما قولك في الشِعْرَى ؟ فقال ما قولك في التدوير ؟ قال ما قولك في عدم الانتهاء ؟ فقال ما قولك في التحيّز والناعورة ؟ فقال ما قولك في السبع ؟ فقال ما قولك في الزائد البرى على السبع ؟ فقال ما قولك في الأربع ؟ فقال ما قولك في الواحد والاثنين ؟ فقال ما قولك في المؤثّر ؟ فقال ما قولك في المؤثرات ؟ فقال ما قولك في النَحْسَيْن ؟ فقال ما قولك في السعدين ؟ فبُهتَ أبو العلاء فقال السيّد المرتضى عند ذلك ألا كلّ مُلحِد مُلْهِد . فقال أبو العلاء من أين أخذته ؟ قال من كتاب الله عز وجل (يا بُنيّ لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ثم قام

(١) طبعة بمبيء ٨٥ ـ

والسيوطي كتاب سماه التبرى من معرة المعري . قال خليفة : أرجوزة ذكرها في ديوان الحيوان وقال دخل أبو العلاء على الشريف فعثر برجل فقال من هذا الكلب فقال الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما قال وقد تتبعت اللغة فحصلتها أكثر من ستين اسما ونظمتها اه ومن الكتاب نسخة بخزانة برلين وعددها في فهرس الوارد ٧٠٥٦ أولها :

لله حمد دائم الولي ثم صلاته على النبي

ومنها : قد نقل الثقات عن أبي العلا لما أتى للمرتضى ودخلا

من ذلك الباقم ثم الوازع والكلب والأبقع ثم النازع

والوع والعلوش ثم الوعوع والشعبر الوعواع فيما يسمع

هذا الذي من كتب جمعته وما بدا من بعد ذا ألحقته

والحمد لله هنا تمام ثم على نبيه السلام

ونسخة أخرى بخزانة بانكي بور في الهند وأخرى بحيدر آباد

(٢) طبعة ايران سنة ١٣٠٢ھ ص ٢٥٥ ونقله صاحب روضات الجنات ص ٩٤

وخرج . فقال السيد قد غاب عنا الرجل وبعد هذا لايرانا . فسئل السيّد عن شرح هذه الرموز والإشارات فقال سألني عن الكلّ وعنده الكل قديم ويشير بذلك إلى عالم سمّاه العالم الكبير فقال لي ما قولك فيه أراد أنه قديم فأجبته عن ذلك وقلت له ما قولك في الجزء لأن عندهم الجزء محدث وهومتولّد عن العالم الكبير وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير وكان مرادى بذلك أنه إذا صحّ أن هذا العالم محدث فذلك الذي أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً لأن هذا من جنسه على زعمه والشيء الواحد والجنس الواحد لايكون بعضه قديماً وبعضه محدثا ، فسكت لمّا سمع ما قلته . وأما الشعرى أراد أنها ليست من الكواكب السيارة فقلت له ماقولك فى التدوير أردت أن الفلك فى التدوير والدَوَران (١) والشعرى لايقدح فى ذلك . وأما عدم الانتهاء أراد بذلك أن العالم لا ينتهي لأنه قديم فقلت له قد صحّ عندى التحيّز والتدوير وكلاهما يدلاّن على الانتهاء . وأما السبع اراد بذلك النجوم السيارةالتى هى عندهم ذوات الأحكام فقلت له هذا باطل بالزائد البرى الذي يحكم فيه بحكم لايكون ذلك الحكم منوطا بهذه النجوم السيارة التى هى الزُهَرَة والمشترى والمرّيخ وعطارد والشمس والقمر وزُحَل . وأما الأربع أراد بها الطبائع فقلت له ما قولك في الطبيعة الواحدة النارية يتولّد منها دابّة بجلدها تمسّ الايدي ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات فيبقى الجلد صحيحا لأن الدابّة خلقها الله على طبيعة النار والنار لاتحرق النار والثلج أيضا تتولّد فيه الدِيْدان وهو على طبيعة واحدة والماء في البحر على طبيعتين يتولّد منه السموك والضفادع والحيّات والسلاحف وغيرها وعنده لا يحصل الحيوان إلا بالأربع فهذا مناقض بهذا . وأما المؤثر أراد به الزُحَل فقلت له ما قولك فى المؤثّرات أردت بذلك أن المؤثرات كلهن عنده

(١) وفي نسخة بالشعرى واما عدم الخ

مؤثرات فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثرا وأما النَحْسان أراد بهما أنهما من النجوم. السيارة إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد فقلت له ما قولك في السعدين إذا اجتمعا خرج من بينهما نحس هذا حكم أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أن الأحكام لا تتعلق بالمسخّرات لأن الشاهد يشهد أن العسل والسكّر إذا اجتمعا لا يحصل منهما الحنظل والعلقم، والحنظل والعلقم إذا اجتمعا لا يحصل منهما الدِبْس والسُكّر هذا دليل على بطلان قولهم وأما قولي ألا كل ملحد ملهد أردت أن كل مشرك ظالم لأن في اللغة ألحد الرجل إذا عدل عن الدين وألهد إذا ظلم ـ فعلم أبو العلاء ذلك وأخبرني عن علمه بذلك فقرأتُ (يابنيّ لاتشرك بالله الآية) اه . على طوله وهذه المحاجّة بمذاهب القوم أشبه منها بمذهب أبي العلاء وإنما ذكرتها استطرافا حتى لا يخلو كتابي هذا عن كل ما يجذب إليه ـ

شعره بها في الحنين الى الشام

هو قبل أن يجري بينه وبين المرتضى ماجرى لم يكن ينوي أن يفارق بغداد. كما مرّ لنا إثباته إلاّ أنه لم يكن نسي وطنه بالمرّة فمما قال متشوّقا إليه[1] :

فيادارها .. البيتَ ـ وغنّت لنا .. البيتَ ـ

فقلت تَغَنَّىْ كيف شئتِ فإنما غِناؤك عندي ياحمامة إعوال.

***

تمنّيت أن الخمر حلّت لنَشْوة تجهّلني كيف اطمأنّت بي الحالُ

فأذهلَ أني بالعراق على شفَا رَذِيّ[2] الأماني لا أنيسٌ ولا مال.

مُقِلّ من الأهلَيْن يُسْرٍ وأُسْرةٍ كفَى حزَنًا بَيْنٌ مُشتّ وإقلال.

متى سألت بغدادُ عني وأهلُها فإنّي عن أرض العواصم سآلُ.

---

(١) س ٢ : ٥١ ـ

(٢) في الاصل بالزاي المعجمة وهو تصحيف ـ

اذا جنّ ليلى جُنّ لبّى وزائدٌ خفوقُ فؤادى كلما خَفَقَ الآلُ

وماء بلادى كان أنجعَ مشربًا ولو أن ماء الكرخ صهباءُ جريال

فيا وطنى إن فاتنى بك سابق من الدهر فلينْعَمْ لساكنكَ البال

فإن أستطع في الحشر آتك زائرا وهيهات لى يوم القيامة أشغالُ

وكم ماجد في سيف دجلةَ لم أشِمْ له بارقا والمرءُ كالمزن هطّالُ

سيطلُبنى رزقى الذي لو طلبتُه لما زاد والدنيا حظوظ وإقبالُ

وأرى أنه أنشأ في نحو هذه المدّة أشعاره في النسيب التي أعجبت ياقوت[١] والباخرزىّ وهى تَشِفّ عن نَواه ، وتجذب إلى هواه

أسالتْ[٢] أتيَّ الدمع فوق أسيل ومالت لظلّ بالعراق ظليل

أيا جارةَ البيت الممنّع جاره غدوتُ[٣] ومَن لى عندكم بمقيل

لغيرى زكاة من جمال فإن يكن زكاة جمال فاذكرى ابنَ سبيل

ثم لما وافى شهر الله رجب الفرد الأصمّ سنة ٤٠٠ ﻫ وحان ما كان الله حَمّ نراه أعرض عن التجمجم واعتاض التصريحَ عن التغمغم ـ

[٤]طربن لضوء البارق المتعالى ببغداد وَهْناً مالهنّ ومالى

سمَتْ قُوَيقاً والصَراة حِيالَها تُراب لها من أينُق وجمال

إذا لاح إيماضٌ سترتُ وُجوهها كأنىَ عمرو والمطيُّ[٥] سَعالِ

(١) ادبا ١ : ١٧٤ والدمية (خط كلكتة) ورق ٦ ـ

(٢) س ٢ : ١٤

(٣) ابتكرت اليكم وزرتكم على البعد ـ

(٤) ٢ : ٣٨ س ـ

(٥) زعموا ان عمرو بن يربوع تزوج جنية فقيل استرها من البرق والا تفرك فغفل يوما فقرت وقالت :

امسك بنيك عمرو انى آبق برق على أرض السعالي آلق

التنوير ٢ : ٣٩ ابن ابى الحديد ٤ : ٤٤٤ ادبا ٥ : ٤٠٠ ـ

وكم هَمَّ نِضْوٌ أن يطير مع الصبَا إلى الشأم لولا حَبْسُه بعِقال

فيا برق – فهل فيك – البيتين

دعا رجبٌ جيشَ الغرام فأقبلتْ رِعال تَرود الهمَّ بعد رعال

ولاح هلال مثل نون أجادها بجاري النُضار الكاتبُ ابن هلال

أإخواننا بين الفرات وجِلَّقٍ يَدَ الدهر لاخبّرتُكم بمُحال

أُنَبِّئُكم أنى على العهد سالم ووجهىَ لمّا يُبْتَذَلْ بسؤال

وأنى تيمّمتُ العراق لغير ما تيَمَّمَه غَيْلانُ عند بلال

فأصبحتُ محسودا بفضلىَ وحدَه على بُعْد أنصارى وقِلّة مالى

نَدِمتُ على أرض العواصم بعدما غدوتُ بها فى السَّوْم غيرَ مغالِ

ومن دونها يوم من الشمس عاطل وليلٌ بأطراف الأسنَّة حالِ

أروح فلا أخشى المنايا وأتَّقى تَدَنُّسَ عِرْض أو ذميمَ فِعال

وقد أطلنا فى سَرْد الأبيات وإنها النمير غيرُ المحلَّل ، والرحيقُ المسلسل . صارت لنا عُقْلةَ المستوفز ، فعُذرنا واضح إن لم ترُجزْ . وانى لَتَذْكرنى الأريحيّةُ الأدبية حين ما يمرُّ بى قوله « دعا رجبٌ » البيتَ ما كنتُ قرأتُه فى الدهر الأول فى أشعار الهذليين(١) من شعر عبدالله بن مسلم:

يالِلرجال ليوم الأربعاء أما ينفكُّ يُحْدِث لى بعد النُهَى طرَبا

إذ لا يزال غزال فيه يَفْتِننى يأوى إلى مسجد الاحزاب منتقِبا

يخبّر الناسَ أن الأجر همّته وما أتى طالبا للأجر محتسِبا

لكنه شاقَه أن قيل ذا رجبٌ ياليتَ عِدّةَ حول كلِّه رَجَبا

***

يقال شهر عظيم القدر في سنة يهوى لها كل مكروب اذا كُرِبا

---

(١) الجزء الثانى

والأبيات ظاهرة في أنها قيلت بعد تلك الواقعة المشؤومة في مجلس المرتضى

أبو عليّ ابن فُورَّجة البرُوجِرْدِيّ

وبينما كان متردداً في الإقامة والرحلة اذ أتاه خبر مرض أمة فأخذ يودّع بغداد بقصيدة مطلعها [1] وهو آية في براعة الاستهلال :

نبيٌّ من الغربان ليس على شَرْع يخبّرنا أن الشعوب الى صَدْع

وجاءه ابن فُوْرَجَّةَ وهو تلميذه يستوقفه بقصيدة بديعة لم يصل الينا منها الا أوّلها [2] :

ألا قامت تجاذبني عِناني وتسألني بعَرْصتها مَقيْلا

ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق فالبيت يدلّ على صداقته وخلوصه وعلى أنه حَزِنَ لفراقه واستوحش لفقد أُنسه . وقد أحسن غاية الإحسان وبالغ في الكناية لرجل قد أجمع على الرحيل . ولم يمتنع بنهي ناهٍ ولا عَذْل ناصح عَذول . وهذا يدل على لطافة فِكرته وذكاء فطنته . فأهداه صاحبنا اخرى مثلها ، وكان أحقّ بها وأهلها . تنظر الى معناه ، وتجذب الى مَرْماه . أولها :

كفى بشُحوب أوجُهنا دليلا على إزماعنا عنك الرحيلا

ومنها :

وشارَفَنا فِراقُ أبي عليّ فكان أعزّ داهيةٍ نُزولا

***

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الحظّ الجزيلا

وهي التى أظهر فيها أنه قد بَتَّ عزيمتَه على العُزلة وأن هذه الحياة نكداء مشؤومة على ما سيأتي

(١) س ٢ : ٦٨ ـ

(٢) س ٢ : ٨٠ ـ

وهو محمد بن حَمْد (كفلْس) بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فُوْرَجَةَ(١) صاحب ردَّين على ابن جنّي في تفسير شعر المتنبّي: أحدهما الفتح على أبي الفتح والآخر التجنّي على ابن جنّي تتبع فيهما أوهامه وسَقَطَاتِه. لقي صاحبنا ببغداد وهو شابٌ(٢) وكان مقيما بها(٣) الى رحلته وقرأ عليه شيئا(٤). والظاهر كما تقدم أن المقروء شعر السقط وديوان المتنبيء. ونقل الرجل عنه فوائد أدبيّة لا أرى بأسا بإيراد بعضها.

قال أبو الفتح في قول أبي الطيب(٥):

قد شرّف الله أرضا أنت ساكنها وشرّف النـاسَ إذ سوّاكَ إنسانا

لو قال موضع سوّاك أنشاك لكان جميلا. قال ابن فُوْرَجَةَ نهاية ما يقدر عليه الفصيح أن يأتي بألفاظ القرآن وألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم وألفاظ الصحابة. وعند أبي الفتح أنه يقدر على تبديل ألفاظ هذا الشعر بما هو خير منه

---

(١) ضبطه صاحب الفوات ابن فورجة بضم فسكون فراء مفتوحة بجيم مشددة كما في نسخة التتمة المكتوبة في أول المائة السابعة مشكولا وفي نسخة انباه الرواة بخط القفطي مؤلفه. وصاحب البغية خالفهما فشدد الراء نقل الاول عن ياقوت أنه توفي بنهاوند سنة ٣٨٠ هـ وهذا غلط ونقل الثاني عن المجد في البلغة أنه ولد سنة ٣٣٠ هـ وهو أيضا غلط فانه لقي صاحبنا شابا ببغداد ويلزم على هذا أن يكون عمره ٧٠ سنة. وعجب منه أنه نقل عن الثعالبي أنه كان موجودا سنة ٤٠٠ فيجب على قوليه أن يكون بلغ من العمر اكثر من ١٢٠ سنة. على أن نقله هذا عن الثعالبي غلط فانه توفي سنة ٤٢٩ هـ واعجب منه ان يرجح ان اسمه حمد ولعله اتباعا للباخرزي في الدمية وهذا ايضا غلط فان صاحبنا دعاه في س ابن حمد كالقفطي وفي كشف الظنون « ديوان المتنبي » انه كان حيا سنة ٤٣٧ هـ وفورجه اظنه مصغرا والاصل بورجه بمعنى الطفل الصغير. م

(٢) لقيه في عنفوان شبابه ـ س ٢ : ٨٦ ـ

(٣) س ٢ : ٨٣ ـ

(٤) البغية ١٣٦ ـ

(٥) العكبري ٢ : ٤٣٠ الواحدي ببمبئي ١٣٤

قال وقرأت على أبي العلاء المعرّيّ ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوماً في كلمة ما ضَرَّ أبا الطيّب لو كان قال مكان هذه الكلمة كلمة اخرى أوردتها فأبان لى عوَار الكلمة التي ظَنَنْتها . ثم قال لا تظنّن أنك تقدر على ابدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها فجرّب ان كنت مرتابا . وها أنا (؟ بدون ذا[1]) اجرّب هذا العهدَ فلم أقدر وليجرّب من لم يصدّق يجدّ الأمر كما قلتُ اه. فأنت ترى تعظيمه لشيخه وضَرْبَه إياه في الأدب مثلاوأنا أقول كما قال إن منزلة أبي الفتح فى اللغة أيضاً ليست مما ينكر ولكن فوق كل ذي علم عليم . وورد مثل معنى الحكاية في ر[2] الى النكتي ولفظه « قدعلم أن أحمد بن الحسين كان شديدَ التفقّد لما ينطق به من الكلام . يُغيّر الكلمة بعد أن تُرْوَى عنه[3] ويَفِرُّ من الضرورة وان جذبه اليه الوزن وقد خرم في موضعين (ثم ذكرهما) » . وروى عنه حكاية اخرى[4] في تعفف المتنبيء وطهارة ذيله ونقاء جيبه من الخَنا . وروى عنه أشياء اخرى[5] وأكثر من نقل شعر السقط وهذا يؤيّد ما تقدّم من قراءته إياه عليه ببغداد والله أعلم .

وله ترجمة فى الدُمية وإنباه الرواة والتتمّة[6] وفي الفوات والبُغية مع أوهام كثيرةٍ . قال الباخرزي وشعره فرخ شعر الأعمى أعنى شاعر معرة النعمان وان كان هذا منزهاً في معرة العميان . هذا وقد لهج الباخرزى بكلمة شيخه البحّاثي .

---

(١) ولا يجيز مثله النحويون وما اكثر من وقع فى هذا الخطأوانظر تاج العروس ١ : ٣٧ وغيرها . ومثله فى س فيها انا لا اخون ولا أخان

(٢) ص ٦٨

(٣) وانظر رسالتنا « ابن رشيق » المطبوعة فى السلفية بمصر ص ٥٦

(٤) البديعى ١ : ٧٨

(٥) الواحدى ٢٥ و ٣٣٢ وغيرها

(٦) ورق ٥٣٧ باريس - ٢ : ١٩٨ - ٣٩

مادحوه ومراسلوه شعرا

ولما كان ابن قُوْرَجَةَ ختام من أجابه أبو العلاء نظماً رأينا إلحاق هـذا الفصل به ـ فإنه بعد الرجوع أعرض عن تقارض الثناء وكاذبات المدائح [1]. ل:

وصفتَك فابتهجتَ وقلتَ خيراً لتجريني فأدركني ابتهاجي
إذا كان التقارض من مُحال فأحسن من تمادحنا التهاجي

وأزهد في مدح الفتى عند صدقه فكيف قبولي كاذباتِ المدائح

واعتذر الى النكتي وكان كاتبه نظما ونثراً بقوله « انما أجبته بنثير دون منظوم لاني منذ سنَوَات أعرضتُ عن تلك المَنَوات » .

(١) كان بعض الشعراء مدحه وخطب وُدّه فأجابه بر ا ٢٣

(٢) بعض الأعيان كان أنفذ اليه قصيدة له رائية . فشكره بر ا ٤١

(٣) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سِنان الذي تقدم اليه برغبة عزيز الدولة الرومي في اختصار كليلة ودمنة برقعة منظومة خاطبه فيها بالأجل بعد أعوام من الرجوع . فأجابه بر ا ٣٦ واعتذر بحدوث مرض أنهك قواه وعاقه عن قبول الخدمة . ويأتي لابن سنان ذكر فيما بعدُ .

(٤) النكتي خاطبه بالنثر والنظم بعد فترة على عهد الاجتماع طويلة وكان شعره من الطويل والكامل والوافر . فأثنى على نظمه وبسط في خلوّه من جملة

---

[1] قال ـ ل

بني الآداب غرتكم قديما زخارف مثل زمزمة الذباب
وما شعراؤكم الا ذئاب تلصص في المدائح والسباب
اقارضكم ثناء غير حق كانا منه في مجرى سباب
أأذهب فيكم ايام شيبي كما أذهبت ايام الشباب
معاذ الله قد ودعت جهلي فحسبي من تميم والرباب

العيوب وقد فَصّلها . وهذا الرجل اذ ذاك كان شيخاً هِمّاً وكان صديقا لبعض أصحاب ابن خالويه ممن سمع منه أبو العلاء . إلاّ أن صاحبنا يجري معه فى قَرَن ، كأنه لِدَةٌ له أو قِرْن ذو شَجَن . والرسالة تحتوي من مسائل العروض والقافية عيونا ، ومن أفانين الشعر أفنوناً فأفنونا . وهى أحكم رسالة فيما أعلم ، وأطولها وحاشاها من إيراث السأم

(٥) الوزير أبو القاسم المغربي المارّ . كاتبه بقصيدتين ميمية وواوية فأجابه برسالة المنيح وأثنى على نظمه ثناء باهظاً .

(٦) الشريف أبو ابراهيم محمد بن إسحاق العلوي المذكور وأخوه موسى أجاب عن قصائد لهما وانظر س [١]

(٧) أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن جَلَبات ومرّ مدحه بقصيدة فأجابه بميمية . س [٢]

(٨) المفضل مدحه بقصيدة فأجابه باخرى على زنتها ورويّها . س [٣]

(٩) أبو الخطاب القصير العراقي مدحه بقصيدة وأثبتها في نسخة دفعها الى أبى العلاء . س [٤] فأجابه ببائية .

(١٠) بعض الشعراء مدحه بقصيدة فأجابه برائية . س [٥]

(١١) كتب بعض الناس اليه بشعر نعت فيه الخمر وأهدى اليه شيئاً ، فاجابه بقطعة ميميّة س [٦]

---

(١) ١ : ٩٠ و ٥٦
(٢) ١ : ٩٩
(٣) ١ : ١٤٢
(٤) ١ : ١٥٣ وهو الجبّلي المار ويأتي في الزوار
(٥) ١ : ١٧٢
(٦) ٢ : ٣٦

(١٢) القاضي أبو الطيب الطبرى كتب اليه حين وافى بغداد ما قد ذكرناه مع جوابه في الفائت .

(١٣) عاتبه ابن تميم البَرَقى ببغداد بأبيات وكان مريضاً فلم يعده فأجابه بميميّة (١) ومرّ أمرها .

(١٤) أبو على ابن فُوْرَجّة ومرّ آنفا .

ولعل كثيرين كانوا يكاتبونه نظماً ممن أجابهم نظماً ثم نثراً ولكن لم يصلنا أخبارهم . فمنهم الواجكا والتنوخي الصغير وأبو منصور الخازن (٢) محمد ابن على والقاضي أبو الطيّب الطبرىّ وغيرهم

احتفال البغاددة لوداعه وتحفيهم به

مرّ بعضه فيما مضى وهاك ما بقي . كتب (٣) بعد الرجوع الى خاله أبي القاسم ورعاية الله شاملة لمن عرفتُه ببغداد . فلقد أفردونى بحسن المعاملة وأثنَوْا علىّ فى المَغِيْبَة . وأكرمونى دون النظراء والطبقة . ولمّا آنسوا تشميري للرحيل وأحسّوا بتأهّبي للظعن أظهروا كسوف بال ، وقالوا من جميل كلّ مقال . وتلفّعوا من الأسف ببرد قشيب . وذرفت عيون أشياخ شِيْب . فلا إله الا الله أي نابتة ليست لها راعية . . . . وأمرونى لرغبتهم فى صَقَبِي منهم بامور تنهى عنها القناعة والله يحسن جزاءهم ان كان ما فعلوه حِفاظاً فهو مِنّة عظيمة وان كان نفاقا فهو عِشْرة جميلة . وانصرفت وماء وجهى في سِقاء غير سَرِب اه . . . . وكنت

---

(١) ٢ : ٩٨

(٢) ورد في ر صاحبنا اليه ذكر قصيدة لزومية كان انفذها اليه

(٣) ص ٣١

اذا أخبرتُ رجلا بمسيرى بانت فيه كآبة وبدت عليه كبْوَة . فكتمت ذلك عنهم كتمانَ المرأة ضرّتها بالغيب،ما في جسدها من سوء وعيب . فلما علق حرباء البين تنضُبَتَه . ووقف صُرَد الفراق موقفة كنتُ وإياهم كأبي قابوس(١) وبني رواحة قال لهم خيراً وأثنى عليهم وودّعهم وداع أن لا تلاقى اه . ومن اخرى (٢) الى أهل المعرّة ويحسن [الله] جزاء البغداديّين فلقد وصفوني بما لا أستحقّ وشهدوا لى بالفضيلة على غير علم وعرضوا عليّ أموالهم عرضَ الجِدّ . فصادفوني غير جَذِلٍ بالصفات ولا هَشٍّ الى معروف الأقوام ورحلتُ وهم لرحيلي كارهون .

فتراه إذاً قد حَظِيَ بها بما لم يحظَ به أمثاله . وهم كثيرون ممن خاب رجاؤه وأخفق آماله . فذمّ بغداد وأهلها . ولم يستثن شيخها ولا كهلها . وهذا القاضي عبد الوهاب نبتٌ به بغداد كما ذكر ابن بسام (٣) كعادة البلاد بذوى فضلها وعلى حكم الأيام بمُحْسني أهلها ـ فخلع أهلها وودّع ماءها وظلّها وحُدّثت أنه شيّعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف كثيرة وأنه قال لهم لو وجدت بين ظَهْرَانَيْكم رغيفين كلّ غَداة وعشية وعند ياقوت كلّ يوم مدًّا من الباقِلّي ماعدلتُ عن بلدكم لبلوغ أُمنيّة وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد من كل منزل وحُقَّ لها منى سلام مضاعف
فوالله ما فارقتُها عن قلى لها وإنّي بشَطّي جانبَيْها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ برُحبها ولم تكن الارزاق فيها تساعف

---

(١) راجع القصة في الاغانى الثانية ٢ : ٢٩
(٢) ص٣٤
(٣) الوفيات ١ : ٣٠٤ والحكاية فى البلدان أيضا رسم بغداد والغيث ١ : ٦٨ والشمر الانوات ٢ : ٢١ وغلط مرجليوث فى زعمه انه رحل من مصر الى بغداد ص ٣٤ .

وكانت كخلٍّ كنتُ اهوى دُنُوَّه . وأخلاقه تنأى بــه وتخالفُ

ولما وصل الى مصر لقى من الإكرام ما لا مزيد عليه اه . وهذا مثل ما جرى على النضر بن شُمَيْل [١] لما فارق البصرة الى خراسان . وكل هذا يدل على كثرة العلم بالمدينة كثرة أضاعت لحامليها خطراً وقيمة كما قال في ر له [٢] الى خاله أبى القاسم « والعلم ببغداد أكثر من الحصا عند جمرة العقَبَة ..... ولكن على كل خير مانع » اهـ وكان حال بعض علمائها كما قال أبو الطيب الطبري [٣] :

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوتَ الى فراغ الغاسل

يعنى أن أحدهم حينما يريد أن يغسل ثيابه الوَسِخة يستعير من صاحبه ثيابه الى أن يفرغ ذاك ويقعد هذا في البيت عُريانَ ـ يعنى أن كلاهما لا يملك فضل ثوب

نيته على العزلة وهو بها

تقدّم لنا أنه لم يكن وردها ليرحل عنها وكان مزمعاً على أن يقيم بها الى أن يوافيه يومه . ولكن لما رأى من تقطيب الرؤساء والأعيان ، وتنافسهم فى جلب النار إلى أقراصهم والافتتان . وان الدنيا كما هي ، مفطورة على الشرور والدواهى . وأن لذائذ الحياة ورغائبها ، والمشتهيات ومَطايبها . من تقدير

---

(١) وانظره في الغيث ١:٠٦٩ والقاضي عبد الوهاب أيضاً :

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق
أقمت فيها مضاعا بين ساكنها كانى مصحف فى كف زنديق

(٢) ص ٣٠

(٣) الوفيات ١: ٢٣٤

العزيز العليم . لا مدخل للجهد والكدّ في زيادة حبة على ما منح الرازق الحكيم كما قال الاول :

وليس الغِنىٰ والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظٍ قُسِّمت وجُدودُ

وكما قال هو عند الوداع :

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حُظوظ وإقبالُ

إذا صدقَ الجدّ افترى العمّ للفتى مكارمَ لا تُكْرِي وان كَذب الخال

ولم يكن يرغب في صِلات أجواد الممدّحين . فلم يبذلْ ماء وجهه وهو الخطير الثمين . لهذا الغرَض المهين . ورأى ميسوره معسورا ، فحبس شخصه في المغارة مأسورا . حتى لا يُلام إن فرط منه تقصير في حقوق الاصدقاء الكرام . ويُعْذَرَ ولا يقصّر . ومن أفرغ المجهود فقد أعذَر . وأن يأمن آفات المعاشرة . من الكذب والتخرّص والغِلّ والنميمة والحسد كما قال . ل :

تغيّبتُ في منزلي برهةً ستيرَ العيون فقيدَ الحسَدْ

على أنه لم يجد هناك لسلعته منفّقا ولبضاعته مشتريا يعظُم له قَدْرُهُ . ويَفكه من إسار الزمان فيحلولىْ له مُرُّه . فعزم على ما عزم . وجزم بما به جزم . لا كمن قال قد أحزِم لو أعزِم . ولا نُبْعد إن قلنا إن موت والدته الرؤوم . نغّصَ عليه هذا العيش المشؤوم . وأما كلامه في المعنى فما كه « وأنا[1] وحشيّ الغزيرة أنسيّ الولادة » . وكتب في ر[2] إلى خاله أبي القاسم « ولما فاتني المُقام بحيث اخترتُ أجمعت على انفراد يجعلني كالظبي في الكِناس . ويقطع ما بيني وبين الناس . إلا من وصلني الله به وصل الذراع باليد . والليلة بالغد » وبادر[3]

(١) ر ص ٢٩
(٢) ر ص ٣٣
(٣) ر ص ٣٤

أهل المعرّة بنيّته هذه إعلاما . مخافة أن يزوره أحد فيوْليه ملاما . وقال فيه : « وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثّر بلقاء الرجال فشاهدت أنفس مكان لم يُسعِف الزمن بإقامتي فيه » وكتب الى بعض العلوية [١] وكان زاره في منزله القديم فلم يجده هناك « وقد كنت عرّفته بالعراق ما عزمت عليه من انفراد يحجزُ عن المراد. ووجدتُ الوالدة رحمها الله قد سبق بها القدر الى المدَر فأتت النيّة بالمنية . فانطويت على يأس ومجانبة للناس » وله كثير من الشعر في اللزوم فى غرض العزلة والوحدة . وأن بنى آدم مفطورون على الشرور والأسواء وأن الظلمة متقدّمة على النور والكدر على الصفاء وأن العالم كله نَجِس . وتدرج من هذا الى زعمه أن الوالد مصدر الجناية مذهبَ مَزْدَك وأشياعه . وكاد من غلوّه في النفرة من نوع الانسان . أن يُنْسَب إلى الفنَد والهذَيان . ونمى سوء ظنه بالناس ان لم يستثن أحد من الاخيار والاكياس وانظر كله في النظرة . وقال ابن حجر [٢] وكان لا يحمد أحداً . وهذا بعض شعره في العزلة :

وفي وحدة الانسان أصناف لذّة ... وكل صنوف الوحش يجمعها القفر

حورفتُ في كل مطلوب هممتُ به ... حتى زهدتُ فما خلّيتُ والزُهدُ

لا توحش الوحدة أصحابَها ... إن سُهيلا وحده فارد

اذا حضرتْ عندى الجماعة أوحشت ... فما وحدتى إلاّ صحيفةَ ايناسي

(١) ر ص ٣٥
(٢) اللسان ١ : ٢٠٤

ان صحّ عقلك فالتفرد نعمة ونوى الاوانس غايةُ الايناس

إذا انفرد الفتى أُمنت عليه دنايا ليس يُؤمنها الخِلاط
فلا كذب يقال ولا نَميم ولا غلط يخاف ولاغِلاط

تمنيتُ أنى بين روض ومنهل مع الوحش لامصراً أحلّ ولا كَفرا

في الوحدة الراحة العُظمى فآخ بها قلبا وفي الكون بين الناس أثقال
إن الطبائع لما أُلّفت جَلبت شرًّا تولّد فيه القيل والقال
حتى اذا مالكُ الأشياء فرّقها زال العناء ولم يُتعبك تنقالُ

هَويتُ انفراديَ كيما يخفّ عمّن أُعاشر ثِقْلَ احتمالى

وما زال نعمَ الرأى لى أن منزلي كأنى فيه مضمرٌ كَنٌّ في نِعَما

أراك إذا انفردتَ كفيت شراً من الخــــلّ المُعاشر والمِعَنّ

خبرتُ البرايا والتصعلك والغنى وخفضَ الحشايا والوجيف مع السَفْر
فأطيبُ أرض الله ما قلّ أهــله ولم ينأ فيه القوت عن يدك الصِفْر
يعانى مقيم بالعراق وفارسٍ وبالشأم مالم يلقه ساكنُ القفر

إلزم ذَراك وان لقيت خصاصةً فالليث يستر حاله الاخدار
لم تَدْر ناقةُ صالح لمــا غـدت أن الرواح يُحَمّ فيه قُدارُ

أما العراق فعمّت أرضه فِتن مثلَ القيامة غَشّتها غواشيها

والشأم أصلح إلا أن هامته ... فُضّت وأسرى على النيران عاشيها

وهذه المقاطيع الثلاث تَجْذِب الى أنه وطّن نفسه على المكاره والاحداث. إلى أن يوافيه حِمامه فيدْلى في الاجداث . وسنُلم به عما قريب

ولكن أوّلُ ما وجد من شعره في العُزلة ما أُجاب به ابن فورجّة كما قدّمنا :

تأمّلنا الزمان فما وجدنا ... الى طيب الحياة به سبيلا
ذر الدنيا اذا لم تحظ منها ... وكن فيها كثيراً أو قليلا
وأصبحْ واحدَ الرجلين إمَّا ... مليكا في المعاشر أو أبيلا
ولو جرت النَباهة في طريق الـ ... ـخُمول إليّ لاخترت الخُمولا

سبب رجوعه ورجوعُه وطريقه

اذا كنت ذا لُبٍّ مكين فلا تقس ... بحمصك والمياس دجلة والكَرْخا

مرّ خبره في مجلس المرتضى أنه لقي فيه غضاضةً ومَضضاً . ورأى ببغداد مظاهر العزّ والوجاهة والخفض والراحة، وأن ليس بيده منها غيرُ الأسف واصفار الراحة . على أنه مع ما فيه من تجرُّع غُصص هذه الحياة النكداء ببلدة بِخلوٍ من الأسرة والأوِدّاء . هاج له من أهل عصره نيرانَ الحسد ، ولَذَعت جمرتُها روحَه والجسد . س(١) :

فأصبحت محسوداً بفضليَ وحده ... على بُعد أنصاري وقلّة مالي

وكان الرجل من صِباه ممنوّاً بالحُساد ومكايدهم ، ومرتبكا في اشراك

(١) ٢ : ٤٥

الاعداء ومَصايدهم ـ على ما نعقد له فصلا ـ وبينما هو في هم وبلبال، وشُغلٍ بالٍ إذ ورده خبر مرض أمه . وأنه قد أشرف على الضياع ما كان من أهل ثمّة ورَمّه . كما قال س :(١)

أثـارني عنكم أمران والدةٌ لم ألقَها وثراء عاد مسفوتا

أحياهما اللهُ عصرَ البين ثم قَضى قبلَ الإِياب الى الذُخرَين أن موتا

لولا رجاء لقائيها لما تبعت عَنسى دليلاً كسرٌ الغِمد اصليتا

ومما كتبه(٢) الى علوي بعد الرجوع « وقَدِمتُ أخا انفاض الى أمور أنا بها غيرُ راضٍ . من جدّب عامٌ اتّصل في عامٍ بعد عام » ور (٣) الى خاله أبي القاسم تَنَمّ بما ستره . وتبدي بعض ما أضمره قال « وكنتُ ظننتُ أنّ الايام تسمح لى بالاقامة هناك فاذا الضارية أحجأ بعُراقها . والامة أبخل بضرتّها والعبدُ أشحّ بكُراعه . والغراب أضنّ بتمرته . ووجدتُ العلم ببغداد أكثر من الحصا عند جمرة العقَبة . وأرخص من الصيحاني بالجابرة . وأمكنَ من الماء بخُضارة . وأقرب من الجريدة باليمامة . ولكن على كل خير مانع . ودون كل دُرّة خرساء مُوَحّية أو خضراء طامية

اذا لم تستطع شيئاً فذره وجاوِزْه الى ما تستطيع(٤)

يكفيك ما بلّغك المحلّ ان عجز ظِلّ عن شخصك فلا يعجزنّ عن عضومنك فلما زَيّنت الضروس الحالبَ، ونزَت العنودُ تحت الراكب . ومنعت القَلوعُ

---

(١) ٢ :١١٩

(٢) ر ص ٣٥

(٣) ر ص ٣٠

(٤) من عينية عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهى في الخزانة

النازع . . . . وخيّب رائداً سحابٌ . وكَذَبَ شائمًا برق . وأخلفَ رُويعياً مَظنّةٌ ، عادت لعـترها لَميسُ وذكر وجارَهُ ثُعالة وطَرِب لو كُنته ابنُ دايةَ » اه

فهذا صريح في أن الرجل كان يرغب من صميم قلبه أن لو آتاه الله رَغَدًا من العيش من وجه ولكن مَظنته أخفقت ومَخيلته أخلفت وقد مضى شعره في المعنى في آخر فصل البضاعة

ولا بُدَّ أن تطّلعَ نفسهُ وفيه بقية من حبّ الدنيا وتستشرف في هذا الدَّوْر من الحياة الى الاستزادة والعليا . ولكنه لما روّض نفسه وقنّعها على الكفاف. إذ ليس الريّ كما قال عن التشافّ . عاد شِماسُها انقيادا ، وألقت اليه مَقادا . فلم يرغب بعد في كنوز الملوك ولا المالك ، وزهد فيها زهد الناسكُ . كما قال . ل :

ما سَرّني بقناعة أُوتيتُها في العيش مُلْكا غالبٍ وذَمار

وعرض عليه المستنصر العُبيدى ما ببيت المال بالمعرّة من الحلال فلم يقبل. على ما مضى بيانه . وأحسن أبو ذؤيب أشعر هذيل :

والنفس راغبة اذا رغّبتها وإذا تُرَدُّ الى قليل تقنَعُ

وأما رجوعه فهو على النوق على طريق الموصل وهو مَهلكةٌ مخوف . مُغارٌ للبادية فللجَسور المقدام عنه عيافٌ وصُدوف . كما قال(١):

وكم بين ريف الشام والكَرْخ منهلا موارده ممزوجـــــة بسِمامِه

وكتب الى الواجكا(٢) :

ويؤنِسنا من خشية الموت معشر بكل حُسام في القِراب مودَّعِ

---

(١) س ١ : ١٠٥

(٢) س ٢ : ١٠٩

طريقةَ موت قُيِّدَ العيرُ وسْطَها ... اينعَمَ فيها بين مرْعى ومشرَع

والى التنوخي : (١)

وأهلِ بيت من الاعراب ضِفْتهم ... لا يملكون سوى أسيافهم بِيتاً

جنٌّ إذا الليل ألقى سِتْرَه برَزُوا ... وخَفَّضوا الصوت كيلا يرفعوا الصيتا

والى الخازن (٢) :

وما أذهلتني عن ودادك رَوعةٌ ... وكيف وفي أمثاله يجب الغَبْطُ

ولا فتنة طائيّة عامريـة ... يحرّق في نيرانها الجَعْدُ والسَبط

يشير الى بدء تغلب صالح بن مرداس وهومن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والى حسان وهو من طيء على الشامات كما يأتي

فسار عن بغداد (٣) لستّ بقين من رمضان سنة ٤٠٠ هـ على طريق الموصل وميّا فارقين ومرّ بطرف حلب الشهباء ولـكن لم يعرج عليها وبيّن سبب تنكّبه عنها ذهابا وإيابا في ر (٤) الى خاله أبي القاسم . وكان نزل (٥) في طريقه بالحَسَنية وهي بلد شرقي الموصل فلم يزل في أمن وإفراط من الماء حتى بلغ آمد (ديار بكر) ثم عادت السبيل الى غوائلها وسدِكت الرّفاق بمخاوفها

فـما بلَغتنا الا جَريضاً ... بلا نِقْيٍ العظام ولا سَنام

---

(١) س ٢ : ١١٥

(٢) س ٢ : ١٢٦ وقال صاحب ذ ٣١٢ ان البيتين يشيران الى حصار صالح لحلب وهذا اسراف . نعم يدلان على ما أتاه قبل سنة ٤١٤ هـ بالرحبة واطرافها وبحلب أيضا

(٣) ر ٣٢

(٤) ر ٢٩

(٥) ر ٣٣

ولما وصل الرَّقّة (١) كتب منها الى خاله كتابا شرح فيه ما حمله على النزول . ولم يكن وصل المعرّة (٢) بعدُ اذ أتاه نعيّ أُمه البرّةَ الوَصول

وأورد الصاحب ابن العديم في الباب التاسع من العدل عدّة قصائد لبعض أنسبائه قيلت في استقدام أبي العلاء والتحفّي به

موت أمه

كانت امه من أُسرة نجيبة كما يظهر من بيتيه في س ومرّا . وكان لما توفيت ابن ٣٧ عامًا الاّ أشهرا ، وكان برّا بها متحننا اليها . فرثاها بقصيدتين (٣) أثبتهما في س إحداهما ميمية والاخرى لامية وذكر مُصابه بها في ر (٤) الى خاله أبي القاسم وفي ر الى بعض العلويّة أيضًا .

قال :

سَمعتُ نَعيَّها صَمّىْ صَمامِ ... وإن قال العواذلُ لا هَمامِ
وأُمّتني إلى الأجداث أُمٌّ ... يَعِزُّ عليَّ أن سارت أمامي
وأُكبِرُ أن يُرثّيَها لساني ... بلفظ سالكٍ طُرُقَ الطعام
يقال فيَهْتمُ الأنيابَ قولٌ ... يباشِرها بأنباءٍ عظام
كأن نواجذي رُدِيتْ بصخر ... ولم يمرُرْ بهنّ سوى كلام
ومَنْ لي أن أصوغ الشُهْبَ شعراً ... فأُلبِسَ قبرَها سِمطَيْ نِظام
مضتْ وقدا كتهلتُ فخلتُ أني ... رضيعٌ ما بلغتُ مَدَى الفِطام

(١) ر ص ٣٠ . وليس هذا الكتاب في جملة رسائله
(٢) عنوان ميمية الرثاء س ٢ : ٨٧ و ر ص ٣٥
(٣) ٢ : ٨٧ و ١٣٧
(٤) ر ص ٢٨ و ص ٣٥

قوله يقال فيهم البيتين يشير الى ما أشار اليه في الأخرى بقوله :

أراني الكرى أني أُصبتُ بناجذ ألا إن أحلام الرقاد لضُلاّل
أجارحتي العُظمى تُشبَّهُ ساهيا بسنّ لها في ساحة الفم أمثالُ

قالوا إنه كان أُرى في المنام أن ناجذاً له سقطت فأوّله بموت والدته . وقد علمنا من اللزوم أيضاً سقوط أسنانه بين ٤٠ ـ ٥٠ من عمره قال :

فمي أخذت منه الليالي وإنني لأشرب منه في إناء مثلَّم

وكتب الى أبي الحسن ابن سنان[1] وكان تقدم اليه بأمر عزيز الدولة في اختصار كليلة ودمنة وأمثاله « الآن عَلَتِ السنّ وضَعُف الجسم وتقارَبَ الخَطْوُ وساء الُخلُق وعُطِّلت رَحًى كانت لي لم تكن تُجَعْجِع ولكن تَهْمِس . كنت أقصرُ طَحْنها على نفسي وأتقوَّى به دون غيري ولم يكن لها ضمان ولكن فجع بها الزمان . ولم يبق الا أن يخلو مكانها العامر . فيصبح كأنه المحلُّ الدامر . فأما المنفعة بها فقد انقضت وانقرضت . وإن تشبّه بها في الظعن أخواتها صار لفظي من أجل ذلك مشينا وجعلتُ سين الكلمة شينا فلم يفهم عنى سامع ما أقول» اه . وهذا كله قبل بلوغه الـ ٥٠[2] فان عزيز الدولة قُتل سنة ٤١٢ هـ .

وورد ذكرها في اللزوم على مذهبه في جناية الوالدين على الولد ، وليس دليلا على العقوق :

متى لُمتمانى على زَلّة رجعتُ على أُمّيَ الهابل
سَعَى لى والداىَ بغير لُبّ وسِيّانِ العرائسُ والسعالى

(١) ص ١١٩

(٢) وأبعد صاحب د فزعم أن هذا قبيل موته . ولعله لا يدري أنه كان يعد نفسه من الكهول وهو ابن ٣٦ سنة كما هو في اللامية الى ابن فورجة وميمية رثاء امه . وانظر زعمه هذا في ص ٦٧ و ٢٢٣ . وزاد حيث زعم هذا العزيز هو الذي صنف له اللامع العزيزى وهذا وهم وانظره في الحكام والتآليف

الحنين الى بغداد وأهلها

وقصائده في أمرها

ذكرنا أنه كان أودع الواجكا ديوان تَيْم اللات ليُسلّمَه التنوخيَّ . فلما وصل المعرّةَ كتب اليه عينيةً [1] والى التنوخي تائيةً [2] أقرأ فيها عبد السلام السلامَ وذكر أنه كان أودع الكتابَ إيّاه حتى يوصله الى التنوخيّ إبْراء لساحته وتخفيفاً لعُهْدَته وذمته . ولكن لم يعلم بعد عِدّة من الأعوام أيضاً علم جليّة الأمر فكتب اليه في أبيات ذكر فيها ورود القاضي عبد الوهاب بالمعرة [3].

جزءٌ بدَرْبِ جميل في يدَيْ ثقة سألتُه ردَّ مضمون اذا قَدرا

وكم بعثتُ سؤالا كاشفا نبأً عنه فلم أقضِ من علمي به وَطَرا

وكان كما مرَّ كتب مدخله ببغداد الى أبي حامد في أمر استنقاذ السفينة من العشّارين ولكن الرجل لم يوفَّق الى ذلك . وحاز فضل اليد عليه أبو أحمد الحكاري [4] فخلّصها من أصحاب الأعشار والظاهر أن هذا التخليص بعد الرجوع بمدة فشكر صنيعه هذا في طائيته [5] الى خازن دار العلم بقوله :

وعن آل حكّار جرَى سَمَرُ العُلا بأكمل معنى لاانتقاص ولا غَمْطُ

فانٍ ينْسهم أمرَ السفينة فضلهم فليس بمنْسيّ الفراقُ ولا الشَحْطُ

---

(١) س ٢ : ١٠١

(٢) س ٢ : ١١٢

(٣) س ٢ : ١٣٩ وهذا مما يضعف قول مرجليوث ان عبدالوهاب زارها سنة ٤٢٠ هـ وهذا تخمين منه استدلالا بقول ابن خلكان انه توفى بمصر لاول ما وصلها سنة ٤٢٢ هـ وبسط الامر في الزوار

(٤) كذا بالحاء في السقط في موضعين . وآل حكار لم اعرفهم مع طول التنقيب والبحث

(٥) س ٢ : ١٢٩

ثم شكرهم بستة أبيات .

وأما الحنين اليها فهذا شعره من س :

مما كتبه [١] الى التنوخي ببغداد في أمر التهنئة :

اذا نأت العراقَ بنا المطايا   فلا كنا ولا كان المطيّ
على الدنيا السلامُ فما حياة   إذا فارقتُكم إلا نَعيٌّ

ومما أجابَ به ابن فُوْرَجَّةَ [٢] :

كَلِفنابالعراق ونحنُ شرخ   فلم نُلمم بها إلاّ كهولا
وشارَفَنَا فراقُ أبي عليٍّ   فكان أعزّ داهية نُزولا

***

وردنا ماء دجلة خيرِ ماءٍ   وزُرنا أشرف الشجر النخيلا
وزُلنا بالغليل وما اشتفينا   وغايةُ كلّ شيء أن يزولا

ومن عينية قالها يودع بغداد [٣] :

أُودّعكم يا أهل بغـداد والحَشا   على زَفَرات ما يَنِيْنَ من اللذْع
وداعَ ضَنٍ [٤] لم يستقلّ وإنمـــا   تحامل من بعـد العِثار على ظَلْع
اذا أطِ نسعْ قلتُ واللوْم [٥] كاربي   أجِدَّكمو لم تفهمُوا طَرَبَ النِسْع
فبئس البـديلُ الشأمُ منـكم وأهله   على أنهم قومي وبينهم رَبْعي
ألا زَوّدوني شرْبةً ولو أنّني   قدرتُ إذاً أفنيتُ دجلةَ بالجرْع
وأنَى لنا من ماء دجلة نُغبةٌ   على الخِمْس من بُعد المَفاوز والربْع

(١) س ٢ : ٦٨
(٢) س ٢ : ٨٣
(٣) ٢ : ٧٥
(٤) ضن بكسر النون كما هو الرواية على ما في الضرام لا كما في التنوير بالفتح
(٥) لا اللوم كما في التنوير مصحفا

***

وما الفُصَحاء الصيد والبدْوُ دارُها بأفصح قولا من إمائكم الوُكم
أدرتم مقالا في الجدال بألسنٍ خُلقن ـ فجانبْنَ المضَرّة ـ للنفع
سأُعرض إن ناجيتُ من غيركم فتى وأجعل زَوًّا من بنانيَ في سمعي

***

لبستُ حِداداً بعدكم كلَّ ليلة من الدهم لا الغرُّ الحسان ولا الدُرْع
أظنّ الليالي وهي خون غوادر بردّى الى بغداد ضيّقةَ الذرْع
وكان اختياري أن أموت لديكم حميداً فما ألفيتُ ذلك في الوُسْع
فليت حِمامي حُمَّ لي في بلادكم وجالت رِمامي في رياحكم الِمسْع

***

فدونكمو خفضَ الحياة فاننا نصبنا المطايا بالفلاة على القطع
تعجّلتُ إن لم أثْنِ جهدي عليكم سحابَ الرزايا وهي صائبة الوَقع

ومما كتب الى الواجكا[1] بُعيد الرجوع :

ألم يأتكم أني تفرّدتُ بعدكم من الإنس مَنْ يَشربْ من العِدّ يَنْقَع
نعم حبّذا قيظ العراق وان غدا يَبُثُّ جمارا في مقيل ومضجع
فكم حَلْقةٍ من أصمع القلب آنسٍ يطول ابنَ أوسٍ فضله وابنَ أصمع
أخِفّ لذكراه وأحفظ غيبَه وأنهض فعلَ الناسك المتشرّع
لقد نصحتني في المُقام بأرضكم رجال ولكن ربّ نُصح مضيّع
فلا كان سيري عنكمو رأي مُلحد يقول بيأس من مَعاد ومَرْجع

---

(١) س ٢ : ١١١

ومنها :

أبا أحمد اسلَمْ إن من كرم الفتى — إخاء التنائي لا إخاء التجمّع
تُهيّجُ أشواقي عَروبةُ إنّها — اليك زَوَتْني عن حضور بمَجْمَع
ألا تسمع التسليمَ حين أكُرُّه — وقد خاب ظنّي لست مني بمَسْمَع
وهل يُوجِسُ الكرخيُّ والدارغَربة — من الشأم حِسٌّ الراعد المترجع
سلام هو الإسلام زارَ بلادَكم — ففاضَ على السُنّيّ والمتشيع

ومن الثانية [١] الى التنوخيّ :

سَقياً لدجلةَ والدنيا مفرّقة — حتى يعود اجتماعُ النجم تشتيتا
وبعدها لا أُريد الشرب من نَهَر — كأنما أنا من أصحاب طالوتا

***

بَتَّ الزمان حبالى من حبالكم — أعزِزْ عليّ ! بكون الوصل مبتوتا!
ذمّ الوليد [٢] ولم أذمُمْ جوارَكم — فقال « ما أنصفتْ بغداد » حُوشيتا
فإن لقيتُ وليداً والنوى قذَفٌ — يوم القيامة لم أُعدمه تبكيتا
أعُدُّ من صلواتي حفظ عهدكمو — إن الصلاة كتابٌ كان موقوتا

***

أحسنتَ ما شئتَ في إيناس مغترِب — ولو بلغتُ المنى أحسنتُ ماشيتا

---

(١) س ٢ : ١١٩

(٢) يعني البحتري وقوله :

ما انصفت بغداد حين توحشت — لنزيلها وهي المحل الآنس

التنوير ٢ : ١٢٠ والغيث ١ : ٦٨ وفي الشريشي ٢ : ٧٨ عزوه الى أبي الفتح البستي وأظنه وهما

ومما كتبه الى خازن دار العلم (١):

خليليّ لا يخفى انحساري عن الصبا ... فحلّا إساري قد أضرّ بيَ الربْطُ
ولى حاجة عند العراق وأهله ... فإن تقضياها فالجزاء هو الشرط
سلَاَ علماءَ الجانِبَيْنِ وفِتيةً ... أبنُوهما حتى مَفارقُهم شُمط
أعندهم علم السلوّ لسائل ... به الركبَ لم يعرف أما كنه قطّ
وما أربى إلاّ معرّسُ معشر ... هم الناس لا سوق العروس ولا الشطّ
وما سار بي الاّ الذي غرّ آدما ... وحوّاءَ حتى أدركَ الشرفَ الهبْط
ألا ليت شعري هل أدين ركائبا ... أمطُّ بها حتى يُطلّحها المَطّ
وهل يُنْشِطنّي من عقالي اليكم ... رضى زمني أم كلّ شيمته سُخْط

***

وإن خلطتني بالتراب مَنيّةٌ ... فبعض ترابي من ترابكم خِلط
فياليتني طارت بكوري اذا دنا ... بُكورى ـ قطاةٌ بالصراة لها وقْطُ
لأقضىَ همّ النفس قبل مجلّةٍ(٢) ... كأن عظامى الباليات بها خَطّ

***

نعم حبّذا بؤسىَ أزارت بلادهم ... ولا حبّذا نُعمَى بدارهم تَنْطُو

ومما كتب الى التنوخي(٣):

أذا كرٌ أنت عصرا مرّ عندك لي ... فليس مثلي بناسٍ ذلك العُصُرا
أيام واصلتنى وُدّا وتكرمةً ... وبالقطيعة دارى تحضُرُ النهَرَا

---

(١) س ٢ : ١٢٥

(٢) الصحيفة . واراد هنا القبر لطيهطي الصحيفة

(٣) س ٢ : ١٣٩

ومن ل:

يا لهف نفسي على أني رجعتُ الى هذي البلاد ولم أهلك ببغداذا
إذا رأيتُ اموراً لا توافقني قلتُ الإيابُ الى الأوطان أدّى ذا

ومنه:

شُشمتِ ياهِمةً عادتْ شآميةً من بعد ما أوطنتْ عصرا ببغداذِ
ولستِ ذاتَ نخيل لا ولا أُنُفٍ كَرْميّةٍ فتقولي شفّني داذي

وقد أسهبتُ وأطنبتُ . وظني أنني ما قضيتُ الحقّ ولا قاربتُ . وتأملت فرأيتُ باعي قصيراً . ونضْوى حسيرا . عن تأدية ما عاناه من لذعات الوجد وتباريح الكمَد . مما هدّ ركنه الأشدّ . وساعدَه الأسدّ . وأوهن روحة الجسد . فرأيتُ الأَوْلى الإتيانَ بلفظه الذي مازال يَبُثُّ . ولا بُدّ للمصدور أن ينفُثَ . وإن قلبا لم تُنضِجه هذه النفثات . انيء فجٌّ يحَقّ أن يُحْكم عليه بالممات .

نظرة عامة على حياته وعاداته

قال الذهبي.(١) كان له مغارة ينزل اليها ويأكل فيها ويقول: العَمَى عَورة والواجب استتاره في كلّ أحواله . فنزل مرّةً وأكل دِبْساً فنقَطَ على صدره منه ولم يشعُرْ . فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة ياسيدى أكلتَ دِبْساً فأسرع بيده الى صدره يمسّه فقال نعم لعن اللهُ النهَمَ . فاستحسنوا سرعة فهمه اهـ قال (٢) وكانت له نفس قوية لا يحمل منّةَ أحد ، ولو تكسّبَ بالشعر والمديح

(١) ١٣٠
(٢) ١٢٩ والسان ١ : ٢٠٤

لنال بذلك دنيا ورياسة . وكان أكله العَدَس وحلاوته التِّين ولباسه القُطن وفراشه لبداً وحصيره بوريّةً . وفى ر[١] الى الداعى أنه اقتصر على فُول و بُلسن وما لا يعذب على الألسن . وقال الرحالة الفارسى [٢] انه لم يكن يأكل غير نصف منّ من خبز الشعير . وربما أكل طعاماً بلا إدام ليلا كما جاء في ل. وكان إدامه من الزيت وشربه فى الفخار كما فى ل .

وكان يتجنّب أصناف اللحوم والصيْد والبَيْض وحيوان البحر يذهب مذهب الجَنَريّة أو البراهمة أو مذهب الزُهّاد من جميع الأديان في ترك اللذائذ [٣] . وأَبَرَّ على البراهمة في الاجتناب من العَسَل واللبن والأقطِ . وزاد اذ اجتنب الجلود واتّخذ لنفسه نعلا من الخشب . وهذا كله من شعره في اللزوم . وله في ضدّ بعض هذه الأغراض أيضاً شعر وانظر النظرة .

---

(١) أدبا ١:٢٠١

(٢) ص ١٥

(٣) هو لم يستقر بنفسه على طريقة كما قال السلفي. ور الى الداعي استدل فيها اولا على تحريم اللحم ثم ذكر أن سبب الاجتناب ضيق ذات يده ص ١٩٩ و٢٠١ ، ثم صرح في اخرى ص ٢٠٥ أنه لايقول بتحريمه وانما تركه اجتهاداً فى التعبد ورحمة للمذبوح رغبة أن يجازى من ذلك بالغفران واستدلوا على ذلك بقول تلميذه في رثائه

ان كنت لم ترق الدماء زهادة 		فلقد أرقت اليوم من جفنى دما

أن قوله « زهادة » صريح في مذهبه وتلميذه أعرف به ــ وفي النزهة ٤٢٧ وأدبا ١ : ١٧٠ أنه مرض مرة فوصف له الطبيب الفروج فلما جيء به لمسه بيده وقال استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الاسد . وقال ابن الوردي ١ : ٣٥٨ ان قول تلميذه لم ترق الدماء زيادة يدفع قول من قال انه لم يرق الدماء فلسفة ونسبه الى رأى الحكماء وتلميذه أعرف به ممن هو غريب يرجمه بالغيب . وما ذا على من ترك اللحم وهو من أعظم الشهوات خمساً وأربعين سنة زهادة وقد قال المكي في قوت القلوب اباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن . ولما أتى رسول الله من اهل قباء بشربة من لبن مشربة بعسل وضع القدح من يده وقال « اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعاً لله تعالى » . وأتى عمر بن الخطاب (رض) بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنعم وكتب الرقائق وغيرها مشحونة بترك السلف الصالح للشهوات والملاذ الفانية رغبة فى النعيم الباقى اه

ولم يكن يستبيح في حال من الأحوال كائنا ما كان شرب الخمر وكان أعدى عدوّها من صباه الى أن اخترمته المنون . واللزوم طافح بذمها والتحذير منها وله في المعنى ألوف من الأبيات وليس ثمّ بيت فذّ لا أقول يصرّح بل يجذب الى استحلالها أو تناوله لها . وله في ذمها كتاب خاص سماه خماسية الراح ويأتي .

وهذا بعض شعره في غير اللحم والخمر من الأغراض المتقدمة :

أقفرتُ من جهتين قفر مفازة   وطعام ليل جاء وهو قَفار (١)

لنفسي ما أطعمتُ لم يدر آكل   سواي أحلواجاز في الفم أم مُرّا

وإذا غلا البُرّ النقيّ فشاركِ الـ   ـفرسَ الكريمَ وساوِ طِرْفك تمجُد
واجعل لنفسك من سليط ضيائها   أُدْماً ونَزْرَ حلاوة من عُنْجُدِ (٢)
وارسم بفخّار شرابك لا تَرِد   قَدَحَ اللجين ولا إناء العسجد

يكفيك أُدما سليط ما أريق له   دم ولا مسّ روحا إذ جرَى ألم

جَشِبٌ كفاك مَطاعما وعباءةٌ   أغنتك أن تتخير الأوبار

يُقنعني بُلْسُنٌ (٣) يمارَس لي   فان أتتني حَلاوة فبُلَسْ
فلُسٌ ما اخترتَ إن أروحَ من   يسار قارون عفّة وفَلَسْ

فاترك لأهل الملك لذّاتهم   فحسبنا الكمأة والأحبَل (٤)

(١) بلا ادام
(٢) الزبيب
(٣) البلسن كبرسن العدس والبلس التين
(٤) اللوبياء . وجنبل قدح من الخشب

ونشرب الماء براحاتنا ان لم يكن ماييننا جُنْبُلُ

وقوتي الشيء أبى مثله فصيحُ هذا الخلق والأ لكنُ

أفدتُ بهجران المطاعم صحةً فما بيَ من داءٍ يخاف ولا حِبْن (١)

﴿ في اللباس ﴾

لباسي البِرْس (٢) فلا أخضر ولا خَلوقيّ ولا أدكن

غالَوْا بأثوابهم فما حسنوا في ذَهَبيّ اللباس بل قبُحوا

اجاهد بالظهارة حين أشتو وذاك جهاد مثلي والرباطُ

مُقنعي في الزمان سِتري ودِفْئي من لباس راقَ العيونَ وفُرْش

قد شربت المياه بالخزَف الوَخْش فأغنى عن محكَمات بخَرْش

وتغنّيت في الامور فنابت قدمي عن ركوب دُهم وبُرْش

وربما (٣) تجنّب في الشتاء من الحميم كما قال :

مضى كانونُ ما استعملتُ فيه حميمَ الماء فاقدُم ياأُسباطُ

﴿ هو حبيسا ﴾

كان يسمي نفسه رهينَ المحبِسيْن كما في عنوان مُلقى السبيل وعند كثير من كتب أخباره أو رَهن المحبسين كما في مقدمة اللزوم يريد حبس بصره بالعمى

(١) دمل
(٢) القطن
(٣) لا دائمًا فان خادمته سكينة كانت تسخن له الماء كما سيأتي

وحبس نفسه . وجعلهما في موضع ثلاثة حيث قال :

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

﴿ الصلاة ﴾

كان مواظباً على الصلوات فى مواقيتها . ولم ينقل عنه أحد توانيا في أمرها أو كسلا . وهذا لزومه مشحوناً بالحضّ عليها . وليس له كلمة يخالفها في شيء من كتبه . قال . ل :

خذوا بِسِيَرى فهن لكم صلاح وصَلُّوا فى حياتكم وزَكوا
ولا تُصغوا الى أخبار قوم يصدّق مَيْنَها العقل الأركّ

اذا كنتَ في دار الشقاء مصلّياً فإنك فى دار السعادة سابق
إذا الُحرّ لم ينهض بفضل صلاته فذلك عبد من يد الدهر آبق

وقال له صلِّ داعى الهدى وقال له مُلحد لا تُصَلّ

وقال فى ر [1] الى الداعى وقد عجز عن القيام في الصلاة فانما يصلي قاعداً

وهذا في كِبَره[2] وذكر لنا أنه عجز في هرمه عن الوضوء أيضاً . قال يخاطب الدنيا :

لكِ أوقاتي فخلّيــــني إذا قمتُ أُصلّى
ودعيني ساعةً فيـــكِ لمولاى الأجلّ

فعُدْ جسدي للعنصر الطُهْر تسترحْ اذا صرتَ تقضى الفرض عند التيمّم

---

(١) ادبا ١ : ٢٠٧
(٢) حين بلغ من العمر ٧٥ عاما أو يزيدون

صومه الدهر

ذكر كما مرّ في ر(١) الى الداعي أنه لما بلغ ثلاثين عاما سأل ربّه إنعاماً ورزقه صوم الدهر فلم يُفطر في السنة ولا الشهر . وإني لأستبعد أن يكون تمّ له هـذا الصوم قبل رجوعه من بغداد . نعم كان يُكثر من الصوم فيما بين ٣٠ ــ ٣٧ من عمره . وذكر الرحالة الفارسي أيضاً صومه للدهر . ل :

طال صومي ولست أرفع سَوْمي ووفودي على المنيّة فِطْرُ

صُمْتُ حياتي الى مماتي لعلّ يوم الحِمام عِيْد

أنا صائم طولَ الحياة وانما فِطرى الحِمام وعند ذاك أُعيِّدُ

ضرورة

ولم يتزوّج ولا أعقب كما قال :

ونظم أُناس تَناهى اليّ من عهد آدم ثم انقطعْ

وأصبحتُ في الدنيا غبيناً مرزّأً فأعفيتُ نسلي من أذاة ومن غبْن

فإن تحكمي بالجَوْرَ فيّ وفي أبي فلن تحكُميه في بناتي ولا في آبنى

وأرحتُ أولادى فهم في نعمة الـعدم التى فَضَلَت نعيمَ العاجل

ولو آنهم ظهروا لعانوْا شدّةً ترميهم في مُتْلِفات هواجل

لو آنّ بَنيّ أفضل أهل عصري لما آثرتُ أن أحظى بنَسْل

فكيف وقد علمتُ بأن مثلى خسيسٌ ولا يجيء بغير فسل

وَضرورةٌ في شيمتين لأتى　　　مذ كنتُ لم أحْجُجْ ولم أتزوج

وغلا في ذلك حتى عدّ إخراج الولد من العدم إلى الوجود جنايةً من والده عليه . وهذا مذهب مزْدَكَ وأشياعه . وله في المعنى شعر كثير أتينا بأكثره في النظرة

خُدّامه

ذ كر في ر (١) له الى خاله ابى القاسم أنه كانت له خادمة عجوز تسمى سُكينة فاستدعاها إلى حلب لضبط منزله . فاعتلّ أخوها فأرادت الخروج اليه ولحقت أبا العلاء علّة فأظهرت أن خروجها اليه وأنه محتاج اليها . وكانت هذه العجوز تسخّن له الماء وتُصلح له القِدر وتوقد النار . وعزم على خاله ألا يُوْقِفها على كتابه لئلا يدركها ما يدرك الآدميين اذا سمعوا في أنفسهم مثل ذلك . وهـذا بحيث ترى نهاية المروّة والفتوّة حيث حَدِبَ عليها مع كيادِها حَدَبَ الابوّة . ولم يسمح أن تـكتئب بكلماته فيها . أو تقف على أدنى تقصير دَلَّ عليه منها . وجاء في قصته مع وزير محمود بن صالح ذكر غلام له يدعى قَنْبَرا قدّم له الوضوء كما فى سر العالمين (٢) المنحول الى الامام أبي حامد الغزالى . ويظهر من ل أن لم يوفِ له أحد من خدّامه . وأن بعض خدّامه لم يكن يطيعه . قال :

ومن عناء الليالى خادم ضَغِن　　　إن يُؤمر الامرَ يفعل غيرَ ما أُمرا

---

(١) ٥٠

(٢) ص ٣٨

والعصا للضرير خير من القا ئـد فيه الفجور والعصيان

يكفيك عبد وليس يقْنِعه الف وكم دُمت وهو لم يَدُم

وهو يأمرنا بالرفق بالحيوان والعبيد ولا يرى للاحرار عليهم فضلا بل لا يرى للإنسان على الجماد أيضاً مزية

ياضارب العَوْد البطيء وظَهْره لا وِزرَ يحمله كوِزر الضارب
أرْفق به فشهدتُ أنك ظالم في ظالمـين أباعـد وأقارب

أنحنُ أفضل أم أشياء جامدة أضحت سواء لديها العين والأثرُ

واغفر لعبدك ما يجنيه من زَلل ولا تأَيّا بسوء من تأيا كا

فالحقّ يحلف ما عليٌّ عنده الأ كقنبرَ

الإقراء والإملاء

كان يقضى عامة أوقاته في الإقـراء والتصنيف والذكر والتسبيح . وقد سمّى لنا منتمليا قال [١] فى ثَبَت كتبه « لزمت مسكنى منذ سنة أربعمائة واجتهدت على أن أتوفى على تسبيح الله وتحميده إلى أن أضطرّ الى غير ذلك فأمليتُ أشياء وتولّى نسخها الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى هاشم أحسن الله معونته . فألزمنى بذلك حقوقاً جمّة وأيادي بيضا لأنه أفنى [٢] في زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه . والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن

(١) ادبا ١ : ١٧٩ . وفي العدل على ان اتوفر

(٢) صرح فى موضعين من الثبت انه استملى تآليفه بامرها

والارزاء » اه وهذا الرجل عمل أبو العلاء لابنه كتابين في النحو ذكرناهما في الثبت . ولعله لم يكتف به وحده وفي ر [١] « أنه لم يبق عنده لبيب مستمل فتأخر الاجابة » ومثله في آخر الغفران [٢] « وأنا مستطيع بغيري فاذا غاب الكاتب فلا املاءَ » وذكر ياقوت أنه وقف على ثبَت كتبه [٣] بخط أحد مستمليه . فهذا كله يجذبُ الى ما رأيناه . وقال الذهبي [٤] كان يُملي تصانيفه على الطلبة [٥] . وقال الذهبي [٦] في ترجمة أبي القاسم المقرِيء الشاعر المعرّي انه حضر مجلس أبي العلاء فاقترح عليه أن يقرأ شيئاً ولعله من القرآن فتلا ﴿ مَنْ كانَ في هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ في الآخِرَةِ أعمى وأَضَلُّ سَبيلا ﴾ فلما فرغ أبو العلاء من درسه هنأ الرجل على صلابته فى أمر الدين وزوّده ببيتين وهما :

هـــذا أبو القاسم أعجوبة لـكل من يدرى ولا يدرى
لا ينظم الشعر ولا يحفظ الـ قرآن وهو الشاعر المقري

أقول ولـكنه بنفسه يقول في ل :

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتى القصوى ثـــلاث ليالِ

ومجلسه هذا فى مسجده بالمعرّة وكذا فهمت من حكاية التبريزي المارة في حفظه عن الانساب

---

(٢) ص ١١٢
(٢) ٢٠٦
(٣) ١ : ١٧٩
(٤) ١٣٠
(٥) وزعم مرجليوث ان له مستمليا يسمى ابا المجد مستدلا بما ورد من ذكره في الرسالة الا ٣٠ وهذا غلط منه فانه اخو ابى العلاء على انه ليس ثم ما يدل على استملائه والذى غره من العبارة معناه ان ابا المجد يشتغل بقضاء حاجات من لا يشكره فلا يستفيد من مثل هذه الاشتغال شيئاً وكان اسن من ابي العلاء ولهذا ذكره بلفظة سيدي
(٦) مرجليوث ٣٧ والبيتان في أدبا ايضا ١ : ١٧٦ ورواية الاول لا يحسن الشعر.

قال ابن الوردي (١) وكان يُملي على بضع عشرة مَحْبَرَةً في فنون من العلوم. ثم رأيتُ ابن العديم عقد في العدل باباً لـكُتّابه وهو السابع قال فيه كان عنده أربعة كتاب في جرايته وجارية يكتبون عنه ما يكتب الى الناس وما يُمليه من النظم والنثر والتصانيف وكتب له جماعة من المعرّة أخصّهم أنسباؤه . ومنهم ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان فانه كان ملازماً لخدمته ويكتب له تصانيفه ويكتب عنـه الإجازة والسماع لمن يسمع منه ويستجيزه . وكتب تصانيفه بخطّه حتى يقع بخطّه من المصنف الواحد نسختان وأ كثر . وكان برّاً بعمه مشفقاً عليه ولأبي العلاء فيه قطعتان انظرهما في الفائت في الميم . ومنهم ابن أخيه أخو هـذا وهو أبو الحسن على بن محمد سمع على عمه أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه . ومنهم أبو الحسن على بن عبيد الله (ومرّ عبد الله) ابن أبي هاشم المعرّي متولى أوقاف الجامع بالمعرة لزمه وكتب كتبه بأسرها وكتب من المصنف الواحد عدّة نُسخ وكان خطه مورقاً حسن الضبط والإتقان(ثم نقل قول المعري المذكور لزمتِ مسكني اه وفيـه أيضاً عبيد الله) وكان ابنه أبو الفتح محمد بن على أيضاً من كتّابه الذي عمل له أبو العـلاء كتابين كما يأتي في التأليف . ومن كتّابه جماعة من بنى هاشم . ومن كتّابه ابراهيم بن علي بن ابراهيم الخطيب وهو كاتب حسن صحيح الخط متقن في الضبط كتب معظم كتب المعري وتصانيفه بخطه وكتب عنه في السماع عليـه والإجازة منه وقرأ عليه اه كلام الصاحب ملخّصاً .

(١) ١ : ٣٥٨

﴿ مشيبه ﴾

لم يسودّ شعره إلاّ بعد برهة وفي ذلك يقول . س : (١)

وُحلتُ كلّي سوى شيب تجاوَزَني ولم يُبيِّض على طول المدى الشَّعرا

قال صاحبا التنوير والضرام وقد كان الغالب عليه السوادَ على كبره . أقول ويشهد له . ل :

غرّكَ سودُ الشعرات التى في الوجه منى وأنا الدالف
كلّفتنى شيمةَ عصر مضى هيهات منك العُصُر السالف

أيا مَفرقى هلاّ ابيضَضْتَ على المدىٰ فما سَرّنى أنْ بتّ أسودَ حالكا
قبيحٌ بفوْدِ الشيخ تشبيهُ لونه بفوْدِ الفتى والله يعلم ذلكا

وما ينفع الغِربيبُ والضَعف واقعٌ اذا كان لونُ الرأس غير هجان

تأخُّرُ الشيب منى مثل مقدَمه على سواي ووقت الشيب ماحضرا

ويذكر لنا أنه لم يكن يحبّ أن يطول به الامد حتى يتخدّد لحمه ويدْلفَ في المشي

بقيتُ حتى كسا الخدَّين جوْنُهما ثم استحال ومسّ الجسمَ تخديدُ
بلوتُ من هذه الدنيا وساكنها عجائباً وانتهاء الثوب تقديد

لا سَبَطَ الخالق في مُدّتي حتى يرى الناظرُ هَدّاجى

---

(١) ١ : ٣٥٨

ومرّ ذكر تأوُّهه من ضعفه في الصلاة وسقوطِ أسنانه في وفاة أمه . وكان وَفَّرَ لحيته لم يقصها ولم يَخْضِبْها . قال – ل :

ونابتُ الوجه زين في الندىّ له ... كالارض حسّنها في العين إبقال

أيها الشيب لا يريبك من كفـــّي مِقَصٌ ولا يواريك خِطْرُ

وذكر في بعض شعره وهو في الفائت أنه عراه الصمَمُ في كِبره وهو قوله لابن أخيه القاضي أبي محمد عبد الله التنوخيّ :

أجدَّكَ ما تركتَ وأنتَ قاضٍ ... تَعَهُّدَ مُقْعَدٍ أعمى أصمّ

ويأتي ما يقوّيه في « أمراضه »

فذلكة أفكاره وآرائه في معتزله

هب أنك زرت المعرَّة فرأيت في زاوية من بيت رجلا قصيراً مجدَّر الوجه مشوَّهه نحيلا وقد تخدد جلدهُ وتغضَّنَ جالساً على لِبْدة أو بارية وهو في برُجد في الشتاء أو في عباءة في الصيف ولست ترى في البيت من الاثاث أو الرياش شيئاً غير عُصيّة له أو آنية من الفخّار أو نعل من الخشب . فادلف له حتى تُصيخ لهَمْسه فإنه يقول : مالي وللناس ، إني قد جربتهم بالشأم وبالعراق أيضاً ، فلم أرهم إلا مفطورين على الشرور والغيبة والنميمة ، متنافسين في اللذائذ منكبينَ على الشهوات ، فياليت آدم لم يتزوج امهم ويا ليت حواء بانت منه أو عقِمت ولم يُخلّفا لنا هؤلاء الانجاسَ . لا أقول إن أولهم كان أصلحَ منهم فكلّهم رجْس والعالم كله كدَرٌ لا صَفْوَ فيه والظلمة فيها متقدّمة على النور . ولهذا لم أتزوّج حتى لا أجْنيَ على ولدي كما أن والدي جنيا عليّ فحسبي ما أنافيه ولا أسبّ الدهر فانه لم يفسد بل فسدنا نحن . فيا وَلَدُ نَمْ هنيئاً في العدم ولا

تخرج الى الوجود حتى لا تتعرض للأذى والمتالف .وما ضرك لو وأدك والدك إلا أنني لا أرضى لهما بذلك . ويا أيها الشاب لا تتزوج وإن أبيتَ فلا تتزوج إلا عقيما ولا تزد على واحدة فقُلٌ واحد خير من غُلّين . ولا تزوّج أيها الكهل صغيرة واختر لنفسك مثلك من الطاعنات في السنّ . وأرى السوداء خيراً من البيضاء وامنعها عن مخالطة الأقرباء والأحماء ولا تُخلّها تسير إلى المسجد فإن مسجد البيت خير لهن وبه فليكن قبرهنّ . ولا أرى لها أن تترك زوجها وتحجّ البيت العتيق حتى يُبصرها الغُواة وأرى أن الله ومحمداً ﷺ لا يرضيان فعلها هذا . ولا تَطلّعَ على الجدار تنظر الى عُرس الأمير أو غيره . ولا تسمح لها أن تشرب الخمر أو تُغنى بالمعازف فإنها داعية الفتن ولا أن تردّدَ الى عرّاف أو منجّم أو كاهن لتستخبرهم عن حياة طفلها أو تسألهم عزيمةَ الحبل أواسترضاء الزوج . وما لأمير المصر لا يقيم هؤلاء القطّاعَ عن الطرق ؟ ولا تتردّدَ الى حمّام ولا تتبرّج بزينة وحُليّ وعطر . ولا تُعلمها القراءة أو الكتابة فان المغازل خير لهنّ . ويا أيها الرجل أنت أيضاً لا تَطّلعْ على جدار الجارة ولا تتعرّضْ لنساء النصارى الغاديات الى الكُنُس . وإني أرى لك شرّ النساء المؤمسات المشاعات

والعقل هادٍ لك فلا تردُّه أبداً ولا تُصغِ الى أقوال هؤلاء الغواة الذين يأمرون الناس بالعُرف وينسَوْنَ أنفسهم فلا يأتمرون بما يأمرون . ما همّهم إلا الحطام والشراب والملاهي . فليس صاحب طيلسان إلا عدوّاً مختالا وإن تاب ابليس تابوا وهم كاذبون في دعوى الهداية . يرتّلون حمَ والزمر كالمزامير . ويصلّون فيَقصُرون ويكذبون على المنابر على رؤوس الاشهاد . وإني لا عجب من الصوفية فحسبي أن أدعي قُطنياً ولا أتشهر

ولا أرى السلطان إلا يأكل أموال الناس وجباياتهم بالباطل. ليس همّه إلا في الرغائب من القيان والمغنين والعيدان ومَن الذي أحلّ لهم هؤلاء الكتابيات بلا مُهور. ويقولون إن والي مصر وقُضاتَه عادلون ولكن لم أر منهم إلاّ الظلم ولِمَ يتقاتلون؟ وكلهم ينتمي إلى دين التوحيد فهل هذا جزاء ذبحهم للحيوان؟ ولا أرى لقريش فضلا على غيرهم، بل لا أرى للانسان فخراً لا على سائر الحيوان ولا على الجماد. وليس كلّ هذا إلا جُدودا وحُظوظا فإني أرى عند ظالم كنوزاً مدّخَرة وعليلا لبيباً يتعذّر عليه الحاجة الطفيفة. وأرى الحجى والحظّ لا يجتمعان وحكم الحظ سارٍ. فهذه ذاتُ أنواط والركن عبدَهما الناس دون سائر الاحجار وليس ماء زمزم الا كسائر المياه بل أملحَ منها ولكنه امتاز بالبخت. فإذن أراني مجْبراً في هذه الحياة لا أقدر على شيء ولو خُيّرتُ لم آتها فقد أتيتُها كُرْهاً وأفارقها كرهاً وأنا فيما بين ذلك مُدبَّر

وأما العوامّ فيزعمون أن أول من شاب ابراهيمُ وان نار فارس خمدت بولادة نبيّهم وأن الشُهُب رُجمت لبعثه. وان الدعاء يجلب المطر وأن لابدّ للاسم أن يوجد معناه في المسمى وأن الأولين كانت جسومهم كالنخيل وادّعَوْا للمعمَّرين من السنين مايستنكره العقل. وزعموا أن قوماً من الأبرار طاروا في الجوّ أو مشوا على الماء مع أن السَّعْدَيْنِ (١) والعُمَرَيْنِ وهما هما لم يكونا بهذه المثابة. ويرتجون إماما يقوم بينهم بالعدل ـ وكذبوا لا إمام سوى العقل ـ وهم يُسرعون في الاعتقاد بالزجر والفأل والطِّيَرَة وأحكام المعزِّمين والمنجمين والقصاصين

فبمن تراني أُعاشر إذاً وحال طوائفهم كما علمتَ ولا أرى خليلا إلا ينافق

(١) سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص « رض »

صاحبه والآخرُ يداجيه على عَواره وهم يفخرون بالأنساب مع أنها اختلطت وامتزجت ولم يبق فيها صريح صميم . ويظلمون الحيوان ولا يَرْفُقون به ولا أراهم خيراً منه . ويؤثرون أولادهم وأنفسهم بالألبان على أولاده ويتركون أولاده جُوَّعا يتضاغَوْن ويصيدونه ويرمونه ولم يستحقّ منهم ذلك ويذبحونه ثم يأكلونه ولا أرى كل ذلك من الحلال لهم ولا اللبن أو الاقط أو البَيْضَ وربما أتجنب الجلدَ فهذا نَعْلى من الخشب . ولا تقربن ضرَبَ النحل فانها لم تدّخره لك

ولا أدري بأي ذنب سُلّطَ الليث على المهاة والبازي على بَغاث الطير . لا بل أعترف بتوحيده وحكمته وقدرته فلست مُلْحداً كحمّاد وبشّار وأتجنّب من الذنوب وأتوب اليه وأرى التقوى خير ذُخر يُعدّه الانسان . وقالوا إن الناس يقومون يوم الساعة بين يدي رب العالمين أوليس من المستبعد جمع العظام بعد أن أرَمّتْ والاجزاء بعد أن انتشرت وهؤلاء طائفة من الفلاسفة يقولون بقدم العالم والنجوم والأفلاك ويقول بعضهم بأن الانام كالنبت لاحساب لهم يَزْهَرُون ثم يذبلون . لا بل أرى أن الله لا يصعُبُ عليه شيء فهو القدير . كالربع يخلو ثم يُعْمَر وبدائعُ الله كثيرة يحار فيها لُبّنا فأومن بأن النجوم تفقد نورها كما أن الضحك يتلوه الوجومُ . وليس الانام كالنبْتِ بل هذا كذب اختلقه اليهود وورثه منهم الفلاسفة . وأيّاً ما كان فاني أراهم يذهبون ولا يرجعون وهذه الاجسام تَهْمُد ولا علم لى بمصير الأرواح فأنا في حنْدِس مقيم

وأما تشتُّت الأديان والمذاهب فهو ممـا يُحيرنى في أمرها ، هؤلاء اليهود تعظّم السبت والنصارى يوم الاحد والمسلمون عَروبةَ وما الأيام إلاّ متساوية ولا أرى الاحبار والرهبان والنُسّاك إلا محتالين للمعاش . والشرائعُ هى التي القت بيننا عداوات ولولا خُبْثٌ فى طِباعنا لـكانت المساجد تُقْرَن بها البِيَـع

واليهود من غَوايتهم يرتقبون الى الآن مسيحهم وما أرى ما يتلون من الصحائف إلاّ كذبا اختلقوه ولا أُومن بالتوراة إن كانت الخمر فيه حلالا فما أراهم إلا كاذبين على موسى . ويعجبنى زُهد الرهبان من النصارى إلا أني لا أرى لهم أ كلَ أموال النفوس الكواسبَ ولا أرى أحداً ضلَّ رُشْدَهُ كالنصارى في تعظيم الصُّلْبان وزعمهم أن عيسى كان ابن الله ثم مع ذلك أسلموه الى اليهود للصَّلْب مع أن الوالد يشفق على ولده ان يضربه لِداته فأين كان والده إذ ذاك ؟ وكيف اسلَمَ ولده الأعادي ؟ ام غلبوه على امره ؟ ثم يزعمون ان اليهود استلبوه منهم . فتباً ! لآرائهم جعلوه رباً ثم تنقصوا به وازدَرَوْه . وارى قلوبهم تَمُجُّ ما يصدعون به . وأما صلاتهم في الكنائس بالالحان والغِناء فانى أرى صلاة المسلمين خيراً منها في المساجد . على انى أنصح عامتهم لو وجدت داعياً ! فهل تُعيرنى سَمعها امةٌ تغدو في الفِصْح الى كنائسها وهي تجمع صنوفا من الشبَّان والكواعب فإني ارى جارية كالوَرْدة تنفح بالمسك اردانها تروح بقربانها الى القَسّ و تسخط زوجها وربما في مفارقتها بيتها مع انها جربت من القسّ سوأة سوآء وفتكة شَنعاء فرجعتْ واثوابُها ضامنة فتنةَ القَسوس والرُهبان . وسمعت ان مسلماً تَنَصَّرَ ولولا ان الضلالَ حاقَ به ما فارقَ الاسلام فشُروده ليس مما يُزْرى به

على أني لا أرى للمسلمين أن يستحلّوا الكتابيّات بلا مُهور . وبلغنى أن نصرانية خلعت زُنّارها لتتزوّج مسلماً وأراها أساءت في فعلها . وهؤلاء المجوس تدّعي أن نارها لم تَخْمَدْ الى الآن ولا يعجبني نكاحهم بالأخوات ولا قولهم أن أهْرَمَنَ تولّد من يزْدانَ بلى يعجبنى قولهم إن الظلمة متقدّمة على النور إذ لست أرى في الأنام الا الشرور والخير فيهم واحد في ألف

أما الصلاة فانها ديني لا أتهاونُ بهـا وأرى الدين اضمحلَّ ولو أدّوا زكاتهم وافيـة لم يبق في الدنيا فقير . وأني صائم طول دهرى ولعلي أُفطر يوم حِمامي وأُعيّد . ولا أرى للصائم أن يكذب فان هذا يُبطل صومه. وأرى الناس يحُجُّون لا من نُسْك بل أشَراً وبطَرا وأيّ فائدة من الحجّ إن لم يرعَوُوا عن قبيح أعمالهم وهؤلاء أعمامي وأخوالى لم يحُجُّوا فحيثما كانوا كنتُ فلست أرضى التفرّد بالنعيم دونهم وربّما أُزمع على الرحلة ولـكن يعوقني عنها عوائق

وبلغنى أن نُسّاك الهِنْد يحلِقون رؤوسهم ويطيلون أظفارهم ضدّ نُسّا كنا . والهنود يُحرقون أمواتهم بالنار وأراها خيراً لهم من الـكافور في إذهاب الريح فسيّان أن أُدفن أو أُحرق ولـكني لست أرضى أن أُجعل فى تابوت . ولـكن إن صحّ عذاب القبر فجنّبني إياه وإن دفنتني فزد في قبري شِبْراً هداك الله ! ولا تدفنّي بجنب من يقول لى ضايقتَني في المثوى . ولا أُوصي بشيء كما اوصى لبيد فلست راجعاً الى هذه الدار . فأرى المُوْصيَ أخرقَ

وأرى كلاًّ من الروافض والشراة غاوياً . ولـكن ما بال هذا الدين الذي جاءنا من هَجَرَ ألم يكن يكفينا الذي أتانا من مكة ، وأرى أن المعتزلة والمرجئة متنافِسون في الدنيا . زعموا أن الصغائر تخلّد في النار مع أنهم يرتكبون الـكبائر. وليس المتكلّمة بأدونَ منهم حيث زعموا من سفَهِهم أن الله بلا زمان ولا مكان. وأبو الهذيل وابن كلاّب وابن المعلم والباقلاّني كلهم يهْذون وما جدَلهم الاّ تعلّة. وأرى الأحاديث رُكّبت لها أسانيد مكذوبة مع أن الـكذب لا يتطرّق الا الى الخبر . وكيف يكون المذاهب الأربعة على الحقّ اذا كان واحد يحلّل شيئا والآخر يحرّمه . ولست أرى رواج المذاهب في أصقاع مخصوصة الاّ من جهة كون الفقيه بها . فلا تقلّد أحداً ولا تترك العقل سُدًى فهو خير مُشير

وها أنا ذا افارق حياتي النكداء ولم أدر لماذا خُلقتُ سوى أن ورودي من إذن مليكي والعيش نوم والمنية يقظة . وأنا دائماً من أمر ديني في حيْرة متواصلة وبصيرُ الأقوام أعمى مثلي فخلنا في ظلمة نتصادمْ . والذي يأتي ليفيدني رشداً يزيدني حيرة وريْباً . الا أنّي لا أكفر الله نعماءه فهو الذي يخلق ما يشاء ويختار وعنده علم كل شيء بمقدار . والذي أبُثُّ به أن لن يذهب العُرف بين الله والناس فافعل الخير وائتِ العُرف واتّق مولاك فالتقى مما لا يرتاب في فضله اثنان والزم النُسك فإنه خير عتاد وذخر

سل ياقنبرُ هؤلاء لماذا أتوني من أقاصي البلاد ؟ يا أسفا ! إني لا أستطيع لهؤلاء المساكين معونة . ومن الذي دلّهم عليّ . فياويلتا ! كلّما رغبت في الخمول قُدّر لي غير المأمول ولستُ أول من كُذب عليه وادُّعي له ماليس عنده ، من أين أتعلّم ولم أكن صاحب ثراء أوجدّ أو رحلات أو بصر فكيف الحُداء بغير بعير . على أني نسيت ما كنت حفظته في الدهر الأول . والحق أن الذي يَعُدّني عالماً هو أجهل مني حيث حكم عليّ من غير علم . وما الذي يُغني عنّي هذه الترهات التي لفقها سيبويه وأصحابه وتباهَوْا بها فجعلوها مكاسبَ لهم فعادت بالخسيس من الرزق . على أنهم لم يسلموا من طوارق الليالي وكوارث الدواهي . ل :

بنى الآداب غرّتكم قديما زخارف مثل زمزمة الذباب

***

أأذهب فيكم أيامَ شيبي كما أذهبت أيام الشباب
معاذ الله قد ودّعتُ جهلي فحسبي من تميم والرِباب

***

وإن مَقاتِل الفرسان عندي مَصارع تلكم الغنَم الرُباب

والقيتُ الفصاحة عن لسانى   مسلَّمةً الى العرب اللُّباب
شغول ينقضين بغير حمد   ولا يرجعن الا بالتباب

غفرانَ ربِّكَ قل ما فعل الفتى   ما ليس مُحْوِجَه الى استغفار

نباهته ومطير صيته بعد الرجوع

مما قاله في صباه [١]:

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم   بإخفاء شمس ضوءها متكامل

ل . يخاطب الدنيا:

وما أبهجتِني منذ التقينا   وإن نوّهتِ بي ورفعتِ سَمْعي

ذكر لنا يبغداد أنه لما اختار العزلة رغب في الخمول وأعرض عن حُبِّ السُّمعة وطلب الشُهرة ولكن لا بدّ للبحر أن يزْبد ويفور وللطيب أن يفوح . س [٢].

ولو جرت النباهةُ فى طريق الـ   خمول إليّ لاخترتُ الخمولا

ومما قال في المعنى بعد الرجوع :

وخمول ذكرك في الحياة سلامة   ودهاك من أمسى لذكرك شاهراً

وفي الغفران [٣] كلما رغبتُ في الخمول قدّر لي غير المأمول . ومن ر[٤] له « ويُحسن [الله] جزاء البغداديين فلقد وصفوني بما لا أستحق وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم ..... فصادفوني غير جَذِل بالصفاتِ » وأطال في المعنى في طرَفَيْ الملائكة فراجع

ل.   ألم ترني كَمَيْتُ الناسَ نفسي   فأظهرنى القضاء وما كفاني

(١) س ١ : ١١٠   (٢) ٢ : ٨١   (٣) ١٩٢   (٤) ٣٥

قال الذهبي وابن حجر [١] ولما عاد إلى المعرّة قصده الطلبة من النواحي. وقال ابن خلّكان [٢] ثم رجع الى المعرّة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الاقدار اه. وكان بغداد يومئذ محكّ الامتحان. ومِسْبارَ الغوْر والعِيان. فلما حاز بها السبْق عند الرِهان. والذكرَ الجميل من بين الأقران. طارت سُمْعته منها إلى أعماق الاندلس وأقاصي خراسان. فأخذ طَلَبَةُ العلمِ يُهْرعون إليه من كل وادٍ وينْسِلُون من كلّ حَدَب فيحطُّون رحالهم ببابه. دون امثاله واضرابه. وقال ابن القارح [٣] «قد شاع فضله في جميع البشر. وصار غُرّةً على جبهة الشمس والقمر. خلد ذلك فى بدائع الاخبار. وكُتب بسواد الليل على بياض النهار» وقال أيضا [٤] «وكيف وقد أصبح ذكره في مواسم الذكر آذانا. وعلى معالم الشكر لسانا. فمن دافع العيان وكابر الإنس والجان واستبدّ بالإفك والبهتان كان كمن صالب بوقاحته الحجر» اه. ويذكر لنا أن إقدام صِيْته هَمّ بالنُكول ونباهته بالخمول في آخر حياته. ولعل المراد ما اشتهر من الإلحاد والزندقة. قال. ل:

صروف الليالى إن سمحن لماجد بذكر جميل عُدن يَعْصفن بالذكر

عرّفتني ـ حتى شُهرتُ ـ الليالى ثمّ صالت عليّ بالتنكير

وهذا سَرْد شعره في المعنى:

يزورنى القوم هذا أرضه يمن من البلاد وهذا داره الطَبَسُ

قالوا سمعنا حديثا عنك قلت لهم لا يُبعِدُ الله إلا معشرا لبَسُوا

يبغون منّيَ معنى لستُ أُحسنه فإن صدقتُ عرَتْهم أوجهٌ عُبُسُ

---

(١) ١٣٠ والسان ١ : ٢٠٤ (٢) ١ : ٣٤ (٣) ٢١٠ (٤) ١٩٥

أعاننا الله ! كلٌّ في معيشته يلقى العناء فدرّني فوقنا دُبَسُ !
ماذا تريدون لا مالٌ يتيسّرَ لى فيسماحُ ولا علم فيقتبَسُ
أتسألون جهولا أن يفيدكمو وتحلُبون سفيًّا ضرعها يَبَسُ
ما يُعجِب الناسَ إلا قول مختدع كأنّ قوما إذا ما شرفوا أُبسوا
أنا الشقيّ بأنى لا أطيق لكم معونة وصروف الدهر تحتبس

مَنْ لِيَ أن لا أقيم في بلد أذكَرُ فيه بغير ما يجب
يُظَنّ بي اليُسْرُ والديانة والعلم وبيني وبينها حُجب
أقررتُ بالجهل وادّعى فهَمي قوم فأمري وأمرهم عجب

لقد علم الله ربّ الكمال بقلّة علمي وديني ومالي

....

أماليَّ فيما أرى راحة مدى الدهر من هذَيان الأمالى

أجهل منى رجل يبتغي عنديَ ما لستُ له مُحْسنا

من يبغ عنديَ نحواً أو نُرد لغة فما يساعَف من هذا ولا هذي
يكفيك شرّاً من الدنيا ومنقصةً ألاّ يبين لك الهادي من الهاذي

وعجيبٌ فرح النفس إذا شاع في الأرض ثناها وانتَشَرْ

أطلبتمو أدبا لديَّ ولم أزل منه أعاني الحجْرَ والتفليسا
ما كنت ذا يُسر فأجمعهُ ولا ذا صحّة فأُحالف التغليسا

وأكرمنى على عيبي رجال كما رُوى القريضُ على الزِحاف

هو والاندلس

قال ابن سعيد[١] في أبي بكر المخزوميّ وكلاهما من الاندلس:

يا ثانيا للمعرّى في حُسن نظم ونثر

مرّ لنا روايةً عن ابن الشيخ الأندلسيّ أن المعرى أرسل إلى الامام المجتهد الحجَّة أبي محمد بن حزم الظاهري ببيتيه «يد.. البيتين» وما أجاب به عنهما. فان صحّ ولا نستبعده [٢] فلعل هذا بعد الرجوع بزمان غير قصير. فان ابن حزم رضي الله عنه وُلد سنة ٣٨٤ هـ وأول سماعه للعلم سنة ٣٩٩هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ إذ بلغ من العمر ٧٢ عاماً. وبعثه هذه على يد بعض تلامذته[٣] من الاندلسيين أو الراحلين إلى الاندلس وهم فيما بلغنى أبو مالك احمد بن الصنديد العراق قال ياقوت في الادباء (١ : ١٥٢) كان من أهل الأدب والشعر روى شعر المعرى عنه وله فيه شرح وله مع الحُصْرىّ مناقضات دخل الاندلس وكان عند بنى طاهر ومدح الرؤساء والأكابر * وأبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب... ابن حزْم المَرِيّيُّ المعروف بابن أبى المغيرة. وأبو تمّام غالب ابن عيسى الانصاري ولعله لقيه نحو سنة ٤٢١ هـ كما سيأتى. وأبو عبد الله بن جابر القرطبيّ وأبو الفضل الدارميّ الوزير داعية القائم العباسيّ الذي أرسله[٤] إلى المُعزّ بن بادِيْسَ الصنهاجىّ صاحب إفريقية نحو سنة ٤٣٥ هـ وهذا الرجل للمغاربة كالأبهريّ للمشارقة في بثّ شعر أبى العلاء فقرأ عليه ابن السِيْد صاحب أحسن شروح السِقْط على ماقال ابن خلّكان. وأبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيروانىّ روى عنه السقط أبو الحسن على بن محمد وهو أخو ابن السِيْد

---

(١) النفح ليدن ١ : ١١٧

(٢) فقد احال الغزالى على كتاب له وكان قد عاصره شيئا انظر الحفاظ ٣ : ٢٢٣

(٣) وانظر تراجمهم في باب التلامذة (٤) انظر كتابنا «ابن رشيق» ص ١٤ و ٣٢

المذكور وأبو عمرو السفاقسي[١] روى عن أبي العلاء خطبةَ الفصيح . وابن حزم كان له بعلماء المشرق مراسلات إذ ذاك وانتشرت كتبه في حياته بالبلاد المشرقية وحسبك أن الغزاليّ شهد له بالفضيلة . وأما صاحبنا فانه ينقل كثيرا من أخبار الأندلس في الغفران فذكر ابن هانيء وغلوّه [٢] وروى ابن خلكان [٣] رأيه في شعره . وروى في الغفران [٤] خبر الشاعر المعروف بابن القاضي في مدحه المنصور ابن أبي عامر صاحب الأندلس بقصيدة أولها :

ماشئتَ لا ماشاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهّار

ويقول فيها أشياء فأنكر عليه ابن أبي عامر وأمر بجلده ونفيه اه والمنصور مُعاصر له . وهذا كلّه يدل على أن الرجل كان خبيرا بأخبار المغرب والأندلس وكان يأتيه منها على أيدي تلامذته ما تقرّ به الأعين وتلذّ الأنفس

ثم إن القاضي أبا بكر بن العربيّ المالكيّ رجع الى الأندلس من رحلته الطويلة سنة ٤٩٣ هـ بعلمٍ جَمٍّ بعد أن قرأ على أبي زكريا التبريزي[٥] جملة صالحة من تآليف المعرّيّ . وهي على ماذكره تلميذه أبو بكر ابن الخير الإشبيليّ في فهرسته [٦] السقط وضوءه ورسائله ومنها الإغريضية وشرحها له والفلاّحية وشرحها له والصاهل والشاحج ولسانه له وخطبة الفصيح وسائر شعره في اللزوم وقال في موضع آخر [٧] تآليف أبي العلاء المعري وجميع ماله من منثور ومنظوم روايتي لذلك كلّه عن أبي بكر ابن العربي عن أبي زكريا التبريزي، عنه

ومن المتأخرين أبو محمد الانصاري[٨] المتوفى سنة ٦٤٥ هـ صاحب ابن الابّار

(١) فهرست ابن الخير ٣٤٣ ـ (٢) الغفران ١٠٤ ـ (٣) انظر كتابنا «ابن رشيق» ٥٨ ـ (٤) ١٠٤ ـ

(٥) وقرأ عليه سعد الخير بن محمد الانصاري اصلاح المنطق كما ورد في الاجازة بخط التبريزي وانظر فهرست مكتبة ليدن ٣٣ والظاهر انه قرأ عليه من كتب المعري أيضا والله أعلم

(٦) ص ٤١٢ (٧) ٤٥٠ (٨) التكملة رقم ١٤٥٨

سمع شعر أبي العلاء على أبي اسحاق بن أبي اليسر عن أبيه عن جدّه عن أبي العلاء .

وفي نفح الطيب [1] [عن المطمح [2]] أن للوزير ابي القاسم [محمد] ابن عبد الغفور - وترجم له الفتح [3] وابن الابّار [4] - رسالة سماها بالساجعة [والغِرْبيب [5]] حذا بها حذو أبى العلاء في الصاهل والشاحج له . صنعها للوزير الفقيه أبي أيوب ابن أميّة وبعث بها اليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها كتابا ظريفا منه « فاسعدْ أعزّك الله بكرّتها وسلها عن أفانين مَعرّتها »

وفيه أيضاً [6] أن للحافظ أبى الربيع الكَلاعيّ صاحب الاكتفا في مغازى الرسول والثلاثة الخلفا كتابا سماه جُهْدَ النصيح فى معارضة المعري في خطبة الفصيح وآخر سماه مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة المعري في مُلقى السبيل . وأصل ملقى السبيل محفوظ بخزانة دَيْر اسكوريال كبعض رسائل أخرى للمعري . وفيها نسخة من معارضة أخرى له لأبى عبد الله ابن أبى الخصال وزير يوسف بن تاشفين وذكره أبو بكر ابن الخير في فهرسته [7] ولفظه جزء فيه مُلقى السبيل [لابن أبي الخصال] بنظم بديع ونثر سنيع في معنى الزهد الرفيع من تأليفه

وذكر ابن الابار في التكملة [8] أن لابن غَلِنْدُهْ الأمويّ السَرَقُسْطيّ المتوفى سنة ٥٨١ هـ لزوميات .

---

(١) مصر ٢ : ٣١٦ ليدن ٣٧٢ - وأبو القاسم هذا نقل قول المعري من س :

ودبّت فوقه حمر المنايا ولكن بعد ما مُسخت نمالا

الى قوله : تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا مماثلة الارواح فى صور الذر

الغيث ٢ : ١١٥ -

(٢) مصر سنة ١٣٢٥ هـ ص ٣٣ (٣) مطمح الانفس مصر ٣٥

(٤) التكملة رقم ٦٥٢ - (٥) الزيادة من التكملة - (٦) مصر ٢ : ٥٨٧ ليدن ٧٦٩ - (٧) ٤٢ (٨) رقم ١٥١٦ -

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السَرَقُسطي خمسون مقامة لزومية بناها على لزوم ما لا يلزم قال ابن بَشْكُوالَ في الصلة (١) هو صاحبنا ومقاماته اخذت عنه واستُحسنت وتوفى بقرُطبة سنة ٥٣٨ ه .

وهذا كله يدل على ما تمكن في نفوس أهل الجزيرة من حب أبي العلاء وآثاره الخطيرة. فاقتفوا قفوه . واحتذوا حذوه وجعلوه إماما يقتدى به(٢) ومناراً يهتدى به . ولنعم ما قال ل. :

واعتقاد الإنسان فيك جيلا مِنَّةٌ لاينالها منكَ شُكرُ

هو والحساد

لا يستطيع الناس دفعَ فضيلة بالقدر صيّرها اليك مصيّرُ

قد جرت سُنّة الله أن يَمْنُوَ كلَّ نابغ من العباد، بكيد الُحسّاد . حتى ينشروا خبيء علمه ويبحثوا عن مكنون فضله . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولو فكّروا لدروا أنهم لا يستطيعون ضرّا ولا نفعا . فترى الرجل يُبلي بهم من صباه قال س : (٣)

بأيّ لسانٍ ذامَني متجاهل عليّ وخَفْقُ الريح فيَّ ثناء
تكلّمَ بالقول المضلّل حاسد وكل كلام الحاسدين هُراء

---

(١) رقم ١١٧٥ ومنها نسخة باسكوريال . ترجم لابي الطاهر ترجمة ضافية ابن الأبار في المعجم عدد ١٢٤ وصاحب البغية ١٢٠ ـ وورد ذكر المقامات هذه في التكملة تحت رقم ١٧٢٢ وتحت ٣١٢ من طبعة الجزائر في معجم ابن الأبار ٢٦٦ والمعاهد ٢ : ١٠٦ ـ

(٢) ولابن عمار الاندلسي وكانه معاصر صاحبنا (٤٢٢ — ٤٧٧ ه) تضمين لبيته من السقط (١ : ٣١) لو اختصرتم الخ أورده صاحب المعاهد ٢ : ٩٨ وهذا أدل دليل على انتشار شعر صاحبنا بالجزيرة في حياته . وابن عمار لم يكن فارقها الى البلاد المشرقية كما هو معروف

(٣) ١ : ٨٥

رويدَكَ[١] أيها العاوي ورائي لتُخبرني متى نطقَ الجماد

أَأَخملُ والنباهةُ فيَّ لفظٌ وأُقْتِرُ والقناعة لي عَتاد

كأني[٢] اذا طُلتُ الزمان وأهله رجعت وعندي للأنام طوائل

ومن سائر شعره[٣] :

تَعاطَوْا مكاني وقد فُتُّهم فما أدركوا غير لمح البَصَرْ

وقد نَبَحُوني وما هِجْتُهمْ كما نبحَ الكلبُ ضوءَ القمر

وقال ببغداد[٤] :

فأصبحتُ محسوداً بفضليَ وحده على بُعْد أنصاري وقِلّةِ مالي

ولكن لما اخترق صيته المسامع بعد الرجوع . كثر عدادُ من طوى له الشنآن والحسد بين الضلوع . ل :

أضحت تُظَنُّ بك الديانة والغنى والعلمُ فاهتاجت لك الحُسّاد

وإذا حُسدت فان شكر فضيلة ان لا تؤاخِذَ بالإساءة حاسدا

كم صاحبٍ يتمنّى لو نُعيتُ له وإنْ تشكّيْتُ راعاني وفدّاني

تغيّبْتُ في منزلي برهةً سترَ العيونِ فقيدَ الحسدْ

ويأتي في وصف اللزوم آخر رسالة له فيمن حرّف بيتاً من اللزوم واغرى به ابناً لصالح بن مرداس

ونقلوا[٥] عن ابن العديم في كتابه العدل والتحري في دفع التجري على ابي

(١) ١ : ٦٦ .
(٢) ١ : ١١٠
(٣) ١ : ١٣٦
(٤) ٢ : ٤٥
(٥) ادبا ١ : ١٧٩ نكت ١٠٥ معاهد ١ : ٥٠

العلاء المعري أنه قال قرأتُ بخط أبي اليَسَر المعرّي في ذكره وكان رضي الله عنه يُرْمَى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يُضمّنونها أقاويلَ المُلحِدَة قصداً لهلاكه وإيثاراً لاتلاف نفسه. فقال رضي الله عنه حاول . . . بإهوان . الثلاثةَ الأبيات وهي في الفائت. وشكا الى المنازي كما يأتي حسدَهم فعاد كما قيل :

إنّك لا تشكو الى مصمّتٍ فاحتمل العبءَ الثقيل أو مُتِ

وقد أخرجَ عداوتَهم أحسنَ مُخرج حيث قال :

أردتَ إهانتي فحماك مني قضاءٌ فيَّ كان له نُجوز
وجدّتني اللُجينَ أو الثريّا وتصغيرُ المصغَّر لا يجوز

تلامذته والرواة عنه

أرى أن ناشئة المعرّة من بيوتات آل سليمان وبني عبد اللطيف وبني الدوَيْدة وغيرها كانوا يقرؤون عليه. ولكن التاريخ لم يحفظ لنا من أخبارهم الا قليلا. وحسبك أن الذين رثوه على ما قال ياقوت وغيره[1] أربعة وثمانون شاعراً. وروى السِلَفي[2] عن الأبهري أنه خُتمَ في اسبوع واحد على قبره مائتا خَتمة وظاهر أن جُلّهم من تلامذته. وذكر ابن العديم في الباب الخامس من العدْل ممن قرأ عليه أو روى عنه كثيراً من العلماء والادباء والمحدّثين من أهل المعرة وغيرهم من الغرباء من حلب وكَفَرْ طاب والأندلس وتبْريز وأصبهان وسروجَ والرَقّة وهَكّار وبغداد والمصّيصة وأبهر ونيْسابور والأنبار من أئمة وعلماء وقضاة وأدباء رُواة وحُفّاظ ثقات. ورووا عنه وكتبوا وأخذوا العلم واستفادوا وعظّموا

(١) أدبا ١ : ١٧١ وذهبي ١٣٥

(٢) ذهبي ١٣٥

قدره ومعارفه . وقال الرحالة الفارسي انه لا يزال جماعة وافرة من الطلبة يقيمون ببابه ويقرؤون عليه كتب الشعر والأدب وهم أكثر من مائتي رجل . فإن صحّحنا قوله فلا بد أن يكون له من التلامذة ما لا يقلّ عن ألوف وإن أنكرناه فهم مئون لاشكّ . والأسف أننا نقتنع من الاعراج على هَجْمة ومن الجمع الغفير على شِرذمة . لفقدنا من الوسائل اللازمة ما يَهُمّ ، ومن كتب الأخبار مايخصّ ويعمّ . فها كهم غير من مرّ في أبواب بَغْداد :

(١) فأوّلهم فضلا وذكراً ولآثاره إذاعة ونَشْراً ابن الخطيب التبْريزي أبو زكريّا يحيى بن علي الشيباني[1] اللغوي صاحب التصانيف الممتّعة التي شحنها بكنوز علوم أبي العلاء يرحل اليه كما قال القفطي[2] وأبو الفداء[3] من تبْريز الى المعرّة[4] لا من بغداد ويمكن أن يكون عاج اليها . وكان سبب توجّهه اليه على ما روى القِفْطي[5] أنه حصلتْ له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الازهري في عدّة مجلدات لِطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخْذَها عن رجل عالم باللغة فدُلّ على المعرّيّ . فجعل الكتاب في مِخْلاة وحملها على كَتِفه من تبريز إلى المعرّة . ولم يكن له ما يستأجر به مركوبا . فنفذ العَرَق من ظهره اليها فأثّر فيها البَلَلُ . وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظنّ أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور اه .

---

(١) راجم ترجته فى اللسب ١٠٣ والوفيات ٢ : ٢٢٣ والنزهة ٤٤٣ والبغية ٤١٣
(٢) وانظر الحكاية التالية
(٣) ٢ : ٢٢٤ لامن خراسان كما زعم صاحب ذ ٢٠٤ ولا من بغداد كما يوهم كلام مرجليوث ٣١ ـ ولامن نهروان على ما فى نزهة الجليس ١ : ٢٧٨
(٤) وزعم صاحب البغية ١٣٦ أنه قرأ عليه ببغداد وهذا سبق قلم فان التبريزي لم يكن ولد بعد . وسبقه صاحب الاسعاف
(٥) الوفيات ٢ : ٢٢٣ ـ وفى ختام المصباح المنير الفيومي ذكر نسخة من التهذيب عليها خط التبريزي

وكان أبو العلاء حَدِبا عليه عطوفا . ولما عاناه من مَشاقّ الشقة رقيقاً رؤوفاً . كما يعلم من حكايته عنه في الحفظ . وقال في شرح السقط له[١] « لما حضرتُ أبا العلاء قرأت عليه كثيراً من كتب اللغة وشيئاً من تصانيفه . قال وكان يَحُثّني على الاشتغال بغير السقط من كتبه » . وورد في ختام نسختين من اللزوم[٢] في إجازة له لتلميذه ابن الجواليقي أنه قرأ شيئاً من اللزوم على أبي العلاء . ومما يَعضُده في ذيل البيتين « يد » البيتين أنه قرأهما عليه وهما من اللزوم . وقال في مقدمة تهذيب الاصلاح له[٣] بعد ما ذكر ما في الإصلاح من التكرار المُمِلّ وكان أبو العلاء المعريّ والشيوخ الذين قرأتُ عليهم هذا الكتاب يكرهون منه التكرار اه . ولم أره ينقل عنه في التهذيبين له شيئاً يذكر . وأما شرح الحماسة فإنه ملأه بأقواله الملتقطة من تأليفه الرياش المصطنعي أظنّه . قال في موضع[٤] وروى قول النَمَري وما تعقّبه به أبو العلاء « فلا تعدلنّ عما ذكره أبو العلاء إلى غيره » وأرى أنه أودع الرياش بجملته في شرحه ولم يُبقِ منه بقيّةً تُذْكَر وهو بنفسه[٥] راوي الرياش عنه

قال السلفيّ[٦] سمعتُ أبا زكريا التبريزي اللغوي يقول : أفضل من رأيته ممن قرأت عليه أبو العلاء . ونقل القِفطي[٧] عنه أنه لما قرأ عليه اصلاح المنطق

---

(١) فهرس خزانة باريس ٣١١٢ ـ والكشف « سقط الزند »

(٢) وهما أقدم نسخة منه ـ انظر فهرس خزانة ليدن واخرى منه فى بومباي

(٣) مصر ١ : ٢ وبسط المنى أبو العلاء فى الاغريضية ص ١٩ وقال ان ذكر الكلمة مرتين كالجمع فى النكاح بين الاختين

(٤) مصر ١ : ١٩٢

(٥) انظر فهرس الخديوية ٤ : ٢٦٩

(٦) ذهبي ١٣٥

(٧) ذ ٣٠٤

طالبه [١] بالسند . فقال له ان كنت تريد العلم فخذه عني ولا تَعْدُني وإن كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري . قال القفطي فهذا يدلّ على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه ادرك اللغة وأنها في عصره لأنضج منها في عصر ابن السكّيت

وأما مدّة إقامته بالمعرة فلم أر من عيّنها وأظنّها [٢] بين ٤٤٠ — ٤٤٧ وذلك أن أبا زكريا ولد سنة ٤٢١ هـ [٣] . وقالوا [٤] ان الضوء آخر تأليف أبي العلاء . وهذا الكتاب لم يكن وُضع إلاّ بعد مفارقته له كما ذكر ذلك أبو زكريا بنفسه في شرح السقط له

(٢) أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الاسدي المالكي [٥] رئيس أبهر . روى السِلَفي [٦] جملة من الأشعار والأخبار عنه عن أبي العلاء قال : وكان من أفراد الزمان ثقة مالكياً . ويظهر من حكايته في وفاته أن لعله كان حاضراً إذ ذاك [٧] بالمعرّة . وهو راوي السقط وكثير من اللزوم وشيء من غيرهما عنه . قال السمعاني : وسماه أبا المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الابهريّ هو أحد

---

(١) ولهذا نراه روى الاصلاح عن الرئيس هلال الصابي وانظر فهرست خزانة ليدن ٣٣

(٢) وروى الذهبي في الحفاظ (٣ : ٣١٠) خبراً في قراءة التبريزي على الخطيب أبي بكر البغدادي بجامع دمشق وقال ابن عساكر (١ : ٣٩٨) وابن السبكي في طبقاته (٣:١٢) ان الخطيب قدم دمشق سنة ٤٤٥ هـ حاجا فسمع خلقا كثيراً وتوجه الى الحج ثم قدمها سنة ٤٥١ هـ فسكنها وحدث بعامة مصنفاته اهـ . وهذا يجذب الى تصديق المدة التي عيناها ثم خرج منها الى صور سنة ٤٥٧ هـ ثم الى العراق سنة ٤٦٢ هـ انظر الحفاظ ٣ : ٣١٨

(٣) ومات سنة ٥٠٢ ببغداد وهو يدرس الأدب بالنظامية وخازن دار الكتب بها

(٤) تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٦ عن دفع المعرة عن شيخ المعرة وكشف الظنون رسم سقط الزند عن شرح التبريزي

(٥) ذهبي ١٣١ و ١٣٣ و ١٣٧ وترجم له الباخرزي في الدمية

(٦) انظر ذهبي ـ

(٧) ولكن لا شك في قراءته عليه بها

الأُدباء الفضلاء . تلمذ لأبي العلاء المعري وقرأ عليه الادب روى لنا عنه أبو عبد الله الخلاّل الأديب بأصبهان (وآخرُ سماه [١] والأبهري لأهل خراسان ولمن يصاقبها كأبي الفضل البغدادي وابن العربي للمغاربة . فانهم يروون السقط وغيره بطريقه . قال صدر الأفاضل الخوارزمي أخبرنا بالسقط الاستاذ البارع ناصر [الدين أبو المظفر] ابن أبي المكارم المعروف بالمطرزى قراءة عليه قال أخبرنا الوالد عبد السيْد بن على المطرزي قراءة عليه قال أخبرنا الشيخ الرئيس أبو المكارم الابهري قراءة عليه قال أخبرنا الفاضل أبو العلاء

(٣) أبو الفضل محمد الدرامي الوزير البغدادى داعية القائم على ما مر . انفصل من بغداد نحو سنة ٤٣٥ هـ ووفد على القيروان سنة ٤٣٩ . فالظاهر [٢] أنه لقيه بينهما بالمعرة وقرأ عليه شيئاً وأوصله الى المغرب والأندلس . قال أبو بكر ابن الخير الاندلسي في فهرست مرويّاته [٣] وحدثني بالسقط أيضاً شيخنا أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام عن الاستاذ أبي محمد ابن السِيْد البطَلْيَوْسي عن أبي الفضل البغدادي، عن المعري - وروى صاحب النفح [٤] أنه اجتمع مع أبي العلاء بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال : لله أنت من ناظم ! وترجم له صاحب النفح والمعالم [٥] والتتمة .

(٤) أبو الربيع سليمان بن أحمد السَّرَقُسْطي المتوفَّى سنة ٤٧٩ هـ عن ٨٠ سنة . قال الذَهبي أنبأنا عبد الرحيم العامري عن احمد ابن أبي أنعم أن الحافظ أبا عبد الله ابن محمود أخبره في كتابه أنا أبو القاسم الارجي عن هبة الله بن علي المقريء أنشدنا أبو الربيع السَّرَقُسْطيّ أنشدنا أبو العلاء المعري لنفسه :

---

(١) لم أستطع قراءة اسمه (٢) انظر النفح ٢ : ١٠٣ مصر (٣) ٤١٢
(٤) مصر ٢ : ١٠٣ ليدن ٧٧ (٥) ٣ : ٢٤١ . وانظر « ابن رشيق » ٣٢ .

أنا صائم طولَ الحياة وإنما فطري الحمام ويوم ذاك أعيّدُ

الأبيات الخمسة من اللزوم

ترجم له الذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان (٣ : ٧٥)

(٥) أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسي المَرِيّي. ترجم له الضبّي[١] قال ويعرف بابن أبي المغيرة وهو من بيت جلالة وعلم ورياسة وفضل كبير ومات في رجوعه عند وصوله إلى الاندلس بعد سنة ٤٥٠ ه. وابن بشكوال[٢] في الصلة قال: إنه ولد سنة ٤٢١ه ومات بالمرِيّة سنة ٤٥٤ ه في انصرافه وسنه ٣٣ عاماً وبقيت رحلتــه نحواً من تسع سنين وسمع منــه الخطيب البغدادي اه. والمقّري[٣] عن الحميـدي في الجذوة وأثنى عليه قال: وكان من أهل العلم والأدب والذكاء والهمة العالية. وهو تلميذه كما في النسب للسمعاني

(٦) أبو مالك أحمد بن الصنديد العراقي قال ياقوت في الادباء (١ : ١٥٢) كان من أهل الأدب والشعر. روى شعر المعري عنــه وله فيــه شرح وله مع الحصْري مناقضات. دخل الاندلس وكان عند بني طاهر ومدح الرؤساء والاكابر

(٧) أبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري الأندلسي. لقيه بعد سنة ٤٢٣ ه فان في الابيات التي رواها عنه السِلفي[٤] بمكة بيتاً وهو:

أتتني من الأيّام ستّون حِجةً وما أمسكت كفّاي ثِنْيَ عِنان

ترجم له ابن الأبار في التكملة[٥] قال: جاور بمكة وروى عن . . . . وأبي العلاء المعري ـ أنشدنا أبو عمرو بن سفيان التّميمي بتُوْنِسَ أنشدنا عليُّ بن المفضَّل المقدسي أنشدنا السِلَفي أنشدنا أبو تمام غالب بن عيسى الفقيه أنشدنا أبو العلاء:

أبا العلاء ابن سليمانا.. البيتين أنظرهما في الفائت

(١) ١٢٤١ (٢) ترجمة سابقة عدد ٩٥٦ (٣) النفح مصر ٢ : ١٢

(٤) ذهبي ١٣٤. وانظر لتلمذه ١٣٧ منه واللسان ١ : ٢٠٦ (٥) رقم ١٩٥٧

(٨) أبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني . روى عنه السقط أخو ابن السيد البطليوسي أبو الحسن عليّ بن محمد كما قال ابن الخير [١] وترجم له الضبّيّ [٢] قال وتوفى بطلَيْطلَةَ سنة ٤٧٢ هـ وابن بَشْكُوالَ [٣] في الصلِة وذكر أنه كان بالبصرة سنة ٤٢٨ هـ وصاحب البُغية [٤]

(٩) أبو الطاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري قرأ عليه بالمعرة وروينا من طريقه حديثا في باب طلبه للعلم وورد ذكره عند السمعاني والذهبي وابن حجر [٥] وترجم له القِفْطيّ في إنباه الرواة [٦] ورأيت نسخته بخطه قال : هو محمد بن أحمد بن محمد بن إسمعيل بن عبد الجبار بن مُفلِح الانباري أبو طاهر ابن أبي الحسين ابن أبي الصقر ثقة فاضل خَيِّرٌ دَين رحل إلى مصر والشام والحجاز وسمع الكثير وحصَّل الكتب ورجع الى الانبار وحدث وانتشرت عنه الرواية (ثم أورد كثيرا من شعره مسنداً ثم روى عن) أبي الفتح ابن الخلال إمام جامع الانبار أنه توفى سنة ٤٧٦ هـ . اهـ

(١٠) القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله بن أبي المجد محمد أخي أبي العلاء . ذكر ابن الابار في التكملة [٧] في ترجمة صاحبه أبي محمد عبد الله الأنصاري أنه كان عنده شعر أبي العلاء مسموعا على أبي إسحق ابن أبي اليَسَرِ عن والده عن

---

(١) ٤١٢

(٢) رقم ١١٢٨

(٣) رقم ٨٣٨

(٤) ٢٩٦

(٥) ١١٠ - ١٣٧ - ١:٢٠٦

(٦) ورق ١٨

(٧) رقم ١٤٥٨

جده عن أبي العلاء . وقال ياقوت [١] أنه أدرك عم أبيه أبا العلاء وروى عنه مصنفاته وأشعاره .

(١١) أبو عبد الله ابن جابر القرطبي قال ابن الأبار [٢] يروي عن أبي العلاء المعري شعره . أخذ عنه أبو عبد الله ابن خطّاب التُطيْلي من شيوخ أبي عامر ابن رزق . ذكر ذلك أبو بكر يحيى ابن أبي عامر في بَرْنامجه اهـ

(١٢) الخليل بن عبد الجبار القزويني [٣] هو تلميذه ونقل عنه السِلَفي عن أبي العلاء حديثاً أثبتناه في باب الطلب . قال السِلَفي وكان ثقة

(١٣) أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذّب المعرّي . له تاريخ نقل عنه ياقوت [٤] عدة فوائد ومنها [٥] قال حدثني الشيخ أبو العلاء ان أبا علي مضى إلى العراق وصار له جاه عظيم عند الملك فنّا خُسْرُوْ الخ. ومنها [٦] في البحتري ووالده . ومنها [٧] في ترجمة أبي رياش والزجاج و كذا نقل عنه ابن الوردي أيضاً شيئاً كثيراً

(١٤) شيخ الاسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهكّاري . هو ناقل خبره مع وزير محمود وسيأتي . وقد تصحف [٨] على سبط ابن الجوزي اسمه

---

(١) ادبا ١ : ١٦٤ ونسخته مصحفة فصححها هكذا فنهم القاضي ابو المجد محمد بن عبدالله بن أبي المجد محمد بن عبد الله (أبي أبي العلاء) سطر١٣

(٢) ١٤٦٨

(٣) ذهبي ١٣٢ و ١٣٧ واللسان ١ : ٢٠٦

(٤) ادبا ١ : ٧٤ و ٢١٥

(٥) ادبا ٣ : ١٩

(٦) بلدان رسم حردفنة

(٧) ادبا ١ : ٤٧،٧٤

(٨) نكت ١٠٧

حيث دعاه نقلا عن الغزالي [١] يوسف بن علي الهركاري . ولم أر أحداً سماه الهركاري ولا وجدت كلمة هركار فيما بيدي من المعاجم . والهكارّية التي ينسب اليها ناحية فوق الموصل في جزيرة ابن عمر يسكنها الهكارية وهم صنف من الاكراد ولا أستبعد أن تكون الناحية تدعى الهركار أيضاً . إلا أنني لم أجدها بهذا اللفظ . وأما يوسف فإنه جد شيخ الاسلام . وليس ببدع [٢] أن يكون له ولد يدعى يوسف كجده ولكن صحبته لابي العلاء وروايته عنه بلا واسطة كأبيه مما لم يثبت . والعجب كل العجب أن صاحب سر العالمين يدعو يوسف شيخ الاسلام وقال في موضع آخر [٣] أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الاسلام ثم أورد ستة أبيات من اللزوم أولها :

أنا صائم طول الحياة وإنما   فطري الحِمام وعند ذاك أعيّد

وهذا ظاهره أنه يدعو علياً شيخ الاسلام على الصواب ولكن لقاء الغزالي وكان وُلد سنة ٤٥٠ هـ للمعري من دونه خرط القتاد . وهذا الكتاب تلفيق أعجمي لا يحسن العربية [٤] فشحنه بالاغلوطات [٥]

وسئل شيخ الاسلام لما انفصل عنه عما رآه منه وعن عقيدته فقال : هو رجل

(١) وهذا الخبر موجود في سر العالمين المنحول اليه طبعة بومباي ص٣٨ ولفظه وحدثني يوسف بن علي بارض الهركار ... قال يوسف شيخ الاسلام دخلت المعرة على زمان المعري الخ

(٢) قال ابن خلكان وخرج من أولاد الشيخ وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك الخ

(٣) ص ٨٥

(٤) فانه قال بعد نقل الابيات « هذا الشعر في بحر لزوم مالا يلزم »

(٥) قال ص ١٠٠ وأنشد الشيخ أبو العلاء المعري لنفسه رحمه الله تعالى :

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة   والاذن تعشق قبل العين أحيانا
ان العيون التي في طرفها مرض   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن البيت

فأنت ترى أن هذه ظلمات بعضها فوق بعض كيف أنشده المعري ولم يولد بعد ؟ والابيات ليست للمعري بل الاول لبشار الاعمى (الوفيات ١:٨٩) والآخران لجرير انظر طبقات ابن قتيبة ليدن ٩

من المسلمين وكان لقيه بالمعرة وسمع منه . تُرجم له في الأنساب والوفيات واللسان ومرآة الجنان (١)

(١٥) أبو الحسن علي بن همّام (٢) تلميذه رثاه بأبيات ميمية تأتي في محلّها.

(١٦) احمد بن حَمّاد المعرّيّ هو أبو سعد راوي ملقى السبيل عنه (٣) .

(١٧) أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي هاشم مستمليه (٤) وفي العدل ابن عُبيد الله . متولّي أوقاف الجامع بالمعرّة .

(١٨) ابنه أبو الفتح محمد عمل له كتابين في النحو سيردان . وذكرهما ابن العديم .

(١٩) أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير . قال ياقوت (٥) لعله لقي أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً . وولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة ٤٧٣ هـ وهو من أجداد الكمال بن العديم الحلبي فإنه عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الفضل المذكور .

(٢٠) القاضي أبو الفتح بن أحمد السروجي أخو القاضي أبي المهذب عبد المنعم . روى (٦) في حكايته قال : دخلت على أبي العلاء بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد اليه وأقرأ عليه الخ .

(٢١) الشيخ أبو محمد الحَمْداني روى عنه الباخرزي (٧) في دُمْيته عدّة من

(١) ٥٩١ - ١ : ٣٤٦ - ٤ : ١٩٥ - ٣ : ١٤٢

(٢) ذهبي ١٣٧ - الوفيات ١ : ٣٤ .

(٣) ٢١٧ - والذي في فهرس خزانة اسكوريال لدرنبورغ تحت العدد ٤٦٧ أحمد بن كمال المعريّ والنسخة واحدة لاشك .

(٤) ادبا ١ : ١٨٠ . ذهبي ١٣٥ - العدل .

(٥) أدبا ٦ : ٢٧

(٦) ذهبي ١٣٤ ومعاهد ١ : ٥٠ .

(٧) وفي نسخة الدمية الخطية بكلكتة ورق ٥ و ٦ الهمداني (؟)

قصائده في السقط .

(٢٢) رجل واسطي لم يسمه وذكر في الغفران [١] أنه كان يتعرض لعلم العروض وهو الذي ذكر لصاحبنا أنه رأى ابن القارح بنصيبين

(٢٣) ومن رواة شعره شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني . قال البيهقي انه إمام المسلمين حقاً وشيخ الإسلام صدقاً . قال ياقوت دخل معرة النعمان فلقي أبا العلاء . وقال ابن عساكر انه قدم دمشق حاجاً سنة ٤٣٢ ه الخ وتوفي سنة ٤٤٩ كصاحبنا . وروى عنه الباخرزي كلمتين له إحداهما من اللزوم والأخرى على الضاد ذكرتها في الفائت . ولفظه رجعت إلى تعليقاتي وعثرت مما أنشدنيه الاستاذ شيخ الإسلام ..... الصابوني له قال أنشدني لنفسه بمعرة النعمان . وترجم له السمعاني وابن عساكر وياقوت وابن السبكي [٢] .

(٢٤) ومنهم أبو الوليد الحسن بن محمد البلخي الدَّرْبَنْدِيّ الحافظ الجوَّال روى [٣] أبو سعد [السمعاني] بسنده عنه قال أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره عند وداعي إياه (ص) [٤] :

كم بلدةٍ فارقتها ومعاشر ... يُذْرُوْنَ من أسفٍ عليَّ دموعا
وإذا أضاعتْني الخطوبُ فلن أرى ... لعُهود إخوان الصفاء مُضيْعا
خالَلتُ توديعَ الأصادق للنوى ... فمتى أُودِّعُ خِلِّيَ التوديعا

قال ابن عساكر [٥] وياقوت [٦] وترجما له رحل في طلب الحديث وبالغ في جمعه وأكثر غاية الاكثار اه.وهو شيخ الخطيب أبي بكر وتوفي سنة ٤٥٦ ه . قال

(١) ١٨٤ .
(٢) ٣ ـ ٣٤٦ : ٢٧ ـ ٢ : ٣٤٨ ـ ٣ : ١١٧ ولاء .
(٣) أدبا ١ : ١٧٥ .
(٤) ٢ : ١٣٦ وفي العنوان « قال على لسان البلخي »
(٥) ٤ : ٢٤٧ .
(٦) بلدان « دربند » ثم وجدت في الحفاظ ٣ : ٣٢٩ ترجمة له أيضا .

ابن عساكر ودخل دمشق . وانظر في أبواب بغداد ذكر الواجكا .

(٢٥) أبو الحسن الدُلفيّ المَصيّصي النحوي وهو محمد [١] بن عبد الله بن حمـدان ومات بمصر سنة ٤٦٠ هـ وكان زاره في عنفوان شبـابه بالمعرّة وانظر مبحث طلب العلم .

(٢٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الاصفهـانيّ روى عنـه الضوء وسائر كتبه . ويأتي في فصل دينه

(٢٧) القاضي أبو سعد روى عن أبي العلاء عدّة فوائد على حاشية نسخة من الجمهرة لابن دُريد [٢]

(٢٨) أبو عمرو السفاقُسيّ . روى [٣] عن أبي العلاء خُطبة الفصيح وهو عثمان بن أبي بكر بن حمود الصَدَفيّ . رحل إلى المشرق بُعَيْدَ سنة ٤٢٠ هـ . وسنه إذ ذاك نحو ثلاثين فسمع من أبي نُعيم الحافظ وشيخ الإسلام الصابوني والقاضي أبي الطيّب الطبريّ وغيرهم . ثم رجع الى الأندلس سنة ٤٣٦ هـ فقرأ عليه أهلها . ولقى ابن رشيق وابنَ شَرَفَ بالقيروان ووقـع بينه وبينهما مشاعرة ظريفـة . ترجم له ابن بَشْكُوالَ والضبّيّ .

(٢٩) ابن أخيه القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي المجد محمد . وكان بَرًّا بعمه حَدِباً عليه وهو الذي مَرّضه مِرارا . ذُكر في عداد المستملين ويأتي في فصـل الموت . ولأبي العلاء فيه كلمتان أنظرهما في الميم من الفـائت . وهذا كله عن العدل والتحرّي .

---

(١) البديعي ١ : ٤٢٤ والبغية ٥٢٥ .

(٢) انظر نسخته الخطية بخزانة حيدر آباد ص ٢٣ ، ٢٤ ، ١ . وغيرها ولفظه قال لي الشيخ أبو العلاء .... وأراه الذي رثى القاضي وادعاً برائية طويلة ذكرها القفطي في انباه الرواة وسماه محمد بن أحمد .

(٣) فهرست ابن الخير ٣٤٣ وهو يرويها عن ابي محمد ابن عتاب عن السفاقسي عنـه والصلة رقم ٨٧٦ والبغية للضبي رقم ١١٨٠

(٣٠) ابن أخيه وأخو السابق أبو الحسن علي بن أبي المجد محمد سمع على أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطّه .

(٣١) مستمليه ابراهيم بن عليّ وقد مرّ في المستملين قال ابن العديم قرأ عليه الخ .

(٣٢) أبو النصر محمد بن محمد بن أحمد بن همهاه الرامشي النيسابوري النحوي (٤٠٤ ـ ٤٨٩ هـ) قال ياقوت [١] وقد ترجم له انه أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري

وممن أظنه منهم :

(٣٣) أبو الرضا عبد الوهاب بن الفرج بن النوْت المعري المتوفى سنة ٤٨٠ هـ وفي خريدة العماد أبو الرضا عبد الواحد وهو الصواب . وعبد الوهاب عن النـكْت [٢] وأظنه تصحيفا . رثاه على الراء كما سيأتي .

(٣٤) الأمير أبو الفتح ابن أبي حَصينة المعرّيّ شاعر أسد الدولة عطيّة ابن صالح بن مرداس وولاّه المعرّة توفي في حدود سنة ٥٠٠ هـ . وذكر ابن بطلان [٣] المتطبّب في رسالته إلى هلال بن المحسّن نحو سنة ٤٤٠ هـ وأنه شاعر حلب إذ ذاك . وله مرثية فى أبي العلاء تأتي . وترجم له الـكتبي [٤] .

(٣٥) أبو العباس احمد بن خلف الممتّع . قال ابن القارح [٥] إني وجدت آثار تفضله (أبي العلاء) عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وقد ملأ السماء دعاء والأرض ثناء اهـ. ويظهر من فحوى كلامه أن أبا العباس من أهل المعرّة . وفي الغفران [٦] وسيدي الشيخ أبو العباس الممتّع في السنّ ولد في المودّة أخ الخ

(١) الادباء (٧ : ١٠٠) (٢) ١١٠ . ثم اني تحققت تصحيفه بخبر رواه الازدي فى بدائع البدائه ٢ : ٤٤ فى ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن سنان الخفاجيّ
(٣) بلدان « حلب » والحكماء للقفطي ترجمة ابن بطلان . (٤) ١ : ١٢٢. وانظر خبر مساجلته ابن سنان الاجازة بحضرة سديد الملك فى بدائه البدائه ١ : ٢١٣ وخبر توليته وتأميره من المستنصر راجعه فى تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٦٥ . (٥) ٢٠٤ (٦) ١٧١

زُوَّاره بالمعرة

ممن لم يرووا شعره فيما بلغنا

(١) القاضي عبد الوهاب المالكي الفقيه الشاعر . لما نبا به المقام ببغداد على ما مرّ في فصل احتفال البغادده وفارقها الى مصر [١] اجتاز في طريقه بالمعرّة فأضافه أبو العلاء وبعث اليه ثلاثين درهما مع قطعة بليغة في الاعتذار [٢] تدلّ على أنه لم يتمكن من اليسار . وذكر وروده في قطعة [٣] له إلى التنوخي أيضاً وأن القاضي يُثني عليه . ثم ان القاضي توفي بمصر لأول ما وصلها . فذهب على بعض المستعربة [٤] أن سنة اجتيازه بالمعرة ٤٢٠ هـ ولكن ذكر أشعار تنوخ في قطعته الى التنوخيّ وذكر خمسين من عمره في قطعته إلى القاضي مما يقرّب المدّة فلعله أقام بالشأم بعد مفارقته بغداد أعواما والله أعلم . ومر في فصل الحنين الى بغداد [٥]

(٢) الشيخ أبو سعيد الخوارزمي الضرير أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن نمير المتوفى سنة ٤٤٨ هـ لقيه بالمعرّة بنية الحجّ كما مرّ في فصل الرحلة الى بغداد [٦]

(٣) أبو القاسم الوزير المغربي كان أقام بها في صِباه كما هو في ر [٧] ا ١ وقد مرّ

(٤) أبو الحسن علي (او ابو الحسين محمد) بن عبد الواحد البغدادي المعروف

---

(١) الوفيات ١ : ٣٠٤

(٢) س ٢ : ١٣٨

(٣) س ٢ : ١٤٠

(٤) د . س مرجليوث

(٥) وللقاضي شعر من اللزوم أورده ابن الشيخ ١ : ٢٧٤

(٦) انظر ترجمته في الشافعية ٣ : ٢٣

(٧) س ٧

بصريع الدلاء قتيل الغواني ذي الرقاعتين وكان ماجناً كان طلب من ابى العلاء حين اجتاز به في طريقه الى مصر حيث توفي شراباً وما يليق به فسيَّر اليه قليل نفقة أو نُزُل على ما في الضرام واعتذر بقطعة لامية [٢] . وسماه صريع البين واحتال لتزيين اسمه وجهاً جيداً حيث زعم أنه فعيل بمعنى فاعل على المبالغة قال:

دُعيتَ بصارع فتداركته مبالغة فرُدَّ الى فعيل

وتوفي بمصر سنة ٤١٢ هـ وهي سنة قدومه بها . وله ترجمة في الوفيات [٢] والفوات [٣] والتتمة

(٥) رئيس المنجّمين كان أقام بها كما قال في الغفران [٤]

(٦) الوزير ابو نصر المنازي ومر في ابواب بغداد . نقل الذهبي [٥] وابن خلكان [٦] عن غَرْس النعمة قال ثنى الوزير أبو نصر بن جهير ثنا أبو نصر المَنازيّ قال اجتمعت بأبي العلاء فقلت له ماهذا الذي يُرْوَى عنك ويحكى . قال حسدوني وكذبوا عليّ . فقلتُ على ماذا حسدوك ؟ فقد تركت لهم الدنيا والآخرة . فقال والآخرة !!! وجعل يكرّرها ويتألَّم لذلك وأطرق فلم يكلّمه الى أن قام . وهذا صريح في زيارته بعد الرجوع . ومرّ قبلُ زيارتُه إياه قبل الرحلة وبغداد .

---

(١) س ٢ : ٣٤ وابن الوردي ١ : ٣٣٤

(٢) ١ : ٣٥٩ وسياق الخبرهنا منه

(٣) ٢ : ٢٣٧ ولكنه سماه محمداً وسميناه علياً كما في الوفيات وحسن المحاضرة . هذا ثم انى رأيت الثعالبي ترجمله في التتمة وسماه أبا الحسين محمد بن عبد الواحد القصار . قال وهو بصري المولد والمنشأ الا أنه استوطن بغداد .... ولما رأى سخف الزمان وأهله وميلهم من الكلام الى هوله أخذ في طريق السخف ونزع ثياب الجد وتلقب بصريع الدلاء الخ.

(٤) ١٠٧

(٥) ١٣٢

(٦) ١ : ٤٤ ـ وصاحب الغيث ٢ : ٣٥ ـ وقد عزا الخضر الموصلي هذه الحكاية الى أبي يوسف القزويني وهذا غلط منه فاضح. والرجل فيما علمت غير متثبت وقد لبى عليه البغدادي في الخزانة

(٧) أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي داعيتهم ٣٩٣-٤٨٨ ه كان مشغوفاً بجَمْع الكتب ذوات الخطوط المنسوبة . واجتمع لديه منها كميةٌ وافرة. وأهْدَى منها أعلاقاً الى نظـام الملك . والرجل صاحب حـكايتين في الغضّ منه والوقيعـة فى دينه . وهو كما يظهر من فحوى كلامه مِعَنّ مِفَنّ . وعِرّيض مُعَنّت مُعَنّ . حدّث (١) أبو الكرم خميس الحَوْزي الواسطي حدثنا القاضي أبو يوسف القزوينى قال قال لي ملحد المعرّة : ماسمعتُ فى أمر الحسين بن علي رضي الله عنه شيئاً يجب أن يُحْفظَ . فقلت له قد قال (٢) سواديٌ من أهـل بلادنا أبيـاتاً لايقول مثلهـا تنوخ جدّك الأكبر (ثم أتى بخمسة أبيات على العين) قال (أبو الـكرم) ولم يسمّ لنـا قائلا اه . وقال (٣) قال لي المعري لم أهجُ أحداً قطّ . فقلت له صدقتَ إلاّ الأنبياء . فتغير وجهـه زاد الخضر الموصلي في الأسعاف (وقال ما أخاف من أحد سواك) ـ أقول ولله در من قال :

فعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ ولـكنّ عينَ السُخْطِ تبدي المساويا

وترجم له ابن السبكى وابن حجر واليافعي (٤) وقال هـذا ان له تفسيراً كبيراً في أزيد من ثلثمائة مجلّد .

(٨) أبو الحسن المختار بن بطلان المتطبّب البغدادي . قال القِفْطي (٥) كان يألف أبا العـلاء وكان بالمعرة إذ ذاك (يريد قُبيل موته) وله حديث في موته يأتي . ترجم (٦) له ابن أبي أُصيبعة والقِفْطيّ

---

(١) أدبا ١ : ١٧٢
(٢) كان القزويني ينتحل مذهب الزيدية في الفروع
(٣) أدبا ١ : ١٧١
(٤) ٣ : ٢٣٠ ـ . اللسان ٣ : ١٤٧ ـ ٤ : ١١
(٥) ذ ٢٢٤
(٦) انظر رسالته في رحلته الى الشام في البلدان رسم حلب وغيرها وعنه القفطي في الحكماء

(٩) أبو الحسن على بن القارح وسيأتي . كان أقام بالمعرّة قبلُ كما هو مصرح به في الغفران[١]. ثم إنّه أظهر الحنين إلى لقائه في رسالته[٢] بقوله والله لولا ضَعْفي وعَجْزي عن السفر لخرجتُ إليه متشرّفاً بمجالسته ومحاضرته الخ . ولسنا ندري هل تسنّى له ما أراد . أم حالت دونه أمّ اللُّهَيْم أختُ النآد

(١٠) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سنان كما هو مصرح في ر[٣] ال ٢٠

(١١) أبو الخطّاب الجَبُّليّ الشاعر قال ابن الأثير[٤] مضى الى الشام ولقي المعرّيّ وعاد ضريراً . ثم أورد له بيتين . وقد مرّ في باب أبي حمزة . وكان زاره[٥] قبل رحلته الى بغداد ومدح المعرّيّ فأجابه بيائية من السقط[٦] . توفي سنة ٤٣٩ هـ[٧] .

ولع الناس به وبنثيره ونظامه

قد افتنّ الناس في احتذاء مثاله واتباع مقاله ، ومرّ بك جُملةٌ من الباب صالحةٌ . فواحد يتبعه في اللزوم وهو وإن سبق عهدَه إلا أنه لم يكن شيئاً مذكوراً وهو أول من نبَّه إليه وأنهض الهمم . وآخر يقتفيه ويقرُوْ قريَّه في إنشاء الاسجاع في الزهد والنُسك كالزمخشري في الاطواق والكلم النوابغ والمقامات وعبدالمؤمن

---

(١) ١٨٤ و١٩٢

(٢) ٢١١

(٣) ص ٥٥

(٤) ٩ : ٢٢٦ . وترجم له الثعالبي في التتمة وسماه محمد بن علي

(٥) كذا في اختيار مختصر تاريخ الخطيب لابن جزلة (خط) ولفظه : سافر في حداثته (من العراق) الى الشام وأجابه أبو العلاء عن شعر كتبه اليه مدحه به عند وروده معرة النعمان الخ .

(٦) ١ : ١٥٣

(٧) ابن الوردي ١ : ٣٥٠

الاصفهاني في الاطباق . وآخر يضمّن أبياته شغفاً بها وإعجاباً كالصفدي (١)، وكبلديه الشيخ أبي حفص زين الدين عمر بن الوردي فانه تلاعب بشعره تلاعُباً وافتنّ افتنانا فضمّن صدورَ رائيته (٢) التي أوّلها :

« ياساهر البرق أيقظْ راقدَ السَمُرِ »

وبعضَ أعجازها أو الأبياتَ بتغيير يسير ونقلها في مدحه ﷺ قال جامع ديوانه ولقد فاتت بشرف ممدوحها أصلها وكان عليه السلام أحقّ بها وأهلها . وكالشرف ابن عُنَيْن والسراج الوراق (٣) . وآخر ينسب اليه — إذ يعهده ملحداً ظريفاً — كلَّ ما يجده من باب الإلحاد مع ان الرجل بَراء منه كابن السُبكي (٤) وأبي الحسين الجزّار (٥)

ولكن العجب كل العجب فيما روى (٦) ابن خلكان في تاريخه قال حدثني من أثق به أن شخصاً قال له رأيت في تأليف أبي (؟) العلاء المعري ما صورته « أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالي لكي يحدث لي أُنسك يازين الأخلاّء فما مثلك من غيّر عهداً أو غفل » وسأله من

---

(١) غيث ١ : ٧٥ تضمينان

(٢) وهي طويلة انظر ديوانه ٢٠١ — ٢٠٤ والخزانة للحموي ٣٨٢ — ٣٨٤ والديوان أيضا ٢٨٠ — ووهم جامعه فعزا بعض تضمينات له لأبيات المتنبي الى أبيات المعري انظر ٢٣١ و ٢٧٥ — وانظر تضمينا آخر له في تاريخه ٢ : ١٨٨

(٣) المباهد ٢ : ٩٨

(٤) حيث نقل في الشافعية ٣ : ٩٧ بيتي ابن الراوندي وانظرهما في القاف من القائت زاعما أنهما للمعري . ثم قال فقبحه الله ما أجرأه على الله . ثم ذكر نقيضهما

(٥) قال :

وفي علم العروض دخلت جهلا — وهمت بخفتي في كل بحر
فأذكرني به التفعيل جهلا (؟ بيتا) تضمن نصفه الشيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعولن — حديث خرافة يا ام عمرو

مع أن المصراع حديث خرافة الخ لبعض مشركة قريش كما هو في كتب السيرة . المغرب لابن سعيد ٤ : ١٣٤

(٦) الثمرات بهامش المستطرف ١ : ٧٨

أيّ الأبحر وهل هو بيت واحد أو أكثر ـ فإن كان أكثر فهل أبياته على رويّ واحد أو مختلفة الرويّ ـ قال ففكّر فيه ثم أجابه بجواب حسن قال ابن خلكان فقلتُ للقائل اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله . فأجاب بعد حُسن النظر بما أجاب به عنه الرجل ـ وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات في روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيّين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بدّ من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي :

أصلحك الله وأبـ قـاك لقد كان من الـ
واجبِ أن تأتينا الـ يومَ إلى منزلنا الـ
خالي لكَيْ يَحْدُثَ لي أنـ سك يازين الأخِلْـ
لاء فما مثلُك مَن غَيّر عهداً أو غَفَل

واختلس الحريري في مقاماته قول أبي العلاء في بعض رسائله « إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر » قال ابن الخشاب [1] هو بعينه قول أبي العلاء المعري في بعض رسائل حفظها ابن الحريري بعينها ـ

ملوك حلب لعهده وأمراؤها

لم أعثر على تاريخ مختص بحلب فالتقطت هذا الباب من تاريخ ابن القلانسي وابن الأثير وابن خلدون ومن صبح الأعشى وغيرها . وظنّي أن هؤلاء لم يمنحوا المعرّة من التفاتهم ما يذكر . على أنهم أغفلوا عدّة من وُلاة حلب أيضاً ـ كما سيأتي ـ

(١) انتقاده على المقامات طبعة الحسينية سنة ١٣٢٦هـ ، ص ٨

كانت حلب في نيابة ﴿ بَدْر ﴾ الأخشيدي والي دمشق ـ حتى انتزعها منه ﴿ سيف الدولة بن حمدان ﴾ سنة ٣٣٣ هـ [١] وبقي بها حتى توفي سنة ٣٥٦ هـ ثم أخذ فرعويه [٢] غلامه البيعة لابنه ﴿ سعد الدولة أبي المعالي شريف ﴾ ثم تغلب على أمره سنة ٣٥٨ هـ وأخرجه من حلب إلى حماة ـ ثم وقع الاتفاق بينه وبين فرعويه على أن يخطب له بحلب ويخطبان جميعاً للمعزّ العلوي ـ ونزل [٣] رقتاش التركي غلام سيف الدولة من حصن برزويه فلقي مولاه أبا المعالي ونزل حمص [٤] وشرع في عمارتها ولَمّ شعثها وكانت الروم أفسدتها فصار أمر أبي المعالي يقوى وشوكته تشتدّ. وكان ﴿ فرعويه ﴾ قد استناب غلامه ﴿ بكجور ﴾ في حلب. فلما قوي أمره قبض على مولاه وحبسه في قلعة حلب وملك البلد وأقام تقدير ستّ سنين. وأظن أن في أيام بكجور كانت ولادة أبي العلاء. وكاتب أبا المعالي من حلب رجال فرعويه وأطمعوه في تملّك البلدة فنهض صوبَها ونزل على معرّة النعمان وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له زهير فقتله وسار عنها فنزل ﴿ أبو المعالي ﴾ حلب سنة ٣٦٦ هـ فأقام عليها تقدير أربعة أشهر. ثم راسله بكجورُ. فطلب منه الأمان وأن يوليه حمص. فأجابه إلى ذلك ووفى. فسار إلى حمص وعمرها ووفر غلاّتها وكان يكاتب العزيز صاحب مصر في أن يوليه على دمشق. ولما كانت سنة ٣٧٢ هـ وقعت الوحشة بينه وبين أبي المعالي. فكاتبه أبو المعالي بأن يخرج من بلده. فراسل العزيز ثانية فولاه دمشق سنة ٣٧٣ هـ. وكان كاتبه في تملّك حلب وأطمعه في ذلك. ثم كان من إخراجه من دمشق

---

(١) وفي الصبح ٤ : ١٦٨ سنة ٣٠٣ هـ وهو تصحيف

(٢) كذا هو في أكثر الكتب وفي قلا فرغويه وفي خ قرعوية وكذا عند أبي الفداء

(٣) أبو الفداء ٢ : ١٨٨ مارقطاش و حصن برذية

(٤) وكان لابي المعالي . خ ٤ : ٢٤٦

وفراره إلى الرقّة سنة ٣٧٨ هـ وسؤالِه أبا المعالي أن يرجع إليه كما كان وخيبتِه ثم كتابته إلى العزيز واطماعه إيّاه في حلب باشارة وزيره المغربيّ على ما مرّ حكايته ما كان . وكان لؤلؤ الكبير غلام سيف الدولة يدبّر كل هذه الأمور لسعد الدولة . ثم إن بكجور أخلفه المَخايلُ وخانه كل من كان وعده بالنصر والانحياز إليه فأخذه سعد الدولة بعد أمور طويلة وقتله . ثم إن خليفة مصر يومئذ (العزيز) قلّد حلب « أبا علي أبن مروان » سنة ٣٨٠ هـ ولكن لم يدخلها وبقيت بيد سعد الدولة حتى توفّي بالفالج سنة ٣٩٣ هـ ـ وفي أيّامه بلغ صاحبنا من الشباب نهايته وبرع نابغًا حريصاً على العلم وبلغ عند موته ٣٠ عاماً ـ وعهد سعد الدولة إلى ولده « أبي الفضائل [1] سعيد الدولة » ووصّى به إلى لؤلؤ ـ ثم كان من إغراء الوزير المغربي العزيزَ بحلب وجرّه عليها عساكر مصريةً كثيفة واستنجادِ أبي الفضائل بالروم ما مرّ ذكره في أخبار الوزير المغربيّ وهو الذي مدحه أبو العلاء بعدّة قصائد من س منها اللامية وهي أول قصيدة فيه . ثم إنه غلبه على أمره « أبو نصر ابن لؤلؤ » وخطب للحاكم وقال ابن خلكان [2] للظاهر بن الحاكم ولقّبه مرتضى الدولة ـ ثم فسد ما بينهما فطمع فيه صالح بن مرداس الكلابي صاحب الرَحْبة ومقيم دعوة العُبيديين بها فدخل مع بني كلاب حلب سنة ٤٠٢ بعد أن رجع أبو العلاء من بغداد فأغلق ابن لؤلؤ عليهم الابواب غَدْرا وقتل كثيراً منهم وحبس آخرين ومنهم صالح . ثم إنه أعمل الحيلة في الهرب ونجا بنفسه وحشد الأعراب وحاصر حلب ٣٢ يوماً فخرج إليه ابن لؤلؤ وقاتلهم فهزمهم صالح وأسر ابنَ لؤلؤ . ثم إنه أطلقه بأموال جزيلة بذلها له . ثم إن « فَتْحًا » غلامه قوي أمره وراسلَ

---

(١) وفي الصبح ٤ : ١٦٨ أبو الفضل وهو تصحيف ـ

(٢) ١ : ٢٢٨ ـ

الحاكمَ صاحبَ مصر فولاّه صيدا وبيروت ونزل له عن حلب ـ وخرج أبو نصر بأنطاكية إلى الروم وصار كالقارظ العَنَزِيّ لم يوقف له على أثر . وتسلّم حلبَ نوّاب الحاكم حتى انتهت إلى نائب من نوّابه يدعى ﴿عزيزَ الدولة﴾ فاتكا أبا شجاع وكان روميا كما قال ياقوت وابن العديم [1] أرمنيًا وقال ابن الأثير إنه عزيز الملك من الحمدانية ولعله وهم منه تبعه فيه ابن خلدون وأبو الفداء والقلقشندي. وأما لقبه عزيز الدولة فقد ورد هكذا في رسالتين الـ ٢٤ والـ ٣٩ لصاحبنا وفي تاريخ ابن القلانسي مراراً [2] وفي معجم الأدباء [3] وفي التتمة [4] وهؤلاء ليسوا مظنّة للوهم ـ وقد حاول بعض شُبّان العصر [5] في أمره حيرة الضبّ فجمع بينه وبين النون . وعزيز الدولة هو الذي صنف له صاحبنا كتاب الصاهل والشاحج والقائف ثم شرحهما وهو الذي أستدنى صاحبَنا إلى حضرته أبو نصر صَدَقةُ بن يوسف الفلاحيُّ ـ فهضم صاحبنا نفسه واعتذر بالضعف والعجز في ر الـ ٢٤ إلى الفلاحيّ فاقتنع العزيز على أبي الخير المفضّل بن سعيد بن عمرو المعري الشاعر الملقّب بالعزيزي لاختصاصه بعزيز الدولة أبي شجاع فاتك . هذا لفظ

---

(١) من تاريخه بخزانة باريس ومعناه على ـ ما نقله مرجليوث ٣١ ـ أنه كان عبداً أرمنيا لمنجوتكين ومنجوتكين هو الذي أرسل بعساكر مصرية لحصار حلب سنة ٣٨٤ هـ وكان العزيز قلد ولاية حلب من الحاكم سنة ٤٠٧ هـ

(٢) ٧١ و ٧٢ و ٧٥

(٣) ١ : ١٨٧

(٤) نسخة باريس الخطية في ترجمة المفضل بن سعيد

(٥) صاحب ذ ٦٧ فانه لم يعرفه في ولاة حلب وزعم أن اللامع العزيزي موسوم باسمه وقد غره في أن الوالي هو عزيز الملك قول ابن الاثير ثم رجح أن يكون ثمال بن صالح معز الدولة هو عزيز الدولة . وهذا كله وهم وتخليط مستشنع فانا قد عرفناه والياً عليها من كتب مختصة بالمواضيع واللامع العزيزي منسوب الى عزيز الدولة ابن ثابت ابن ثمال بن صالح راجع أدبا ١ : ١٨٨ ـ ولم يسم أحد ثمالا عزيز الدولة بل سموه معزها ـ وأما شكوى أبي العلاء من هرمه في نحو خمسين من عمره فليس ببدع منه فانه أخذ فيها بعد الرجوع من بغداد

الثعالبي في التتمة وقد ترجم له . ثم إن الفلاحي وصل إلى مصر فأرسل صُحبةَ الدزبري سنة ٤١٩ هـ في حملته على صالح بحلب ناظراً في الأموال ونفقة الرجال. ثم ارتقت به الحال فوزر للمستنصر الفاطمي بعد وفاة الجرجرائي وقُتل بعد ثلاثة أشهر من تقلد الوزارة سنة ٤٤٠ هـ . والذي يظهر من الرسائل أن الفلاحي لعله فارق عزيز الدولة في حياته ـ وكتب خاله أبو القاسم والشيخ أبو الحسن علي بن عبد المنعم بن سنان إلى صاحبنا (انظر ال١٧ وال٢٠) في أمر أبي الحسن محمد بن سعيد ابن سنان ليشفع له إلى حضرة عزيز الدولة حتى يوليه بعض الأعمال فكتب[1] إلى الفلاحي المذكور. ويظهر أنه شُفّع ووُلّي ابنُ سعيد ثم إن صاحبنا ألف للعزيز الصاهل والشاحج فجاءه كتاب ابن سعيد هذا في أن يختصر أمثال كليلة ودمنة فأجابه بال٣٦ أظهر فيها رضاه باختصار[2] كليلة ودمنة . ثم نجد ر ال٤٠ إليه وهو منوط إليه الأعمال التي يقوم بها الوزراء وكان عزم على الحج فثبط أبو العلاء عزيمته معتلاً باحتياج البلاد في هذه الحالة إليه إذ كان الروميون يهاجمونهم على بغتة . ولابن سعيد هذا ولد يسمى عبد الله بن محمد شاعر وله كتاب في الصَدْفة نقل عنه ياقوت[3] فصلاً في معارضة المعري للقرآن وأورد له ابن عساكر[4] شعراً وترجم له الكتبي[5] وذكره ابن بطلان[6] في رسالته إلى هلال الصابي. قال ابن القلانسي[7] وفي سنة ٤٥٣ نُدب للمسير من حلب إلى القسطنطينية رسولا

(١) انظر ر ص ٥٥
(٢) وهو القائف المذكور
(٣) ادبا ١ : ١٧٧
(٤) ٥ : ٣٧٣
(٥) ١ : ٢٣٣
(٦) بلدان « حلب » وكان زارها نحو سنة ٤٤٠ هـ ولفظه : وفيها حدث قد ناهز العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين الخ ـ والحكماء للقفطي
(٧) ٩١

من معز الدولة ابن صالح . ومات سنة ٤٦٦ هـ مسموماً . ترجم له الباخرزي في الدمية (١).

ثم ان عزيز الدولة قتله غلام له سنة ٤١٢ هـ بمواضعة مع أخت الحاكم صاحب مصر لأنه كان عصى على الظاهر وكان خاف الحاكم . فوليها منهم عبد الله بن علي الكتاميّ المعروف « بابن شعبان » وكان أمر الفاطميين يضعف فاجتمع حسان أمير بني طيّء وصالح بن مرداس أمير بني كلاب صاحب الرَحْبة وسنان بن عليان وتحالفوا على أن يكون من حلب الى عانة لصالح ومن الرَمْلة إلى مصر لحسّان ودمشق لسنان . فسار حسان الى الرملة فخرج منها أنوشتكين واستولى عليها ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة ٤١٤ هـ أيام الظاهر المصري وفيه يقول أبو العلاء ٠ ل :

أرى حلبا حازها صالح وجال سنان على جِلّقا
وحسّان في سَلَفَيْ طيّء يصرّف من عزّه أبلقا
فلما رأت خيلُهم بالغبار ثغاما على جيشهم علّقا
رمتْ جامعَ الرملة المستضام فأصبح بالدم قد خُلّقا

أصاب الرملةَ الحدثانُ يوماً فخَصّ وما يزال أخا اشتمال

والرملة البيضاء غودر أهلها بعد الرَفاغة يأكُلون قَفارها

وقصد « صالح » حلب وبها ابن شعبان والياً من المصريين . فتملكه وملك من بعلبكّ الى عانة وذلك سنة ٤١٤ هـ كما قال ابن (٢) الاثير وأبو الفداء.

---

(١) ١٣ من نسخة حيدر آباد . ويوجد اليوم ديوانه ببعض حواضر الشام
(٢) ٩:٩٥ - ٢ :١٤١-٤:٢٧٢

وابن خلدون وقال ابن خلكان[١] سنة ٤١٧ هـ وهو وهم . وأقام بحلب ستّ سنين . وحاصر المعرة سنة ٤١٧ هـ فكان ما كان مما سنذكره بعدُ . ثم ان الظاهر ولّى أمير الجيوش أنو شتكين[٢] الدِزْبري[٣] دمشق ولقبه منتجب الدولة بالجيم[٤] وأصحبه صدقة الفلاحي المذكور فأوقع بصالح وحسّان بالأقحوانة وفلّ جموعهما وقتل صالحًا واحتزّ رأسه وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ . ونجا ولده أبو كامل « شِبْل الدولة » نصر بن صالح فجاء وملك حلب وبقي بها إلى سنة ٤٢٩ هـ . ذكر صاحبنا في الغفران[٥] وكان كتبه في أيامه سنة ٤٢٤ هـ أن عبد المنعم بن عبد الكريم كان قاضي حلب إذ ذاك . ثم إن الدِزْبريّ صمد له مع العساكر المصرية وصاحب مصر يومئذ المستنصر فلقيه عند حماة وقتله في شعبان من السنة المذكورة وقبض « الدِزْبريّ » على حلبَ وبقي بها حتى توفي في سنة ٤٣٣ هـ . ولما كان على دمشق كان يوجّه إلى أبي العلاء بالسلام ويُحْفي المسألةَ عنه فأراد جزاءه على مافعل فعمل له شرف السيف في جزءين كما جاء في ثبت[٦] كتبه . وكان أبو علوان « ثمال بن صالح » الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الدِزْبري جاء وتملك حلب وملكها في صفر سنة ٤٣٤ فبقي بها إلى سنة ٤٤٠ هـ وفيها[٧] كتب سيف الدولة مقلّد بن كامل بن مرداس وهو بكفر طاب .

---

(١) ١: ٢٢٨ .

(٢) أو نشتكين وانظر لمبدأ أحواله تاريخ ابن القلانسي ٧١ .

(٣) او التزبرى بكسر فسكون كما ضبط أبو الفداء وابن خلكان .

(٤) لا بالخاء كما هو عند مرجليوث ص ٣١

(٥) ٥٨ .

(٦) أدبا ١: ١٨٦ . وروى مرجليوث عن تاريخ ابن العديم بعد ما ذكر امر صالح سنة ٤١٨ هـ وفي العام القابل قبض على حلب فاتح وسأل قاصده عن أبي العلاء وعرج على المعرة في طريقه الى حمص . ولا أدري من أراد بالفاتح ولعله وقع منه وهم في فهم عبارة ابن العديم

(٧) ابن الوردي ١: ٣٠١

الى واليه بالمعرة أبي الماضي خليفة بن جيّهان أن يخرّب سورها ويهدمه كله غير مواضع اعتنى بها . وصنع أبو العلاء لحفيده وسمّاه (١) الأمير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال الخ كتابه اللامع العزيزى في تفسير شعر المتنبيء ويسمى معجز احمد أيضاً . ثم ان المصريين حاربوه فهزمهم ثم أصلح أمره معهم لمّا ضَجِرَ وأرسل اليهم هدايا ونزل لهم عن حلب . فأنفذوا اليها أبا علي الحسن بن علي « ابن ملهم » ولقّبوه مكين الدوله فتسلّمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩ ه وفي ربيعها الأول قد كان مات أبو العلاء . وكاتب أهلُ حلب « محمود بن شبْل الدولة » نصر بن صالح ليُسلّموا اليه البلد وكان منهم على مسير يوم وحاصروا ابن ملهم فجاء محمود في جمادى الأخرى سنة ٤٥٢ ه ودخل حلب ووزيره صاحب الخبر الآتي عمّا قريب إن صحّ وله في محمود بيت نذكره . ولكنك ترى أن محموداً لم يتملّكها إلا بعد وفاة صاحبنا . ثم كان من حروبه المتواليه مع المصريين ما سرده المؤرّخون إلى أن وافاه أجله بحلب سنة ٤٦٨ ه وأوصى بها لأبنه الصغير ولكن أهل حلب استصغروه فسلّموا البلد إلى ولده الأكبر « نَصْر بن محمود » وكان كريماً ممدّحاً وأفضل مدّاحه من الشعراء أبو الفتيان ابن حَيُّوس الشاعر الذي ترجم له ابن خلّكان (٢)

هذا مابلغنا اليه من التواريخ التى وصلتنا . ولكن الحاجة الى تاريخ خاص بحلب ماسّة بعدُ . فإنا نجد في ثَبَت كتبه (٣) رسالة سمّاها السَنَديّة وهي فى جزء . وروى بعض العصريين (٤) أنه عملها لسند الدولة الذي كان نُقل من أفامية الى حلب واليًا عليها سنة ٤١٤ ه فالعُهدة عليه فإنّا لم نجده فى وُلاتها . ونجد

(١) أدبا ١ : ١٨٨ ـ

(٢) ٢ : ١٠ ـ

(٣) أدبا ١ : ١٨٨

(٤) مرجليوث ٣١ عن ابن العديم ـ

فيه بعض كتب صنعها لأمراء لم يسمّهم كتضمين الآي وعبث الوليد أو سماهم كالرياش المصطنعي عمله للأمير مصطنع الدولة أبي غالب كليب بن علي ولكن لم يتصل بنا أخبارهم .

قضاء الحاجات

لما علم الناس بما له من الخطر والقَدْر والمنزلة في نفوس أمراء العصر . أسأموه بالاستشفاع في قضاء الحاجات . وأبرموه بالاستنجاد في تحقيق الطَلِبات ويظهر من ر الـ ٣٠ (١) أن لم يكن هو مخصوصاً بذلك بل ان أخاه الاكبر أبا المجد كان يتقيّل آثارآبائه في الكرم . ومَنْ يُشابه أبَه فما ظلم . قال « وأما سيدي أبو المجد فشغله من قلّة الفائدة يكاد يمنع نومه ، وينتظم ليلته ويومه . فأما نهاره في أشغاله فكأنه سِلك قَصُر ، في نظام كَثر . وإنما عامة ذلك في حاجة من ليس له شكر مسموع ، ولا في معونته ان شاء الله اجر مرفوع » . وكذا اخواله فقد كتب (٢) الى أبي طاهر « ولو ادّعيتُ المروأة لزعمتُ أني تعلّمتُها من آل سَبيكة كثّرهم الله » . وصرّح في أخرى اليه أن اسفاره للمتاجر ليست الالمعونة الآخرين والا فان الله أغناه بالكفاف عن تجشيم ذوات البُرين . وهذا لفظه (٣) « وإنّ مروّته تغلب حاله ، وتجشّمه السفر وارتحاله »

فلم يكونوا يُخلُّونه في وحدته . بل يُخلّون بعزْلته . فيستشفعون به إلى بعض أولياء السلطان فيتكلّف لهم ذلك بكرم خِيْمه وطِيْب نِجاره فيرجعون بتحقّق الحاجة وإنجاح السُؤل وقضاءِ المأمول شاكرين ليده التي أسداها . أو كافرين

---

(١) ص ١١٢
(٢) ص ٤٤
(٣) ص ٤٣

لصنيعته التي عاناها . وقد عقد الصاحب ابن العديم الباب العاشر من كتابه في حرمته عند الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء أطال فيه وأوفاه حقّه من العناية .

كما أن الرؤساء كانوا يتقاضونه يداً بيد أن يجيز (١) لهم أبياتاً يعرضونها أو ينشيء شعراً على أغراضهم (٢) أو ألسنتهم أو يَسِم كتاباً بأسمائهم (٣) وهو جُهْدُ المُقِلّ وبضاعة المُدْقِع . مع أنه كان يُبدي لهم براءته من العلم (٤) ويعتذر بالكِبَر . ويُظهر التبرّم والضَجَر . وأنْ ليست هاتيك العلوم مما يُغني عنه في العقبى قُلامةَ ظُفُر .

فسترى أنه شفع الى صالح لبني وطنه فعاد مشفَّعاً ورجع محفوفاً بالإكرام مشيَّعاً .

ومن الباب ر ا ٣١ إلى بعض أولياء السلطان يشفع في صديق له كان عاملا يُعرف بالحسين بن عُنَيْسَة بن عبدالله . ويظهر من فحواها أنه كان تقدّم له ترسُّلٌ إليه في هذا الغرض . إذ شكر فيه من أبي فلان وأنه لولا المُراسَل إليه لم يَسْلَم : وأنه لايزال هو وأهله داعين لولىّ نعمتهم ويُبدي له انحيازه إليه وأنهما رضيعا لبان وفرسا رهان . ثم يطلب منه أن لايزال يُسْعِد الرجل بآرائه حتى يتمكن على الرجوع إلى وطنه وسَكَنه . وزعم بعض أهل الغرب (٥) أنها رسالة سياسيّة لرجل نُفي من وطنه وأن ر ا ٤ تدلّ على أن أبا العلاء شُفِّع ولكنا لانتمكّن بالجزم في الباب . على أن الغربيين لِلَهَجِهِم بالسياسة لو طنَّتْ ذبابةٌ على رؤسهم لزعموها إمّا لهم وإمّا عليهم . ور ا ٤ إن ثبت لها علاقة

(١) س ١ : ١٨٧
(٢) تقاضاه بعض الامراء أن ينشيء قصيدة تهنئة بالعرس وانظر س ١ : ١٤٧
(٣) كتضمين الآي و لرياش وغيرهما ومر شرحه آنفا .
(٤) انظر ر ا ٣٦ وطرفي الملائكة الاول والآخر
(٥) مرجليوث ٣٢

بأختها السابقة فإنها تدل على إنجاح المرام وإسعافه بمأموله . أظهر فيها أن المراَسل به جَمَّل أمرَ جماعة بحضرة رئيس ولم يُسَمِّ الثلثة

ومنه كتابه في أمر ابن سعيد وكان من بيت ابن سِنان القاطنين بحلب الى عزيز الدولة ـ وكان صاحبنا يَبْذُل لآل سنان نخيلةَ صدره ـ فذكر أن القاضي أبا جعفر (؟) لا يمكنه أن يعزم على السلطان وانما المأمول في الحاجـة أبو نصر [صَدَقة الفلاّحي] ور الـ ٣٦ تظهر أنه شُفع فيه فتدَرّج ابن سعيد الى الوزارة أو ما يضاهيها وتقدم الى صاحبنا برغبة صاحبـه عزيز الدولة في اختصار كليلة ودمنة وأمثاله على ما مر كله آنفاً . ور الـ ٤٠ تصرح بما ناله ابن سعيد من المقام الرفيع وثبط فيها من عزيمته على الحج زاعماً أن اقامته بحلب وهي من الثغور يُرْجى به أضعافُ مافي الحج من الاجور

ور الـ ٣٢ الى مجهول في استطلاق محبوس والصفْح عن جنايته

ور الـ ٣٣ الى قاض في مثله من الأغراض

وله دالية من س [1] وكان أبو عبد الله ابن السقاء الكاتب سأله ان يعمل قصيدة الى صاحبه يصف له [فيها] ماشاهد منه من الوفاء والإخلاص

---

(١) ١ : ١٧٤

هو وصالح بن مرداس الكلابي

قال أبو غالب ابن مهذَّب المعري [١] ومرّ في التلامذة في تاريخه في سنة ٤١٧ هـ [٢] صاحت امرأة [حامل] يوم الجمعة في جامع المعرّة وذكرت أن صاحب الماخور [٣] أراد أن يغتصبها نفسها . فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونَهَبوه. وكان أسد الدولة [صالح] في نواحي صيْدا فوصل الأمير أسد الدولة فاعتقل من أعيانها سبعين رجلا وذلك برأي وزيره تادرس [٤] ابن الحسن الأستاذ [النصراني] وأوهمه أنّ في ذلك إقامةً للهَيْبة . قال ولقد بلغني أنه دُعي لهؤلاء المعتقلين بآمِدَ وَمياّ فارِقِيْنَ على المنابر . وقطع تادرسُ عليهم ألفَ دينار . وخرج الشيخ أبو العلاء المعرّيّ إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرّة وقال له « مولانا السيّد الأجلّ أسد الدولة ومقدّمها وناصحها كالنهار الماتع اشتدّ هجيرُه وطابَ أبرادُه ، وكالسيف القاطع لان صفحهُ وخَشُنَ حدّاه . خذ العفو وأمر بالعُرْف وأعرض عن الجاهلين . » فقال صالح قد وهبتُهم لك أيُها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قُطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه . ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعرا وهو [٥] :

تغيّبت في منزلي بُرْهةً ستيرَ العيون فقيدَ الحسد

---

(١) أدبا ١: ٢١٥ ـ

(٢) كذا في الادباء وأراه الصواب ولقل مرجليوث ٣٣ عن الوافي للصفدي عن أبي غالب المعري أن ذلك سنة ٤١٧ هـ ولكن سفارة أبي العلاء وخبره مع صالح وقعا سنة ٤١٨ هـ كما عند ابن الوردي أيضا ١ : ٣٣٨ ـ وروى في ذ ص ٦١ قولا ثالثا وهو انه وقع سنة ٤١٩ هـ ولا أدري من أين ؟ والقول ما أثبتناه في المتن .

(٣) مجمع الفساق والخمّارين معرّب مي خور فارسية بمعنى شارب الخمر وقيل عربية لتردد الناس به من مخر السفينة كما قاله ثعلب وجمعه مواخير ومواخر ـ

(٤) *Theodore* ـ

(٥) ل ١ : ٣٤١ ـ

فلما مضى العمر إلاّ الأقل وحُمَّ لروحي فراقُ الجسد
بُعثتُ شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأيٌ فَسَدْ
فيَسْمَعَ منّيَ سجع الحمام وأسمعَ منه زئيرَ الأسد
فلا يُعْجِبَنّيَ هذا النِفاق فكم نفقتْ مِحنةٌ ما كَسَدْ

وسياق أبي غالب صحيح لا غبار عليه ويوافقه ما يأتي من أبيات أبي العلاء الرائية. وقال القِفْطي[١] ما ملخّصه وجدتُ على ظهر كتاب ديوان الأعشى في مدينة قِفْط في سنة ٨٥ (يريد ٥٨٥ هـ) حُكي أن صالح بن مرداس صاحب حلب نزل على معرّة النعمان مُحاصِرا لها ونصب عليها المناجيق واشتدّ في الحصار لأهلها فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء لعجزهم من مقاومته لأنّه جاءهم بما لا قِبَلَ لهم به. وسألوا أبا العلاء تلافيَ الأمر بالخروج إليه بنفسه وتدبير الأمر برأيه إمّا بأموال يَبذُلونها أو طاعةٍ يُعطُونها. فخرج ويده في يد قائده وفتح له بابا من أبواب معرّة النعمان وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل. فقال صالح هو أبو العلاء فجيئوني به. فلما مَثَل بين يديه سلّم عليه ثمّ قال الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع قاظ وسطه وطاب أبرادُه. أو كالسيف القاطع لان متنه وخشن حدّاه. خذ العفو الآيةَ. فقال صالح لا تثريب عليكم اليوم قد وهبتُ لك المعرّة وأهلها وأمر بتقويض الخيام فنضت ورحل. ورجع أبو العلاء وهو يقول[٢]

نَجّى المعرّةَ من بَراثن صالح رَبٌّ يُعافي كلَّ داء مُعْضِل
ما كان لي فيها جَناحُ بعوضه ألله ألحَفَهم جَناحَ تفضُّل

اهـ

وعند الذهبي[٣] عن القفطيّ أيضاً زيادةٌ وهي بعد قوله قد وهبتها لك ثم

(١) أدبا ١ : ٢١٥ ـ
(٢) ل ٢ : ٢٠٢ وقبلهما
آليت أرغب في قميص بموتهِ فكون شارب حنظل من حنظل
الحنظل الثاني الماء المجتمع في نقر الصخور
(٣) ١٣٠

قال له أنشِدنا شيئاً من شعرك لنرويه فأنشده بدبها أبياتاً فيه اه فأنت ترى أن سياق القِفطي لايخالف ما مرّ ولاما سيأتي في شيء غير أنه أوضح بعض زوايا الحكاية مما لم يكن في إهمالها نقصٌ ما . وذكر أبو العلاء هذه القصة على ما مرّ في لزومه فقال :

أتت جامعٌ يوم العَروبة جامعا — تَقُصّ على الشُهّاد بالمصر أمرَها

فإن لم يقوموا ناصرين لصوتها — لِخالتُ سماء الله تُمْطر جَمْرَها

فهَدّوا بناءَ كان يأويْ فِناءَه — فواجرُ ألقتْ للفواحش خُمرَّها

وزامرةٌ ليست من الرُبْد خَضّبت — يديْها ورِجلَيْها تنفّق زَمْرَها

ألفِنا بلادَ الشام إلْفَ وِلادة — نُلاقِيْ[1] بهاسُوْدَ الخطوب وحُمْرَها

فطوْراً نُداري من سُبيعةَ ليثَها — وحينا نُصادِي من ربيعة نُمْرَها

.....

وَدِدت بأنّي في عَمايةَ فاردٌ — تُعاشرني الأرْدَى فأكرَهُ قُمرها

.....

فإني أرى الآفاق دانت لظالم — يَغُرّ بغاياها ويشرب خمرها

.....

ولولا أصول في الجيـاد كوامنٌ — لما آبت الفرسانُ تَحْمَدُ ضُمْرَها

ولعل البيتين الأخيرين ينظران إلى تادرس الوزير . فإنه لم يَهْجُ صالحاً . ولمّا ردَّه صالح بالإكرام وإنجاح المرام لَهِج به في شعره فقال . ل :

مالُمتُ في أفعاله صالحاً — بل خِلْتُه أحسنَ منى ضميرْ

يا قوم لو كنتُ أميراً لكم — ذممتم في الغيب ذاكِ الأمير

وإنما سائسكم دائبٌ — يرعى المطايا ويسوق الحميرْ

(١) وفي الاصل تلاق وهو تصحيف .

يامحلّي عليك مني سلام سوف أمضي وينجزُ الموعودُ
ليت شعري عمّن يحلّك بعدي أقيامٌ لصالح أم قعود

لا تُملك لى وأرى الدنيا تحاصرني وما حججتُ وقد لاقيتُ إحصارا

تنكّر صالح فضبابُ قيس ضِبابٌ يتقين من آحتراش

أحَيٌّ كلاب قد رعى النبتَ قبلكم فريقٌ وشاموا في حنادسهم برْقا

وزعم بعضهم (١) أن المؤرخين مختلفون في القصّة اختلافاً كثيراً ولم يستطيعوا أن يجزموا بمصدرها أو نتيجتها ولا علّة لذلك إلا أنهم لم يدرُسوا ل فإن أبا العلاء بيّن فيه الواقعة وسمى المرأة جامع (؟) فلو أنهم قرأوه لما اضطربوا اه ملخّصاً. وكلّ هذه القعقعة تمهيد لاكتشاف الرائيّة المارّة فانه حاز فيها فضل السبق . إلاّ أننا لم نر حرفاً واحداً يكون مصدر اختلاف لهم ولا ننبزهم بالجهل عن ل وهم هم . ولم يسمّ أبو العلاء المرأة جامعاً وإنما الجامع كل حامل (٢) من النساء -

وأما الأبيات التي أنشدها صالحاً بديها فقال بعضهم (٣) أنها الرائيّة المارّة واراه غلطا منه فإن صاحبنا لم يكن سوء الأدب بلغ به إلى ان ينشد صالحا على وجهه «فإني ارى الآفاق دانت لظالم.. البيتين »وان كان ذلك تعريضا بوزيره. ورأيتُ في ل أبياتاً وحرَى أن تكون هي هي . وهي :

ياصالحْ اجعلْ وصفَ شخصك واسمَه مِثلَيْن إنك في بحارك ماهرُ
ما فِضّة الانسان إلاّ فَضّة والتبر تتبير - وجدّك ظاهر
والدُرّ دَرّ للهموم تُسِرّه إن الجواهر بالأذاة جواهرُ (٤)

(١) صاحب ذ ٢٠٩ و ٢١١ و ٦١
(٢) كما فى المستدرك على القاموس من التاج
(٣) صاحب ذ ٦٢ -
(٤) من الجهار بمعنى العلانية

هو وابن القارح دوخلة[١] سنة ٤٢٤ هـ

وابن المهذب نحو سنة ٤٣٥ هـ

هو علي بن منصور كما في الغفران [٢] ابن طالب الحلبي أبو الحسن الملقب دوخلة . وقال في رسالته [٣] انه كان يدرس على ابن خالويه بحلب ولما مات سافر إلى بغداد ونزل على ابي علي وكان يتردد الى علمائها إذ ذاك كأبي سعيد السيرافي والرُمّاني والمَرْزُباني وأبي حفص الكتاني ـ قال ابن عبد الرحيم [٤] شاهدناه ببغداد راوية للأخبار حافظا لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قؤوما بالنحو . وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . وكان آخر عهدي به بتكريت سنة ٤٢١ هـ [٥] ثم توجه الى الموصل وبلغتني وفاته من بعد وكان يذكر أن مولده بحلب سنة ٣٥١هـ ولم يتزوّج ولا أعقب اه المقصود . وأما توجّهه الى الموصل فقد ورد ما يدل عليه في رسالته وفي الغفران أيضا . ولكن قوله في الوفاة مُوْهِمٌ فإن أبا العلاء بعث اليه غفرانَه سنة ٤٢٤ هـ كما صرّح بذلك فيه [٦]. وأما قوله إنه لم يتزوّج فهو كما قال إلاّ أنه ذكر في إقامته بحلب امر التزويج على [٧] ما

(١) ونقل البديعي فصلا من كلامه يدل على سعة مداركه ١ : ٤١٦ وأما دوخلة فاني وجدته في الامثال البغدادية للطالقاني بعد برهة ولفظه تحت رقم ٢١٢ « خذ من عقله في دوخلة » مثل للأحمق ـ والدوخلة من خوص مثقّبة لا يبقى فيه شيء كثيف اه وفي مثل آخر رقمه ٢٦٧ « سركم عنده في دوخلة » مثل لمن يفشي أسرار الناس

(٢) ١٨٤

(٣) ٢٠٨

(٤) أدبا ٥ : ٤٢٤

(٥) وفي طبعة الأدباء سنة ٤٦١ وهو تصحيف من ناشره في ابدال اسماء الاعداد بالارقام ـ فانه يلزم على هذا أن يكون بلغ من العمر نحو ١١٥ سنة ـ ومستدلنا ما نقله محمد محمود الشنقيطي في أول الغفران عن الادباء وفيه في سنة الوفاة ما أثبتنا ـ ولفظ البغية وقد أخذ الترجمة عن ياقوت وكان حياً سنة ٤٢١ هـ

(٦) ١٤٩

(٧) الغفران ١٧١

تحدّث به بعض الطلّاب لأبي العلاء فرجّح صاحبنا له البكرَ على الثيّب لولا انه يحتاج إلى معين في ضعفه فأشار عليه بالعوان . وأدَّبَ أبا القاسم المغربيّ بمصر وله فيه أهاجيّ ثم أدّب ولديْ الحسين بن جوهر القائد (١) .

ولما رآه أبو العلاء يبحث عن مكنون علمه ويستنبط ، ألقى اليه مقاليد معارفه كما قيل « أكرمت فارتبط » . وبثّ له عُجَرَه وبُجَرَه . وأراه حجوله وغُرَره . مع أن له عِدّةً من طوال الرسائل والرِقاع . إلى النابهين من علماء الأصقاع والبِقاع . ولكن أحداً لم يتمكّن من استخراج خبيء علمه المصون . تمكُّن دوخلة منه في استنباط العيون

وتطرّف إلى ذكر المتنبيء ودعواه النبوّة وسائر الزنادقة والملاحدة . والدهرية والجاحدة . قال ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشُبَه والشكوك على المسلمين ، ويستعذبون القدح في نبوّة النبيّن صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتطرفون ويتذوّن إعجابا بذلك المذهب تيه مغنّ وظرف زنديق (٢) . ثم ذكر كثيراً من مثالبهم ومصايرهم . ومواردهم ومصادرهم . فكأنّه استورى بذلك زَنْدَ صاحبنا وقَدَحه . فرأى عنده من أخبارهم مابَهَرَه به إذ شرحه . وأُتْرِعَ منه مزادته وقَدَحه . فلم يُطق حمل ماناء به إذ فدَحَه

وأما ابن المهذب فهو جعفر بن علي بن المهذب لم نعلم فيه إلاّ أنه رثاه صاحبنا (٣) بتأبينة من خيرات التآبين وحسانها وجيادها لاهجآتها ذكر فيها أخا للميّت وخمسة أولاد له . وذكر بعضُ العصريّين (٤) أنه أحد فقهاء المعرة وأدبائها المشهورين وتوفى نحو سنة ٤٣٥ ﻫ والعُهدة عليه

(١) رسالته ٢٠٨ ـ

(٢) من امثال المولدين انظره فى كتابنا معجم الامثال ـ

(٣) س ٢ : ٢ ـ

(٤) هو شارح الجانى ١٢٤٩ ـ

ناصر خُسرو العلوي

الحكيم الفيلسوف

يوجد اسمه في أول رحلته هكذا أبو معين [الدين] ناصر بن خسرو القبادياني المروزيّ وقباديان قرية حوالي مَرْوَ وسكن بلخ . وأهل العصر يرتابون في كونه علوياً . وانفصل في رحلته عن مَرْوَ سنة ٤٣٧ ه واجتاز بقزوين وتبريز وميّافارقين وحرّان إلى حَلَبَ ثم وصل لـ١٣ مضين من رجب الفرد سنة ٤٣٨[1] بمعرة النعمان وانفصل منها لمنتصف رجب . فلم يلبث إلاّ نحو يومين ولم يلق أبا العلاء بنفسه وروى ماسمعه فيه من الأخبار مما نقلنا كلّه في مظانّه . واجتاز في طريقه بمصر وذكر من أُبّهة المستنصر وعظمته مارآه بعينيه ويوجد له عدة قصائد فارسية في مديحه وهناك اعتنق مذهب الفاطميين وأخذ على نفسه أن يكون داعية لهم بإيران وحجّ ثلاث حَجّات ورجع إلى مصر ثم إنه ودّعها وحجّ رابعة سنة ٤٤٢ ه ثم رجع على طريق تهامة واليمن إلى الأحساء وشاهد القرامطة ولقيهم ويظهر أنه كان هواه معهم ثم وصل البصرة سنة ٤٤٣ ومنها إلى اصفهان أول سنة ٤٤٤ ه ثم منها الى بلخ في جمادى الآخرة حيث لقى أخويه أبا سعيد وأبا الفتح عبد الجليل

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المُسافِرُ

وكان متفلسفا حكيما له في علم الكلام كتاب زاد المسافرين . وله عدة كتب أخرى أكثرها منظومة . وكان أخذ بعد الرجوع في بثّ دعوة العبيديين ببلاده فنُفِى منها بأمر الخليفة العبّاسيّ ولكنه لم يزل يدعو اليهم باقى حياته

---

(١) لاسنة ٤٢٨ كما زعم صاحب ذ ٢١٥ والعجب أنه أقام على أساسها صروحا .

هو وداعي الدعاة الفاطمي

هو على ما سماه ياقوت[١] أبو نصر هبة الله بن موسى ابن أبي عمران . وورد في عنوان مختصر الرسائل الدائرة بينه وبين المعري الموجود ببعض الخزائن[٢] الداعي في الدين عصمة المؤمنين[٣] أبو نصر هبة الله . وورد في الخِطَط[٤] ذكر قبر باسم هبة الله بن موسى العجمي والظاهر أنه هو . وكان هذا الرجل إمامياً داعيا إلى مذهب الفاطميين كما قال ابن حجر[٥] . وتمام اسم هذا المنصب على ما في صبح الأعشى[٦] « داعي الدعاة بالبراهين الظاهرة إلى استعلام الحقائق » . وفيه[٧] أيضا أن هذا المنصب كان عندهم عالي المرتبة .

وأما هذه الرسائل الدائرة بينهما فإنها لها حقاً لا مجال للريب فيه . فقد ذكر غرس النعمة[٨] وقوعها بينهما ولكنه كنى الداعي برجل ولفظه لقيه رجل فقال له لِمَ لا تأكل اللحم ؟ قال أرحم الحيوان . قال فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه . وإن كانت الطبائع المُحْدِثةَ لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن عملا فسكت اه وقد ذكرها[٩]

---

(١) أدبا ١ : ١٩٥ .

(٢) خزانة ليدن انظر فهرستها ١ : ٢٩٦ وفيها له الى أبي العلاء خمس رسائل (وهذا عدد رسائلهما جيعاً) جمع مضامين في هذين الجواب والخطاب ثم أوردها : ومنها الرسائل من كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام للشيزري الذي ذكره ابن خلكان ١ : ٢٣٨ .

(٣) وردت هذه الكلمة في رسالة أبي العلاء اليه (أدبا ١ : ٢٠٤)

(٤) ١ : ٤٦٠

(٥) اللسان ١ : ٢٠٧

(٦) ٦ : ٤٨

(٧) ٩ : ١٨

(٨) أدبا ١ : ١٧٠ واللسان ١ : ٢٠٦

(٩) أدبا ١ : ١٩٤ وذلك المثال تصحيف ومنه نسخة بجامع أياصوفيا وعدده في دفتره المطبوع سنة ١٣٠٤ هـ ٤١٥٧

ابن الهبارية أيضاً في فَلَك المعاني له

وورد فيها أنه ترك اللحم حين بلغ ثلاثين عاماً . وفيه تصديق لقول ابن حجر[١] المارّ أنه بقي في صنعاء سنة لا يأكل اللحم وأنه مضى على تركه له ٤٥ عاما . أي إن بدء الترسل حين بلغ ٧٥ عاماً من عمره وفي سنة ٤٣٨ ﻫ . وكانت مراسلته من حلب كما صرّح به[٢] لا من مصر كما ذهب على بعض العصريّين[٣] . وتقدم الدّاعي ـ لما كتب إليه صاحبنا أن إضرابه عن اللحم لضيق ذات يده ـ برغبته في أن يكتب (بل كتب) إلى تاج الأمراء حتى يُدِرّ له من الرزق ماهو حظ مثله من ألذّ الطعام . وهذا التاج هو أبو الدوام [٤] ثابت بن ثمال بن صالح ابن مرداس الذي عمل لابنه عزيز الدولة وغرْسِها صاحبُنا اللامعَ العزيزيّ . وكان جُلّ آل مرداس متشيّعين إذ ذاك كما مرّ لنا ذكره في باب الحكام . وذكر ابن الوردي أن سعد الدولة أبا المعالي زاد سنة ٣٦٩ ﻫ في الاذان « حيّ على خير العمل » وهذا على أن ابن بطلان صرّح في رسالته إلى غرس النعمة[٥] أن الفقهاء كانوا يفتون بحلب نحو سنة ٤٤٠ ﻫ على مذهب الإمامية . وليس التاج هذا صدقة الفلاحي[٦] فإنه كان إذ ذاك مخيّما بمصر مرتبكا في مضايق السياسة فتولّى الوزارة للمستنصر سنة ٤٤٠ ﻫ وبقي ثلاثة أشهر وفيها قتل [٧]

---

(١) ١ : ٢٠٤ اللسان

(٢) ادبا ١ : ٢٠٩

(٣) صاحب ذ ٦٩ ومرجليوث ٣٩ ـ والمجلة ج ٣ ص ٣١٤

(٤) ادبا ١ : ١٨٨ ـ فلعله كان مقيما عند أبيه ثمال صاحب حلب (٤٣٤ ـ ٤٤٠) اذ ذاك على ما مر

(٥) انظر بلدان « حلب » والحكماء للقفطي مصر ١٩٤ ـ

(٦) كما زعم مرجليوث في مقدمته على هذه الرسائل بمجلة الجمعية الاسيوية ص ٢٩٠ سنة ١٩٠٢ م

(٧) على ما مر في باب الحكام

هو ووزير (١) محمود بن [نصر بن] صالح

يسلك محمود وأمثاله طريقَ خاقانٍ وكُنْداج

روى سبط ابن الجوزي (٢) في مرآة الزمان قال الغزالي حدثني يوسف بن علي بأرض الهركار [التى ينبات أرضها خواص عظيمة نذكر نبذاً منها في أماكن (؟) هذا الكتاب وشيئاً في كتاب السلسبيل قال يوسف شيخ الإسلام] دخلت معرّة النعمان وقد وشى وزير محمود بن (؟) صالح اليه بأن المعري زنديق (برهميّ سر) لايرى إفساد الصور ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل . [ولم يزل الوزير جاهداً حتى حمل الملك على أن] فأمر بحمله اليه وبعث خمسين فارساً ليحملوه [فدخل إلى الشيخ رجلان من أصحابه وأعلماه بالقصّة فدخل المعري المسجد فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة . فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان وقال ياابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود يطلبك فإن منعناك عجزنا وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمام ويركب تنوخَ (٣) الذُلّ والعار . فقال له هوّن عليك ياعمّ فلا بأس علينا [وأكرم أضيافك] فلي سلطان يَذب عني ثم [قال الشيخ لغلامه قنبرَ قدّم الماء فقدّمه إليه و] اغتسل وصلّى الى نصف الليل . ثم قال لغلامه انظر إلى المرّيخ أين هو ؟ قال في منزلة كذا وكذا . قال ارقُبه واضرب تحته وَتِداً وشُدَّ في رجلي خَيْطاً واربطه الى الوتِد . ففعل غلامه ذلك فسمعناه يقول ياقديم الأزل ياعلة العِلَل ياصانع المخلوقات ومُوْجِدَ

---

(١) ذكر الكتبي ١ : ٢٣٣ وزيراً لمحمود بن صالح (؟) وسماه أبا نصر محمد بن الحسين بن النحاس . ثم ذكر حكاية تدل على تشرد محمود ومثله عند ابن خلكان ١ : ٣٦٧

(٢) النكت ١٠٧ ـ وروى الخبر صاحبا نسمة السحر ١ : ١٠٩ ونزهة الجليس ١ : ٢٨٠ ـ عن ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء ولم أجده في النسخة المطبوعة منه . وابن الوردي أيضاً ١ : ٣٦٠

(٣) في الاصل تنوخا

الموجودات ، أنا في عزّك الذي لا يُرام وكَنَفك الذي لا يُضام ، الضيوفَ الضيوفَ ! الوزيرَ الوزيرَ ! ثم ذكر كلمات لا تفهم [حتى برق بارق الصبح] واذا بهدّة عظيمة . فسألنا عنها فقيل وقعت الدار [1] على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الخمسين . وعند طلوع الشمس وقعتْ بطاقةٌ من حلب على جناح طائر لا تُزْعجوا الشيخ فقد وقع الحَمام على الوزير . قال يوسف فلما شاهدتُ ذلك دخلتُ على المعرّي فقال من أنت ؟ قلت أنا من أرض المركار فقال [سر . حملوك على قتلي و] زعموا أني زنديق . ثم قال اكتب . وأملى عليّ وذكر أبياتاً من قصيدة ذكرتها أنا وأولها : أستغفر الله في أمني وأوجالي[2] اه (وراجع تمامها في الفائت) .

والزيادات واختلاف الروايات بين القوسَيْن من سر العالمين[3] المنحول للغزالي . ولعل السِبْط منه أخذ ولكن قبل أن يَعْبَثَ به يدُ الكاشفي[4] . ولعل عَجْب الذَنَب من هذا الخبر والفقار هما اللذان سلما وأما اللحم والشحم والصرِْم فكله مخدوش . و « أول من خَدَشَ الخَدُوشَ أنوشُ » . فإن بيت

(١) بعده في السر على ثمانية وأربعين رجلا

(٢) نقل هذه الحكاية صاحب سكردان السلطان (ص ٢٧ مصر سنة ١٢٨٨ هـ) عن طبقات ابن أبي أصيبعة ـ ولكني لم أجدها فيها فلعلها ثابتة في بعض نسخها

(٣) طبعة حجر بومباي ص ٣٨ و ٣٩

(٤) الواعظ المغرم بالطلسمات وهو صاحب المقدمات على عدة كتب فيها أبرزها وزعم أنها كانت من الناس منال العيوق وورد في مقدمة السر أن أول من قرأ الكتاب عليه واستنسخه محمد بن تومرت [المهدي المغربي] ثم أتى الكاشفي بمقدمته وذكر فيها أن الناس صاروا يعدون الكرامة سحراً وكهانة ويكذبون وجود هذا الكتاب الى أن وفق لابرازه سيد الوزراء ابن أبي منصور ـ والعجب كل العجب أن وافق شن طبقة أي كتب ناسخه بآخره « نقل من نسخة بخط المؤلف بالكتب خانة الخديوية . كتبه عبد العظيم طالقاني (؟) سنة ١٣١٤ هـ » والمصنف كائنا من كان لحنة محرف لا شك وانظر حاشيتنا في فصل التلامذة ـ ثم رأيت منه نسخة خطية ليس فيها ذكر الكاشفي أصلا . والعبارات المذكورة فيها كما هي

ل المارّ يدلّ على ماكان محمود يطوي بين ضلوعه منه . ولكنّ سَوْقَ الخبر بطلسمات بليناس . أشبه منه بأبي العلاء وعادات الناس . وقد سردنا من العوادي التي تحول دون تسليمنا إياه على غرّة جُملةً في باب التلامذة وهاك سائرها :

(١) لم يكن أبو العلاء يعرف من النجوم وأحكامها إلاّ مايلزم المتأدّب على أنه إن كان متألّماً فما له ولأحكامها . وعلى أن مافي اللزوم في النجوم يمنع من التصديق . (٢) كلماته ياقديم الخ ليست مما يشبه كلام أبي العلاء (٣) كيف حملوا شيخ الاسلام أو ابنه على قتله أو كيف يزعم صاحبنا بأحدهما مثل ذلك مع أن الشيخ تلميذه الخصّيص به ، ولم يكن يكفيهم الخمسون رجلا أنفذوهم اليه . (٤) جلّ المؤرخين يدعون محمودا ابن شبل الدولة بن صالح لا ابنَ صالح (٥) لم يصر محمود صاحب حلب الا بعد وفاة صاحبنا بثلاثة أعوام كما مر في باب الحُكّام (٦) هذه الحادثة من أعظم الحوادث لم ينقلها أحد من بلديّيْ أبي العلاء كأبي اليسر وأبي غالب وابن العديم والقِفْطي ولا أحد من تلامذته .

وقال بعضهم [١] ان عمه كان مات قبل أبيه والعجب أنه لم يذكر العمّ في سَوْقه للحكاية أصلا ولا سمّاه . وقد بحثتُ فلم أقف على سنة وفاة مسلم . ومسلم وان كان العماد وياقوت أغفلا عنه فانا قد تعرفنا به من مصدر موثوق به وانظره في العامود .

فإن أمكن أن تزول هذه الموانع بحذافيرها وخلص الخبر مما اكتنفه من ركاكة البِنْية وضعف العقيدة والجمع بين الأضداد والأغلاط التاريخية فبأيدينا أمارات من اللزوم تقدّمها لتحقيق أن الوُلاة كانوا يغْرَوْن بتعذيبه . وهي :

كأنى كلّ حول مُحدِث حدَثا   يرى به مَن تولّى المصرَ إغرابي
ولم يكن حدَثه هذا إلاّ « ذَنْبَ صُحْرَ »

(١) صاحب ذ ٢٠٧

ياظالما عقَدَ اليدين مصلّيا ... من دون ظلمك يُعقد الزُّنّارُ
أتظن أنك للمحاسن كاسب ... وخبيُّ أمرك شِرّة وشنار
لا مُلكَ لي وأرى الدنيا تحاصرني ... وما حججتُ وقد لاقيتُ إحصارا

وقال ابن الجوزي في تلبيس إبليس (١) وذكر أبا العلاء وإلحادَه : ولم يزل متخبّطا في تعثّره خائفا من القتل إلى أن مات بخُسرانه . وسيأتي في التآليف وصف رسالة الضبُعَين في تحريف رجلين بيتا من اللزوم كتبها أبو العلاء إلى معزّ الدولة عليّ بن صالح . فلعله هو صاحب هذا الخبر هنا أيضاً وعند الله علمُ الغيب .

أمراضه وعلله

أرى ان ترك اللذائذ والاكتفاء على جَشِيب الطعام وصوم الدهر والاجتناب عن النساء أورثَ أبا العلاء صحةً وعافيةً كما يقول . ل :

أفدتُ بهجران المطاعم صحةً ... فما بيَ من داء يُخاف ولا رِجْنِ

على أنه لم يسلَمْ من عاديات العِلل وإن كانت لم تستحقّ الذكر نظراً إلى صحّته الطويلة . وأرى أن شكواه من الامراض في بعض كلامه ليست إلاّ من طول قعوده بمجلسه أو الضعف الذي خانته به قواه في هرَمه . وهذا شعره . ل في طلب العلم :

ما كنت ذا يُسْر فأجمعه ولا ... ذا صحّة فأحالف التغليسا

يشير إلى عماه

إذا غدوتُ ببطن الأرض مضطجعا ... فثَمَّ أفقِد أوصابي وأمراضي
يداوَى المريض [ا] كيما يَصِحَّ ... وهل صحّة الجسم إلا مرضْ

(١) طبعة دهلي ص ١٦٠

وهذا ينظر إلى قول حميد بن ثور : وحسبُك داءً أن تصحّ وتسلما

ويذكر لنا أنه يؤمن بعَدْوى الأمراض

لا تأمَنَنّ أخا داء ولا ضَمَن   قد يُحْدِث السيف كَلْماً وهو مفلول

ومن غير . ل في الصمَم ومرّ مثله في « نظرة عامّة » :

فلا تلم سمعي إذا خانني   « إن الثمانين وبُلّغتَها »

وانظر تمامه في الفائت

وذكر في التنصل من خدمة عزيز الدولة[1] مرضا لم يسمّ عاقه عن حضور الجُمَع . وذكر في ر إلى خاله أبي القاسم[2] أنه اعتلّ عِللًا كثيرة وذكر أنه سرّح دمه مقدار مائة درهم (؟؟؟)فإن صحّ هذا فإنه إحدى الأعاجيب . وأنه خُدم في هذه العلّة خدمة لم يُخْدَمها فيما سبق .

والظاهر أن أصدقاءه وأقرباءه كانوا يطلبون له الأطبّاء كما ذكروا أنه مرض مرة فوصف الطبيب له الفرّوج فلمسه وقال : استصغروك فوصفوك . هلا وصفوا شبل الأسد . وكما هو في ر إلى خاله المذكورة وكما سيأتي آنفا . وقال . ل :

لضربة فارس في يوم حرب   تُطير الروح منك مع الفَراش

أخفّ عليك من سقم طويل   وموت بعد ذاك على الفِراش

ومرّ في وفاة والدته أمر سقوط ناجذه وبعض أسنانه .

(١) ر ص ٦٠ -

(٢) ر ص ٥١ -

موته

ل في الدنيا :

متى أنا راحل عنها لشأني فإنّي قد قضيتُ بها شغولي
تحفُّوا بالكلام وأكرموني على ما كان من جسد نحيل
دَعُوا هذا المقال وجهّزوني فإني قد عزمتُ على الرحيل

قال القفطي [١] وقد تَنَبّأ ابن بُطلان الطبيب بوفاة أبي العلاء قبل موته بقليل . وكان ابن بطلان يألَف أبا العلاء . وكان بالمعرّة إذ ذاك . فحدّثه بعض الطلبة أن أبا العلاء قد أملَى عليهم شيئاً فغلِط فيه . فتنبأ ابن بطلان بأن ذُبالته قاربت الذبول . لأن من كان كأبي العلاء في قوّة العقل وذكاء القلب وحصافة الرأي لايدركه الخطأ فيما يُملي إلاّ إذا اضطربت قواه وفسد مزاجه . أقول وجمع قوله هذا مع قوله في الحكماء [٢] ان ابن بطلان مات سنة ٤٤٤ ﻫ مشكل . ولكن هذه السنة مصحّفة أو غلط فإن ابن أبي أصيبعة أورد كثيراً من أخباره إلى سنة ٤٥٥ ﻫ وذكر قوله في مُصاب العلم بوفاة أئمّة منهم أبو العلاء .

وقال الشريف أبو يعلى ابن الهبّارية [٣] ـ وذكر خبره مع داعي الدعاة ـ وجرت بينهما مكاتبات كثيرة أمر في آخرها بإحضاره حلَبَ ووعده على الإسلام خيرا من بيت المال . فلما علم أبو العلاء أنه يُحْمَل للقتل أو الإسلام سَمّ نفسه ومات اﻫ وهذه فِرْية من الشريف بلا مِرْية . فإنّنا أوعبنا كل مادار بينهما مطالعةً فلم نر فيه شيئًا مما ذكر من سمّ المعرّيّ نفسَه كما قال ياقوت وقد صَرح قبله غرس النعمة بأن الختم على سكوت المعرّيّ على ما مرّ . وهذا ختام آخر ر

(١) ق ٢٢٤
(٢) مصر ١٩٣
(٣) ادبا ١ : ١٩٤

وهي الداعي في مدح المعري وإطرائه . والاعتذار من إضاعة أوقاته وآنائه . « فما هو حرسه الله على عِلاّته من الضعف والقوّة إلاّ من محاسنِ الزمان وممن سارت بفضله الركبان . . . . والغرض في السؤال والجواب الفائدةُ وإذا عُدمت فقد خَفَّف الله عنه أن يتكلف جوابا . . . . ومن أين لي أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنفات أدبه وشعره . وقبلُ وبعدُ فأنا أعتذر عن سِرّ له أدام الله حراسته آذيته وزمان منه بالقراءة والإجابة شغلتهُ . لأنني من حيثما نفعتهُ ضررتهُ . والله تعالى يعلم أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه والاغتراف من بحره والسلام » اه

وليس ببدع من الشريف أن يَقرِف أبا العلاء بما لم يجْنِ ويَزُنَّه بما لم يأت ولم يسلم من معرّة لسانه ووصمة بنانه أحد من أعيان عصره كما قد نبّه عليه كل من ترجم له . وهذا كله دليل على أن ختام الترسّل وقع قبل موت المعرّي بأعوام فلم تكن حلب من المعرة إلا مسيرة يومين وكان بدؤه كما مر سنة ٤٣٨ ه . وللشريف في صاحبنا [1] خبر بذيء نَقْذع نربأ بأنفسنا عن إثباته . ونَمُنّ عليه بستر عواره والغضّ عن جناياته . وزعم بعضهم [2] أن هذه الفرْية وقعت من غرس النعمة بدلا عن الشريف وكأنه لم يفهم عبارة ياقوت في الأدباء ولا عرف فلك المعاني [3] وهو كتاب للشريف معروف أكثر من النقل عنه ياقوت .

. . . .

(١) الغيث ٢ : ١٩٠

(٢) صاحب ذ ٢٢٥ و « العجب كل العجب من جادى ورجب » قال بعد أن رد على غرس النعمة ما هو براء منه « والعجب أن سلامون الافرنسي لم يفهم ما كتب ياقوت فظن أنه صاحب الرواية واجتهد في الرد عليه ولو أنه فطن لما كتب ياقوت لاراح نفسه من عناء كثير » اه فهل لي أن أنشد قول صاحبنا اذ لم يفهم عبارة ياقوت ولا لمحه « لم يذكر في المراسلات مايدل على ما ذهب اليه ابن الهبارية من سم المعري نفسه »

وبصير الاقوام مثلي أعمى فهلموا في حندس نتصادم

(٣) منه نسخة بجامع صوفيا وعدده في دفتره المطبوع سنة ١٣١٤ ه ٤١٥٧ ـ

قال ابن خلكان [١] : مرض ثلثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث : اكتبوا عني فتناولوا الدُوِيّ والأقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبومحمد عبد الله التنوخي أحسن الله عزائكم في الشيخ فإنه ميّت فمات ثانيَ يوم اهـ ومر عند القفطي اختلاطه في الإملاء على الطلَبة . ولعل الذي كان يريد إملاءه بعضُ نصائح فحسبُ وأما الوصية [٢] فإنه لم يكن يستحسنها وانظر النظرة .

توفى ليلة الجمعة (كما قال [٣] الذهبي والصفَدَي والعباسي واليافعي) أويومَها (كما قال [٤] الكمال ابن الأنباري والسمعاني وياقوت وابن خلكان) ثالث ربيع الأول (كما هو عند ابن خلكان والصفدي واليافعي) أو ثانيَه (كما قال ياقوت) أو ثالث عشرة منه (كما في النزهة والأنساب) سنة ٤٤٩ هـ . ولما مات أوصى أن يكتب على قبره كما قال الذهبي وابن خلكان وغيرهما وفي نسمة السحر [٥] زيادة أنه كان يقوله ويكرره في مرض موته والعهدة على صاحبه ونقله عنه صاحب نزهة الجليس أيضاً

هذا جَناهُ [٦] أبي عليّ وما جنيتُ على أحدْ

---

(١) ١ : ٣٤ . ومر ذكر القاضي أبي محمد في فصل الاقراء والاملاء وفي فصل التلامذة ـ

(٢) وتردد صاحب ذ ٢٢٦ في الخبر وقد علمت له شاهداً مما عند القفطي اغتراراً منه باستهزاء أبي العلاء بمن يوصى .

(٣) ١٣٧ ـ ١٠٩ نكت ـ ١ : ٥٢ ـ ٣ : ٦٣

(٤) ٤٢٧ ـ ١١٠ ـ ادبا ١ : ١٦٢ ـ ١ : ٣٤

(٥) ١ : ١١٥

(٦) بالنقطتين على الهاء كما في الاسعاف وقد تصحف عند الاكثرين فزعموا الهاء هاء الضمير ومثله في المعنى لبعض المغاربة :

لست وحيداً لدى الهي هذا مدى دهري اعتقادي
لو كان هذا لما براني في عالم الكون والفساد

(٧) تاريخه ٢ : ٥٤

وذكر ابن الوردي أن ابن القيسراني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ اجتاز بالمعرة فكتب عند قبر أبي العلاء :

نزلت فزرت قبر أبي العـلاء فلم أر من قِرَى غيرَ البكاء
ألا ياقبر أحمد كم جـلال تضمّنـه ثراك وكم ذكاء

وقال القِفطي[1] أتيت قبره سنة ٦٠٥ فإذا هو في ساحة بين دُور أهله وعليـه باب [صغير قـديم] فدخلت فإذا القبر لا احتفـال به ورأيت على القبر خُبَّازى يابسة . والموضع على غاية ما يكون من الشعَث والإهمال . وقال الذهبي رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي فرأيت نحواً ممـا حـكى . ونقل الصفدي[2] قال علاء الدين [علي بن المظفَّر[3] الـكندي الشاعر] الوداعي[4] ومن خطه نقلت:زرت قبره بالمعرَّة رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة ٦٧٩ هـ ولم أر عليه شيئاً من ذلك (يريد هذا جناه البيت) وقد دثر ولصق بالأرض وعملت هذين البيتين :

قد زرتُ قبر أبي العلاء المرتضى لمـا أتيتُ معرة النعمان
وسألت من غفر الخطـايا أنه يُهْدِي إليـك رسالةَ الغفران اهـ

ثم إنه[5] غار على منقبة المعرة رئيسُها نورس باشا فرمّ قبره وبناه وأنشأ عليه مكتبا للأطفال كما ورد في بعض أجزاء جريدة العمران . ثم إنه ذكر لنا من زاره[6] سنة ١٩٠٥ م أن قبره محفوف بالـكرامة رآه في إحدى زوايا البلدة وعلى ضريحه كتابة قديمة بالخط الـكوفي (وهذا يضاد من جهة ما مر من قول الوداعي)

(١) دهي ١٣٦ والوفيات ١ : ٣٤
(٢) الغيث ٢ : ١٩٨ ومثله في نسمة السحر ١ : ١١٥
(٣) من الغيث ١ : ٨١ ـ ترجم له في الفوات ٢ : ٨٧ ـ والبيتان في نزهة الجليس أيضاً ١ : ٢٨٦ ـ
(٤) ولد سنة ٦٤٠ هـ وتوفي سنة ٧١٦ هـ كما في مطالع البدور للغزولي ص ٢٠
(٥) وادعى مرجليوث ٤٣ أن متأخري المفتشين لم يقدروا على معرفة محل قبره .
(٦) لويس شيخو في الشرق

وبجوار رمسه قبر بعض تلامذته. وفي غرفة أخرى مجاورة لقبرهما قبر الشيخ محمد الغباري .

ذكراه مدحا وذما

قال غرس النعمة[١] وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلحاده ، ومعنا غلام يعرف بأبي غالب ابن نبهان من أهل الخير والعفة ، فلما كان من الغد حكى لنا . قال : رأيت في منامي البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيان متدلّيتان الى فخذيه وكل منهما يرفع فمه الى وجهه فيقطع منه لحماً يزدرده وهو يستغيث . فقلت وقد هالني : من هذا ؟ فقيل لي هذا المعري الملحد اه وكأنه أجابه بقوله . ل :

تحاسدتِ العيون على منام عَرَفْنَ ﺑِﻜﺬابه وأردن حُسْنَه
فصبراً إن سمعتَ ﺑِﻠﺴان سَوْءٍ من ابنِ مودَّة وتَرَق لَسْنَه

وروى القِفطي [٢] عن القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الكَرَجيّ أنه كان وهو طالب يقع في دين أبي العلاء . فرأى فيما يرى النائم كأنه في مسجد وكأن على صُفّة فيه رجلا شيخاً ضريراً بادنا (؟) والى جانبه غلام يشبه أن يكون قائده. قال القاضي وكنت واقفاً تحت الصُفّة في نفر من الناس . وهذا الشيخ يتكلم كلاماً لم أفهمه . ثم التفت إليَّ وقال ما حملك على الوقيعة في ديني ؟ وما يدريك لعل الله غفر لي ؟ قال فاستحييت منه وسألتُ عنه ـ فقيل هو أبو العلاء . فلما أصبحت أقلعتُ عن النيل منه واستغفرت الله لي وله ـ ثم مضى على ذلك دهر وأُنسيتُه ودخلت المعرة فزرت مسجدَها للصلاة فاذا هو كما رأيت

(١) ذهبي ١٣٢ وفي المعاهد ابن غرس النعمة وهو تصحيف ١ : ٥٢
(٢) ذ ٢٢٧

في النوم وإذا الصفَّة كعهدي بها وعليها راهب يُضفّر البَردي ـ فتقدمتُ اليه وسألته عما يصنع فعرفتُ أنه يعمل الحُصُر لهـذا المسجد وكان على دَيْره أن يؤدي للمسجد هذا العمل كلما احتاج اليه . قال فلما أذكرني ذلك ما أُنسيتهُ سألتُ عن قبر أبي العلاء فزرته فاذا هو مهمل في مكان أشعث وقد نبتت عليه الخُبازى ثم جفت ـ فقرأت عنده واعتذرت اليه وذلك في أوائل القرن السابع اه

وما كان أغناه عن المدح أيضاً وكأنه نظر إلى الصنفين حيث قال . ل :

وَدِدتُ وفاتيَ في مَهْمَهٍ ... به لامع ليس بالمَعْلَم
أموت به واحدا مفرداً ... وأُدْفن في الأرض لم تظْلَم
وأبعَدُ عن قائل لا سَلِمْتَ ... وآخرَ قال ألا يا اسلَم
أحاذر أن تجعلوا مضجعي ... إلى كافر خان أو مسلم
إذا قال ضايقتني في المحلّ ... قلتُ أساؤا ولم أعلم

وقد صدق الأول

إذا مُتّ كان الناس . صِنفان شامت ... ومُثنٍ بصَرْعَيْ بعضِ ما كنت أصنع

التأبين

ل . أعيَّبوني حياً ثم قام لهم ... مُثْنٍ وقد غيّبوني ، إنّ ذا عَجَبُ !

قال تلميذاه (١) الأبهريّ والتبريزي وجمعنا بين قوليهما ولما مات أنشد على قبره بعد موته أربعة وثمانون شاعرا مراثي وخُتم في أسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة . قال ياقوت من جملتها أبيات لعلي بن الهمام [أبي الحسن تلميذه] من قصيدة طويلة :

إن كنتَ لم تُرِقِ الدما زهادةً ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما

(١) ذ ١٣٥ ـ أدبا ١ : ١٧٥ ـ وعند ابن الوردي ١ : ٢٥٨ سبعون

سيّرتَ ذكرا في البلاد كأنه مسك مسامعها [١] يضمّخ أو فما
وترى الحجيج إذا أرادوا ليلة ذكراك أوجب فديةً من أحرَما

كأنه يقول ان ذكرك طيب والطيب لايحلّ للمُحْرِم فيجب عليه الفدية . وفي المعنى لآخر [٢] :

يا كعبة الفضل أفتنا لِمْ لم يجب شرعا على قُصّادك الإحرامُ
ولما تُضمّخ زائريك بطيب ما تُلفيه وهو على الحجيج حرام

ورثاه الأمير أبو الفتح [٣] ابن أبي حَصِينة المعرّي شاعر حلب إذ ذاك بقصيدة طويلة منها :

العلم بعد أبي العلاء مضيّعٌ والأرض خالية الجوانب بلْقَع
أودَى وقد ملأ البلاد غرائبا تَسْرِي كما تسري النجوم الطلّع
ما كنت اعلم وهو يُودَع في الثرَى أن الثرَى فيه الكوكبُ تودَع
جبل ظننتُ وقد تزعزع رُكنهُ أنّ الجبال الراسيات تَزعزَع
وعجبتُ أن تسع المعرّةُ قبرَه ويضيق بطنُ الارض عنه الأوسع
لو فاضت المُهَجاتُ يوم وفاته ما استُكثرت فيه فكيف الأدمع

(١) كذا عند ياقوت وفي المعاهد ونسخة خطية من الوفيات في جامعة بنجاب فسامعه يضمخ ـ وفي الوفيات طبع ايران ومصر والنكت فسامعه تضمخ ـ وعند اليافعي ٣ : ٦٩ فسامعه يعطر قال ان الذكر يعطر السامع والمتكلم أيضاً والمراد بالفم المتكلم وأو اما للترديد واما بمعنى الواو ـ وزعم صاحب ذ أن الجميل ما رآه في نسخة خطية من الوفيات مسك تضمخ منه سمعاً . وأنت ترى أن جميع الروايات لا تخلو من وجه . ولعل بعضها أجمل من روايته ويروى يضمخ منه سمعاً .

(٢) الوفيات ١ : ٤٦٥ ـ وفيه تلقيه وهو تصحيف

(٣) انظر ترجمته في الفوات ١ : ١٢٢ ـ والقصيدة عند ابن الوردي ١ : ٣٥٩ وقال بعد أن سردها فانظر الى ما رثاه به هذا الرجل ووصفه به من تقاه ورفضه للحياة وموته قبل الموت ونطوه وهو أيضا أعلم به من الاجانب

تَتَصرَّمُ الدنيا وتأتي بعده ... أُممٌ وأنت بمثله لا تَسمع
لاتجمع المالَ العتيدَ وُجد به ... من قبل تركك كلَّ شيء تجمع
وإن استطعت فسِر بسيرة أحمد ... تأمَنْ خديعةَ من يَغُرُّ ويخدَع
رفض الحياة ومات قبل مماته ... متطوّعا بأبرّ ما يُتطوّع
عين تَسَهَّدُ للعفاف وللتُقَى ... أبدا وقلب للمهيمن يخشَع
شِيَمٌ تُجمّله فهنّ لمجده ... تاج ولكن بالثناء يرصّع
جادت ثَرَاكَ أبا العلاء غمامةٌ ... كندى يديك ومُزنةٌ لا تُقلِع
ما ضَيّع الباكي عليك دُموعه ... إن الدموع على سواك تُضيَّع
قَصدتْك طُلّابُ العلوم ولا أرى ... للعلم بابا بعد بابك يُقرَع
مات النُهَى وتعطّلتْ أسبابهُ ... وقضى التأدُّبُ والمكارمُ أجمعُ

وقال أبو الرضَى عبد الوهاب بن نوت المعري والعُهدة على الصفدي (١) وإلا ففي الخريدة للعماد في رجال بني أبي حُصين المعريّين أبو الرضَى عبد الواحد ابن الفرَج بن النُوْتِ المعرّيّ المتوفى سنة ٤٨٠ هـ وهو الصواب إن شاء الله .

سُمْرُ الرماح وبيض الهند تَشْتَوِر ... في أخذ ثأرك والأقدارُ تعتذر
والدهر فاقدُ أهلِ العلم قاطبةً ... كأنهم بك في ذا القبر قد قُبِروا
فهل ترى بك دارُ العلم عالمةً ... أن قد تزعزع منها الرُكْنُ والحَجَر
والعلم بعدك غِمْدٌ فاتَ مُنصلُه ... والفهم بعدك قوس ماله وَتَرُ

---

(١) النكت ١١٠ ـ ثم انه حقق ظني خبر ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن سنان الخفاجي الذي أورده الازدي في البدائه ٢ :٤٤ ورد فيه اسمه عبد الواحد اهـ ـ فالحمد لله على ذلك ـ ثم وجدته في نسخة الوافي للصفدي الخطية بلكنؤ أبا الرضا عبد الواحد بن نوت على الصواب . فتعين أنه مصحف في النكت أو سبق قلم

ماكتب فيه

(١) جزء في أخباره لأبي طاهر السِلَفي تلميذ التبريزي . وهو أقدم كتاب صُنّف في أخباره . ولا نعرف عنه غير أن ابن خلكان [١] والأزدي صاحب بدائع البدائه رويا عنه لغز الطبري وجواب أبي العلاء لما ورد بغداد على ما مرّ . وغير أن الذهبي قد أكثر عنه من نقل أخباره في تاريخ الإسلام له . قال السِلَفي [٢] وقد أورد قدراً كافياً من مناقبه ومثالبه « وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات . وله في التوحيد وإثبات النبوّة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوّة والمروّة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسير » وقال أيضاً [٣] « انه تاب وأناب »

(٢) العَدْل والتحري في دفع الظلم والتجري على أبي العلاء المعري للكمال ابن العديم الحلبي يروي فيه عما وجده بخطّ أبي اليَسَر شاكر وهو حفيدُ حفيدِ أبي المجد أخي أبي العلاء الأكبر وكأنّ جُلّ ما أورده ياقوت من أخبار أُسرته من الباب الثاني منه ويروي عنه الصفَدى في النَكْت. والعجب من ياقوت وهو صاحبه أنه لم يذكر هذا الكتاب في ترجمته وذكره الكتبي [٤] والصفدى [٥] وخليفة وابن الوردى في تاريخه . وقد وُجد أكثره .

(١) ١ : ٢٣٣ - ٢ : ١١٤ - ولاء -
(٢) ذ ١٣٥ -
(٣) نكت ١٠٤ ولفظه وأظن الحافظ السلفي قال انه الخ
(٤) ٢ : ١٠١ وسماه دفع الظلم والتجري عن الخ كما في الكشف
(٥) نكت ١٠٥ وسماه التحري في دفع التجرى على الخ و ١٠٩ وسماه دفع التجري وعلى نسخته المخرومة الآخر بدمشق الانصاف والتحري ومثله في نسخة مصر

(٣) دفع المعرة عن شيخ المعرة لمؤلف من الاعيان مجهول وهو أقدم من ابن العديم عصراً نقل عنه ابن الوردي في تاريخه [١] أن أبا العلاء وُجد في اللزوم متذبذبا حائراً في الدين لكن الكتب التي ألَّفها بعد ذلك خصوصا ضوء السقط تُصْلِح هذا الفساد وتوضح رجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده . والضوء خاتمة كتبه والأعمال بخواتمها اه .

(٤) نصر الأعيان [٢] على شعر العميان لابن الوزير اليماني صاحب إيثار الحق على الخلق في التنفير من شعر أبي العلاء .

(٥) رجمة العفريت [٣] ردّ فيه عبدُ الله بن سعيد أبو منصور الكاتب المتوفى سنة ٤٨٠ هـ على المعرّيّ . فأنت ترى أن الذين قاربوا عهده . لم يؤثروا إلا مدحه وحمده . وأما الذين جانبوه ديارا أو باعدوه أعصارا فقد هرفوا وما عرفوا ونبذوا الرجل بما بدا لهم وقرفوا .فظهر مصداق قول الصاحب ابن العديم [٤] إن الذين لقوه وعرفوه وصفوه بكل جميل والذين هتَّكوا عِرضه لم يلقوه ولا عرفوه .

(٦) وذكر ياقوت [٥] لشُمَيْم الحِلِّيّ كتابا اسمه الإشارات المعرّيّة ولم يزد عليه شيئاً .

(١) ١ : ٣٦٠

(٢) مجلة الزهراء سنة ١٣٤٣ ص ٢٨٨

(٣) البغية ٢٨٢

(٤) قال ابن الوردي قال ابن العديم في العدل انه اعتبر من ذم أبا العلاء ومن مدحه فوجد كل من ذمه لم يره ولا صحبه ووجد كل من لقيه هو المادح له ـ

(٥) أدبا ٥ : ١٣٨

تآليفه

[1]وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أنني صنّفتُ ألفَ كتاب

وجد ياقوت ثَبَتَ كتبه بخط أحد مستمليه فسرده والذهبيُّ ولكنه اختصره اختصاراً مُجْحِفًا ولم أر في سرده فائدة فتركتُ بعض أوصاف المعدومات ورتّبتُ الكتب على حروف المعجم وقابلتها بما عند الذهبي وعلامته (ه) والصفديّ في الوافي وعلامته (ص) والحاج خليفة وعلامته (ك) وعلامة الكواسة (كر) . وزدت بعض أسماء عثرت عليها في مظانّ غيرها . وهذا أول الثبت :

« قال الشيخ أبو العلاء رضي الله عنه لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت على أن أتوفّى على تسبيح الله وتمجيده الى أن أُضطرّ الى غير ذلك . فأمليتُ أشياء وتولّى نَسْخَها الشيخُ أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن أبى هاشم أحسن الله معونته فألزمني بذلك حقوقا جمّة وأيادي بِيضًا لأنه أفنى فيّ زمنَه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه . والله يُحسن له الجزاء ، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء » اه

(١) كتاب أدب العصفورَيْن ى دك . كتاب العصفورين ه ـ رسالة ـ

(٢) كتاب استغفرْ واستغفِرِيْ ي ه ـ ١٢٠ كر . نحو ١٠٠٠٠ بيت . روى عنه الزمخشري في الكشاف[2] بيتاً وابن أبي أصيبعة[3] ثلاثة وسمّاه كتاب الاستغفار وانظر الفائت (ب و د)

---

(١) س ٢ : ١٣٩

(٢) تفسير « ومن يرتدد منكم عن دينه » الآية

(٣) ١ : ٨٨

(٣) إسعاف الصديق ٣ أجزاء يتعلّق بالُجمَل ي ه ك .
(٤) كتاب الأنواء له ذكره البغداديّ في الخزانة (١) ورآه .
(٥) كتاب الأيك والغصون وهو كتاب الهمزة والردف وهو أكبر كتبه ي ه ك بُنى على ١١ فصلا لكل حرف فجملتها ٣٠٨ . مثلا السماءُ بالحركات الثلاث . سماءٌ منوّنا . سماؤه بالثلاث . سماءَها بالثلاث .عباءةٌ . وهو في العظات وذمّ الدنيا في ٩٢ جزءاً وفي ١٢٠٠ كر . قال ه وقد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلّد الأول منه بعد المائة قال ولا أعلم مايُعْوِزه بعد ذلك (٢) وقال ابن خلكان حكى لي من وقف الخ
(٦) كتاب تفسير الهمزة والردف جزء ي و ص .
(٧) كتاب الأمالي نحو : ١٠٠ كر . ه ك . قال ك ولم يكمله . قلت وكأنه عناه بقوله في ل :

أمـاليَّ فـيما أرَى راحة   مدى الدهر من هَذَيان الأمالي

ويمكن أن يكون أراد بالأماليّ في البيت جميع ما كان يُمليه على كُتّابه كائنًا ما كان
(٨) تاج الُحرّة في عظات النساء خاصّة نحو ٤٠٠ كر . ي ه ك .
(٩) تضمين الآي (٣) وهو كتاب مختلف الفصول . ى . مختلف الفصول ه . كتاب الفصول ك .
(...) تظلم السور انظر نظم السُوَر
(١٠) تعليق الخُلَس ه ولعله الصواب . تعليق الجليس ى ويتّصل بجُمَل

---

(١) ١ : ١١
(٢) ترجم هذه الجملة مرجليوث بقوله انه قادر غيره من الكتب غير مفيد فيا للعجب
(٣) وفي خزانة ليدن مجموعة خطية فيها رسائله وفصول له فهل هي من هذا الكتاب وانظر فهرستها ص٢٩٥ —

الزَجّاجي جزءًا .

(١١) جامع الأوزان (البحور) الخمسة عشر بجميع ضروبها وقوافيها من ي ك . جامع الأوزان والقوافي هـ ـ ٦٠ كر ـ ٣ أجزاء ـ ٩٠٠٠ بيت .

(١٢) غريب ما في هذا الكتاب نحو ٢٠ كر . هـ . وقد ذكرنا ماعثرنا عليه من شعره في الفائت .

(١٣) كتاب الجلى والجلى (؟) ي . كتاب الحُليّ والحُلَى هـ . سأله فيه صديق له من أهل حلب يعرف بابن الحلى . مجلد" ـ ٢١ كر ـ

(١٤) كتاب الحقير النافع ي هـ ك مختصر في النحو ٥ كر .

(١٥) كتاب يتصل به يعرف بالطال (ي بالظل ص) الطاهري أنشىء لرجل يعرف بأبي طاهر حلبي (؟) .

(١٦) خطبة الفصيح ي هـ ك [1] . يتكلّم فيه على أبواب الفصيح قال ابن الخير ضَمِن جميع ما حواه الفصيحُ . خُطبة في تحميد الله سبحانه وما قاربه من العظات رواها ابن الخير عن أبي محمد بن عتاب عن أبي عمرو السفاقُسيّ عنه وعن ابن العربي عن التبريزي عنه أيضاً ١٥ كر .

(١٧) تفسير خطبة الفصيح ي ك . شرح فيه غريبه . وعارضه [2] الحافظ أبو الربيع الكَلاعي بكتاب سمّاه جهد النصيح في معارضة المعرى في خطبة الفصيح كما مرّ .

(١٨) خطب الخيل ى ك . يتكلم على ألسنتها ـ ١٠ كر .

(١٩) حماسيّة الراح . ي هـ ك حماسة الراح وهو تصحيف . اكل حرف

---

(١) وفهرست ابن الخير ٤١٢ و ٣٤٣

(٢) النفح مصر ٢ : ٥٨٧

خمس سجمات مضمومات وخمس الخ ١٠ كر

٢٠) دعاء الأيام السبعة ى ص .

(٢١) دعاء وحرز الخيل (؟) ي .

(٢٢) دعاء ساعة ى ص .

(٢٣) ذكرى حبيب ى هـ ك في غريب شعر أبي تمام سأل فيه صديق لأبي العلاء من الكُتّاب ، ٤ أجزاء ٦٠ كر . وهذه الكتب المسئول في تأليفها إنما تكلفها مؤلّفها من فرط الحياء وهو لتأليفها كاره . قال فيه أنما أغلق شعر الطائي أنه لم يؤثر عنه فتناقلته الضعفة من الرواة . وذكر فيه الأبيات المشكلة من شعره متفرقة .

(....) كتاب ديوان الرسائل ى هـ ك ـ وهو ثلاثة أقسام الأول رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنَّفة مثل (٢٤) كتاب رسالة الملائكة [1] و (٢٥) كتاب الرسالة السَّنَدية [2] جزء و (٢٦) كتاب رسالة الغفران [3] جزء و(٢٧) كتاب رسالة الفرض (ي.العروض ك) جزء ونحو ذلك والثاني رسائل دون هذه في الطول مثل (٢٨) رسالة المنيح [4] و (٢٩) كتاب رسالة الاغريض . والثالث (٣٠) كتاب الرسائل القصار [5] كنحو ما يجري به العادة في المكاتبة قيل إنه ٤٠ جزءاً [6] وقيل إنه ٨٠٠ كر ـ ى هـ. (٣١) كتاب

---

(١) التي طبعناها وصححنا

(٢) وعند ـ ك السندسية وهو تصحيف . عملها لسند الدولة روى مرجليوث ٣١ عن ابن العديم أنه كان نقل من أفامية الى حلب والياً عليها سنة ٤١٤ هـ

(٣) نقلوا عنه أشياء في شرح الدرة الخفاجي ٦٩ ـ وشرح ابن نباتة بهامش الغيث ٢ : ١٩٠ وياقوت ١ : ١٩٠ و ٣ : ١٣ والغيث ١ : ١٥

(٤) نقل عنها ابن الشيخ ١ : ١٢١ ـ

(٥) نقل عنها الصفدي في الغيث ١ : ١١٢ و ٢ : ١٠٢

(٦) وجاء في عنوان ر المطبوعة ولم تكن المراسلة بينه وبين الناس كثيرة وانما اتفق ذلك في بعض الاحيان . فكيف تكون اذاً نحو ٨٠٠ كر فلعل هذا مقدار مجموع رسائله ومنها العلمية وكأن ما روينا عن العنوان يقتصر على رسائل الحاجات .

خادم [1] الرسائل ى ه ك . في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل مما يحتاج اليه المبتدئون في الأدب ٢٠ كر . أقول وذكر ابن الخير [2] الإغريضية وشرحها له و (٣٢) الفلاحية وشرحها له . وذكر ه [3] في خارج الثبت (٣٣) رسالة الطير له على نهج الملائكة والغفران . وزد فيها (٣٤) رسالتين له الى داعي الدعاة و (٣٥) ثبت كتبه أيضاً . ورسالة المنيح ورد اسمها في ر المطبوعة ربع المنيح . وأما الاغريضية فقد سردها القلقشندي [4] على طولها وشرحها [5] أيضاً فصيح ابن صبغة الله الحيدري من علماء آخر القرن الثالث عشر وقدّمه الى مصطفى فاضل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر .

(٣٦) الرسالة الخطيـة ص ـ الحضية ى ـ والصواب ان شاء الله الحَظِيّة بالظاء المعجمة

(٣٧) رسل الراموز ـ ي ـ رسيل الراموز ه . نحو ٣٠ كر

(....) رسالة الضبعين يأتي في ذكر اللزوم

(٣٨) رسائل المعونة ى ك ـ رسالة المعونة ه ـ وهي ما كتبت على ألسن قوم

(٣٩) الرياش [6] المصطنعيّ ى ه ك ـ في شرح مواضع من الحماسة الرياشيّة

---

(١) ك خادمة ـ وورد في حاشية الصبح شرح رسائل أبي العلاء (١٤ : ١٨٩) فهل هو هذا ؟

(٢) فهرست ٤١٢

(٣) ١٢٩

(٤) الصبح ١٤ : ١٩٠

(٥) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية انظر فهرستها ٤ : ٣٤٢

(٦) منه نسخة بالخزانة المصرية في مجلد مكتوبة سنة ٦٥٤ . فهرستها ٤:٢٦٩ ونقل ياقوت منه فصلا في ترجمة أبي رياش ٧٤:١

(يريد حماسة أبي تمـام بشرح أبي رياش) عمل لرجل يلقّب بمصطنع الدولة ويخاطب بالإمرة واسمه كليب بن عليّ ويكنى أبا غالب أنفذ نسخة من الحماسة الرياشيّة وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً فخشي أن يضيق الحواشي عن ذلك فصنع هذا الكتاب وجمع فيه ماسنح مما لم يفسّره أبو رياش ــ ٤٠ كر ــ روى هذا الشرح عنه التبريزي واظن أنه أودع في شرحه منه جملة صالحة .

(٤٠) رسالة على لسان ملك الموت . ى ص .

(٤١) سَجْع الحمائم يتكلم فيه على ألسن حمائم أربع ى ه ك . وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنّف له تصنيفاً يذكره فيه فأنشأ هذا الكتاب وجعل ما يقوله على لسان الحمامة فى العظة والحثّ على الزهد ٤ أجزاء ٣٠ كر .

(٤٢) كتاب السجعات العشر موضوع على أن لكل حرف من حروف المعجم عشر سجعات فى المواعظ ــ ى ه .

(٤٣) السجع السلطاني ى ه ك ــ يشتمل على مخاطبات الجنود والوزراء وغيرهم من الولاة وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته ولا قَدَمَ له في الكتبة سأل أن يُنْشأ له كتاب مسجوع من أوله الى آخره وهو لا يشعر بما يريد لقلّة خِبْرَته بالأدب فألف له هذا الكتاب ٤ أجزاء .

(٤٤) سجع الفقيه جزء ٣٠ كر ــ ى ه ك .

(٤٥) سجع المضطرين ى ه ك ــ عمله لرجل مسافر (تاجر . ك) يستعين به على امور دنياه

(٤٦) سقط الزنـدي ه ك ــ كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدهر الأول ٣٠٠٠ بيت

فيه أشعار قيلت فيما بين ١٥ ـ ٥٥ أو ٧٣ من عمره [١] وجلّة من شعر الصبي والشباب والكهولة ببغداد وبالمعرة ُبعيد الرجوع . قال ابن الأبّار [٢] في ترجمة أبي العباس أحمد الرُعَيْني أنه كان يستظهره (٤٧) كتاب ضوء السقط تفسير غريب سقط الزند [٣] ٢٠ كر . قال التبريزي في شرح [٤] س « كنت أراه يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه أعني س وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه اذا قُرئت عليه ويقول معتذراً من تأبّيه وامتناعه من سماع هذا الديوان. مدحتُ نفسي فيه فلا أشتهي أن أسمعه . وكان يَحثّني على الاشتغال بغيره من كتبه ثم اتفق بعد مفارقتي إياه أن بعض أهل الأدب سأله أن يشرح ما يشكل عليه من س فأملى عليه الى الدرعيات غير انه وقع فيه تقصير من جهة المستملى. وذلك انما يستملى عن بعض الأبيات منه واهمل اكثر المشكلات واذا استملى معنى بيت لم يستقص في البحث عن إيضاحه فجاء التفسير كأنه لُمَع من مواضع شتى لم يشف به الغليل . وشعره كثير في كل فن ومَيْلُ الناس على طبقات من شاعر مُفْلِق وكاتب بليغ الى هذا الفنّ أكثر ورغبتهم فيه أجدر وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه لانه سلك فيه طريقة حبيب بن اوس وأبي الطيّب وهما في جزالة

---

(١) زعم مرجليوث ومن تبعه أن آخر شعر س ماقيل في القاضي عبد الوهاب سنة ٤٢٠ ﻫ ولكن صاحب شرح المجاني ١٢٤٩ ذكر ان جعفر بن علي بن المهذب الفقيه الاديب الذي رثاه ابو العلاء بدالية من س كان توفي نحو سنة ٤٣٠ ﻫ والعهدة عليه فان صح قوله هذا فانه يناقض مزعم مرجليوث . والفقيه ليس ابن المهدب بالدال المهملة كما قد تصحف على شارح المجاني وصاحبه مراراً ولا هو ابن حمفر كما قد تصحف على صاحب ذ ٢٦٠

(٢) عدد ٢٥٢ من التكملة طبع الجزائر

(٣) منه نسخة بخزانة باريس وأوله قد علم الله جلت كلمته أن أول الخ في ٩٣ ورقة وعددها ٣١١١

(٤) ك « سقط الزند » وشرح التبريزي نسخة خزانة باريس عدد ٣١١٢ وهو في ٥٥ أوراقا . واخرى بكمبرديج وعدده في فهرستها ١١٩ واسمه الايضاح في سقط الزند وضوئه

اللفظ وحسن المعنى (كذا) . وأظهر المعجز في درعيّاته » الخ وذهب على العصريين أن الضوء هو شعره فى الدرعيات وهذا وهم منهم

ومن أقدم شروحه بعد الضوء وشرح التبريزي وبعض شروح اخرى التنويرُ لأبى يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخُوَيّيّ ـ وخُوَىّ بلد بأذربيجان ـ الأديبِ الفاضل وكان فقيهاً بارعاً حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر كتب لأبى سعد السمعانى الإجازة . قال أبو سعد وظني أنه قتل فى وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ ھ أو قبلها بيسير وترجم له السمعانى [١] وإنما ترجمنا له لأن أهل العصر لم يعرفوا صاحب التنوير وأتمه سنة ٥٤١ ھ

وشرح ابن السيِّد البطليوسيّ المتوفى سنة ٥٢١ ھ قال ابن خلكان [٢] وهو أجود من شرح صاحب الديوان . ولكن ابن السيِّد أورد فيه كثيراً [٣] من شعر اللزوم وفسّره ظانّاً أنه من س . فلعله حسب ما ادخله ابو الفضل الدارميّ وغيره ـ إذ ذاك بالاندلس من شعر الرجل وفيه جملة من اللزوم ـ كلّه من السقط . وقال ياقوت [٤] ان للأبيوَرْدِىّ كتاباً سماه صَهلة القارح ردّ فيهِ على المعرى سقطه وقال ايضاً [٥] ان لأبى القاسم الصيرفيّ اختياراً لديوان أبي العلاء (كذا ؟) وقال أيضاً [٦] ان لذي الفضائل الأخسيكثي (صاحب نقيضة تأتى) كتاباً سماه كتاب زوائد في شرح سقط الزند .

ومن شروحه ضِرام السِقط لصدر الأفاضل الخوارزميّ وهو ممتّع مغْنٍ

(١) ٢١٢ .
(٢) ١ : ٢٦٥ :
(٣) انظر شفاء الغليل للخفاجى ١٩١ واقف با ٢ : ٥٢ ، ٨٠ (ل ٢ : ٢٨٠ ـ ٧٢) ١ : ٣١٦
(٤) أدبا ٦ : ٣٤٦
(٥) ٥ : ٤٢٣
(٦) ٢ : ١١١

وقد رأيته واستفدت منه كثيراً . ومنها شرح ابن خطيب الرى الإمام فخر الدين الرازي وشرح الشرف البارزي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ ذكرهما خليفة .

وهذا كله دليل على أن الذي استهانه صاحبه من أعماله وقع من الناس موقعاً كريماً وأن الذي آثره عليه من تآليفه في الزهد طارت بها عنقاء مغرب فلم يوقف لها على عين ولا أثر

وقد أتيت على أكثر مما له علاقة في جمع تاريخ الرجل في مظانه من كتابي هذا فاستغنيت عن إعادة القيل .

(٤٨) كتاب سيف الخطبة ى . كتاب الخطب هـ . سيف الخطيب ك . جزآن . يشتمل على خطب السنة فيه خطب للجمع الخ . ومقداره ٤٠ كر . وكان سأله في هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة فصنف له .

(٤٩) شرف السيف ى هـ . شرف الساف ك . عمل للرجل الذى كان مقيما بدمشق وهو المعروف بنشتكين الدزبري . وكان السبب في عمله أنه كان يوجه الى أبي العلاء بالسلام ويحفي المسألة عنه فأراد جزاءه على ما فعل جزآن . نحو ٢٠ كر .

(٥٠) شرح سيبويه لم يتم ى هـ ك . مقداره ٥٠ كر . شرح بعض سيبويه هـ .

(٥١) كتاب الصاهل والشاحج ى هـ ك . يتكلم فيه على لسان فرس وبغل . مقداره ٤٠ كر . صنفه لأبي شجاع فاتك الملقب بعزيز الدولة والي حلب من قبل المصريين وكان رومياً . وعند هـ و ك رسالة الصاهل الخ . وصنع (١) محمد بن عبد الغفور الكلاعي رسالة سماها بالساجعة والغربيب حذا بها حذو صاحبنا في الصاهل . وانظر فصل « هو والأندلس » . وورد ذكره في ر له (٢)

(١) المطمح مصر ص ٣٣ والنفح مصر ٢: ٣١٦

(٢) ص ١٢٠

الى ابن سعيد وهى الـ ٣٦ .

(٥٢) لسان الصاهل والشاحج من فهرست ابن الخير[١] .

(٥٣) ظهير العضدي ى . ظهير العضد ص . ظهر العضدي ك . كتاب في في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي (لأبي عليّ الفَسَوِيّ)

(٥٤) عَبَث الوليد فيما يتصل بشعر البحتري وكان سبب إنشائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسخة ليقابل له بها . فأثبت ماجرى من الغلط ليعرض ذلك عليه . ي ه ك . وهو جزء واحد ٢٠ كر . وزعم ابن خلكان[٢] أنه مختصر ديوانه . والصواب ما هنا ونقل صاحب ك عن بعضهم أنه يتضمن أغاليط البحتري في ديوانه . وهو أيضاً جُزاف من القول [٣]

(٥٥) كتاب عِظات السُوَر . ى ص

(٥٦) عون الجمل ى ه ك عمل لابي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وهو آخر شيء أملاه ـ زاد ك ولم يتمّ وهو شرح لشواهده . قوله وهو آخر الخ يريد إذ أملى هذا الثبت وإلا فقد روى ابن الوردي [٤] عن دفع المعرة أن ضوء السقط خاتمة كتبه ويشهد لقوله ما ذكره التبريزي فى شرح س وترك ه لذكر الضوء أيضاً دليل على ماذكرنا . وذكر هذا الكتابَ ابنُ العديم أيضاً في العَدْل قال هوف شرح شيء من الجمل

(١) ٤١٢

(٢) ١ : ٣٤

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية انظر الفهرست ٤ : ٢٨١ وفيها ذكر في هذا الكتاب مافي ديوان البحتري مما أصلح من الغلط الذي وجد فى النسخة المكتوب في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العجلي ـ وهي في جزء كتبت سنة ١٢٩٧ ه بالمدينة المنورة . ونقل عنه في مقدمة رسائل البلغاء أن المتقدمين كانوا ينكرون ادخال أل على كل وبعض انظر ١٤ أقول ومثله في الغفران ١٥١ وفى تصحيح اللسان ق ٢ ص ٤١ فى منع المنصرف ، وفى شفاء العليل ١٣١ فى طوبى مضافاً

(٤) تاريخه ١ : ٣٦

(٥٧) الفصول والغايات زاد ابن الجوزي (كما عندك) وغيرُه [١] في محاذاة السُوَر والآيات وقال الذهبي [٢] وكأنه معارضة منه للسور والآيات فقيل له أين هذا من القرآن فقال لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة اه وليست هذه الزيادة في الاسم في الثَبَت عندي و ه. فالظاهر أنها من أعدائه الذين رموه بكل ما شاؤا. وان صحّت فليس معناها المعارضة بل المحاذاة عمل شيء على حذاء شيء كما عمل تضمين الآي وللشريف الرضي [٣] كتاب في محاذاة الآثار النبويّة فهل يقال انه عارض الحديث كما يقال إن أبا العلاء عارض القرآن هب أنه عارض فكيف شنّع على ابن الراونديّ بعد ذلك بدهر طَعْنَه على القرآن في الدامغ وهذا لفظه في الغفران [٤] «.... وأجمع ملحد ومهتد. وناكب عن المحجة ومقتد. أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد بَهَرَ بالاعجاز ولقي عدوّه بالارجاز ما حُذي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال. ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون. ولا شا كل خَطَابة العرب ولا سَجْع الكهنة ذوي الأرب. وجاء كالشمس اللائحة .... وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون. وان الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جِنح غَسَق» الخ قال الباخرزي وإنما تحدثت الألسُن باساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به

(١) كالباخرزي في الدمية

(٢) ١٣٢

(٣) انظره في نهج البلاغة المطبوع بشرح ابن أبي الحديد ٤ : ٥٠٧ ولو قال بنفسه فيه أنه معجز لكان له متفصى بأن الزمخشري قال في مقامات الحريري :

معجزة تعجز كل الورى ولو سروا في ضوء مشكاته

وقال ياقوت (٦ : ١٧٠) بعد اطرائها حتى لو ادعى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلا عن أن يأتي بمثلها اه

(٤) ١٥٨

القرآن وعنونه بالفصول والغايات فى محاذاة السور والآيات اه قلت وقد قال الأول « زعموا [١] » مطيّة الكذب واعراضُ المسلمين حُفْرَة فليتنكّبْ عنها من يَضَنّ بدينه . وكيف نزعم بمشايخ الاسلام كالصابوني والقاضي عبد الوهاب والهركاري أن ينزلوا على هذا الدهري البرهمي الزنديق

قيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته الى بغداد وأتمّه بعد عَوده الى معرّة النعمان وهو ٧ أجزاء ومقداره ١٠٠ كر . ولا جرم أن الناس ذمّوا الكتاب في كلّ زمان . ونقل ياقوت [٢] في ترجمة شيخه الوجيه ابن الدهّان أن خازن دار الكتب برباط المأمونيّة غسله وتبجّح بصنيعه هذا بحضرته فخطّأه الوجيه محتجاً بأنه إن كان خيراً من القرآن ـ وحاش لله أن يكون ـ فلا يجب أن يفرط في مثله وإن كان دونه فتركه معجزة للقرآن فاستحسن الناس قوله ووافقه الخازن على ذلك وكنت رأيت في مظنّة فاتنى تقييدها أن بعض الناس ارتاب في أن يكون المعري صنع كتاباً هكذا . إلا أنه وُجِدَ في عصرنا جزء منه [٣] لم نر فيه شيئاً

---

(١). هذا المثل أغفل عنه أصحاب كتب الامثال كما قال ابن الدماميني فى المنهل الصافى (مخطوط عندنا) قال وذكر بعضهم أنه روى مظنة الكذب . وأخرج ابن أبي حاتم فى تفسيره عن صفوان بن عمر الكلاعي قال : بئس مظنة المسلم زعموا انما زعموا مطية الشيطان . وأخرج ابن سعد فى الطبقات عن شريح القاضى قال : زعموا كنية الكذب اه وكنت قرأت هذا المثل فى الدهر الاول في لب الالباب وهو متن فى النحو مخطوط عندي . قال أجاب بعض المستعربة أن اعترافه باعجاز القرآن كان فراراً بنفسه عن بطش أهل الصلابة فى الدين قلنا انه هجا صاحبنا من حيث أراد مدحه كما قال هو فى النصارى . ل :

وقد شهد النصارى أن عيسى   توخته اليهود ليصلبوه
وما أبهوا وقد جعلوه ربا   لئلا ينقصوه ويجدبوه

(٢) ٦ : ٢٣٥

(٣) وجده صديقنا الفاضل الجليل محب الدين الخطيب حرسه الله بالحجاز ونقل منه فصولا فى الزهراء سنة ١٣٤٣ هـ فله بذلك صنيعة لا تنكر وفضل لا يغمط.

مما يصدّق قارِفِيْه وإنما هو كتاب في العظات والزهد كمُلْقَى السبيل ليس إلاّ [١] وكنّا اطّلعنا من قبل على فصل عند البديعي [٢] وياقوت [٣] .

(٥٨) إقليد الغايات مقصور على تفسير اللُغزى (ك ه اللغة) مقداره ١٠ كر

(٥٩) كتاب السادن ه ك . الشادن ى . أنشأه في ذكر غريب هذا الكتاب وما فيه من اللغز ٢٠ كر

(...) الفصول هو تضمين الآي

(٦٠) فقه الواعظ ه . وقال ياقوت وكتاب آخر يعرف بوقعة الواعظ فهل صوابه برقعة ؟

(٦١) كتاب بعض فضائل أمير المؤمنين عليّ ى . كتاب منافب علي ه

(٦٢) قاضي الحق يتصل بالكتاب المعروف بالكافي الذي ألّفه أبو جعفر النحاس . ى ه

(٦٣) كتاب القائف (سقط من نسخة ى) ه ك علي معنى كليلة ودمنة نحو ٦٠ كر . ك لم يتمّ (وأنا أرتاب بحكمه هذا) عمله لعزيز الدولة المارّ كما ورد في ر اا ٣٦ .

(٦٣) منار القائف في تفسير ماجاء فيه من اللغز (ى ـ اللغة ه) والغريب ١٠ كر . ى ه ك

(٦٤) اللامع العزيزي [٤] ى ه ك وهو معجز أحمد أيضاً . في تفسير

---

(١) عمد الديمي ١ : ٣٣ قال ابن سنان [عبد الله بن محمد بن سعيد الشاعر ابن صاحب أبي العلاء] وهذا الكتاب اذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المارضه وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقصة

(٢) ١ : ٣٣

(٣) ١ : ١٧٧

(٤) منه نسخة فى منشن وأخرى فى دار التحف البريطانية واخرى فى بطر سبورغ . آداب العربية لزيدان ٢ : ٢٤٨ ونقل عنه واستنبط نوعا من البديع ابن حجة فى الخزانة ٤١٨

شعر المتنبي . عمل للامير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الامراء أبي الدوام ثابت ابن ثمال بن صالح بن مرداس ١٢٠ كر

(٦٥) لزوم ما لا يلزم ى ه ك. ومعناه أن القافية يردّد فيها حرف لو غيّر لم يكن مُخِلاّ بالنظم كما قال كُثَيّر:

خليليَّ هـذا ربع عَزّة فاعقِلا قلوصيكما ثم انزلا حيث حلّت

فلزم اللام قبـل التاء وذلك لا يلزمه في ٣ أجزاء نحو ٤٢٠ كر [1] يحتوي على ١١٠٠٠ بيت من الشعر .

(٦٦) زجر النابح ى ه ك . يتعلق باللزوم وذلك أن بعض الجهّال تكلّم على أبيات منه يريد بها التشرر والأذيّة فألزمَ أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشيء هذا الكتاب فأنشأه وهو كاره . جزء في ٤٠ كر . ولا أدري هل هو رسالة الضَبُعَيْن بعينها التى كتبها أبو العـلاء الى معز الدولة [2] علي (؟) ابن صالح يشكو اليه رجلين كانا يؤلّبا ن عليه وينسبانه الى الـكفر والالحاد أم هو غيرها وكان هذان قد حرّفا بيتاً من لزوم مالا يلزم عن موضعه ليُثْبتا عليه الـكفر بذلك . أحدهما الشريف ابن المحبّرة الحلبيّ قال ابن العديم في العدل قال أبو العـلاء في هذه الرسالة « وفي حلب حماها الله نُسَخ من هـذا الـكتاب بخُطُوط قوم ثقات يُعرفون ببنى أبى هاشم . . . . جرت عادتهم أن ينسخوا ما أُمليه اه

(٦٧) بحر الزجر ى ه . كتاب يتعلّق بزجر النابح مقداره عشر كر .

(٦٨) راحة اللزوم يشرح فيه ما في اللزوم من الغريب نحو مائة كر

(٦٩) كتاب الراحلة (ى فقط وقد ذكر راحة اللزوم أيضاً) ٣ أجزاء

(١) كذا عندي ، وعند ه و ك ١٢٠ كر وهو الصواب ان شاء الله

(٢) كذا ومر فى فصل للملوك أن معز الدولة هو ثمال بن صالح

في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم . ولعل التفسيرين شيء ولكن تعدّد على ياقوت فذكرهما

والنسخة المطبوعة منه لعلها فقدت بعض أبيات كما قد دللنا عليه في نحو ستّة مواضع من الفائت فانظره . ويوجد منه كثير من النسخ الخطّيّة [١] . وله المقدّمة فيما يلزم الشاعر وما لا يلزمه في قرض الشعر ولكن جاء في بعض النسخ [٢] مقدمة بسط الشاعر فيها تبرّؤه من قصد الإلحاد بأوضح بيان وقال إن غرضه التفنّن بالشعر . فهذا دليل على انتشار الكتاب في حياته واستجلابه به السُّمعة بالإلحاد وأن النُّسَخ منه لا تتفق وأن الباعث على تأليف زجر النابح ما مرّ

وإن صحّ ما مرّ عن ابن كثير في البيتين يد الخ فهو دليل على أنه نظم بعضه ببغداد . ويظهر من بيته فيه :

رويدك إن ثلاثون استقلّت ولم يُنِب الفتى فمتى يُنيب

أنه أخذ فيه وعمره ٣٠ سنة أي نحو سنة ٣٩٣ هـ وقد أكثر فيه من ذكر الأربعين والخمسين وهذا يدل على أنه نظم جله ما بين ٤٠٠ ـ ٤١٠ وتوالى ذلك الى سنتى ٤١٧ هـ و٤١٨هـ عامي شفاعته الى صالح ورثائه لأبي القاسم المغربي الوزير ـ فلعلّنا لا نخطّأ إن قلنا ان شعره لا يتجاوز سنة ٤٢٥ هـ كائنا ما كان . وقد اشتهر أكثره في حياته فبلغ بيته (غدوت . . . . الصحائح) الداعي بحلب وبيتاه (أرى ولد . . . . عقيما . . . . يتيما) التنوخيّ الصغير ببغداد قبل سنة ٤٤٠ هـ . وعمل فى أثناء هذه المدّة عدة من كتب أخرى كالفصول والكتابين اللذين رسمهما باسم عزيز الدولة وغيرهما

(١) بالخزانة المصرية احداها حديثة الظر فهرستها ٤ : ٢٩٨ ونسخة بايا صوفيا عددها فى دفتره ٤٠٣٦ وحسبها مؤلفها نسخة من س

(٢) هو عند سليم مدور افندي وهو قديم ـ المشرق ٥ : ٤٧

وأقدم نسخه الموجودة نسخة ابن الخشّاب [1] قارئه على ابن الجواليقي وثبت عليه صورة قراءة ابن الخشاب على ابن الجواليقي سنة ٥١٧ هـ وصورة سماع ابن الجواليقي على التبريزي وهي : « قرأ عليّ الشيخ الاديب أبو منصور موهوب بن احمد نفعه الله بالعلم هذا الكتاب من أوّله الى آخره قراءة ضبط وتصحيح وسمعته بقراءة العلاّني كاتبه عليه من أوله آخره وبقراءة غيره وقرأت منه شيئاً على أبي العلاء وكتب يحيى بن عليّ الخطيبِ التبريزي سنة ٤٩٦ هـ بمدينة السلام » اه قال الجواليقى أنشدنا الشيخ الامام أبو زكريا لنفسه في هذا الكتاب :

تمتّع به عِلْقــا نفيساً فإنه ... مقال بصير بالامور حكيم

أراك من الدنيا حقيقة حالها ... وسُكانِها من جاهل وعليم

وأما صنعة اللزوم فإنه تتبع فيها كثيّرَ عزّةَ في لاميته الشهيرة وهي بتمامها في الأمالي [2] للقالي وإنما خصَّه لأن له قصيدة طويلة وقال . ل :

كثيّرٌ أنا في حرفي أهبتُ له ... في التاء يلزم حرفا ليس يُلْتزَمُ

وإلاّ فإن كثيرين التزموا أشياء وذكرهم في مقدمة [3] ل . وممن لم يذكرهم

---

(١) بخزانة ليدن انظر ص ٤٠٠ من فهرستها ثم رأيت نسخة اخرى تضاهيها فى القدم أو تفضل عليها ببومباي وثبت عليه من الاجازات وبيق التبريزي وغيرهما مما هو مثبت على نسخة ابن الخشاب كله وهي أيضا منقولة من نسخة الجواليقي وثبت عليها بيتان آخران من غير عزو الى أحد وهما :

ان كنت متخذاً لجرحك مرهماً ... فكتاب رب العالمين . . . .

أو كنت مصطحبا حكيما سالكا ... سبل الهدي فلزوم ما لا يلزم

(٢) ٢ : ١٠٩ وفيه أبيات من اللزوم كأبيات كثير ٢ : ٦٩

(٣) ١٧ ـ ٢٠

عمرو بن معد يكرب[١] وأبو أُذينة[٢] وعبد الله بن الزَّبير الأسدي وحُجر ابن حية الحماسي وطرفة والفرزدق وأبو تمام وغيرهم[٣] إلا أن الذي يكاد يُربى على جميعهم أبيات ذكرها الجاحظ في كتاب العصا له[٤] عن الاصمعي وهي :

أعددت للضيفان كلبا ضاريا وهَراوةً مجلوزة من أرْزَن
ومعاذِراً كُذُبا ووجها باسراً وتشكيًا عضّ الزمان الألزن
وشذاةَ مرهوب الأذى قاذورةٍ خَشِن جوانبُه دَلوظ ضَبْزَن
وبكفّ محبوكِ اليدين عن العلى والباعِ مسودّ الذراع مُقَحْزَن
وتجَنّيـا لهم الذنوب وألتقي بغليظ جلد الوَجنتين عَشَوْزن

ولـكن اللزوم صار بالتزامه له كأنه إحدى مخترعاته فتبعه كثير من الناس ومرّ معظمهم في باب الاندلس وولع الناس بشعره ومن غيرهم أ شمَيّمٌ الحِلّيّ له رسائل[٥] فيه في كرّاستين و كتاب اللزوم في مجلدين

هذا ووجدت في ل قطعة أغفل فيها عن التزام حرف وقوافيها القديما . مقيما . عقيما . مستقيما . ثم

فإما أن يربيه عدوّا وإما أن يخلفه يتيما

وفي العنوان « وقال في الميم المفتوحة مع الياء » فكأنه اقتنع على هـذا

(١) التبريزي على الحماسة ١ : ٨٢
(٢) التبريزي ٣ : ١٢٠ ولاشعار ابن الزبير المعاهد ٢ : ١٠٥
(٣) انظر المثل السائر ١٠٧
(٤) الطبعة الثانية ٤١ وبعض هذه الابيات يوجد فى حماسة البحتري أيضا بفك اللزوم ص ٣٧٦ من الخطية
(٥) أدباء ٥ · ١٣٩ ـ وللقاضي عبد الوهاب شعر فيه أورده ابن الشيخ ١ : ٢٧٤

الالتزام وهو هين ليس من التعنت في شيء . لايقال بالتصحيف أو التغيير فإن القوافي وردت هكذا في الغيث [(١)] والادباء [(٢)]

وذكر بعض العصريين [(٣)] أن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي كان يستظهر ل

(٧٠) مبهج الأسرار لأبي العلاء كذا هو عندك فقط وانظر .

(٧١) مثقال النظم في العروض جزء . ي ص .

(٧٢) مجد الأنصار في القوافي . ي ص .

(٧٣) المختصر الفتحي يتصل بكتاب محمد بن سعدان صنعه لرجل يكنى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وكان أبو هذا الرجل تولى اثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب فألزمه بذلك حقوقاً جمة وأيادي كثيرة . ي ه والعَدْل .

(٧٤) مُلقى السبيل صغير فيه نظم ونثر . ٤ كر . ى ه . ولرجلين من أهل المغرب معارضتان لهذا الكتاب مرتا في باب « هو والاندلس »

(٧٥) المواعظ الست ى . المواعظ ه . المواعظ السنية ك وهو تصحيف . يعنى ستة فصول في خطاب الواحد والاثنين والرجال والواحدة والاثنتين والنساء ١٥ كر . أوله كما في ك الحمد لله الذى عرف وفهم الخ

(٧٦) نشر شواهد الجمهرة ولم يتم ـ ٣ أجزاء ى . تفسير شواهد الخ ص . ورأيت على طرر نسخة من الجمهرة [(٤)] خطية عدة فوائد لغوية فى غير الشواهد

(١) ٢ : ١٩٨ مع زيادة بيت ليس في ل وهو :

واما أن يصادفه حمام فيبقى حزنه أبداً مقيما

ومرت قافية مقيما فيلزم الايطاء

(٢) ٥ : ٣٠٢

(٣) الاستاذ الفاضل صديقنا محب الدين الخطيب في بعض أجزاء الزهراء سنة ١٣٤٣ﻫ

(٤) بحيدر آباد ورق ٢٥ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٤ وغيرها.

يرويها القاضي أبو سعد عنه

(٧٧) نظم السور ــ ك . ظلم السور ص . تظلم السور ــ ى

وهذه الكراسة ليست بمعنى ١٠ أوراق . قال ﻫ وذكر أن ملقى السبيل في ٤ كراريس قلت إنما مقداره ثمان ورقات فكأنه يعني بالكراسة زوجين من الورق. أقول وهذا القول مقارب وانظر حجم ل

قال ى هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء . قالوا وله بعض كتب في العروض والشعر بدأ بها ولم تتم وتمت وشذ عنا أسماؤها . وفي اللسان أن تصانيفه نحو ٢٠٠ مجلد : وقال الرحالة ناصر خسرو سمعت أن له من الشعر مايزيد على مائة الف بيت . قال القفطي [١] وأكثر كتب أبي العلاء عدمت وإنما وجد منها ماخرج عن المعرة قبل هجم الكفار عليها وقتل أهلها اﻫ أقول وكان ذلك سنة ٤٩٢ ﻫ ثم أخذها المسلمون من الكفار سنة ٥٢٩ ﻫ

دار كتبه

لاجرم أنه كان يملك خزانة بني سليمان وان كان التاريخ ترك أمرها غفلا. وهذا أبو عدي النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم نرى خطه ثابتاً سنة ٥٢٥ على نقائض جرير والأخطل لأبي تمام وهو علقٌ مضنّةٍ لم يعثر عليه جلُّ الأقدمين فيما أعلم

وكتب الي أبي طاهر خاله من المعرة الى بغداد في استكتاب شرح الكتاب لأبي سعيد . وإن كنا نراه يبالغ في الاعتذار عن التثقيل الا أن.

(١) ﻫ ١٣٦ ــ ونقل مرجليوث عن ناسخ نسخة تاريخ الاسلام بدار التحف البريطانية وكان كما رجح من أبناء المئة التاسعة أنه رأى جل كتبه في مصر بمبيليه اﻫ وهذا جزاف من القول بل لو قال هذا في نحو الثلث من كتبه لكان له وجه

شغفه بالكتاب وحرصه على استنساخه مستغنيان عن اقامة الدليل واطالة القيل.
فان له في الامر عدة رسائل وهي ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ . والسبب أنه لم يكن
وصل اذ ذاك بلاد الشام لقرب عهد الوضع والتأليف

وأهدى اليه رجل كتاباً ثبت عليه سماعه فقبله وشكره بقطعة [١] منها :

قد أتتنى هدية منك بالامس فقابلتها بحسن القبول
غير ان السماع في الكتب وقف وانتقال الوقوف غير جميل

ولما تقدم عزيز الدولة اليه باختصار كليلة ودمنة كتب [٢] « فاما كليلة ودمنة فليس له نسخة عندي ولا تمكن به علمي ولا أذكر أني استكملته سماعاً قط . ولما ورد كتابه المعظم سألت من جاءنى منه بنسخة رديئه وكلفته أن يقرأها عليّ » الخ قوله فليس له نسخة عندي يشير الى أنه كان له دار كتب . وهذا القول هو الذى حضني على اثبات هذا الفصل . ثم رأيت أن القاضي أبا سعد كتب على نسخة من الجمهرة [٣] خطية : في نسخة الشيخ أبي العلاء كذا . وهذا صريح فى الباب ومر في فصل الحفظ أنه كان يملك من الجمهرة نسخة ليس فى الدنيا مثلها

وأما الكتب التي ورد [٤] ذكرها فى تآليفه المعلومة فهاك جدولا لاساميها و (ر) علامة الرسائل و (غ) للغفران و (ل) للزوم و (س) للسقط و (مل) للملائكة

(١) س ٢ : ٢٢٤ .
(٢) ر ص ١٢٠
(٣) بحيدر آباد ورق ٢٥ .
(٤) وفي ذأن مؤرخي أبي العلاء لم يعينوا لنا الكتب التى بدأ يدرسها في النحو واللغة والآداب . فلو أنهم فعلوا ذلك لكان من اليسير علينا أن نلتمس هذه الكتب فنصفها الخ ص١٤٢ . وظني أن فى جدولنا بعض كتب بدأ بدرسها ان شاء الله

غ	١٩٢	كتاب الابدال لابي الطيب اللغوي
«	«	كتاب الاتباع له صغير
«	٢١	كتاب الاجناس للاصمعي
«	١٤٠	أخبار بشار
«	٢٠١	أخبار الفرزدق
«	١٦٥	أراجيز رؤبة
«	١١٥	أراجيز عدة من الرجاز
س	٢ : ١١٢	جزء من أشعار تنوخ
	١٢٠ و٢٤٠	مما قيل في الجاهلية جمع القاضي المحسن التنوخي
غ	٧٥	اشعار الجن للمرزباني
ل	١ : ٢٣	أشعار قريش
ر	١٢٠ و ١٨	اصلاح المنطق لابن السكيت
ر	١٤	مختصره للوزير أبي القاسم ابن المغربي
غ	١٣٧ل١ : ٢٢	الاصول لابن السراج
ع	١٨٠	كتاب الاعتبار
		الاقناع انظر المقنع
ل	٢ : ٢١٠	الامالي للمعري
	مل	أمثال محمد بن حبيب
غ	١٥٧	التاج لابن الراوندي
«	١٣٦	تاريخ لابن أبي الازهر والقطربلي
«	٢٠٢	تاريخ ابن شجرة بخط المرزباني
ل	٢ : ٨٣	الترجمان في معاني الشعر (١) للمفجع البصري
ر	٦٧	تفسير سورة الاخلاص لصديقه النسكي
ل	٢ : ٣٢٤	جامع سفيان
غ	١٣٧	الجمل لابن السراج
ر	٧٢	الجمهرة لابن دريد
غ	٥٧	كتاب الحجة في وجوه القراءات للفارسي
«	١٨٧	حد الاعراب (١) للمفجع

ر	٦٦	حماسة أبي تمام
غ	٣٥	كتاب الحاء لابي عمرو الشيباني
«	١٥٨	الدامغ لابن الراوندي
ل	١ : ٢١	شعر أبي عبادة البحتري
س	٢ : ١٢٠	ديوان تيم اللات . مر في أشعار تنوخ
غ	١٧٢	ديوان الحارث بن حلزة
«	١٧١	شعر حسان بن ثابت
«	١٣٦	ديوان الخالديين
«	١٨٩	ديوان طفيل الغنوي
«	١٧٦	ديوان عبيد بن الابرص عدة نسخ منه
«	١٠	ديوان عدي بن زيد عدة نسخ منه
«	١٣٧	ديوان ابي الطيب المتنبي
ل	١ : ٢١	ديوان النابغة
غ	٩	ديوان ابي الهندي
ع	٧	رسالة ابن القارح
ل	١ : ٢٨	[سقط الزند] كلام لي قديم
غ	١٩٢	شجر الدر لابي الطيب اللغوي
ر	١٢٠	كتاب الصاهل والشاحج للمعري
«	١٧٥	طبقات المغنين لابن حرد اذبه
ل	١ : ١٩٧ و ٢٤١	العمدة لعبدالجبار المعتزلي
ل	٢ : ٨٣	كتاب العين للخليل
ر	٦٦	غريب الحديث لابن قتيبة
ل	١ : ١١	[الغريب] المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام
«	١ : ٣٢٩	الفرخ للجرمي
غ	١٩٢	كتاب الفرق لابي الطيب اللغوي
«	١٦٠	الفريد لابن الراوندي
«	٣٨	القصيدة الميمية الملغزة للبيد
«	٤١	... ميمية المخبل السعدي

(١) وعند ابن النديم ص ٨٣ ما يدل على ان حد الاعراب جزء من أجزاء الترجمان

غ	٤٨	.... زائية الشماخ وجيميته
«	٤٩	قصائد النابغة
«	٦١	..... لامية الراعي
«	٦١	..... دالية حميد بن ثور (رض)
«	٦٦	..... الحائية تروى لبيد وأوس
«	٨٨	.... صادية امريء القيس وضاديته ونونيته
«	٩٤	.... بائية علقمة وميميته
«	٩٨	.... دالية طرفة
«	١٠١	القصائد الثلاث وغيرها لأبي كبير الهذلي
«	١٠٦	.... ميمية المرقش
«	١٦٤	... عدة قصائد لابي تمام
«	١٧٧	... مقصورة ابن دريد
ر	٦	.... الميمية والواوية لابن المغربي
«	١٤٣	. الطائية اللزومية للمعري
غ	٥٩	القضيب لابن الراوندي
ل	١ : ١١	كتاب القوافي للفراء
«	« «	» » لخلف بن حيان [الاحمر]
ر	٨٢ غ ١٠٠ و١٣٧ و١٤٠ و١٨٥ ومل	الكتاب لسيبويه
ر	٣٦ : ٣٩	شرحه للسيرافي
ل	١:٢٤٨ و٢٧٠	كتاب المعمرين [لابي حاتم]
غ	٥١	بعض كتب الاغاني
«	١٨٤	كتب بدار العلم ببغداد عليها سماع ابن القارح

ل	١ : ٣١٧	كتب ابي زيد وأبي عمرو وأبي عمر [الزاهد]
غ	١٨٠	كتاب المبتدا من التوراة
«	١٧٥	كتاب البعث (في الحديث) لابي معشر المدني
«	٦٩	كتب النضر بن شميل
ر	١١٩ , ١٢٠	كليلة ودمنة
ل	١ : ٣	لزوم مالايلزم للمعري
ر	٨٣	كتاب المجاز لابي عبيدة
غ	٥٩	المرجان لابن الراوندي
ل	١:٢٤١ و١٩٧	المغني في الكلام
غ	١٨ } ١ : ١١١	مقاتل الفرسان لابي عبيدة
ل	١٣٧	المقنع للسيرافي وابنه
غ	٨٢	المنطق . أربعة كتب فيه
ر	١٣٧	الموجز لابن السراج وابي علي الفارسي
غ	٢:٢٢٤	كتاب مجهول عليه سماع رجل أهداه للمعري
س	٥٧	نوادر ابن الاعرابي
ر	١٤٧	« الصولي
غ	١٤٠	[كتاب] الورقة
غ	٨٩	(وهو الاوراق للصولي)
ر		

ومن سائرها في سرد أسماء الثبت ووصفه من صنعه وصنع غيره

الآراء في تليينه من جهة الدين

مما لا يتطرّقه أدنى ريب أو أضعف شُبهة أن الرجل شُهِر بالإلحاد والزندقة وهو حيّ يُرْزَق بعدُ. وذلك لما سار شوارد أشعاره وأوابد آرائه في أكناف البسيط واعترف الرجل بنفسه بذلك في غير ما موضع من كلامه كما في النظرة والفائت

قال الفارسيّ [١] وذكر الفصول فاتهموه بأنك وضعته معارضة للقرآن. ومر خبر أبي القاسم في حلقته. وكذلك خبره مع وزير محمود وذِكْراه بعد وفاته بالإلحاد في مجلس غرس النعمة وقول عبد السلام القزويني فيه وحكاية المنازي في تركه الدنيا والآخرة

ولفظ الباخرزي في الدُمية قد طال في ظل الاسلام آناؤه ولكن ربما رشح بالإلحاد إناؤه وعندنا خبر بصره والله تعالى العالم ببصيرته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ

وقال السمعاني وحُكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد. وقال ابن الجوزي في تلبيس إبليس [٢] له « ومن زنادقة الاسلام من لم يبرح على تعثره ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الرِوندي والمعرّي » ثم قال « وأما أبو العلاء فأشعاره ظاهرة الإلحاد وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ولم يزل متخبّطا في تعثره خائفا من القتل الى أن مات بخسرانه »

وقال في تاريخه [٣] « زنادقة الإسلام ثلاثة ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدى وأبو العلاء. قال وأشدهم على الاسلام أبو حيان لأنه مجمج ولم يصرّح » اهـ قلت « وهذا قضاء في القضاء سَذَوْمُ » فإن ابن الراوندي لم يكن يدّعي.

(١) ١٦ -
(٢) دهلي - ١٦٠ -
(٣) الشافية ٤ : ٣ -

الإسلام أصلا بعد ان مال الى اليهودية وجُلُّ كتبه في معارضة القرآن والطعن على النبي (صلى الله عليه وسلم) وقِدَم العالم وإبطال الرسالة كما ذكر ابن القارح (١) وأدرك عصرَه وغيرُه (٢). فهل يبقى من الإسلام شيء بعد كل هذه الكُفريّات وكيف يُجْعَل مع أبي العلاء في قَرَن مع أنه تبرّأ من أعماله براءةً بالغة فى الغفران (٣) وهاك شيئاً من جمله «وأما ابن الراوندي فلم يكن الى المصلحة بمهدي»... وأما الدامغ فما إخاله دمغ إلاّ من ألّفه » ومر لنا نقل فصل عنه فى ذكر الفصول في إعجاز القرآن. ولهذا لم يرض بفَصله هذا ابنُ السبْكيّ فى أمر أبي حيّان ولكن أغفل صاحبَنا لسوء رأيه فيه كما سيأتي.

وقال الذهبيّ (٤) هو صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة له رسالة الغفران فى مجلّدة قد احتوت على مَزْدَكة واستخفاف. ثم قال بعد كلام كثير والذي يظهر أن الرجل مات متحيراً لم يَحتْم بدين من الأديان

وأول من نشر شعر إلحاده غرسُ النعمة قال وقد طَبّق المَفْصِلَ كان (٥) يُرْمَى بالإلحاد فى شعره وأشعاره دالّة على ما يُزَنّ به اه واقتصرتُ (٦) على أقوال هؤلاء فانهم أُسوة كلّ من كتب فيه شيئاً

وأمّا أشعاره فى المعنى فهي كثيرة فى اللزوم وانظر النظرة وفى غيره وانظر الفائت وبعضه منحول لا شك

---

(١) ٢٠١ ـ
(٢) المعاهد ١ : ٥٦ ـ وقد طول في سرد آرائه والرد عليها
(٣) ١٥٧ ـ ١٦٠ وراجعه فانه يهم للغاية
(٤) ١٢٩ و ١٣٣ .
(٥) ه : ١٣٠ .
(٦) وقد حكم التفتازاني بكفره وإلحاده كما في روضات الجنات ص ٧٤ .

النقائض

ولما طار أشعاره في الأقطار وتناقلته ناقلة السُفّار لَهِج كثير من الأدباء بالمناقضة معه في الأفكار والآراء ورموه بما جنى وما لم يجن. ولم يمنعه زُهده ونُسكه عن التهمة ولم يَثنِ .

(١) قال ياقوت [١] في ترجمة ذي الفضائل الأخسيكثي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ قرأت في ديوان شعره بخطّه أنشدتُ لأبي العلاء هفت الحنيفة [٢] . . . . مضلّلة البيتين فقلت مجيباً له :

الدين آخذه وتاركه لم يَخفَ رُشدُهما وغيّهما
« إثنان أهل الأرض » قلتَ فقل ياشيخ سَوْء أنتَ أيّهما

(٢) وعارض بيتيه إذا ما [٣] . . . . . الخنَا البيتين أبو محمد [٤] الحسن اليمني بقوله :

لعمرك أمّا فيك فالقول صادق وتكذب في الباقين من شَطّ أودنا
كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

(٣) وفي الفوات [٥] في ترجمة ابن أبي كدية أنه سمع قائلا ينشد للمعري ضحكنا [٦] . . . . . أن يبكوا البيتين . فقال يردّ عليه :

كذبتَ وبيتِ الله حِلفةَ صادق سَيُبكينا بعد الثرى من له الملك
ونرجع أجساما صحاحا سليمة تعارف في الفردوس . ماعندنا شكّ

---

(١) ٢ : ١١١ ومثله في النكت ١٠٧ والمعاهد ١ : ٥١ .
(٢) ل ٢ : ١٧٥ .
(٣) انظرها في الفائت .
(٤) النكت ١٠٧ والمعاهد ١ : ٥١ . والنور السافر (مخطوط) لعبد القادر العيدروس .
(٥) ٢ : ٢٣٩ . وفي النور السافر (ورق ٣٦٤) عزوهما الى الامام محمد بن عتيق اليمني
(٦) ل ٢ : ١٢٦ .

(٤) وقال:

دين وكفر وأنباء تقال وفر قان ينصّ وتوراة وإنجيل
في كلّ جيل أباطيل يدان بها فهل تفرد يوما بالهدى جيل

أجابه النواوي [1] لا الذهبيّ فقال:

نعم أبو القاسم الهادي وأُمّتهُ فزادك الله ذُلاً يادُجيجيل

(٥) ومرّ بيتاه في قطع اليد وما أجابوا به عنهما في أبواب بغداد.

(٦) وهجاه أبو جعفر البحاثي القاضي الزوزني وكان هجّاء [2] ماضي الجنان خبيث اللسان بقصيدة طويلة منها كما في الدُمية وهو أستاذ الباخرْزي [3]

كلبٌ عوَى بمعرة النعمان لما خلا عن ربقة الإيمان
أمعرّةَ النعمان ما أنجبتِ إذ أخرجتِ منكِ معرّةَ العُميان

(٧) وعارض الخضِر الموصلي [4] قوله من ل:

تقدّم صاحبُ التوراة موسى وأوقع في الخسار من اقتراها

الأبيات بقوله:

خزاكَ اللهُ من أعمىً لَعِينٍ بصيرتهُ تناهت فى عَماها
يقول إذا الحكيم رعى حِجاه تهاوَنَ بالشرائع وازدراها
فما هذا الخبيث إذاً حكيمٌ ولكن ليس يدري ما طحاها

(١) كما قال الذهبي ١٣١ ـ ووهم صاحب المعاهد ١ : ٥١ أن المجيب الذهبي
(٢) ياقوت ٦ : ٤٠٩
(٣) الشافعية ٢ : ١٤٨ .
(٤) الاسعاف له ص ١٦٤ نسخة حيدر آباد

تزكيته أو القول بحيرته

ذكر ابن خلكان (١) أن شيخ الإسلام الهكاري لقي المعري وسمع منه .فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته فقال هو رجل من المسلمين

وقال السِلَفيّ (٢) وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات وله في التوحيد وإثبات النبوّة وما يحضّ على الزهد وإحياء طرق الفتوّة والمروّة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسير اه وقال الصفدي (٣) وأظن السلفيّ قال إنّه تاب وأناب

وقال ياقوت (٤) والناس فيه مختلفون فمنهم من يقول انه كان زنديقا وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها ومنهم من يقول [كان] زاهداً عابدا متقلّلا يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة والقناعة باليسير والإعراض عن أعراض الدنيا

قال الصفدي (٥) وحُكي لي عن الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني أنه قال في حقّه هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت

قال (٦) وسألت الحافظ ابن سيد الناس فقلت له ما كان رأي الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في أبي العلاء فقال كان يقول هو في حَيرة . قال الصفدي ولعمرى هذا الذي يظهر لذوي الألباب من كلامه الخ وقال الدميري وهذا أحسن

(١) ١ : ٣٤٦ (٢) ه ١٣٥ ـ
(٣) نكت ١٠٤ ـ وفي البغية ١٣٦ وقال السلفي أظنه تاب الخ
(٤) ١ : ١٧٨ ـ (٥) نكت ١٠٦
(٦) نكت ١٠٦ والغيث ٢ : ٢٤٤ وحياة الحيوان ٢ : ٢٣٠ ـ

ما قيل فيه .

وقال الذهبي منهم من يقول ارعوى وتاب واستغفراه ولفظه في العِبَر[١] :
ولعله مات على الإسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك والارتياب اه .
ونقل صاحب النور السافر عن عجائب البلدان للقزويني أنه تاب في آخر عمره عن أمثال هذه واستغفر وحسن إسلامه .

قال ابن الجوزي [٢] وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال : قال لي المعري ماالذي تعتقد . فقلت: في نفسي اليوم أقف على اعتقاده . فقلت له ماأنا إلا شاك . فقال وهكذا شيخك .

القول الفصل فى القضية

هؤلاء الأئمة تناقضت أقوالهم وتباينت مناحيهم في دين الرجل ولعل هذا الداء سرى إليهم من شعره ففيه كل شيء وضده كما يقول هو بنفسه . ل :

ولـكل ما أصبحت تدرك حسه ضدٌ وكبرة من ترى كصغار

ويعترى النفس إنـكار ومعرفة وكل معنى له نفى وإيجـابُ

وانظر النظرة حتى تُشاهد مقالنا برأي العين . ولست أعني تخطئتهم بأجمعهم فإنهم لم يَنْفُذوا إلا بما رأوه في شعره فكلهم إذاً مُصيب في مزعمه . إلا أنى أريد أن أرعى كل مارأيتُ له في وقت واحد رعاية رجل لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها حتى لا أبْخَسَه حقَّه في نعمة أسداها كما أنني لا أريد أن أنفي عنه شنائع أتاها وجرائم جناها .

(١) لسخة حبيب الرحمن الشرواني
(٢) ادبا ١ : ١٧١ والنكت ١٠٤

لاغرو أن له كثيراً من الشعر في اللزوم واستغفرْ مما يرمي الى المروق كالاعتراض على حكمة البـاري سبحانه وارادته الخيرَ وانكاره النُبوّات والاستخفاف بانبياء الله وبالشرائع وإنكار البعث والمعاد والقول بقـدم العالم والذهاب إلى آراء الفلاسفة في أن العالم كالنبت يزَهر ثم يذْبل وجناية الوالد على الأولاد وتحريمه أكل كل مالا يُنبتـه الارض كاللحم والشحم واللبن والجبن والعَسَل واختيارِه إحراقَ الميّت على دفنه وغيره مما يطول بنا سَرْدُه

ولـكن لايوجد له شيء في غير . ل . من هذا النحو لافي س ولا في مُلقَى السبيل ولا إن شاء الله في سائر كتبه مما لم يَصِلْنا . اللهم إلا نزرٌ يسيرٌ[1] لا يصرّح إلى الغرض فلا حاجة لنا إذاً به .

وليكن منك على ذُكر أن له في اللزوم أيضاً مما يُضادّ عامـة الأمور المذكورة شيئاً ليس بالهين بل لعله يفضل على السابقة في الـكمية والـكيفية فانظر النظرة .

ولـكن الطبيعة البشرية مفطورة على الانجذاب إلى مافيـه استطرافٌ أو جِدّة . فتراهم حكموا عليه بَتاتاً بعدّة كلمات له سردوها في الزندقة واضربوا عما يضادّها صَفحاً بالمرّة . كما أن الذين أرادوا تبرئته وإبقاء جَبيـه اقتنعوا على ما يضادّها فقط . فأيُّ الفريقين أحقّ بالأمن ؟

والذي يتخلص من كلّ ماله أن الرجل لما رحل الى بغداد كان يرتجى من دنياه أن تواتيه ومن حياته أن تساعفه . ولـكن لما رأى بها أعراض الحيـاة

(١) أنظر س١ : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٩ ـ ٢ : ١٢، ٥٤ ، ٨٩ ، ٩٠ و ١٧٧ ـ وا كثرها فى الاعتراف الصادع والدين الناصح ـ وانظر الملقى ٢٢٥ للايمان بالبعث

وزهراتها منقادة للطغام مُعْرِضة بوجوهها عن الكرام علم أن الدنيا ليست الا حظّا وبختا وأن فوائدها لا تحصل بالكد والعمل أو السعي والاجتهاد . ولم يكن يرغب في الدنايا حتى يكتفي بها عن المعيشة الفاضلة فنقب عن العلماء والنُسّاك لعله يجد دواءه عندهم فرآهم حريصين على المطامع والمطاعم . مُولَعين بالاستهتار بالمعاصي غير آخذين أنفسهم بالواجب واللازم . وكأنه كلما أنكر عليهم منكرا وندّد بسوء أعمالهم أغراهم بنفسه وأثار منهم دِخلةً فاسدة فرَموه بالعظائم . وأحالوا على الشريعة والدين حتى يتخلصوا عن لومة كلّ لائم . فرماهم رَشقاً واحداً . ووقع فيهم وفي أديانهم جاهداً . فأخذوا بعض كلامه وطاروا به ورموه به بكل قبيحة . قال أمين الحلواني المدني[1] : لعل أبا العلاء كان في زمان مثل زماننا هذا يعني كلّ امرىء أنكر المنكر يرمونه بسوء الاعتقاد ليغروا به الملوك كما قال الامام ابن حزم : انا طريد الملوك لأني اقول الحق ولا أبالي اه

فلم يكتفوا بما وجدوا له بل عملوا بعضاً من الاشعار وضمنوه مايرمي الى المروق . نقلوا [2] عن ابن العديم في العدل والتحري قال قرات بخط ابي اليسر المعري في ذكره وكان رضي الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على اسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وايثاراً لاتلاف نفسه (ثم أورد ثلاثة أبيات له اهوانٍ . وانظرها في الفائت) وترى في الفائت بعض كلمات ركيكة لاتشبه سائر شعره ولعلها من هذا الجنس . ومر خبر تحريف رجلين بيتاً من اللزوم وتأليف أبي العلاء رسالة الضَبْعَين وإرساله اياها الى معز الدولة علي بن صالح تنصلاً

(١) في مقدمة اللزوم الطبعة الاولى ببمباي .
(٢) ادبا ا: ١٧٩ . وكذا في أنيس الجليس ١ : ٢٧٩

ولدينا شواهد على أنهم لم يعملوا بالتحفظ والاحتياط في عزو بعض أمور اليه مما هو براء منه كما مر قول الزمخشري في بيتين من ص أنه عارض بهما قوله تعالى إنها ترمي بشرر الآية . وقد دفعناه في صدره ورددناه عليه . وهذا ابن السبكي روى بيتين لابن الراوندي[1] وعزاهما إلى المعري ثم قال فقبحه الله ما أجرأه على الله عز وجل (ثم ذكر لهما نقيضة) فهل من متأدب لا يجزم بأنهما لابن الراوندي[2] . وروى ابن سعيد في المغرب[3] من قصيدة للجمال أبي الحسين الجزار قوله :

وفي علم العروض دخلت جهلا   وعمت بخفتي في كل بحر
فأذكرني به التفعيل جهلا   تضمن نصفه الشيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعولن   « حديث خرافة يا أم عمرو »

والمصراع عجز بيت لبعض مشركي مكة كما هو معروف ، وصدره :

أموت ثم بعث ثم حشر

ولكن هذا الاستدلال لا يغنى عنه إلا في المنحول وأما الثابت الذي دونه بنفسه في ل فهو أيضاً كثير فكيف يسلم من معرته ؟ . وهاك أموراً تجلو من الحقيقة شيئاً :

إن حب الظرف والاستطراف هو الذي حدا به على أن أنشأ كل صنف من الشعر وولج في كل باب منه لما اشتهر به الزنادقة من الأدب والتظرف قال

(١) الشافعية ٣ : ٩٧ وهما :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه   وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة   وصير العالم النحرير زنديقا

(٢) انظر المعاهد ١ : ٥٣ .

(٣) ١٣٤ .

ابن القارح [١] ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ويتطرّفون ويتـذؤن اعجابا بذلك المذهب [٢] تيهَ مُغَنٍّ وظرفَ زنديق اه ولو كانت هذه آراء له منقحة وأفكاراً محققة لم نجد لها من الأضداد هذا القدر الجمّ . وقد ورد في مقدمة بعض النسخ من اللزوم [٣] مقدمة بسيطة تبرأ فيها من قصد الالحاد بأوضح بيـان وقال ان غرضه التفنن بالشعر اه. ويشهد له ما جاء في ثبت كتبـه [٤] من أن بعض الجهّال تكلّم على أبيات من لزوم مالا يلزم يريد بها التشرّر والاذية فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشيء هذا (يريد كتاب زجر النابح) فأنشأ هذا الـكتاب وهو كارهٌ اه. فهذا صريح في ان أصدقاءه لم يكونوا يعرفون اللزوم كتابَ الحاد كما عرفه الأباعد وأن مذهب الالحاد لو كان فيه غرضا مقصوداً لم يحتج الى الردّ على ذلك الجاهل فنفث الرجل بكل ما تخالج في قلبه من الشكوك التي لابد للانسان منها وهذا ابراهيم عليه السلام قال ولـكن ليطمئنَّ قلبي وهذا معنى قوله من . ل :

يسمّي غويٌّ من يخالِف كافراً ⁂ له الويلُ أيُّ الناس خالٍ من الكفر

فلم يأت أمرا بِدْعا بل هو على مذهب غيره من الشعراء كالمتنبيء وابن هانيء وأبي نواس بل هو أصدق منهم لهجة وأتمُّ منهم نُسُكاً وزهداً وقناعةً وايثاراً وتعبّدا واستقلالا بالآراء . وغاية الأمر أن لم يكن وضح له بعض العقائد فكان منها في شك وحَيْرة على ما يَنم به شعره وكان يودّ أن لو لقي رجلا

(١) ١٩٧

(٢) انظر المثل في كتابي معجم الامثال .

(٣) أنظر المشرق ٥ : ٤٧ وهذه النسخة قديمة

(٤) ادبا ٢ : ١٨٣ .

يُزيل عنه الشكوك ولـكنه أخفق فيما هو الظاهر فلم يزل يذكرها ذكر من لا يسيغها ولا يلفظهـا . والدليل على ذلك أنه لم يزل قائماً بما لم يشكّ فيـه كالمواظبة على الصلوات واحياء الليل والذكر والتسبيح واجتهـد أن يتوفى على هذه الحالة كما قال في ثبَت كتبه وكما شهد به الذين لقوه وعلى صوم الدهر والمروّة والفتوّة والعفاف والطهارة ونقاء الجيب عن سفاسف الامور . وقد قالوا ان صاحب كل فنّ يحتاج اليه فقط وأما المتأدّب فإنه يحتـاج الى كلّ العلوم والفنون وينبغي له أن يطرق كلّ باب ويلج في كل ساحة

وهؤلاء ملاحدة العالم من جميع الأديان لا يشبه مذهبه في الحياة مذاهبهم على ما أورد كثيراً من أخبارهم في الغفران . فهم يأنفون عن التكاليف الشرعية ويستنكفون من العبادات ويستخفّون بها ويستهزؤن ويسخرون ويولعون بالهَزْل ولا يأخذون بذوات نفوسهم بَلهَ المسترشـدين . على أن جلّهم كانوا داعين الى مقالتهم التي أنشأوها حتى يتمكنوا من زهرة الحياة ويقدروا على لذائذ الدنيا فانها غرضهم الوحيد . ولم ينقل أحد ولا من أعدائه عنـه أنه كان يرغب في شيء من رغائب الدنيا أو يدعو أحدا الى مقالة في الدين يكون انتحلها وهؤلاء تلامذته ملأوا أقطار البسيط ليس فيهم أحد على مذهب شيخه ولا نَقَل أنه دعاه الى دين غير الاسلام ولو كان داعية لم يَعدَم منهم مؤمناً به ولا أعوز عليه تابعٌ منهم . كما لم يُعوز على أغمار الملاحدة وطغام الزنادقة قبله وبعده . وقـد كتب اليه ابن القارح مَذامَّ الملاحدة وآفاتهم فهل نراه سَخِر منه ؟ ولـكنّ ذكاء صاحبنا لا يخلّينا أن نظنّ به الجهل عما يُراد به ، ولا نظنّ ابن القـارح عرَّض به وبهروقه مع اعتقاده فيه كلّ جميل

ولم أر فى معارفه وهم خَلق لا يُحصَوْن أحدا قرفه بما قرفه به الاجانب(١)

(١) قال ابن الوردي ١ : ٣٦٢ ونقل خبر مساجلة أبي الطيب الطبري على ما مر

وهذا لعمري عجب عاجب . وهذا التبريزي وغيره من التلامـذة وغيرهم من زُوّاره بالمعرّة ومنهم شيخ الاسلام الصابوني والقاضي عبد الوهاب المالـكي ومن البغاددة أبو الطيب الطبري وأبو حامد الأسفرائنيّ المجدّد قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا في اصطفائه ووُدّه . والأندَلُسيّون معروفون بالصلابة في أمر الدين ولم أر لهم كلمةً في القذف وماذاك الا ضنًّا منهم بدينهم أن يتهموا بريئًا فظهر مصداق قول ابن العديم أن الذين لقوه وصفوه بكل جميل والذين لم يلقوه ولا عرفوه رموه بكل قبيح

وفي عمدة المؤمّل وعُدّة المتمثل (١) وأنشدني قاضي الحـكم بمعرّة النعمان ابن عم لأبي العلاء وقد أجازني اجازة مطلقـة جميعَ شعر أبي العلاء ومنثوره وحِكَمَه وذكر لي ما كان ابن عمه عليه من الزهد والورع وجميل السريرة خلافا لما ظهر من لفظه في نظمه ثم أتى ببيتيه من من خلق الناس للبقاء الخ . اقول وكانه اراد بابن العمّ بعضَ وُلده كما هو الظاهر.

على أن المتقدّمين من متّهميه راعَوْا جانبَ التحفّظ فلفظ السمعانيّ وحُكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض النـاس بالإلحاد اه . ولفظ الباخرزي وعندنا خبر بصره والله العالم ببصيرته والمطّلع على سريرته ، وإنّما تحدثت الألسن باساءته لـكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ وقد مرّ

في أبواب بغداد وابيات كليهما ثم قال وشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن وخصوصاً بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث وهو لا يأتي الا بخير وكان شيخنا تبس حسن العقيدة فيه واعتراف الطبري له ومدحه يكفيه

شهادة الطبري الحبر كافيـة ابا العـلاء فقل ما شئت أو فذر
من أغمض السيف عنه كان في دعة ومن نضا السيف قابلناه بالطبري

أي القاضي الطبري أو بالطبر وهي الفأس بالفارسية .

(١) لعبد الله بن عبد الرحمن السعمي الغرياني الاندلسي وألفه بمكة سنة ٦٤٦ هـ رأيت نسخته بحيدر آباد .

لنا قول الأولين أن « زعموا مطية » الكذب . فان كان نبزه بالإلحاد من جهة الفصول فإنا ننفيه آنفاً إن شاء الله . ونرى كثيراً من مترجميه لم يتعرّضوا لدينه ولعمري إن فيهم لاسوةً كالكمال ابن الانباري وابن خلّكان . ولكن المتأخرين المسيطرين حكموا بزندقته حكم الصبيّ ولم يستثنوا

ولا تحكما حكم الصبيّ فانه كثير على ظهر الطريق مجاهله

ولم يقفوا دون الحدّ ولا احتاطوا في المَقال . على أن المتقدمين كانوا أرعى منهم لجانب الله وأتقى له في عباده وكانت لهم وسائل تسهّل سبيلَهم إلى كشف جليّة الأمر لقرب عهدهم به . وأما الذين ضُرب بينهم وبينه بأسداد وأُرخيت دونهما الأستار المظلمة فكان حرِيًّ بهم صون الألسنة عن الوقوع في مَورِطة مُوئِبة ومدحضة مؤلمة . وها أناذا أتكلم على رجل رجل من متّهميه وإن لم أكن أحتاج إلى ذلك فإنهم لم يدرسوا آثار الرجل وجسروا على الحكم قبل التجربة وقلد بعضهم بعضاً وأسرعوا لما لم يعرفوه إبطالا ونقضاً ، ولكن ليظهر درجتهم من التحرّز والتأثّم فلا يُعطَوْا أكثر مما يستحقّون من القبول والرضى .

فالقاضي البحّاثي كان أستاذاً للباخرزى فلذا نقل قوله . على أن القاضي لم يسلم من حصائد لسانه أحد من أفاضل عصره وأعيانه ، ذكر ياقوت [1] أن الكبار كانوا يحترمونه للتوقّي من حُماتِ لسانه وعقارب هجائه ولقد رُزق من الهجاء طريقة لم يسبق إليها وما ترك أحداً من الكبراء والائمّة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس إلاّ هجاه ووقع فيه فكان الكل يترّسون باحترامه وإيوائه عن سهام هجائه الخ أما ـ وحال الشاهد على ماذكر ـ كان الرجل يستحقّ

(١) ٦ : ٤٠٨ .

منه الهجوَ ؟ حتى يسلم من العين ، ويدخل في زمرة الأفاضل المهجوّين

ما كان أحوجَ ذا الكمالَ إلى ... عيب يوقّيه من العين

وأما الشريف ابن الهبّارية فحدّثْ عن بحر الخَنَى والأهاجيّ ولا حرج، وعن طَوْد القذَع ولا تتحاش . قال ابن خلكان [١] : كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لايكاد يسلم من لسانه أحد . ثم أورد من أخباره ماطيُّه أحسن من نشره . ومذهب ابن خلكان في ملك اللسان معروف . على أنه لو لم يكن له من الآثار إلا ما أورده الصفدي [٢] من خبر يمنعنا الحياء من إثباته لكفاه ولكفانا . وأما صاحبنا فان مذهبه في ترك الهجو مما شهد به عبد السلام داعية المعتزلة القزوينيّ وكان عِرّيضاً معنّتاً كما مرّ في الزوّار

ولست بهاجٍ في القرى أهل منزل ... على زادهم أبكي وأبكي البواكيا

ومذهب ابن الجوزي [٣] والذهبي في الإقدام على الجرْح والقَدْح مما لا يُجْهَل ولا يُنْكر ، فهلاّ نردّ على كل هؤلاء لوهنهم أو لعَصَبيّتهم

فما لك تقبل زور الكلام ... وقدر الشهادة قدر الشهود

وأما الفصول فليس من معارضة القرآن أو مناقضته في قبيل ولا دبير . وترجمته في الثَبَت عند ياقوت والذهبي كتاب الفصول والغايات فقط وكذا عند ناصرِ خسْرُوْ وأمّا زيادة « في مُحاذاة السور والآيات » فالظاهر من كلام المتقدّمين [٤] ولا أستثني أحداً أنها ليست من ترجمة الكتاب فلفظ ناصرخسرو

(١) ٢ : ١٥. روى ابن الهبارية أبياتا للمعري تشير الى أن الموت ظلم من البارىء تعالى (ادبا ١ : ١٩٤) ولكن هذا المعنى يناقضه اللزوم :

استرد الحياة منك لعمر الله من كان للحياة معيرا

(٢) الغيث ٢ : ١٩٠

(٣) وقال ياقوت ٦ : ٢٠٤ وأنا لاأعتمد على ماتفرد به ابن الجوزي لانه عندي كثير التخليط اه

(٤) ولفظ الذهبي : وكأنه معارضة منه للسور والآيات

وقد ذكره : حتى إنهم اتهموه بأنك عملته معارضة للقرآن اه . ولفظ الدمية: زعموا أنه عارض به القرآن اه . ولفظ خليفة : الفصول والغايات في معارضة السور والآيات على ما ذكره ابن الجوزي لأبي العلاء الخ . وليعلم أن خليفة لم يذكر شيئاً من تآليف صاحبنا بحوالة ابن الجوزي بل الظاهر أخذه إياها عن معجم الادباء فظاهر أن معنى كلامه هنا أن كون الفصول في المعارضة على رأي ابن الجوزي . ومعلوم أن المعتبر نيّة العامل لانيّة ابن الجوزيّ . والمحاذاة ليست من المعارضة في شيء كما مرّ لنا إثباته في التَبَت فانظره . على أن الرجل معترف باعجاز القرآن بعد تأليف الفصول اعترافاً ليس وراءه غاية تُرام كما مرّ . وقد رأينا منه فصولا فلم نجد إلا عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

ولعمري إنا لفي أشدّ حاجة إلى من ينتقد علينا أعمالنا ، ويدلّنا طريق رشدنا . وأما هؤلاء المطْرون من المدّاحين فيضرّوننا من حيث يريدون أن ينفعونا ، فقد طمّت في جميع طوائفنا الآفات ، وفشت فيهم السوآت ، وشكت الأرض إلى السماء ماتحمله من البلاء والعناء . وقد وصل بي الكلام وله شجون وفنون بحيث أوقفني موقف ذابّ عنه متعصب له ، وأيم الله إني لم أقل إلا حقاً ولم أنطق إلا صدقا

ولكن له والحق يقال كثيراً من الأشعار تجنح إلى التشكيك فقال بعضهم — ومنهم السِلَفيّ والصَفَدي — وكان لايستقرّ به قرار ولا يبقى على قانون واحد بل يجري مع القافية إذا حصلت كما تجيء (؟ تجري) لا كما يجب اه . وهذا الرأي صحيح في بعض شعره ومنه قوله . ل :

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زهير أيّةً سلكوا

وبيت زهير (١) هو :

(١) شرح ديوانه مصر ٤١

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا   وزوّدوك اشتياقا أيّةً سلكوا

فلولا أنه مال به الكلامُ إلى هذه القافية عمداً لم يجنح لها فإن له كثيراً من الأبيات في عدم العلم بمحلّ الأرواح ولا أُبعد فله قبل بيتين من المذكور :

إن تسأل العقل لا يوجدك من خبر   عن الأوائل إلا أنهم هلكوا

وانظر النظرة . وليس معناه أنه كان يهذي هذيان المتوهين ـ بل الحقيقة أنه ليس في الدنيا شيء إلاّ وله جانبان من جهة حُسْنه في بعض الأحيان وقُبحه في غيره ، فالفيلسوف الطبعي هو الذي لا يغفُل عن الجانب الآخر ، والطبيب الحاذق هو الذي يعرف بمحلّ الداء ومقداره فيصف له الدواء الصالح فأبو العلاء إذاً فيلسوفٌ بالطبع لا بالتصنّع والتكلّف حتى يغلب عليه الفلسفة في غير حينه شأنَ الفلاسفة المتفيهقين

كل امرىء راجع يوماً لشيْمته   وإن تخلّق أخلاقًا إلى حين

وأُوْلع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل إلى المجاز . قال الذهبي والمشكل من شعره فله على زعمه تفسير . أقول : وله شعر يرمي الى ما قالوا ، فمنه . ل :

وليس على الحقائق كل قولي   ولكن فيه أصناف المجاز

لاتُقَيِّدْ عليّ لفظي فإني   مثل غيري تكلُّمي بالمجاز

لاتُخبرنَّ بكنه دينك معشرا   شطُرًا وإن تفعل فأنت مغرّرُ

تعالى الله فهو بنا خبير   قد اضطربتْ إلى الكذب العقول

تقول على المجاز وقد علمنا   بأن الأمر ليس كما تقول

وهذا القول أيضاً صواب في بعض شعره لا في سائره فهو يقول في ضدّه. ل :

فاسأل حجاك إذا أردت هداية   واحبس لسانك أن يقول مجازا

ومع كل ماهر يبقى له كثير من القول لا يقبل تأويلا ولا مجازاً فان الرجل اعترف بنفسه انه بقي مدة طويلة في الحيرة والتشكيك ، ل :

عَوْدٌ يصدّق أو غِرٌ يكذّب أو   مردّد بين تصديق وتكذيب

وهذا ظاهر في انه كان في شبابه ممتريا ثم بقي طول كهولته مردّدا ثم صدّق بالشرائع في مشيبه . وهذا هو الصواب الذي لا محيد عنه لأُلى الألباب فإني لم أجد في مُلقَى السبيل شيئا يجذب الى المروق . وروى ابن الوردي[1] عن دفع المعرة عن شيخ المعرة أنه وُجد المعري في ديوان لزوم ما لا يلزم متذبذبا حائراً في الدين لكن الكتب التي ألّفها بعد ذلك خصوصاً ضوء السقط تصلح هذا الفساد وتوضح رجوعه الى الحق وصحةَ اعتقاده ، وضوء السقط خاتمة كتبه ، والأعمال بخواتمها اه . وقال السِلَفي[2] : ومما يدلّ على صحة عقيدته ماسمعت الخطيب حامد بن بختيار النميري بالسمسانية مدينة بالخابور قال سمعت القاضي ابا المهذّب عبد المنعم بن احمد السروجي يقول سمعت أخي القاضي أبا الفتح

(١) ١ : ٣٦٠ من تاريخه ولفظه : ثم وقفت له على كتاب ضوء السقط الذي أملاه على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الاصفهاني الذي لازم الشيخ الى أن مات ثم أقام بحلب يروي عنه كتبه فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده ، موضحاً لرجوعه الى الحق وصحة اعتقاده . فانه كتاب يحكم بصحة اسلامه مؤلا ، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة : وللآخرة خيرلك من الاولى . فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر ويلذ السمع ويقر العين ويسر القلب ويطلق اليد ويثبت القدم من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بريته، والتقرب الى الله بمدائح الاشراف من ذريته، وتبجيل الصحابة والرضا عنهم والادب عند ذكر ما يتلقى منهم وايراد محاسن من التفسير والاقرار بالبعث والاشفاق من اليوم العسير ، وتضليل من انكر المعاد ، والترغيب في اذكار الله والاوراد ، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها . وهو خاتمة كتبه والاعمال بخواتيمها. وقد يعذر من ذمه واستحل شتمه فانه عول على مبادىء أمره وأوسط شعره ، ويعذر من أحبه وحرم سبه فانه اطلع على صلاح سره وما صار اليه في آخر عمره من الانابة التي كان أهلها والتوبة التي تجبّ ماقبلها ، وكان يقول رحمه الله : أنا شيخ مكذوب عليه اه

(٢) ه ١٣٤ ومعاهد ١ : ٥٠

يقول دخلت على أبي العلاء التنوخيّ بالمعرّة ذات يوم في وقت خلوة ـ بغير علم منه ـ وكنت اتردّد اليه واقرأ عليه ، فسمعته وهو ينشد من قبله :

كمْ بوْدرتْ(١) غادة كَعابٌ وعُمّرت أمّها العجوز
أحرزها الوالدان خوفا والقبْرُ حِرزٌ لها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا والخلد في الدهر لايجوز

ثم تأوّه مرّات وتلا « ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ـ إلى قوله ـ فمنهم شقيّ وسعيد » ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال : سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا كلامه . فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد عليّ وقال متى اتيتَ . فقلتُ الساعة ثم قلت ياسيدى ارى في وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ماترى . فتحققت صحة دينه وقوة يقينه اه . ومن أبياته التي قالها في القاضي أبي محمد ابن اخيه وكان مرّضه في مرْضته الاخيرة قوله وهي بتمامها في الفائت :

سأنشر شكره في يوم حشْرٍ أجل ! وعلى الصراط المستقيم

وهذا صريح فى الباب . والأعمال بخواتيمها . وأمره الى الله وهو يعرف خبايا الضمائر وسرائر الظواهر . ل :

مولاك مولاك ! الذي ماله نِدّ وخاب الكافر الجاحدُ
آمِن بهو النفس ترقَى وان لم يبق إلا نفَس واحد
ترجُ بذاك العفو منه اذا أُلحدتَ ثم انصرف االاحد

إن ختم الله بغفرانه فكل ما لاقيتهُ سهلُ

(١) ملقى السبيل ٢٢١ وفيه « كم هلكت » وهي فيه أربعة وعند الذهبي « كم غودرت » وهو تصحيف

تم الكتاب مع الملتكة والفائت تسويدا وتبييضا وتم النظرة تسويدا في مدة خمسة اشهر آخرها يوم الاثنين لعشر ليال بقين من شعبان سنة ١٣٤٣ ﻫ ببلدة لاهور عاصمة بنجاب الهند وأنا أسير غربتين: غربة عن الوطن، وغربة عن أهل العلم الذين كانوا لوكانوا غرة في جبين الزمن . حامداً لله تعالى ومصليا على رسوله الذي اصطفاه ومسلّما عليه وعلى الذين اتبعوه باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . آمين . ١٦ مارس سنة ١٩٢٥ م

ثم زدت فيه أشياء كثيرة من كتب خطّيّة عثرت عليها أثناء رحلاتي في أعماق الهند واقاصيها من اواسط يونيو الى أواخر أغسطس سنة ١٩٢٥ م

***

وأما كتابي نظرة في النجوم من اللزوم فكان يُودّي أن لو طبعتهُ مع هذه الثلاثةولكن الحالة الحاضرة قضت بتأخير أمره إلى مدًى الله به أعلم وما ذاك إلاّ من قصوري ونَبْوة البلاد والله مفزعنا وهو المُراد

فهرس

لكتاب « أبو العلاء وما اليه »

صفحة

بيان وملاحظات وأغلاط

بيان وملاحظات وأغلاط

إذا الله جازى الأوداء عن ودّهم جازى عني أخي في الدين والأدب وشكلي في المساعي العلميّة الفاضل الجليل الاستاذ محب الدين الخطيب ،فهو الذي أخذ بحجزتي وشدّ ضبعيّ وقوّى عزيمتي فيما أنا بصدده من خدمة هذا اللسان، ومهما تجشّمتُ أيها الخطيب وتفاصحت فلن أتمكن أن أخفف نفسي من أعباء أياديك الغرّ التي طوّقتني بها فأكِلُ جزاءك على ما أسديته إليّ من المعروف إلى الذي هو بعباده لطيف خبير فلن يضيع عنده عمل عامل . فتعالَ ندعُ اللهَ أن يكثّر فينا من أمثالك حتى نتمكن من خدمة الأمة المرحومة وهي أقصى ما نتمناه في هذه الحياة المشؤومة

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

﴿ ملاحظات لا تخلو عن الفائدة ﴾

. زد ص ١٠ س ١ بعد (للسمعاني) النظرة ـ نظرة في النجوم من اللزوم كتاب يبقى بعدُ في المسوّدة جمعنا فيه أكثر أفكار المعرّي تحت عناوين المضامين بحيث يمكن الإنسان أن يرى جُلّ شعره في معنى من المعاني في موضع واحد

ص ١٣ س ٦ : الرامشي من تلامذة المعري انظر ترجمته في ص ٢٢١ .

ص ٤٠ س ٤ لم أجد القصة في عجائب البلدان وإنما هو في آثار البلاد له ص ١٨١ وفيه « قوائمه » وهو الصواب و« درهما »

ص ٤٠ س ٧ قوله عن تلخيص الآثار ـ أي آثارِ البلاد المذكور والخبر في أصل الكتاب ص ١٨١ . وفيه « أولى الابصار » بدل البصائر

ص ٤١ س ٣ زد بعد « اه »: وفي آثار البلاد ص ١٨١ ذكر البعير عنده أنه حيوان يحمل حملا ثقيلا فينهض به فقال ينبغي أن تكون رقبته طويلة ليمتدّ نَفَسه فتقدر على النهوض به

ص ٥٥ س ح ٦ : زد أن الدُلَفيّ تُرجم له في الأُدباء ٧ : ١٥

ص ١٣٠ س ٢ قوله عن ياقوت . راجع الأُدباء له ٧ : ٤٥

ص ١٣٧ س ٧ قوله كما وهم صاحب النور السافر . والقزويني في آثار البلاد ص ١٨١ أيضاً

ص ٢١٢ س ٩ زد أن ابن الأبّار[1] روى عن مشيخة السِلَفيّ للتُجيبي قال أنشدنا السِلَفيّ قال أنشدنا أبو المكارم الابهري قال أنشدنا أبو العلاء التنوخي لنفسه بالمعرّة :

توحَّدْ فان الله ربك واحد ولا ترغَبَنْ في عِشرة الرؤساء

الاربعة الابيات من ل[2]

(١) التكملة له ١ : ٣٠٥ . (٢) ١ : ٤٦ .

ص ٢٢١ س ١٩ زد بعده : (٣٦) محمد بن علي المقريء الكازروني .

روى ابن الأبار [١] عن مشيخة السلفي للتجيبي قال سمعت السلفي بالاسكندرية يقول سمعت القاضي أبا الحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد بتُسْتَرَ يقول سمعت محمد بن علي المقريء الكازروني بالأهواز يقول دخلنا على أبي العلاء المعري منصرَفَنا من مكة ونحن جماعة فسألَنا عن أسمائنا وبلداننا وصنائعنا . فانتسب كل واحد منا فلما سألني عن صناعتي قلت أنا قاريء . قال فاقرأ لي آية من كتاب الله تعالى فقرأت يوم « تقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » فبكى بكاء شديداً ثم أمر لنا بدُريهمات وقال اصرفوها في البلَس يعني التين فإنه أوانه . فسألناه أن ينشدنا شيئاً من الشعر فأنشدنا :

يغدو الفقير وكل شيء ضدّه والأرض تُغلق دونه أبوابَها

(الأربعةَ وهي في الفائت)

ص ٢٢٣ س ٦ وسماه ابن الوردي في تاريخه ١ : ٣٣٤ علي بن عبد الرحمن الفقيه المعروف بصريع الدلاء

« ٢٥٩ « ١٧ كذا والصواب مالها وتر . فالقوس مؤنثة . عدّها ابن الحاجب مما لا يجوز تذكيره

« ٢٦٧ « ١٤ قوله في الكتبة ـ كذا ولعله في الكتابة

(١) التكملة ١ : ٣٠٥ .

﴿ أغلاط يجب التنبه لها ﴾

و (ح) علامة الحاشية

كَثُرَ غَلَطانِ وهما وضع (اه[1]) موضع (الخ) وأبو بكر (ابن الخير[2]) بدل أبي بكر (ابن خير) غير محلًّى بأل

ص	س	
٣	١٩	ماهِيْضها
٥	١٤	ريب المنون
١٥	ح٤	سفر نامه (الرحلة)
٢٢	١٦	في ألأقاصي بله الأداني
٢٣	ح٦	ونسخته
٣٣	٨	قوله «وفي إنباء الخ» اجعل هذه العبارة تحت العدد (٤)
٣٤	٥	النعمان
٣٩	٧	أشجاني
٤٥	١٠	لك خبيئةً
٤٩	١٥	بفرع ضالٍ
٥٠	ح١	في الامة الأمّيّة

ص	س	
٥٠	ح٣	حفظت عدة كتب
٥٢	١٦	ضع رقم (٤) على « الصفدي » في س ١٨
٥٦	١٧	سرب ـ ما
٥٧	١٤	الاسعاف كالبغية
٦٨	ح٥	للمدّحين
٧٠	٨	المَراد بفتح (الميم)
٧١	ح٣	١٨٨ ـ وليس
٧٣	٤	التكبير
٧٣	ح٢	المؤونيّة
٧٥	٧	السكونِ
٧٨	١٠	وتبذل لهم

(١) انظر ص س ص س ص س ص س ص س
٢٩ ١١، ٣٦ ح٦، ٧٢ ٧، ٧٣ ح٥، ٩١ ١٣
٩٧ ٩، ١٠١ ٨و٩، ١١٦ ٣، ١٤٠ ح١٠، ١٦٦ ١٧
١٩٢ ١٣

(٢) انظر ص س ص س ص س ص س
٩ ١٢، ١٢١ ح١، ١٢٢ ٢، ٢٠٥ ١٣وح١
٢٠٦ ١٣، ٢١٣ ١١، ٢١٥ ٢، ٢٢٠ ح ٥
٢٦٤ ١٢و١٣وح١ ٢٦٦ ٢، ٢٧١ ٢

ص	س	
٧٨	ح٢	مع ر اا ٢٩
٨٠	١٣	ذرَى
٨١	٥	من عنْجُدِ
٨١	١٣	بغانةَ
٨٦	ح٦	بعد ما طال
٨٨	١٣	أبي الحسين (كذا)
٨٩	٨	ونهب
٩٢	١	وترويس ص ٩٣ هما والمعري و٩٥و٩٧
٩٥	٧	مِننَه وأن
٩٦	ح١	البدّيةِ
٩٧	٣	قَيْلُ
٩٩	٨	أيضاً ـ وأبناءَ
١٠٢	١١	حلُكٌ « غير التعلم »
١٠٣	٣	بها [لحماسى"]
١٠٣	١٦	سُوْدَ
١٠٦	١١	أو إ كرام أو
١٠٩	٨	أبو طاهر . . . . .
١١٣	١١	إحداهما
١١٥	١	والبدوُ ـ الوُكعِ
١٢٠	١٢	وخذا النوم
١٢١	١	قوم سماهم
١٢٣	١٥	إذا
١٢٥	ح١	س ٢ : ١٠١
١٢٧	ح٢	وهي دعوى
١٣٠	٣	الجبّان (بالباء الموحدة)
١٤١	١٤	حاب [٣]
١٤٤	٥و٦	بوح بالباء
١٤٨	٧	لا في الهـاء
١٥١	ح٤	فيما قل
١٥٢	١٢	فأساء جابةً
١٥٩	١٥	والصَراة
١٦٠	١٣	إن لم توجزْ
١٦٢	ح٣	خالفهم
١٦٢	ح١٠	والأصل يورجه
١٦٤	٤	لتجزيني
١٧٠	٥	المَراد
١٧٠	١١	أحدا
١٧١	٩	نِعْما
١٨٤	٧	الجيْذية أو
١٨٤	ح١١	الدماء زهادة
١٨٤	ح١٤	لبن مشوبة
١٨٨	١٧	خسيس لا
٢٠٣	٢	تَيَسَّرَ
٢٠٧	ح٣	الجزائر وفي

ص	س	
٢٠٨	١٤	ستيرَ
٢٠٨	١٥	اللزوم ذكر
٢١٠	٤	ومن أَخْمّ
٢١٠	٩	رحل اليه
٢١١	ح٢	مثلها في
٢١٢	ح٧	وهو مدرس
٢١٣	١٩	الأَزَجيّ (بالزاي)
٢٢١	١٣	وذكره ابن
٢٢١	١٩	ولد وفي
٢٢٤	ح٦	وعند القفطيّ
٢٢٦	ح٧	نقيضتها
٢٢٧	١٠	لي ـ أنسك
٢٣٠	٨	وقد حار بعض
٢٣٩	١٦	فنُقضت ورحل
٢٤٠	٧	خُمْرَتها
٢٤٠	١١	الأروى
٢٤٥	ح٣و٤	اشطب (ومنها الرسائل)
٢٤٧	ح٢	على تشرر
٢٤٩	٣	على غرّه
٢٤٩	١٦	في العمود
٢٥٢	بعد٣	زد علامة الفرق (ـ)
٢٥٣	ح٢	بين جمادى
٢٥٤	١٤	جناة

ص	س	
٢٥٨	١١	فيه الكواكب
٢٦٠	ح٢	ذهبي ١٣٥
٢٦١	١٠	ونبزوا
٢٦٤	١٩	خماسيّة الراح
٢٦٦	٦	وشرحها فصيح الخ
٢٧٦	ح٢	مؤلّفه
٢٧٧	٥	إلى آخره
٢٨٢	٤	٢١ كتاب الأجناس
٢٨٢	٢٢	٢١٠ الأماليّ
٢٨٣	٢٨	٣٦ — ٣٩
٢٨٣	١٣-٢٦	غ١٨ مقاتل الفرسان لأبي عبيدة ل ١ : ١١١ غ١٣٧ المقنع للسيرافي وابنه ر ٨٢ المنطق ـ أربعة كتب فيه غ ١٣٧ الموجز الخ س ٢ : ٢٢٤ كتاب مجهول الخ ر ٥٧ نوادر ابن الأعرابي غ ١٤٧ « الصولى غ ١٤٠ ر ٨٩ كتاب الورقة الخ
٢٨٧	٤	النواوي
٢٩٧	٨	ترك الهجو

أغلاط لا يضر إغفالها

ص	س	
٧	٩	المطبوع
٩	١٦	ما لا يلزم
١٠	٨	المطبوعة
١٣	٧	معرّني (بشد الراء)
١٥	٣	آخر
١٨	ح٥	غرر
١٩	١٥	جلبات
١٩	ح٤	وأعرضنا
٢١	ح٢	كما تصحف
٢٢	ح٦	وتبيين
٢٥	٨	نقصرها (بشد الصاد)
٣٠	١٥	جد الجد
٣١	١٧	القاضي عبد الله أبي محمد
٣٢	٤	الآبار
٣٢	١٧	وادع
٣٥	١٤	اجعل رقم (٤) على « غيرها »
٣٩	ح٥	صاحبنا
٤٣	ح٨	بليداً ولا
٤٣	١٤	الوبر
٤٥	٩	بأنطاكية
٥٨	٨	سبب (١)
٧٠	٧	النحل (بكسر ففتح)
٧٠	١٧	آخر
٧١	١	نبه (مجهولا)
٨١	٧	نرى (مجهولا)
٨٥	٢و٣	به قرونه
٨٦	٤	الجبلي (بفتح فشد الباء المضمومة)
٩١	٤	يطمن (كينصر)
١٠٧	١٠	آذان
١٠٩	١٧	خرق (كفلس)
١١٩	٧	(ياقوت زبزب)
١٤٢	١٠	صب اذا
١٤٤	١١	كل
١٥١	٣	بقافية
١٥٢	٩	وما نفخ
١٥٢	ح ٣	فن المعلوم

ص	س	
١٥٣	٣	الجوّ
١٥٤	٤	لا المرتضى
١٥٤	١٦	في آخرها
١٦٩	٥	لو طالبته (بضم التاء)
١٧١	٨	ثقل (بضم اللام)
١٧٤	١٠	الناسك
١٧٦	٢	البرّة
١٨٢	١٥	تسطو
١٨٥	١٣	تنخير (مجهولا)
١٨٦	٦	قصدوا (كطرحوا)
١٨٦	٨	وديّ
١٩١	١٣	القصري (بضم القاف)
١٩٥	٧	الغواة (كقضاة)
١٩٨	١٩	لم تحمد (كلم تنصر)
١٩٨	٤	الكواكب
٢٠٠	٣	فعلنا (بتشديد اللام)
٢١٢	٥	عينها
٢١٢	٦	تأليف
٢١٣	٢	سماء)
٢١٣	٨	الدرامي
٢١٥	٩	حبر دين (هما كسيد)
٢٢١	٩	الموت
٢٣٠	١٠	استدنى
٢٣٨	١٨	نقل (مجهولا)
٢٤٠	١٠	نصارى
٢٤٧	١٠	المسجد]
٢٤٨	١٠	بين المكمين من
٢٥٦	١١	وتوق
٢٦٥	ح١	، صححناها
٢٧٠	٢٠	له (٢)
٢٧٣	ح٩	ويجدبوه
٢٧٤	ح٦	منش
٢٧٦	١٥	لا خطأ
٢٨٢	س٣٢	القاسم بن
٢٩٥	١٦	تحدث
٢٩٦	١	« زعموا » معنية

فوائد

قد صدق الامام الشافعي أن التأليف شيء لايتمّ في حياة المؤلّف أبداً لحرصه على الاصلاح والاضافة وذاك أني اغتنمت من الزمان فرصة في محرم سنة ١٣٤٦ ه (يوليه سنة ١٩٢٧ م) وقضيت منها اسبوعاً في بانكي پور پتنه لزيارة خزانتها الحافلة بالأعلاق الخطيرة والنفائس الضنينة التي كنت أُمنّي النفس بها منذ أعوام متطاولة فوجدت في قلادة دُررها دُرّة غالية وهي نسخة جليلة عتيقة من سَقْط الزّند كُتبت في نحو القرن السادس وعورضت هي أو أصلها على نسخة قُرِئت على أبي العلاء فتصفَّحتُها ورقةً ورقةً وعلّقتُ منها في مذكّرتي ما يعين في تدوين تاريخ الرجل ـ وأضفت الى ما انتقيتُه منها فوائد من غيرها وهي : —

ورد في كتاب العصا لأسامة بن مُنقذ (١) من أمراء شَيْزَرَ (نسخة بانكي پور ورقة ١٦٠) ذكر رسالة لأبي العلاء لاتوجد في جملة رسائله المعروفة وهذا نص أسامة :

قال المؤلف أطال الله بقاءه : وقفت على كتاب كتبه الشيخ أبو العلاء احمد بن سليمان المعري الى الشيخ جعفر بن أبي القاسم بن أبي العوْد فيه ذكر العصا أنا ذاكره وهو :

مولاي الشيخ الأجل الأوحد أطال الله بقاءه ، وأدام نَعماءه ، وكبت أعداءه، واسمه جعفر والجعفر النهر الصغير الكثير الماء ، وانه لفرات يَرِده أهل الاظماء ، فيُغني الوُرّاد عن القطر النازل من السماء . وكنيته أبو القاسم وهو

(١) انظر ترجمته في معجم الادباء ٢ : ١٧٣ وورد في صفحة ١٨١ منه ذكر كتاب العصا الذي تصحف على المستشرق مرجليوث بالقضاء

يقسم مارُزق بين الضعفاء ، وطارقٍ يجب له حسنُ وفاء . وهو يشفق على بعيد وقريب ، وأهل من القوم وغريب . واللهُ جلّت عظمتهُ يُريه مايَسُرّه في نفسه وولده ، ويجعل المسرّةَ مقرّةً في خَلَده . وأما أنا فقد بلغتُ سِنًّا ، تصيّر العالي من الشجر ثِنًّا . وفي هذه المُدّة عَرَض لي ما يمنع من القيام ، ويُلْحق النارَ الموقدةَ بالإِبام (ككتاب : الدخان والجمع أُيُم ككتب) فاذا نهضتُ خلتُ أني متوقّل في رِنْيَق يُعجز تعالى (؟) السُوْذنيق (السوذنيق يوصف بعلوّ الطيران قال الحامي :

فما سوذنيق على مَرْقَبٍ خفيف الفؤاد حديد النظرْ)

وإذا مثلتُ قائمًا لم أقدر على خَطْو ، إلاّ كما ضعف من القَطْر . كأنّ خَطوي قِتْر ، وبيده الله العافية والستْر . ولا بدّ لي من عصا مُعينة ، والعجب للدنيا اللعينة . وورد وليّه الشيخ أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن أبي هاشم وهو مُوْقَر من أيادٍ ، ما زال لمثلها ذا اعتياد . والله يستجيب مني فيه وفي أودّائه مايرفع من دعاء ، فالرب الاوّل ملك الملوك وراعي الرعاء

٣ ١٩ الصواب ليس لِمَبِيْضِها جَبْر الخ

١٤ ح ١ زد وكذا في نسخة سقط الزند بيانكي پور عن نسخة دون ذكر السنة

٢٤ ح ٣ زد بعد (والادباء) : والنسخة الخطّية بيانكي پور

٣٣ ٥ زد أنه ورد في مصارع العشاق قسطنطينية ص ٢٣٤ (قال ابن السرّاج) لي من جملة قصيدة كتبت بها الى القاضي أبي مسلم ابن أخي أبي العلاء المعري :

إن غرامي يا أبا مسلم إلى غريبي في الهوى مُسْلِمي

ص	س	
		القصيدة قلت ولا أدرى هل أبو مسلم هذا هو ابن أبي المجد هذا أو غيره
٥٥	ح ٧	هذا الذي نقله صاحب البغية عن الادباء يوجد في الجزء السابع منه المطبوع آنفا
٦٢	١١	وروى مثله ياقوت في الأدباء ٤ : ٥ عن أمالي ابن خالويه قال سأل الخ
٦٣	٧	زد أنه كان بين أبي العلاء وبين ولد ابن خالويه صداقة ومهاداة فأرسل اليه كتاباً ثبت عليه خط سماعه فأجابه أبو العلاء بقطعة لامية وانظر الملحوظة على ص ٢٨١ .
٦٧) ١٦٥(	٧ ٩	قوله ولد أخ الخ هكذا علمنا إذ ذاك من نسخ السقط الحاضرة ثم رأينا في نسخة بانكي پور في عنوان الحائية « وقال يجيب الشريف أبا ابراهيم العلوي محمد بن احمد بن محمد بن الحسين بن اسحاق ابن جعفر الصادق عن قصيدة أولها : بعادك أسهر الجفن القريحا » فتبيّن أن ليس لأبي ابراهيم أخ يكون يدعى موسى بل هو تصحيف محمد والعصمة لله وحده
٧٣	٨	زد : ثم بُعيد ذلك في نسخة بانكي پور « ولم يكن من طُلّابِ الرِفد فالله سبحانه وتعالى يحمد على ذلك
٨٦	٣	وفي نسخة بانكي پور أن مطلع قصيدة المفضل « الطرف منذ رُزوح العيس في البُرَق » ونقل مطلع نسخ السقط المطبوعة أيضاً عن نسخة ثم زاد على حاشية قوله « إنا بعثناك تبغي القول من كَثَب » أن المفضل كان تلميذاً له ومثله في التنوير ١ . ١٤٣ .

ص	س	
٨٦	٢	وجاء في نسخة بانكي پور أن الأبيات التي أولها « أيدفع[(١)]
١٦٥	١١	معجزات ..... اعتبارُ » هي في جواب ابن جلبات أيضاً
٨٧	٣	قوله ابن عساكر ـ زد بعده (وياقوت في الادباء ٤ : ٦٠) .
١٠١	٣	قوله قال الماجز الح وقد نُصَّ على ذلك في نسخة بانكي پور ولفظها وقال يرثي الفقيه أبا حمزة الحسن بن عبد الله بن عمرو الحنفيّ .
١٢٤	١ و ٥	وقد حقق ظني حاشية في نسخة بانكي پور على قوله اليك زودتني عن حضور بجمع وهي « مسجد الجامع »
١٢٥	١٠	جاء في نسخة بانكي پور « صاحب الرواية » وهو الذي صُحِّف في النسخ المطبوعة بصاحب الدولة وأوقعنا في عناء
١٣٧	١١	زد بعد قوله كثير الآخر أنه جاء في روض الاخيار ص ١١٧ أن الشيخ شمس الأئمة الكردري أجابه بقوله :

قل المعرّيّ عار أيّما عار جهل الفتى وهو من ثوب التقى عار
لا تقدحنّ زناد الشعر من حكم شعائر الشرع لم تقدح بأشعار
فقيمة اليد نصف الألف من ذهب ولو تعدّت فلا تسوى بدينار

١٥٠	٦	قوله البرقيّ . وفي نسخة بانكى پور الرَقّيّ ولم أجدهما في الأنساب للسمعانيّ وغيره
١٥٦ ح	٢	انتسخت التبريّي هذا من نسختين بخزانة بانكى پور لاتخلوان عن الأغلاط وهي أرجوزة في نحو أربعين بيتاً
٢٠٥	١٧	زد وكذلك الشيخ أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي فانه سمع بمدينة السلام على التبريزي

(١) س ١ : ١٧٢ .

ص س

سقطَ الزند كما ورد في عنوان نسخة سقط الزند ببانكي پور
وانظر وصفها في الثبت

٢١٨ ١٦ في نسخة الدميـة بالمتحف البريطاني وفي أخرى بالخط المغربي
الحَمْداني بالحـاء كما صوّبناه .

٢٢٠ ٦ زد أنه كان قرأ عليـه السقط كما ورد في سند نسخة بانكي پور
٣٠٠ ح ٢٠ وانظر ح ص ٣٠٠ عن ابن الوردي أنه لازم أبا العلاء الى موته

٢٢١ زد في ختام الصفحة ثلاثة تلاميذ (٣٧) المفضل ولعله المفضل
ابن سعيد العزيزي وكان تلميذاً له كما جاء في التنوير وحاشية نسخة بانكي پور وأنظر الملحوظة على ص ٨٦ و ص ٨٦ من الأصل أيضاً . (٣٨) أبو الخطاب أحمد بن المغيرة الأندلسي قال ابن السراج القاري المتوفى سنة ٥٠٠ ﻫ في مصارع العشاق ص ٢١٧ أخبرني [1] أبو الخطاب أحمد بن المغيرة الأندلسي بدمشق لأبي العلاء أحمد بن سليمان وذكر لي أنه قرأ عليه ديوان الصبابة [2] وقرأته عليه جميعه بدمشق من أثناء قصيدة له أولها :

« أسالت أَتِيَّ الدمع فوق أسيل الخ »

(٣٩) أبو عبـد الله نصر بن صدقة القابسيّ النحوي . كان يتعانى الادب فقدم مصر وأخذ عن علمـائها ، ثم توجه الى المعرة فلازم أبا العـلاء وأخذ عنه ديوان سقط الزّند وكتب منه نسخة جيدة ورجع لمصر فقدمها للحاكم فقرأ عليه فأعجبـه نظمه وأرسل الى عزيز الدولة الوالي بحلب أن يحمله الى مصر فاعتـذر فكفّ عنه . استدركه الحافظ ابن حجر على المقريزي في المقفى كما قاله السيوطي في البغية . أقول وهذا يشتمل على أمور هامة فاتنا ذكرها في مظانها ، فلتُستدرَكْ

(١) لعل صوابه أنشدني (٢) كذا والصواب ديوان الصبا وهو السقط .

ص	س	
٢٢٥	١٠	زد بعد الترجمة أن ياقوت (٤ : ١٤١) ذكر في ترجمة أبي سليمان الداودي الضرير أنه كان مولعاً بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة وتوفي سنة ٦١٥ هـ
	٠	وجاء في نَكْت الهِمْيان ص ٢٩٧ في ترجمة مكّيّ بن شَبّة الماكسيني أنه كان يتعصّب لأبي العلاء المعري ويطرب اذا قريء عليه شعره للجامع بينهما من الأدب والعمى لأنه أضر بأَخَرَة
٢٥٤	٧	جاء في ختام نسخة بانكى پور ما نصّه : وتوفّي أبو العلاء بين صلاتي العشائين من يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ . وكان عمره ستاً وثمانين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً لم يأكل اللحم منها ٤٥ سنة وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة الخ
٢٥٨		رثاه ابن أبي حصينة يوجد في الأدباء أيضاً ٤ : ٧٠ وفيه في البيت الا ٧ : يضرّ ويخدع وفي الا ١٤ : إن البكاء على سواك مضيّع ، وفي الا١٦ : وقضى العُلى والعلم بعدك أجمع

٢٦٨ ٣ زد بعد (يستظهره) وأحسن نسخة من السقط فيما رأيت نسخة خزانه خُدا بَخْشْ خان المرحوم بيا نكي پور يظهر أنها كتبت في القرن السادس وعليها حواش من شرحَيْ أبي العلاء والتبريزي ومن النسخة المقروأة على أبي العلاء نفسه وفي طُرَرها تسمية بعض رجال لم يتعرض لهم الشارحون بل كنَوْا عنهم بالبعض ورجل وغيرهما من المبهمات . وورد في عنوانها إسناد جليل وهذا

نصّه :

أخبرني الشيخ الأجلّ المهذّب أبو الحسن (١) علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السُلَمي بقراءتي عليه في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة قال :قرأت على الشيخ الحافظ أبي الحسن (٢) سعد الخير بن محمد ابن سهل الانصاري الأندلسي بمدينة السلام في شهور سنةسبع وثلاثين وخمسمائة قال : قرئ على شيخنا أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي اللغوي بالمدرسة النظامية وأنا أسمع قال : قرأت على شيخي أبي العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخي المعري بها سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

قال : ثم قرئ على الأمير سعد الدولة أبي عبد الله محمد بن المحسّن بن أحمد السُلَمي بدمشق وأنا أسمع ومن أصله نقلتُ قال : قرأت بحلب على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهانيّ في شهور سنة ثلاث وتسعين واربعمائة قال: قرأت على شيخي أبي العلاء : أما بعد فان الشعراء الخ

٢٨١ ٤ هذا الرجل سُمّي في نسخة بانكي .ور مرّتين ونصها : ذكر الشيخ أبو العلاء أن هذه القطعة في علي بن عبد الله بن خالويه قال أبو زكريا كأنه أهدى إليه كتاباً من مسموعاته وسماعه مكتوب عليه

(١) ترجم له فى الأدباء ٥ : ٢٤٧ ونقل بلفظه فى البغية ٣٤١ .
(٢) ترجم له فى النفح ليدن ١ : ٨٩٥

رسالة الملائكة

من إنشاء

أبي العلاء المعرّي

أبرزها وصححها وشرحها

﴿عبد العزيز الميمنيّ الراجكوتيّ السلفيّ الهنديّ﴾

الاستاذ بالجامعة الاسلامية في مدينة علي گره (الهند)

لطف الله به وكرمه

القاهرة ١٣٤٥

المطبعة السلفية - ومكتبتها

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة للناشر

رسالة الملائكة للمعرّي اخت رسالتي الغفران والطير في التمثيل ، الذي لم يسبقه فيه عديل له أو مثيل . فهو اذاً ابن بَجْدَته ، وعُيير وحده . وما مِلْتون الانكليزي صاحب الفردوس الغابر الاّ من الأتباع[1] ، بيد أنّا أهل المشرق لم نحتفظ بمآثر أسلافنا ولم نؤمنها من بوائق الضياع

والرسالة وإن كان سبق لها نَشْر ، الاّ أنه لم يتنبه له فيما أظنّ إلاّ شِرمذة نَزْر . على أن الطبعة كانت من التحريف والتشويه ، بحيث يُمجّها طبع كل خامل ونبيه . ولم يخلُ جملة من عدّ أغلاط وتصحيفات ، بَلْهَ السطورَ والصحيفات . ولم ننبّه منها الاّ على قطرة من رِعدّ ، أو نهر مستمدّ

ولا أدّعي أنني برّأتها من كلّ عيب ، أو جلوتُها جلاء المديّ النقيّة الجيب . وكيف ولم تصل يدي الى نسخة منها أخرى ، فكيف أمكن من السَبْح في الصَرَى . الا أنني ولا كفران لله أرى ، أن « عند الصباح يحمد القومُ السُرَى »

وقد بقِي مع ما عانيتُه عدّة أغلاط ، مطويةَ الرياط . حِرتُ في أمرها ، فوكلتُها الى أعرف مني بمَخبَرها وخُبرها . وبخزانة ليدن (هولاندة) منها نسخة فياحبذا لو تولّى بعض المستعربين عِراض هذه عليها . ثم قدَّر الله مقابلتها على نُسخة خطيّة سدّت بعض الخلل وأنعشتْ من الزلَل

ويظهر من فحواها أنها أُلِّفت نحو سنة ٤٣٥ ه تقريباً . والله أعلم

مصححها وشارحها

عبد العزيز الميمنيّ السلفي الراجكوتي (الهندي)

الاستاذ بالجامعة الاسلامية في على كره (الهند)

---

(١) ومثله شاعر الطليان دانتي في كتابه جهنم . وقد أورد الاب آسين (Asin) أدلة تاريخية على أن دانتي قد أخذ عن المعري في رسالة الغفران — مجلة المجمع العلمي بدمشق ص. ٣٦٠ سنة ١٣٣٩ ه

قال أبو الفضل المؤيّد بن الموفّق الصاحبيّ في كتاب (الحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ) :

رسالة الملائكة

ألّفها أبو العلاء المَعَرّيّ على جواب مسائل تصريفية ألقاها اليه بعض الطَلَبة [1] فأجاب عنها بهذا الطريق المشتمل على الفوائد الأنيقة ، مع صورتها المستغرَبة الرشيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس مولاي الشيخ أدام الله عزّه بأول رائد ظَنّ [2] في الأرض العازبة فوجدها من النَبات قَفْرا . ولا آخِرِ شائم ظَنَّ الخيرَ بالسحابة فكانت من قطرٍ صِفْراً . جاءتني منه فوائد كأنها في الحسن بَناتُ مَخْرٍ [3]، متمثّلا ببيت صَخْرٍ [4] :

لعمري لقد نَبّهتِ مَن كان نائما وأسمعتِ من كانت له أُذُنانِ

ان الله يُسْمِعُ من يشاء وما أنت بمُسْمِعٍ مَنْ في القبور . اولئكَ يُنادَوْن من مكان بعيد . وكنتُ في عُنْفُوان [5] الشَبيبة أودُّ أنني من أهل العلم

---

(١) الذي يظهر من فحوى الرسالة أنه بعض أكابر الفضلاء

(٢) لعل صوابه ظعن

(٣) سحائب بيض يأتين قبل الصيف قال طرفة :

كبنات المخر يمأدن كما أنبت الصيف عساليج الخضر

وكل قطعة منها على حيالها بنات مخر . وكان الزجاج يقول : ان مخراً مقلوب من بخر من البخار . ولو قال قائل ان مخراً من قوله تعالى « وترى الفلك مواخر فيه » لكان مصيبا

(٤) في خبر معروف راجع الشعر والشعراء ليدن ص ١٩٩ والخزانة الكبرى ١ : ٢٠٩

(٥) وفي اخرى خطية غيسان وكلاهما بمعنى

فَسَجَنَتْني عنه سواجنُ (١)، غادرتني مثل الكُرَةِ وَهْنَ المَحاجن (٢) . فالآنَ مشيتُ رُوَيْداً ، وتركتُ عمراً للضارب وزيدا. وما أُوثِرُ أن يزاد في صحيفتي خطأٌ في النحو ، فيَخْلُدَ آمنًا من المَحْو . واذا صَدَقَ فجرُ اللِّمَّة فلا عُذْرَ لصاحبها في الكَذِب ، ومن لمعذَّب العَطَش بالعَذِب (٣) ؟ وصِدْق الشَّعَرِ في المَفْرِق ، يوجب صدق الانسان الفَرِقِ (٤). وكون الحالية بلا خُرُص (٥) ، أجملُ بها من التخرُّص . وقيام النادبة بالمَنادب (٦) ، أحسنُ بالرجل من القول الكاذب (٧) . وهو أدام الله الجمالَ به يلزمه البحثُ عن غوامض الأشياء لانه يُعتَمَد بسؤال رائحٍ وغادٍ ، وحاضرٍ يرجو الفائدةَ وبادٍ . فلا غَرْوَ ان كشَفَ عن حقائق التصريف ، واحتجّ للتنكير والتعريف . وتكلّم على هَمْزٍ وإدغام ، وازال الشُّبَه عن صُدور الطَغام. فأما أنا فحِلسُ البيت ، ان لم أكن المَيْتَ فشبيهٌ بالميت. لو أعرضتِ الأغربةُ عن النَعيب ، إعراضي عن الأدب والأديب . لأصبحت لا تُحسُّ نعيبًا (٨)، ولا يُطيق هَرِمُها زعيبا . ولمّا وافى شيخُنا أبو فلان بتلك المسائل ألفيتُها في اللذّة كأنها الراح ، يَستفزُّ مَنْ سَمِعَها المِراحُ. وكانت الصهباء الُجرجانيةَ طَرَقَ بها عميدُ كَفر ، بعد ميل الجوزاء وسقوط الغَفْر (٩) وكان

---

(١) عدتني العوادي • وفي أخرى شجنتني عنه شواجن بذلك المعنى عينه

(٢) جمع محجن الصوالج

(٣) الماء الكدر

(٤) وكان في الاصل «في الفرق» والفرق كالفروقة الانسان الخائف كثيراً

(٥) خرص كعنق [و]أصله كقفل الحلقة من الذهب أو الفضة قال ابن جني ليس فعل (بوزن قفل) يمتنع فيه فعل (بوزن عنق) السهيلي ١:٢٥

(٦) وفي أخرى بالنادب

(٧) وفي أخرى من أقوال الكاذب

(٨) النعيب والزعيب صوت الغراب

(٩) الكفر القرية . والغفر منزل القمر ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان • انظر كتاب الازمنة للمرزوقي ١:٣١١ و ١٩٣ . يريد بعد وهن من الليل

على يجباها [١] جاب الينا الشمس واياها . ذكرتُ ما قال الأسدي :

فقلت أصطبحْها أو لغيري فأهْدِها
فما أنا بعد الشيب ، ويبك [٢] ! والخمر
تجا للتُ [٣] عنها في السنين التي مضت
فكيف التصابي بعد ما كلأ [٤] العُمر

وما رَغبتي في كوني كبعض الكِرْوان [٥] تكلم في خطب جرَى ، والظليم يسمع ويرَى . فقال الأخفش أو الفرّا : أطْرِق كَرا ! إن النعامةَ في القُرَى [٦]. وحقٌّ مثلي [أن] لا يُسأل . فإن سُئِلَ تعيَّنَ عليه أن لا يجيب . فان أجاب ففرضٌ على السامع أن لا يَسْمَعَ منه ، فان خالفَ باسماعه ففريضةٌ أن لا يكتُبَ ما يقول . فان كتبه فواجبٌ أن لا ينظر فيه . فان نظر فقد خَبطَ خَبطَ عشْوَاء . وقد بلغتُ سِنَّ الأشياخ . وماحارَ [٧] بيدي نفعٌ من هذا الهَذَيان . والظَعْنُ الى الآخرة قريب . اقترَاني أُدافع مَلك الموت فأقول (١) أصل مَلكٍ مألكٌ وإنما

---

(١) كذا في الاصل وهو مصحف لا محالة فلعل الاصل والله أعلم « وكأن غلي حياها جلب الينا الشمس واياها » . والحميا السورة والحدة والايا بالكسر مقصورا والاياء بالفتح ممدوداً والاياة بالفتح والكسر ضوء الشمس

(٢) الشعر للاقيشر . والابيات خمسة في طبقات ابن قتيبة (ليدن ص ٣٥٤) وروايتها « ويبك » وفي نسخة « ويحك » وفي الاصل « وتبك »

(٣) تعظمت وفي التاج والاساس تعففت

(٤) طال وتأخر

(٥) جمع كروان محركا كشقذان وشقذان

(٦) مثل أي تأتي فتدوسك بأخفافها . وأطرق أي غض من بصرك . يضرب للذي ليس عنده غناء ويتكلم . قيل يصيدونه بهذه الكلمة فاذا سمعها يلبد في الارض فيلقى عليه ثوب فيصاد . الفرائد ١ : ٣٦٦ ولقد أفاض في البحث وأوعب وأعجب وأسهب صاحب الخزانة ١ : ٣٩٤ ونقل عن ابن السيد فيما كتبه على الكامل أن الصواب أنه شعر من الرجز : أطرق كرا أطرق كرا — ان النعام في القرى . والكرا الكروان أو هو مرخمه

(٧) حار رجع وفى الاصل حاز وهو تصحيف

أُخذ من الأَلُوكة وهي الرسالة ثم قُلِبَ ويَدُلّنا على ذلك قولهم في الجمع الملائكة لأن الجموع تَرُدّ الأشياء الى أُصولها ، وأُنشِدُ قول الشاعر (١) :

فلستَ لإنسيٍّ ولـكنْ لِمَلأَكٍ ... تَنَزَّلَ من جَوِّ السماء يَصُوبُ

فيُعجبه ما سمع فيُنظِرني ساعة لاشتغاله بما قلت . فاذا هَمّ بالقبض قلت وزن مَلَكَ على هذا مَعَل لأن الميم زائدة . واذا كان الملك من الألوكة فهو مقلوبٌ من ألك الى لأك . والقلب في الهمز وهمزِ العلّة معروف عند أهل المقايس . فأما جَبَذَ وجذب ولَقَمَ (٢) الطريق ولمقه فهو عند أهل اللغة قلب والنحويون لا يرونه مقلوباً بل يرون اللفظين كل واحد منهما أصلا في بابه . فوزن الملائكة على هـذا معافلة لانها مقلوبة عن مآلكة . يقال آلِكْني الى فلان قال الشاعر (٣) :

أَلِكْني الى قومي السلامَ رسالة ... بآيةِ ما كانوا ضِعافاً ولا عُزْلا

وقال الأعشى في المألكة :

(١) قال ابوعبيدة هو رجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك. وقال السهيلي البيت مجهول قائله وقد نسبه ابن سيده الى علقمة وأنكر ذلك عليه اه . وأنا رأيت البيت مع ثلاثة أبيات أخرى في بعض النسخ من ديوان علقمة بن عبدة وفيه يصوب كيقول مع تدوب ويذوب ونضوب وما أكثر من يتكله فلست بالضم ويصوب كيبشر . وأما اصل ملك ففيه خلاف كثير اقتنع منه على قول واحد . انظر شرح الرضي على الشافية . قوله مقلوب من ألاء الى لأك الاولى من مألك الى ملأك حتى يفيد هـذا القلب تسهيل الهمزة قياساً مطرداً كما قالوا يسل في يسأل . قوله (في أول الصفحة التالية) فكأنهم فروا الخ غير واضح ولا دال على الغرض وقال غيره انهم لوجمعوا على مآلكة وردوا المفرد عند الجمع الى اصله لاشتبه بجمع مألكة وانظر السهيلي ٢ : ١٢٢ وأنشد البيت سيبويه أيضاً ٢:٣٧٩ غير معزو الى قائل بعينه لكن الاعلم نسبه الى علقمة كما مر

(٢) من باب نصر: سد فه

(٣) هو عمرو بن شأس كما في التاج . والسلام مفعول ثان ورسالة بدل منه وان شئت حملته اذا نصبت على معنى بلغ عني رسالة . وأورده سيبويه مع تال له ١: ١٠١ قال الأعلم وصف تغربه عن قومه بني أسد الخ

أبلغ يزيد بني شيبان مألُكةً   أبا ثُبيت [١] أما تنفكّ تأتكل

فكأنهم فرّوا من المألُكة من ابتدائهم ثم بحثوا بعدها بالألف فرأوا أن مجيء الألف أولا أخفّ كما فرّوا من شأى الى شاء ومن نأى الى ناء قال عمر بن أبي ربيعة [٢] :

بانَ الحمولُ فما شأَوْنَكَ نَقْرَةً   ولقد أراكَ تُشاء بالأظعان

وأنشد أبو عبيدة [٣] :

أقول وقد ناءت بهم غُرْبةُ النوَى   نوًى خَيْتَعورٌ لا تَشِطُّ دِيارُكِ

فيقول الملك مَن ابن أبي ربيعة ؟ وما أبو عبيدة ؟ وما هذه الأباطيل ؟ إن كان لك عمل صالح فانت السعيد وإلاّ فاخسأ وَراءكَ ! فأقول فأمهلني ساعة حتى أُخبِرَك (٢) بوزن عِزْرائيل وأُقيم الدليل على أن الهمزة فيه زائدة . فيقول الملك هيهاتَ ! ليس الأمرُ إليّ إذا جاء أجَلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . أم تُراني أُداري [٤] مُنكَراً ونكيرا (٣) فأقولَ كيف جاء آسما كما عربيّين منصرفين وأسماء الملائكة كلّها من الاعجميّة مثل اسرافيل

---

(١) يريد ابا ثابت فصغره على التجريد . وتأتكل في التاج انما أراد تأتلك حكاه يعقوب في المقلوب اه . أقول ولم أجده في كتاب القلب له . وقيل من الايتكال وهو الفساد والسعي بالشر وقالوا تأتكل تحتك من الغيظ ـ وورد أبو ثابت مكبراً في بيت للأعشي أنشده سيبويه ٢ : ١٥٠ ابا ثابت فاذهب وعرضك سالم

(٢) نقبت عن البيت في النسخ الثلاث المطبوعة من ديوانه فخاب رجائي وفي اللسان والتاج انه للحرث بن خالد المخزومي . في اللسان وشآني الشيء أعجبني شأوا وقيل حزنني ثم أنشد البيت وقيل شآني طرّبني وقيل شاقني . ابن سيده وشاءني الشيء سبقني وشاءني حزنني مقلوب من شآني . . . . وقال الحرث بن خالد المخزومي فجاء بهما مر الحول البيت

تحت الخدور وما لهن بشاشة   أصلا خوارج من قفا لعمان   اه

وأنا أظن أنه سمع أن البيت للمخزومي نظنه عمر وهو الذي علق بحفظه . ونقرة أدنى شيء ـ وفي المقتضب لابن جني طبع أوربا ص ٥ مشوء محزون ثم أنشد البيت.

(٣) وفي التاج واللسان وأنشد يعقوب : وخيتعور كل ما لا يدوم على حالة

(٤) وفي نسخة اذ أرى

وجبرائيل وميكائيل (١) . فيقولان هاتِ حجَّتكَ ! وخلِّ الزُّخرُفَ عنك . فأقولَ متقرّباً إليهما كان ينبغي لكما أن تعرفا ماوزن جبرئيل وميكائيل على اختلاف اللغات إذ كانا أخويكما في عبادة الله عز وجل . فلا يزيدهما ذلك إلاّ غيظا . ولو علمتُ أنهما يرغبان في مثل هذه العِلَل لأعدت لهما (٢) شيئاً كثيرا من ذلك (٤) ولقلت ما تَرَيان في وزن موسى (٣) اسم كليم الله الذي سألتماه عن دينه وحجّته ، فأبان وأوضح . فإن قالا موسى أعجميّ إلاّ أنه يوافق من العربية على وزن مُفعَل وفُعْلَى ، أما مُفعَل إذا كان من بنات الواو مثل أوسَيْتُ وأوريتُ فإنك تقول موسًى وموريً . وإن كان من ذوات الهمز فإنك تخفّف حتى تكون الواوُ خالصةً من مُفْعَل . تقول آنيتُ العَشاء فهو مُؤْنًى وإن خفّفتَ قلتَ مُونًى قال الحُطيئةُ (٤) :

وآنيتُ العَشاءَ إلى سُهيل ... أو الشِعرَى فطالَ بيَ الأناه (٥)

---

(١) هذه أسماء من الاعجمية لم تكن العرب تعرفها ووردت في كثير من شعر الجاهلية أنظر المعرب ١٤٣ و ٥٠ وغيرهما وأما هذه التعنتات التي عاناها أبو علي الفسوي في وزن أمثالها فليس الغرض منها الا التمرين وشحذ الخاطر ليس الا . ومن ظن أن منشأها عدم معرفتهم بغير العربية من اللغات وظن هذه الكلمات عربية فقد باعد ولم يصب الغرض . وهذا التبريزي ذكر (٤:٣) اشتقاق موسى كما هنا ثم قال انه تعريب موشى بالعبرانية وقال أبو العلاء نفسه على ما نقل عنه الجوالبقي ١٣٥ لم أعلم أن في العرب من سمى موسى زمان الجاهلية وانما حدث هذا في الاسلام لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الانبياء على سبيل التبرك . فاذا سموا بموسى فانما يعنون الاسم الاعجمي لاموسى الحديد وهو عندهم كعيسى اه وهذا نص على ما ذهبنا اليه ـ فتنبه له ولا تكن مع شعوبية العصر الحاضر في النعي من العرب والتنقص لهم . وموسى معناه بالعبرية المنتشل من الماء

(٢) في نسخة « لهم »

(٣) راجع لاتمام البحث التبريزي مصر ٤ :٢ والمعرب للجوالبقي ١٣٥ والتاج مادة موس وشروح الشافية مبحث ذى الزيادة . مفعل على قول البصريين وفعلى على قول الكوفيين

(٤) ديوان الحطيئة صنعة السكري ٢٥]

(٥) هذه رواية أبي عمرو بن العلاء ورواية ابن الاعرابي بي العشاء . أي أخرت عشائي عندكم الى آخر الليل . يهجو الزبرقان ورهطه

وحكى بعضهم [1] همزَ موسى إذا كان اسماً . وزعم النحويون أن ذلك لمجاورة الواو الضمّةَ . لأن الواو [2] إذا كانت مضمومة ضمًّا لغير إعراب أو غير مايشا كِلُ الإعرابَ جاز أن تُحوَّلَ همزةً كما قالوا أُقِّتتْ [3] ووُقِّتتْ وحمام وُرْق وأُرْق ووُشّحتْ وأُشّحتْ . قال الهذلي [4] :

أبا مَعْقِلٍ إن كنت أُشّحتَ حلّةً أبا معقِلٍ فانظُرْ لسهمك من ترْمي

وقال حُميد بن ثور الهِلاليّ (رض) :

وماهاجَ هذا الشوقَ إلاّ حمامةٌ دعت ساقَ حُرٍّ ترحةً وترنُّما
من الأُرْق حمّاءُ العِلاطين باكرت عسيبَ أشاءٍ مطلِعَ الشمس أسحما [5]

وقد ذكر الفارسي هذا البيت مهموزا [6] :

أحَبُّ المُؤْقِدِينَ إليَّ مُؤْسَى وحَزْرَةُ لو أضاءَ ليَ الوَقودُ

وعلى مجاورة الضمّة جاز الهمز في سُؤْق [7] جمع ساق في قراءة من قرأ كذلك

---

(١) هو أبو علي الفسوي كما قال الرضي (٨ ٥ ٣ لاهور سنة ١٣١٥ هـ) أنه حكى همز المؤقدين ومؤسى في البيت الآتي وكما صرح أبو العلاء نفسه فيما بعد . وأرى النحاة لهجين بالهمز فرووا الهمز في قول العجاج فخندف هامة هذا العألم . وروى ابن السكيت في الالفاظ ٦٧٢ عن امرأة قيل لها ما أذهب أسنانك ؟ قالت : أكل الحأر وشرب القأر بالهمز فيهما

(٢) أنظر شروح الشافية مبدأ بحث الابدال وابن يعيش ص ١٣٥٩ والقلب لابن السكيت ٥٦ والنوادر للقالي ٢ : ١٦٨ وغيرها

(٣) في قوله عز من قائل ووفيت كل نفس ما كسبت الآية

(٤) هو معقل بن خويلد . أشعار الهذليين ق ١ : ١٠٨ . وروى شارحها اللغتين جميعا . وأبو معقل هو عبد الله بن عتيبة . وروايتها فانظر بنبلك

(٥) البيتان من كلمة له معروفة أورد جلها ابن السبكي في طبقات الشافعية ١ : ١١١ . وغيره وساق حر ذكر القماري تزعم العرب أن جميع الحمائم تبكيه وكان في الدهر الاول فهلك . ويدعونه تارة الهديل . حماء العلاطين الحماء السوداء . والعلاطان والملطتان الرقتان اللتان في أعناق القماري . عسيب ورواية اللسان قضيب

(٦) لجرير انظر ديوانه ١ : ٥٨ وروايته لحب الواقدان .... وجعدة لو أضاءهما . وشرح شواهد المغني ٣٢٥ وموسى ابنه كحرزة الذي كان جرير يكنى به وجعدة ابنته

(٧) في قوله عز وجل بالسوق والأعناق

ويجوز أن يكون جُمع على فُعُل مثل أُسُد فيمن ضمّ السين ثم همزت الواو ودخلها السكونُ بعد أن ذهب فيها حكم الهمز . واذا قيل ان موسى فُعْلَى . فإن جعل أصله (١) الهمز وافق فُعْلَى من مَأْسَ بين القوم اذا أفسد بينهم . قال الأفوه (٢) :

إما تَرَيْ رأسيَ أَزْرَى به مَأْسُ زمان ذى انتكاس مَؤُوسْ

ويجوز أن يكون فُعلَى من ماسَ يَميسُ فقلبت الياء واواً للضمّة كما قالوا الكُوسَى (٣) من الـكيْس. ولو بَنوا فُعلَى من قولهم هذا أعيشُ من هذا وأغيظ منه لقالوا العُوشَى والغُوظَى . فاذا سمعتُ ذلك منهما قلتُ لله دَرّكما ! لم اكن أحسب أن الملائكة تنطِق بمثل هذا الـكلام وتعرف أحكام العربيّة . فان غُشيَ عليَّ من الخيفة ثم أفقتُ وقد أشارا إليّ بالإرزَبّة (٤) قلت تـثبّـتا رحمكم (كذا ؟) الله (٥) كيف تصغّران الإرزبّة وتجمعانها جمعَ تكسير ؟ فان قالا أُرَيْزِبّة وأَرازِبّ بالتشديد . قلتُ : هذا وهمٌ إنما ينبغي أن يقال أُرَيْزِبَة وأرازِبُ بالتخفيف . فان قالا كيف قالوا علانيّ فشددوا كما قال القريعيّ (٥) :

وذي نجوات طامح الطَّرْفِ جاوبت حوالى فلوّي من علانيّه مرى (٦)

قلت ليس الياء كغيرها من الحروف . فانها وان لحقها التشديد ففيها عنصر

---

(١) في نسخة ان أصله

(٢) الاودي من سينيته الشهيرة ولـكن لم أر من نقل هذا البيت . والمعنى واضح

(٣) انظر الـكتاب ٢ : ٣٧١ مصر . وحكى ابن خالويه (ليس ٤٦ مصر) طوبى وكيسى أيضاً

(٤) مشددا والمرزبة بالكسر مخففا عصية من حديد

(٥) وفي أخرى العريفي وكلاهما نكرة لم تتعرف . وقد ورد فى الادباء ٥ : ٢٧٦ اسم شاعر يدعى العريفي العلمي بالنون

(٦) قوله ذي نجوات في أخرى ذي نخوات . وقوله جاوبت فى أخرى جادبت . وقوله علانيه فى أخرى علانيه وهو تحريف . وقوله مرى فى أخرى مدى أومد لي . وأكثر هذه الروايات مصحف قد حرث فيه

من اللِيّن . فإن قالا أليس قد زعم صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه أن الياء اذا شُددت ذهب منها اللين وأجاز في القوافي ظبأ مع ظلي[1] . قلت وقد زعم[2] ذلك إلا أن السماع عن العرب لم يأت فيه نحوُ ما قال إلا أن يكون نادراً قليلا . فاذا عجبتُ مما قالاه أظهرا لي تهاونًا بما يعلمه بنو آدم . وقالا لو جُمع ما علمه أهل الأرض على اختلاف اللغات والأزمنة ما بلغ علمَ واحد من الملائكة يَعُدّونه فيهم ليس بعالم. فأُسبّح الله وأمجّده وأقول قد صارت لي بكما وسيلة فوسّعا لي في الجَدَث (٦) ان شئتما بالثاء وان شئتما بالفاء[3] فإن احداهما تبدل من الاخرى كما قالوا مغاثيرُ ومغافيرُ وأُفافيُّ وأثاثيُّ وفُوم وثُوم . وكيف تقرآن رحمكما اللهُ هذه الآية « وثُومِها وعَدَسِها » بالثاء كما في مصحف عبد الله بن مسعود أم بالفاء كما في قراءة الناس . وما الذي تختاران في تفسير الفوم[4] أهو الحنطة كما قال أبو مِحْجَن[5]

قد كنتُ أحسَبُنى كأغنَى واجد قَدِمَ المدينةَ من زراعة فُوم

أم الثوم الذي له رائحة كريهة والى ذلك ذهب الفراء وجاء في الشعر الفصيح

---

(١) كذا فى الاصل . وفى نسخة ظبيا مع ظبيّ

(٢) فى نسخة ولقد زعم

(٣) البحث موعب فى كتاب القلب ٣٤ والنوادر٢ : ٠٣٦ وحكى الفراء المغافير والمغاثير وهو شيء ينضحه الثمام والرمث والعشر كالعسل . وثومها فى قراءة ابن مسعود ذكره ابن السكيت والقالي أيضاً . ولكن الذي حكاه القالي عن اللحياني وابن السكيت عن بعض تميم الاثاف والاثاثي لا كما هنا

(٤) وراجع الاقوال فى معناه فى اللسان

(٥) أغفل البيت العسكري في ديوانه وهو مذكور في اللسان برواية واحد بالمهملة وما هنا أصلح . وورد فى الروض الانف ٢ : ٤٥ معزواً لابى أحيحة بن الجلاح أو أبى محجن الثقفي رضي الله عنه ـ بلفظ : قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً

قال الفرزدق :

من كل أغبرَ كالراقود حُجزَتُهُ إذا تَمَشّى عتيقَ التَمْرِ والفُوْم[1]

فيقولان اواحدهما انك لتهدم الحول[2] وانما يوسّع لك في رَيْمك (٧)· عَمَلك . فأقول لها ما أفصحكما ! لقد كنتُ سمعت من الحياة الدنيا أن الرَّيْم القبر وسمعتُ قول الشاعر :

إذا مُتُّ فاعتادِي القبورَ فسلّمي على الرَّيْم أُسقيتِ السحابَ الغواديا[3]

وكيف تبنيان رحمكما الله من الرَّيْم مثل ابراهيم ؟ أترَيان فيه رأي الخليل وسيبويه فلا تبنيان مثله من الاسماء العربيّة . أم تذهبان إلى ماقاله سعيد بن مَسْعَدة فتجيزان أن تَبنيامن العربيّ مثل الاعجميّ . فيقولان تَرْبًا لك ! ولمن سَمّيت . أيُّ علم في وُلْد آدم ؟ إنّهم القوم الجاهلون . وهل أتودّد[4] إلى مالكٍ خازنِ النار فأقولَ رحمك الله (٨) اخبرني ما واحد الزَّبانِيَة[5] ؟ فإن بنى آدم فيه مختلفون . يقول بعضهم[6] الزَّبانية لا واحد لهم من لفظهم . وانما يُجْرَون مُجرى السَّوامية أي القوم المستوِين في الشرّ قال[7]:

---

(١) فى ديوانه (مصر) :

من كل أقعس كالراقود حجزته مملوءة من عتيق التمر والثوم

ومثله فى طبعة بوشر ص ١١

(٢) كذا . وفى نسخة: لمهدم الخ

(٣) رواية غير أبى العلاء وسلمى ، وعلى الرمس . ولكن فى اللسان على الريم والبيت من قصيدة معروفة لمالك بن الريب سردها القالي ٣ : ١٣٦ والبغدادي ١ : ٣١٩ وقبل البيت :

فياليت شعري هل بكت أم مالك كما كنت لو عالوا نعيك باكيا

(٤) فى نسخة أتردد

(٥) فى نسخة رحمك الله ما واحد الزبانية

(٦) منهم الاخفش كما فى التاج ، وهو الصواب

(٧) لم أجد البيت فى مظانه الحاضرة . وأوطب جمع وطب اللبن

سَوَاسيةٌ سُودُ الوجوه كأنَّما بطونُهم من كثرة الزاد أوْطُبُ

ومنهم من يقول واحد الزبانية زِبْنِيَةٌ وقال آخرون واحدهم زِبْنِيٌّ اوزبانيٌّ [1] . فيُعبِّس لِما سمع ويَكْفَهِرُّ. فأقول يامال ! رحمك الله ماترى في نون (٩) غِسْلِينٍ وما حقيقة هذا اللفظ ؟ أ هو مصدر [2] كما قال بعض الناس أم واحد أم جمع أُعربت نونه تشبيهاً بنون مِسْكين كما أثبتوا نون قِلِينَ وسِنِينَ في الإضافة وكما قال سُحيم بن وَثِيل [3]

وماذا يَدَّرِي الشعراءُ منّي وقد جاوزتُ حَدَّ الاربعين

فاعربَ النونَ . وهل النون في (١٠) جَهَنَّمَ زائدة ؟ . أمّا سيبويه فلم يذكر في الأبنية فَعَنَّلاً [4] إلا قليلا .وجهنّم اسم أعجميٌّ [5] . ولو حملناه على [6] الاشتقاق لجاز أن يكون من الجَهامة في الوجه ومن قولهم تجهّمتُ الأمرَ إذا جعلنا النون زائدةً واعتقدنا زيادتها في هَجَنَّفٍ [7] وأنّه مثل هِجَفّ وكلاهما صفة

(١) كان في الاصل زبنى أو زبنى ؟ وفي نسخة زبنى أو زبنى بفتح فسكون في الاولى وفتحتين في الثانية مع تشديد الياء . والزبنية نقله الاخفش والزجاج . والزبنى بالكسر عن الكسائي كما في التاج وان ثبت فيه الفتح يصح ما كان في الاصل أعنى « زبنى أو زبنى » غير مشكول والزبانى بتشديد الياء على ما هو الظاهر وضبطه في التاج كسكارى نقله في الصحاح عن الاخفش . وهناك قول آخر في مفرده أنه زابن عن الاخفش كما في الصحاح واللسان

(٢) في نسخة هذا اللفظ هو مصدر

(٣) من قصيدته الشهيرة انظرها في الاصمعيات ٧٤ والخزانة ١ : ١٢٦ وحماسة البحتري ٢٥ وغيرها . ويدري يختل . ويروى اذا جاوزت والبيت من شواهد النحو . وأما اعراب النون فالقول فيه قول ابن مالك :

وبابه ومثل حين قد يرد ذا الباب وهو عند قوم مطرد

يريد اعراب النون بالتزام الياء في الحالات الثلاث وأنشدوا على اثبات النون في الاضافة :

دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

(٤) وفي نسخة فعللا بفتحتين وتشديد اللام الاولى

(٥) فارسي أو عبراني أصله كهنام . وانظر البحث مستقصى في المعرب ٤٧ والتاج مادة جهم

(٦) وفي نسخة ولو حملنا على

(٧) كذا هو مشكولا في اللسان وهو كالهجف بالكسر الظليم الجافي الكثير الزف

الظليم قال الهُذَليّ (١) :

كأنّ مُلاءتيَّ على هِجَفٍّ تَفِرُّ مع العشيّة للرِّئال

وقال جِرانُ العَوْدِ (٢)

يشبّهها الرائي المشبِّه بيْضَةً غدَا في النّدَى عنها الظليمُ الهَجَنَّفُ

وقال قوم رَكِيّةٌ جِهِنّام إذا كانت بعيدةَ القعْر . فان كانت جهنّم عربيّة فيجوز أن تكون من هذا . وزعم قوم أنه يقال أحمرُ جِهِنّام (٣) اذا كان شديدَ الحُمرة . ولا يمتنع أن يكون اشتقاق جهنّم منه . فأما (١١) سَقَرُ فان كان عربياً فهو مناسب لقولهم سقَرَتْه (٤) اذا آلمتَ دِماغَه . قال ذو الرُّمّة :

اذا دانَتِ الشمسُ اتّقَى سَقَراتها بأفنان مربوعِ الصريمةِ مقبلِ (٥)

---

(١) هو الاعلم انظر أشعار الهذليين ق ١ : ٦٢ وحماسة البحتري ٨٠ وروايتهما على هزف يمن ملا استشهاد . ثم قال السكري : وهزف وهجف واحد فلدل هجفا أيضاً رواية . ويمن (بضم العين) لغة هذيل ويعن (بالكسر) لغيرهم بمعنى يعترض وتفرهنا تصحيف . ثم ورد هجف في بيت ابن ترفى يجيب عمرا ذا الكلب لا في بيت عمرو كما ذهب على صاحب اللسان (أشعار الهذليين ق١ : ٢٣٩) :

فلا تتمنني وتمن جلفا قراقرة هجفاً كالخيال

والخيال هو الصواب وتصحف في اللسان بالجبال

(٢) من قائية له معروفة مطربة ولكن لم أجد هذا البيت فى مظانه الموجودة والضمير الى امرأة . والنعامة يضرب بها المثل فى الغفلة عن البيض قال :

كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض أخرى جناحا

(٣) هذا المعنى ليس فى معاجم اللغة المعروفة . وهذا دليل على مامنحه الرجل من سعة النظر والاطلاع ، وطول الباع والاضطلاع ، بغرائب اللغة والانواع . وجهنام بكسرتين أو مثلث

(٤) من باب نصر

(٥) دانت النعاج فاعلت من الدنو . اتقى الثور ورواية الديوان ص ٥٠٤ :

اذا دانت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل

وفى الشرح الصقرات شدة وقع الشمس . ومعبل مورق وقيل الذي سقط ورقه . ومن اللزوم :

لاستريحا فكم عانى أذى قرس عند الشتاء ولاقى وغرة صقر

والسين والصاد يتعاقبان في الحرف[1] اذا كان بعدها قاف أو خاء أو غين أو طاء . تقول سَقَبٌ وصقبٌ ، وسويق وصويق ، وبَسطَ وبَصَطَ ، وسَلَغَ[2] الكبش وصَلَغَ . فيقول مالكَ ما أجهلك ! وأقل تمييزك ! ما جلستُ هنا للتصريف وإنما جلستُ لعقاب الكفَرة والقاسطين . وهل أقول للسائق والشهيد اللّذَين ذُكرا في كتاب الله عزّ وجلّ « وجاءت كلُّ نفس معها سائق وشهيد » : (١٢) ياصاحِ ! أنظِراني . فيقولان تخاطبنا مخاطبة الواحد ونحن اثنان . فأقولَ ألم تعلما أن ذلك جائز من الكلام . وفي الكتاب العزيز « وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيدٌ ، ألقيا في جهنّم كلَّ كفّار عنيد » . فوحّد القرين وثنّى في الأمر كما قال الشاعر[3] :

فان تزْجُراني ياابن عفّانَ أنزجرْ وإن تدَعاني أحْمِ عِرْضاً ممنّعة

وكما قال امرؤ القيس :

خليليَّ مُرّا بي على أُمّ جُندَب لنقضيَ حاجاتِ الفؤاد المعذّب

---

(١) راجع للتفصيل شروح الشافية بحث الابدال وابن يعيش ١٣٩١ والقلب ٤٢ والخفاجي على الدرة ٣٣ والدرة ٩ ووفيات الاعيان ٢ : ١٦٢ وحكى النضر بن شميل أنه لغة بلعنبر بن عمرو بن تميم

(٢) كنتم خرج نابه وكان في الاصل بالعين المهملة في اللفظتين وهو تصحيف

(٣) أنشد البيت كثيرون منهم صاحب الصاحبي ١٨٦ والتبريزي في شرح القصائد العشر كلكتة ص ١ مع تال له وهو :

أبيت على باب القوافي كانما أصادي بها سربا من الوحش نزعا

وهذا التالي موجود دون السابق في البيان ٢ : ٦ (الثانية) وطبقات ابن قتيبة (ليدن ص ١٧ و ٤٠٣) في أبيات لسويد بن كراع ومن القصيدة :

وجشمني خوف ابن عفان ردها فثقفتها حولا جريداً ومربعا

فلم يبق ريب في أن الشاهد له من هذه القصيدة عينها : ولسويد مع عثمان رضي الله عنه خبر ذكره ابن قتيبة ثم رأيت صاحب اللسان ذكره (جزز) ونقل عن ابن بري أبياتا من القصيدة تدل على أن الخطاب هنا لاثنين حقيقة ورواية ابن بري فان تزجراني ياابن (بالباء) عفان قال والمخاطبان سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه وانظر تصحيح لسان العرب القسم الاول لأحمد تيمور باشا ص ٣٣

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ لَهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

هكذا أنشده الفَرّاء . وبعضهم يُنشد ألم تريانى[١] . وأنشد أيضاً[٢] :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَحْبِسَانَا بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحَا

فهذا كله يدل على أن الخروج من مخاطبة الواحد الى الاثنين أو من مخاطبة الاثنين الى الواحد سائغ عند الفصحاء . وهل أجيءُ في جماعة من جهابذة الادباء قَصَرَتْ أعمالهم عن دخول الجنّة ولحقهم عفوُ الله فزُحزحوا عن النار فنَقِفَ على باب الجنّة فنقول (١٣) يارِضْوَ[٣] لنا اليك حاجة ويقول بعضنا يا رِضْوُ فيضمّ الواو . فيقول رضوانُ ما هذه المخاطبة التي ما خاطبني بها قبلكم أحد . فنقولَ إنّا كنا في الدار الاولى نتكلم بكلام العرب وانهم يُرخّمون الذي في آخره ألف ونون فيحذفونهما للترخيم . وللعرب في ذلك لغتان يختلف حُكماها . قال أبو زُبيد[٤] :

يَا عُثْمَ ! أَدْرِكْنِي فَإِنَّ رَكِيَّتِي صَلَدَتْ فَأَعْيَتْ أَنْ تَفِيضَ بِمَائِهَا

---

(١) وهي الموجودة في نسخ الديوان المتداولة

(٢) البيت أنشده التبريزى ١ : ٢٢٥ والرضي ٣٦٦ والجوهري مادة جز وابن فارس في الصاحبي ١٨٦ والتبريزي في شرح القصائد العشر الطوال ١ كلكتة وتكلما على المبحث تكلما شافيا كالنحاس في شرح معلقة امرىء القيس ص ٣ و ٤ . وهو ليزيد بن الطثرية ويروى واجدز بابدال التاء دالا خلافا للقياس والمعنى قلت لصاحبي لا تحبسني بنزع اصول الكلأ واقطع شيحا ودع أصوله في الارض لئلا يطول المكث هنا كذا في الجاربردي ٣٢٨ استنبول

(٣) وزن قوله هذا بقوله من اللزوم :

أنهم أخاك بما تشاء ولا تبل يا حار قلت هناك أو ياحار

غرض الفتى الاخبار عما عنده ومن الرجال بقوله سحار

وقوله : يارضو لا أرجو لقاءك بل أخاف لقاء مالك

(٤) وفي الاصل أبو زيد وياغنم . يريد عثمان رضي الله عنه وكان أبو زبيد خصيصاً به كما قال ابن عساكر في ترجمته ٤ : ١٠٨ الا أنه قلب فجعل الابن أبا وبالعكس وهو منذر ابن حرملة . ولم أجد البيت الشاهد فيما وصلته يدي . وصلدت من باب ضرب . والمعنى ظاهر. ثم وجدته والحمد لله على ما أصلحت في كتاب صفة البئر لابن الاعرابي الا أن فيه تبغي بدل تفيض.

فيقول رضوان ما حاجتكم ؟ فيقول بعضنا إنا لم نَصل الى دخول الجنة لتقصير الأعمال وأدْركَنا عفوُ الله فنجونا من النار . فبقينا بين الدارَين ونحن نسألك أن تكون واسطتنا الى أهل الجنة فإنهم لا يستغنونَ عن مثلنا . وإنه قبيح بالعبد المؤمن أن يَنال هذه النعَمَ وهو اذا سبّحَ اللهَ لحَنَ . ولا يحسُنُ بساكن الجنان أن يصيبَ من ثِمارها في الخلود وهو لا يعرف حقائق تسميتها . ولعل في الفردوس قوماً لا يدرون (١٤) أحروف الكُمُثْرَى كلها أصلية أم بعضها زوائد ؟ ولو قيل لهم ماوزن كمّثرى على مذهب أهل التصريف لم يعرفوا فُعَّلَّى . وهذا بناء مستنكر لم يذكر سيبويه له نظيراً . واذا صحّ قولهم للواحدة كمّثراة فألف كمّثرَى ليست للتأنيث . وزعم بعض أهل اللغة أن الكَمْثرَةَ [1] تداخُلُ الشيء بعضِهِ في بعض . فان صحّ هذا فمنه اشتقاق الكمّثرى [2] . وما يجمُل بالرجل من الصالحين أن يصيب من (١٥) سَفَرْجَل الجنّة وهو لا يعلم كيف تصغيره وجمعُه ؟ ولا يشعُرُ ان كان يجوز [3] أن يُشتقّ منه فعل أم لا ؟ والأفعال لا تُشتق من الخماسيّة . لأنهم نقصوها عن مرتبة الأسماء فلم يَبلُغوا بها بناتِ الخمسة . مثل إسفَرْجَلَ يَسفَرْجِل اسفرجالا (١٦) وهذا السنْدُس [4] الذي يطأه المؤمنون ويفْرشونه كم فيهم من رجل لا يدري أوزنه فعْلُل أم فُنْعُلُ

(١) ولفظ اللسان الكمثرة فعل ممات وهو تداخل الشيء بعضه في بعض . وقيل أن الكمثرى ليست بعربية وراجع التاج . وذكره الجواليقي ١٣٣ مخففا ونقل عن ابى حاتم أن قوما يزعمون انه لا يجوز غير التخفيف . قال وأما الاصمعي فانه لم يعرف التخفيف اصلا . ولم يذكر في تعريبه شيئا

(٢) هذا قول ابن دريد ولفظه

(٣) وفي نسخة اني يجوز

(٤) رقيق الديباج وغليظه الاستبرق . قال الجواليقي ٧٩ لم يختلف أهل اللغة في أنه معرب ومثله في القاموس والتاج.

والذي نعتقد فيه أن النون زائدة وأنه من السُدُوس [١] وهو الطيلسان الأخضر قال العَبْدِيّ [٢] :

ودَاوَيتُها حتى شَتَتْ حَبَشِيَّةً كأنَّ عليها سُنْدُسًا وسُدُوسًا

ولا يمتنع أن يكون سندس فُعْلُلا ولكن الاشتقاق يوجب ما ذُكر .

(١٧) وشجرةُ طُوبَى كيف يستظلّ بها المتقون ويجتنونها آخر الأبد وفيهم كثير لا يعرفون أمن ذوات الواو هي أم من ذوات الياء ؟ والذي نذهب اليه اذا حملناها على الاشتقاق أنها من ذوات الياء . لأنا اذا بنينا فِعلاً ونحوه من ذوات الواو قلبناها ياء فقلنا رِعيَدٌ وقِيلٌ وهما من عاد يعود وقال يقول . فان قال قائل فلعل قولهم طاب يطيب من ذوات الواو وجاء على مثال حَسِبَ يحسِب وقد ذهب الى ذلك قوم في قولهم تاهَ يتيهُ وهو من تَوِهتُ [٣] . قيل له يمنع من ذلك أنهم يقولون طَيَّبتُ الرجلَ ولم يحكِ أحد طَوَّبتهُ . والمطيّبون [٤] أحياء من قريش احتلفوا فغمَسوا أيديَهم في طيب . فهذا يدلك على أن الطيب من ذوات الياء . وكذلك قولهم هذا أطيب من هذا . فأما حكاية أهل

---

(١) بالضم وقد يفتح وهو أحد الاسماء الاربعة التي اتت على فعول بالضم كما قال ابن خالويه في ليس له ٤٠

(٢) هو يزيد بن خذاق بالمعجمات الثلاث . وفي التاج وغيره حذاق بالحاء المهملة وهو تصحيف . من شعراء المفضليات (مصر ٢ : ٤٦ و ٤٧) والبيت ثاني احد عشر بيتا والاول

ألا هل أتاها أن شكة حازم لدى وأني قد صنعت الشموسا

صنعت يريد ضمرت وكذلك داويت . والشموس فرسه . وشتت اخضرت من العشب وسمنت

(٣) نقله في التاج عن ابن سيده . ومما يدل له التوه بالفتح ويضم الهلاك عن ابي زيد لغة في التيه . وتاه يتوه لغة . وما أتوهه . وتوّه تتويهاً . وفلاة توه بالضم

(٤) في المنسوب الثعالبي ١١٠ هم أحلاف من قريش اجتمعوا لذلك وغمسوا ايديهم في الطيب ثم تصافحوا وتحالفوا وتعاقدوا . وحلف الفضول غير هذا الحلف لا هذا كما ذهب على النوبين . وانظر التاج (طيب) والمنسوب ١١٠ والسهيلي مع السيرة ١ : ٩٠ — ٩٢

اللغة أنهم يقولون أوْبَةً وطَوبَةً (١) فانما ذلك على معنى الإتباع كما يعتقد بعض الناس في قولهم حيّاك الله وبيّاك (٢) أنه إتباع وأن أصل بيّاك بوّاك أي بوّأك منزلاً ترْضاه (٣). وأما قولهم للآجرّ طُوْب (٤) فان كان عربيًا صحيحًا فيجوز أن يكون اشتقاقه من غير لفظ الطيب إلا على رأي أبي الحسن سعيد بن مسعدة فانه اذا بنى فُعْلًا من ذوات الياء يقلبه الى الواو فيقول الطُوْب والعُوْش (٥). فان كان الطُوْبُ الآجُرُّ اشتقاقُه من الطيب فإنما أُريد به والله أعلم أن الموضع الذي يبنَى به طابت الإقامة فيه. ولعلنا لو سألنا من يرى طوبى في كل حين (٦) لِمَ حُذف منها الألف واللام لم يُحِرْ في ذلك جوابًا. وقد زعم سيبويه أن الفُعلى التي تؤخذ من أفعل منك لا تُستعمل الا بالألف واللام أو الإضافة تقول هذا أصغر منك فاذا رددته الى المؤنّث قلتَ هذه الصُغرى أو صُغرى بَناتك. ويَقْبُح عنده أن يقال صغرى بغير إضافة ولا ألف ولام (٧) وقال

---

(١) لفظ اللسان يقال للداخل طوبة وأوبة يريدون الطيب في المعنى دون اللفظ لان تلك ياء وهذه واو. وهذا الاتباع اغفله ابن فارس في كتابه

(٢) وفي كتاب الاتباع لابن فارس بياه اضحكه

(٣) وفي الاصل يرضاه.

(٤) في المعرب ١٠٥ الطوبة لغة شامية وأحسبها رومية. قال الجوهري مصرية وابن دريد شامية واظنها رومية وجمع بينهما ابن سيده

(٥) وفي الاصل الغوش بالمعجمة وهو تصحيف اذ ليس مادة غيش ثمة اصلا. على انه مضى له ذكر الموشى من العيش تحت عدد ٤.

(٦) هذا الاستشكال على رأي من يراه من أفعل منك وأما من يزعمه مصدراً كالرجعى والسقيا فلا يستشكل شيئا وقال الرضى والجاربردي اما أن يكون طوبى مصدرا كالرجعى قاله تعالى طوبى لهم اي طيبا واما ان يكون انثى اطيب منك فحقه الطوبى بأل وفي شرح الهادي أنه هو الا أنه أجرى مجرى الاسماء لانه لا يكون وصفا بغير أل فأجري مجرى الاسماء التي لا تكون صفات. ومثله كوسى

(٧) ولكني رأيت صاحبنا خالفه في اللزوم حيث يقول:

ومرآة المنجم وهي صغرى   أرته كل عامرة وقفر

فكان كالحكمي في قوله:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها   حصباء در على أرض من الذهب

سُحَيم (١) :

ذهبنَ بِمِسْوا كِي وغادرن مُذْهَبًا من الصَوْغ في صُغرى بَنانِ شمالِيا

وقرأ بعض القراء وقولوا للناس حُسْنَى على فُعلى بغير تنوين . وكذا قرأ في الكهف إمّا أن تُعَذّب وإمّا أن تتّخذ فيهم حُسْنَى على فُعلى بغير تنوين . فذهب سعيد بن مَسْعدة أن ذلك خطأ لا يجوز وهو رأي أبي إسحاق الزّجّاج لأن الحسنى عندهما وعند غيرهما من أهل البصرة يجب أن تكون بالألف واللام كما جاء في موضعٍ وكَذّبَ بالحُسنى . وكذلك اليُسرى والعُسرى لأنها أنثى أفعل منك . وقد زعم سيبويه أن أخرى معدولة عن الألف واللام . ولا يمتنع أن يكون حُسنى مثلَها . وفي الكتاب العزيز « ومناةَ الثالثةَ الأخرى » وفيه « لنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى » . قال عمر ابن أبي ربيعة (٢) :

وأخرى أتَتْ من دون نُعْمٍ ومثلها
نُهى ذا النهى لو يَرْعوِيْ أو يُفَكّرُ

فلا يمتنع أن تُعْدَلَ حُسنى عن الألف واللام كما عُدِلَتْ أُخرى . وأفعل منك اذا حُذفَتْ منه « من » بقى على إرادتها نكرة أو عُرّف باللام . ولا يجوز أن يجمع بين مِنْ وبين حرف التعريف . والذين يشربون (١٨) ماء الحيوان في النعيم المقيم هل يعلمون ما هذه الواو التي بعد الياء (٣) وهل هي منقلبة كما قال الخليل ، أم هي على الأصل كما قال غيره من أهل العلم . ومَنْ هو مع (١٩)

(١) عبد بني الحسحاس الخبيث الفاجر من يائيته المعروفة ولم أجد البيت فيما نقلوا من قصيدته ـ والمعنى ظاهر ـ وكان ابن الاعرابي يسميها الديباج الخسرواني . وهي بتمامها في نسخة منتهى الطلب لابن ميمون الخطية في بعض حواضر اوربا

(٢) من اشهر قصائده وهي في نسخ ديوانه وفي الكتاب الكامل وغيره

(٣) مذهب سيبويه وأصحابه أنه لم يأت في كلامهم ياء بعدها واو فيقولون ان حيوان أصله حييان والمازني يرى الواو فيه أصلا كما هو في شروح الشافية بحث الاعلال

الحُور العِين خالداً مخلَّداً هل يدري ما معنى الحَوَر . فيقول بعضهم هو البياض ومنه اشتقاق الحُوّارَى من الخُبزة (١) والحَوارِيّين اذا أريد بهم القَصّارون والحَوارِيّاتُ اذا أريد بهنّ نساء الأمصار . وقال قوم الحَوَر في العَين أن تكون كلها سوداء وذلك لا يكون في الإنس وإنما يكون في الوحوش . وقال آخرون الحَوَر شدّة سواد العين وشدّة بياضها . وقال بعضهم الحور سعة العين وعِظَمُ المقلة . وهل يجوز أيها المتمتّع بالحُور العين أن يقال حِيْرٌ كما يقال حُور فانهم ينشدون هذا البيت بالياء :

الى السَّلَف الماضي وآخرَ واقفٍ ... الى رَبْرَبٍ حِيْرٍ حِسانٍ جآذرهْ (٢)

فاذا صحّت الرواية في هذا البيت بالياء قَدَحَ ذلك في قول من يقول إنما قالوا الحِير إتباعاً للعِين كما قال الراجز (٣) :

هَلْ تعرفُ الدارَ بأعلى ذي القُورْ ... قد دَرَسَتْ غيرَ رَمادٍ مَكفورْ

مكتئبِ اللون مَريحٍ ممطورْ ... أزمانَ عَيناءُ سرورُ المسرورْ

حَوْراءُ عَيْناءُ من العِينِ الحِيْر... (٤)

(١) والاصل الحيرة فلعلها هذه الحيرة حيرة آل منذر ويصفونها بالبياض على ماقال ياقوت وغيره ومن شعر صاحبنا في اللزوم :

وقف بالحيرة البيضاء فانظر ... منازل منذر وبني بقيله

أرى الحيرة البيضاء حارت قصورها ... خلاء ولم تثبت لكسرى المدائن

(٢) هذا البيت انشده التبريزي في تهذيب الاصلاح ١ : ٥٩ غير معزو الى قائل . واستشهد به كما هنا على ان الحير ليس اتباعا للعين كما زعم الفراء وتبعه أبو الحسن الاخفش فيما كتبه على نوادر أبي زيد ٢٣٨ : بل هو لغة في الحور ،

(٣) هو منظور بن مرثد الاسدي من أرجوزة ذكرهـا أبو زيد ص ٢٣٦ وفسرهـا الاخفش ، وابن السكيت بعضها وهو ما هنا ، وفسره التبريزي في تهذيب الاصلاح ١ : ٥٩

(٤) القور جمع قارة وهو جبل صغير . والمكفور الذي غطاه الريح بتراب سفته . مريح ويروى مروح وكلاهما من الريح . وعيناء امرأة . وروايتهم اعيناء حوراء . قال الاخفش وادعى الاتباع وهذا عند حذاق أهل العربية يجرى على الغلط كما قالوا جحر ضب خرب الخ . وفي اللسان ٦ : ٤٣٠ الاربعة الاولى فقط مفسرة

وكيف يستجيز [1] مَنْ فرشُه من (٢٠) الإستبْرَق [2] أن يمضي عليه أبدٌ بعد أبد وهو لا يدري كيف يجمعه جمع التكسير وكيف [3] يصغّره النحويون يقولون في جمعه أبارق وفي تصغيره أبيرق . وكان أبو إسحاق الزجّاج يزعم أنه في الأصل سُمّي بالفعل الماضي [4] وذلك الفعل استفعلَ من البَرَق [5] . أو من البرْق . وهذه دعوًى من أبي إسحاق . وإنما هو اسم أعجميّ عُرّب . وهذا (٢١) العَبقَريّ [6] الذي عليه اتّكاء المؤمنين الى أيّ شيء نُسب ؟ . فإنا كنا نقول في الدار الأولى أن العرب كانت تقول ان عَبقَرَ بلاد يسكنُها الجنُّ ، وأنهم اذا رأوا شيئاً جيّداً قالوا عَبقريٌّ أي كأنه عملُ الجنّ اذ كانت الإنس لاتقدر على مثله . ثم كثُرَ ذلك حتى قالوا سيّد عبقريّ وظُلْم عبقريّ قال ذو الرُمّة [7] :

حتّى كأنَّ حُروفَ القُفّ ألبَسَها ... من وَشي عَبقَرَ تجليلٌ وتنجيدٌ

وقال زُهير :

بخَيْل عليها جِنّةٌ عَبْقَرِيّة ... جديرون يوما أن ينالوا ويَستَعلُوا [8]

---

(١) وفى نسخة يستخبر

(٢) في المعرب (خرومه التى طبعوها بالمجلة الالمانيـة مفرزة سنة ١٨٧٩ م) خرم ص ٩ أصله بالفارسية استبره وقال ابن دريد استروه فلو حقر أو كسر لكان أبيرق وأبارق بحذف السين والتاء جميعا اه مختصرا . ومثله فى التاج . قال الفقير : فارسيته سطبر أو ستبر كما هو في جميع معاجمها لكل غليظ

(٣) في نسخة ولا كيف

(٤) ونقل في التاج عن ابن جنى في كتاب الشواذ [المحتسب] عن ابن محيصن أنه ظنه فعلا اذ كان على زنته فتركه مفتوحا في قوله تعالى « بطائنها من استبرق » على حاله . أقول وجل اللغويين المتأخرين ذكروه في مادة برق وهذا أيضاً دليل على توهمهم زيادة ا س ت

(٥) البرق بالسكون معروف وبالتحريك مصدر برق بصره كطرب تحير برقا

(٦) انظر معجمى البكري وياقوت واللسان والتاج رسم عبقر والمنسوب للثعالبي ص ٨٧ ؛ وغيرها . وقال أعرابى ظلمنى ظلماً عبقريا ذكره الثعالبي فقط

(٧) ديوانه ص ١٣٦ القف ما غلظ من الارض والتنجيد التزيين

(٨) الرواية الشائعة فيستعلوا

وإن كان أهل الجنّة عارفين بهذه الاشياء قد ألهمهم اللهُ العلمَ بما يحتاجون إليه فلن يستغنى عن معرفته الولدانُ المخلّدون · فإن ذلك لم يقع اليهم · وإنا لنرضى بالقليل مما عندهم أجراً على تعليم الوِلدان — فيبسم (١) اليهم رِضوانُ ويقول إنّ أصحابَ الجنّة اليوم في شُغُل فا كهون ؛ هم وأزواجُهم في ظلال على الأرائك متّكوءُون . فانصرفوا رحمكم الله فقدأ كثرتم الكلامَ فيما لامنفعةَ فيه . وإنما كانت هذه الاشياء أباطيلَ زُخرفتْ في الدار الفانية فذهبتْ مع الباطل . فاذا رَأَوْا جده في ذلك قالوا رحمك اللهُ نحن نسألك أن تُعرّف بعض علمائنا الذين حصلوا في الجنّة بأنّا واقفون على الباب نريد أن نخاطبه في أمر . فيقول رِضوانُ من تُؤْثرون أن أُعْلِمَ بمكانكم من أهل العلم الذين غفر لهم . فيشتورون (٢) طويلا ثم يقولون عَرّفْ بموْقِفنا هذا الخليلَ بن أحمد الفُرْهُودىّ (٣) — فيرسل اليه رضوانُ بعض أصحابه — فيقول على باب الجنّة قوم قد أكثروا القولَ وإنهم يريدون أن يخاطبوك . فيُشْرِفُ عليهم الخليل فيقول أنا الذي سألتم عنه فماذا تريدون ؟ فيعرِضون عليه مثل ماعرضوا على رضوانَ فيقول الخليل إن الله جلّت قدرته جعل من يَسكُن الجنة ممن يتكلّم بكلام العرب ناطقا بأفصح اللغات كما نطق بها يَعرُبُ بن قَحْطان أو مَعَدُّ بن عَدْنان · لايدركهم الزَيْغُ ولا الزَلَلُ . وإنما افتقر الناس في الدار الغَرّارة إلى علم اللغة والنحو ، لأن العربية الاولى أصابها تغييرٌ . فأما الآن فقد رُفع عن أهل الجنّة كلُّ الخطإ والوهم . فاذهبوا راشدين إن شاء الله . فيذهبون وهم مخفِقون (٤) مما طلبوه . ثم أعود الى ما كنت متكلّما فيه قبل ذكر الملائكة.

---

(١) في نسخة فتبسم (٢) في نسخة فيتشارون
(٣) الفرهود أو الفراهيد قبيلة ينسب اليها الخليل .
(٤) في نسخة محققون

مَنْ أهدَى البَريرةَ (١) الى نعمان ، وأراقَ النُّطْفَةَ على الفرات ، وشرح القضيةَ لأميرالمؤمنين(٢) فقد أساء فيما فعل. ودَلَّني كلامُه على أنّه بحرٌ يستجيش مني ثَمَداً . وجبـلٌ يستضيف الى صخور حَصًى ، وغاضِيَةٌ (٣) من النيران تجتابِ إلى جمارها سِقْطاً . وَحسْبُ تِهامـةَ مافيها من السَمُرِ (٤) وسؤال الشيخ مولاي كما قال الاول :

فهذي سيوف ياعَديُّ بن مالك كثيرٌ ولـكن أين بالسيف ضارب(٥)

لاهيثَمَ الليلة للمَطيِّ (٦) قَضيّةٌ ولا أبا حَسَنٍ لها (٧) وشكاةٌ فأين الحارث بن كَلَدَةَ(٨) .وخيلٌ لو كان لها فوارسُ . والله المستعان على ماتصفون . والواجب أن أقول لنفسي ورَاؤكِ أوسعُ لك (٩) فالصيفَ ضيعتِ اللـبن (١٠) ولا

---

(١) ثمر الأراك أو هوأول مايبدو منه . و نعمان الاراك واد قال :

تخيرت من نعمان عود أراكة لهند فمن هـذا يبلغه هنـدا

وقال الآخر :

أما والراقصات بذات عرق ومن صلى بنعمان الاراك

(٢) وهو الذي جرى فيه المثل «قضية ولا أبا حسن لها »على ما سيأتي

(٣) متوقدة

(٤) السمر تكثر بتهامة

(٥) أنشده ابن خالويه أيضاً فى ليس ص ٦٤ ولكن لم يعزه . وكثير يستوي فيه التذكير والتأنيث روي ابن شميل عن يونس رجال كثير و نساء كثير أيضاً كما في التاج .

(٦) مثل يرد في كتب النحو خلا عنه معاجم الامثال المعروفة

(٧) مثل في كتب النحو

(٨) الثقفي من الطائف طبيب العرب مخضرم بقي الى امرة معاوية ترجم له ابن ابي أصيبعة ١ : ١٠٩ ـ ١١٣

(٩) مجمع الامثال ٢: ٢٧٣ ، ٢١٩ ، ٢٩٤ الطبعات الثلاث ولاء . والفاخررقم ٤٨١

(١٠) يروي الصيف وفي الصيف . ويلزم التاء الـكسر في الحالات.وانظر قصته فى المجمع ٢ : ١٣ ، ١٠ ، ١٣ والفاخر رقم ١٨٦ والجمهرة ٢ : ٢٩

يكذب الرائدُ أهلَه[١] . ولو كان معي ملْ السِقاء، لسلكتُ في الأرض المقاء[٢] . وسوف[٣] أذكر طرقًا مما أنا عليه غريبٌ في العامّة مِنْ شَبَّ إلى دَبَّ[٤] . يَزْعمون أنّي من أهل العلم. وأنا منه خِلْوٌ إلا ماشاء الله . ومنزلتي إلى الجهّال ، أدنى منها الى الرَهط العلماء . ولن أكون مثلَ الرَبداء[٥] أزْعُمُ في الابل أنى طائرٌ ، وفي الطير أنى بعير سائر . والتمويه خُلُق ذميم . ولكني ضَبٌّ لا أحمل ولا أطير . ولا ثمنى فى البيع خطير . أقتنع بالحيلة والسِحاء[٦] . والعَوْذِ من بني آدم في مَساء وضُحاء . واذا خلوتُ في بيتى تعاليتُ .وان فارقتُ مأوايَ ضَلَلتُ . ذكر ابن حَبيْبَ أنه يقال في المثل أحيَرُ من ضَبّ[٧] وذلك أنه اذا فارق بيته فأبْعَدَ لم يهتدِ أن يرجع اليه . وقد علم الله

(١) راجع المجمع ٢ : ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٦٤

(٢) البعيدة

(٣) هذا الفصل يضاهي مضاهاة تامة فصلا فى الغفران ص ١٢٢ ـ ١٢٣ ، والرسالة الـ ٢٦ من رسائله

(٤) وفي المثل لغات من شُبٍّ الى دُبٍّ ومن شَبَّ الى دُبَّ التاج مادة دبب والاتباع لابن فارس وجاء المشرفي رسائله ص٣٠ وبيروت ص٧٢مشكولا من شُبَّ الى دُبَّ

(٥) النعامة . قال يحيى بن نوفل يهجو خالدا القسري ويذكر عيه (البيان ٢ : ٤٠ الثانية) :

ومثل نعامة تدعى بعيرا   تعاظمها اذا ما قيل طيري
وان قيل احملي قالت فاني   من الطير المربة بالوكور

ومثله بالفارسية :

كر بكوئي بر بكويد أشترم   ور بكوئي بر بكويد طائرم

(٦) كذا ولعل الاصل والله أعلم من الحيلة بالسحاء وهو بالفتح والكسر مايؤخذ من القرطاس قليلا والسحاء كتاب نبت شائك يرعاه النحل عسله غاية . والظاهر الاول يريد اقتنعت بنفة من العيش أتبلغ بها ولم أحتل للزيادة . والعوذ وفى أخرى التعوذ

(٧) المجمع الطبعات الثلاث ١ : ٢٠٠، ١٥٣ ، ٢٠٨ والجمهرة ١ : ٢٦٧

تعالت[١] قدرته أني لا أبتهج بان أكون في الباطن أستحق تتريبا . وأُدْعَى في الظاهر أريبا. ومَثَلِيَ مَثَلُ البِيْعة الدامرة . تُجَمّع[٢] طوائف من المسيحيّة أنها تبرىء من الحُمّى أو من كذا. وإنما هي جُدُر[٣] قائمة لاتفرق بين مِلْطس[٤] الهادم والمبيغة[٥] بيد الهاجرى وسِيّان عندها صِنُّ الوَبْر[٦] وما يُعتَصَر من ذكيّ الوَرْد . وليس بِدعا من كَذِبَ[٧] عليه وادُّعِيَ له ماليس عنده . وقد ناديتُ[٨] بتكذيب القالة[٩] نداء مَن خصّ وعمّ . واعترفَ بالجهالة عند من نَقَص وأم[١٠] واعتذرت بالتقصير الى من هزَلَ وجدّ . وقد حُرِمَ عليّ الكلامُ في هذه الاشياء لأني طلقتها طلاقا بائنا لا أملكُ فيه الرَجْعَةَ . وذلك لأني وجدتُها فوارك فقابلت فَرَكَها بالصلَف.

---

(١) في نسخة بغالب
(٢) في نسخة تدعى
(٣) في نسخة صدر
(٤) كمنبر المعول الغليظ لكسر الحجارة
(٥) كذا الاصل . والهاجري البناء
(٦) صن الوبر بوله . والوبر دويبة كالسنور بوله يختر للادوية وهو منتن جداً قال جرير

تطلى وهي سيئة المعرى   بصن الوبر تحسبه ملابا

والصن والوبر أيضا يومان من أيام برد العجوز السبعة ولكن لم يردهما هنا . وما يعتصر يريد ماء الورد وهو الجلاب.
(٧) في نسخة « ولست بدعا ممن كذب الخ » . وكان يقول على ما في الغفران أيضاً ص ١٢٢ أنا شيخ مكذوب عليه ومعناه ظاهر الا ان ابن الوردي زعم في تاريخه أنه يشير به الى ما نحله الناس اياه من الشعر المؤذن بانحلال عقيدته
(٨) في نسخة « بؤت »
(٩) جمع القائل
(١٠) ظاهر أنه يريد معنى زاد وأغفلته المعاجم فلعله من الامم وهو الوسط من كل شيء أو لعل الصواب رم بمعنى أصلح ونقض بالضاد المعجمة . ثم وجدته في أخرى خطية نقض بالضاد المعجمة

والقيتُ المَرامي (١) إلى النازع . وخلّيتُ الخُطَبَ لرُقاة المنابر وكنتُ في عِدادِ المُهلة (٢) أجدُ اذا زاولتُ الأدبَ كأنني عارٍ ينضمّ . او أقطعُ السكفّين يتختّم . وينبغي له أد ام الله تمكينَه إن ذكرني عنده ذا كرٌ أن يقول دُهْدُرَّيْن ا سَعدُ القَينُ (٣) ! إنما ذلك أجهلُ من صَعَلِ الدَوّ (٤) . خالٍ كخُلوّ البوّ (٥) . ولو كنتُ في حسن العمر (٦) كما قيل لـكنتُ قد أنسيتُ أو نسيْتُ (٧) . لان حديثي لا يُجْهَل في لزوم عطَنَ الضيّق . وانقطاعي عن المعاشِر ذَهابَ السيّق (٨) . ولو أنني كما يُظنُّ لفعلت (٩) كما اخترت (١٠) وبرزتُ للأعين فما استترتُ . وهو يروي البيت السائرَ لزُهير (١١) :

---

(١) جمع المرماة وهو السهم الصغير يتعلم به الرمي

(٢) الظاهر أنه يريد رماد العزلة ٤٠٠ ـ ٤٤٩ هـ فالمهلة السكينة والتؤدة . ويمكن أن يريد بالمهلة المدة والمعنى في زمان مزاولة العلم . ثم رأيت في نسخة أخرى بدله عـدان وهو بالفتح كل سبعة أعوام من الزمان . وينضم في نسخة يعتم

(٣) مثل انظر النجم ٢٣٩ ورسائله ص ٢٦ وفي أصله خـلاف كثير . يضرب لمن جاء بالباطل . وحذفوا تنوين سعد وكانوا عرفوا كذبه من قبل

(٤) مثل أعقله أصحاب الكتب والصعل الصغير الرأس والظليم . والدو الصحراء . وجهله أنه يغفل عن بيضته فلا يهتدي لها على ما مر لنا

(٥) جلد الحوار يحشى تبنا كما هو معروف

(٦) كذا . وصوابه ان شاء الله في عمر الحسل . قال ابن جني ان الحسل يعيش ثلثمائة سنة وقال رؤبة :

فقلت لو عمرت سن الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل

والصخر مبتل كطين الوحل صرت رهين هرم أو قتل

أنظر ديوانه ١٢٨ والكامل لبسيك ٣٤٨ والمنسوب للثعالبي ٥١٥ وغيرها . ثم رأيت في نسخة جن العمر وهو أوله وهو الصواب .

(٧) في الاصل مصحفا انست ونسيت ؟ .

(٨) السحابة الفارغه تزجيها الريح . وكان في الاصل الشيق .

(٩) في الاصل تظن افعلت ؟

(١٠) في نسخة لبذلت ما أخبرت

(١١) الديوان بشرح الاعلم مصر ٦٣ يمدح هرم بن سنان ويخاطبه

والسِترُ دون الفاحشات ولا ... يلقاكَ دون الخير من سِتْرِ

وإنما ينال الرُتَبَ من الآداب من يُباشرها بنفسه . ويُفني الزَمنَ بدَرْسه . ويستعين الزهْلِق[1]. والشُماعَ المتألِّقَ . لاهو العاجز ولاهو المحاجز[2]

ولا جثّامة في الرحْلِ مثلي ... ولا بَرَمٌ اذا أمسى نؤُومُ

ومثله لا يَسأل مثلي للفائدة . بل للامتحان والخبرة[3] فإن سكت[4] جاز أن يَسْبقَ اليَّ الظنُّ الحسَنُ . أن[5] السكوت سِتْرٌ يُسْبَلُ على المجهول. وما أُحِبُ أن يَفترِيَ عليَّ الظُنونُ . كما افترت الألسنُ في ذِكْرها أنّي من أهل العلم . وأحلف بمُرُوّةِ[6] الكَذُوبِ لأن أرمى صابة[7] . أو مَقِراً آثرُ لديَّ من أن أتكلّمَ في هذه الصناعة كلمةً وقد تكلّفتُ الإجابة . فإن أخطأتُ فمَنْبتُ الخطإ ومَعْدِنه . غاوٍ تعرَّض لما لا يُحسِنُه . وإن أصبت فما أُحمَدُ على الإصابة رُبَّ دواءٍ ينفع وَصفهُ مَنْ ليس بناسٍ[8] . وكلمةُ حُكم[9] تُسْمَعُ من حليفِ وَسْواس

تمّت الرسالة بحمد الله وعونه . ولُطفه وصَوْنه . والحمد لله على افضاله . وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وآله . أجمعين

---

(١) السراج مادام فى القنديل

(٢) وفى نسخة المحائز

(٣) فى نسخة والحيرة

(٤) فى نسخة نسكت

(٥) فى نسخة لأن

(٦) تصحيف لم اهتد لأصله فلعله بمروأة الكذوب أي الخائن أو المراد بالمروة هذه الحجارة التى يقتدح بها والكذوب التي لا تورى والغرض من الحلف بها أنه يخلف رجاء آمليه كهذه يقدحونها فتصلد . والله أعلم . وفى نسخة بمروة

(٧) الصابة شجرة مرة . والمقر كـكتف وفلس الصبر أوشبيه به . وفى نسخة « لان أرمّ صابة » والرم من بابى نصر وضرب الاكل

(٨) وفى نسخة لمن ليس بناس . وفي أخرى من ليس بآس

(٩) بالضم الحكمة

فهرس المسائل

استدراك

ص	س	
٥	١	زد في المتن بعد « وإياها » : فلما جايت الهدبي ذكرت ما الخ
٥	٨	حك هاتين الاشارتين [ ]
٨	٤	الصواب « لأعددتُ لها » كما جاء في نسخة
٨	٩	في نسخة « خالية من مفعل »
١٠	١٠	في نسخة « رحمكما الله »
١٤	ح ٤	ابن ترْنَى
١٦	٤	وفي نسخة « الاثنين ومن مخاطبة »
«	٥	وفي نسخة « شائع عند الفصحاء »
٢٣	ح ٣	الصواب محتقون ما
٢٨	٥	تَسكَتُ
«	ح ١١	وفي أخرى « ممّن ليس بآس »

٩

و ٥

فائت شعر أبي العلاء

جمعه

﴿ عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي ﴾

القاهرة

سنة ١٣٤٥

المطبعة السلفية - ومكتبتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فهذا فائت شعر أبي العلاء مما لا يوجد في كتبه المعروفة ، جمعته أثناء تأليفي كتابي (أبو العلاء وما إليه) وفيه بعض شعر نُحل له ، حتى يتمّ فائدة تأليفي المذكور . ثم رأيت أن ألحقه بآخر رسالة الملائكة لأبي العلاء حتى يكونا كتيّبين ، وأثرين من آثار أبي العلاء حيّين . ومن الله أطلب العون والتوفيق

غرة شوال سنة ١٣٤٣

صدر بازار راجكوت كاتهيادار - (الهند)

عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي

(١) من جامع الاوزان . التنوير ٢ : ٢٠٧

يا قرّة العين أم حفص وأمّ عثمان جارتاك
فتلك لا تحذرين منها وهذه تبتغي رداك

أم عثمان الحية وعثمان ولدها

(٢) ومنه أيضا أيضا أيضا

لعمرك ما أبو بكر لدينا بمرموق ولا يخشى أذانا
وعثمان الذي يقليه منا أكابرها ويقتله فتانا

أبو بكر الفحل من الابل . وعثمان ولد الحية

(٣) في ركابي السرج . نهاية الأرب ٣ : ١٦٥

خليلان نيطا في جوانب مجلس جداراه قدام له ووراء
متى يضع الرجلين ماش عليهما يزل عنه لي وشك حفاً وحفاء

جداراه قربوسه ورادفتاه . والحفا وجع الرجل . والحفاء المشي بغير نعل

(٤) من كتاب استغفر واستغفري كشاف : ومن يرتدد منكم عن دينه (الآية) والايضاح للمطرزي ص ١٧١ وروايته ووالاها .

أمت سجاح ووافاها مسيلمة كذابة من بني الدنيا وكذاب

(٥) من جامع الاوزان التنوير ١ : ١٢

وطريق ركبته جرهم وجديس قبلنا فهو ركوب
سلكته الخيل من آخرها وكذا الابل وماثار العكوب

(٦) منه أيضا أيضا

ما للغراب لايزال ساقطا وليس في مسقطه بناصب
أقام عشراً ما أراه ماقطا وستر الارض عن الطوالب

(٧) من الشريشي ١ : ٩٤

عرفت جدودك اذ نطقت وطالما لغط القطا فأبان عن أنسابها

(٨) من تذكرة دولت شاه ٢٥ ليدن وليس بمحلّ الثقة

من راعه سبب أو هاله عجب فلي ثمانون حولا لاأرى عجبا
الدهر كالدهر والايام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

(٩) و له في الخطاف (نثار الازهار ٨٥)

ولابسة من حندس الليل ظلمة مفرجة عن صدرها تشبه (١) القبا
برأس يحاكي(٢) شاه بلوط أعجم تغني بصوت معجم ليس معربا
لقد أتقن الصباغ جري سوادها وقد طوسوا منها قذالا ومنكبا
تراها اذا ما أقبل الصبح ضاحكا وولى الدجى عنها هزيما مقطبا
تصفق لا أدري أحزنا على الدجى واما الى ضوء الصباح تطربا

---

(١) لعله مشبه (٢) الاصل محاكي

اذا أقبلت فى دار قوم تباشروا ... وقالوا لها أهلا وسهلا ومرحبا

(١٠) روى محمد بن علي الكازروني — وكان زاره بالمعرة — قال أنشدنا ابو العلاء (والظاهر فى باب التلامذة):

يغدو الفقير وكل شيء ضده ... والارض تغلق دونه أبوابها
نتراه ممقوتاً (مجفواً) وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا بزة ... هشت اليه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيراً بائسا ... نبحت عليه وكشرت أنيابها

(١١) فى الملح نهاية الارب ٣ : ١٦٧

وبيضاء من سر الملاح ملكتها ... فلما قضت اربى حبوت بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل ... تحثهم بعد الطعام على الشرب

(١٢) رواية عن أبي اليسر المعري النكت ١٠٥ الادباء ١ : ١٧٩

غربت بلدتي أمة ... وبحمد خالقها غربت
وعبدت ربى ما استطعـ ... ـت ومن بريته بريت
وفرتني الجهال حا ... شدة علي وما فريت

وفي الادباء حاسدة

سعروا علي فلم أحس ... وعندهم أنى هربت
وجميع ما فاهوا به ... كذب لعمري حنبريت

والبيت الآخر من النكت فقط

(١٣) ابن ابى الحديد ٤ : ٣٠٧

أزرى بكم يا ذوي الالباب اربعة ... يتركن احلامكم نهب الجهالات
ود الصديق وعلم الكيمياء واحـ ... ـكام النجوم وتفسير المنامات

(١٤) من تذكرة دولت شاه ص ٢٥

الا انما الايام ابناء واحد ... وهذي الليالي كلها اخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة ... خلاف الذي مرت به السنوات

(١٥) من الوافي بالوفيات الصفدي (نسخته الخطية بلكنو الهند)

لم يكن الدن غير نكر ... سلافة الراح عرقته
كآدم صيغ من تراب ... ونفخة الروح شرفته

(١٦) من المحول (١) ـ البلدان « اللاذقية »

(١) ومعنى البيتين لاينجذب الى الالحاد والمروق فليس فيهما الا الخبر كما قال ابن بطلان في رسالته الى هلال الصابي (انظر حكماء القفطي مصر ١٩٥) ولفظه وذكر اللاذقية : وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه وأذان في أوقات الصلوات الخمس . وعادة الروم اذا سمعوا الاذان أن يضربوا الناقوس اه . ومثله في البلدان وزاد كياداً لهم ـ فكأنه يريد مابين أتباع أحمد الخ ـ وأورده، كولدزيهر في الجلة الالمانية ٢٩ : ٦٣٧ وروايته في القدس قامت ضجة مابين الخ

اللاذقيــة فتنــة ما بين أحمــد والمسيــح
هــذا يعالج دلبــة والشيخ من حنق يصيح

(١٧) الغيث ٢ : ٣٤

أتعبتم السابح في لجة ورعتم في الجو ذات الجناح
هــذا وأنتم غرض للردى فكيف لو خلدتمو ياقباح

(١٨) الانساب ورق ١١٠ في الثلج

أتانا في الولادة وهو شيخ فأزرى بالشباب وبالشيوخ
فقال أريد عندكم تنوخا فقلت أصبت انا من تنوخ

(١٩) ابن أبي الحديد ٤ : ٣٢٣ و٢ : ٣٨٨

نفسي وجسمي لما استجمعا صنعا شراً الىّ فجلّ الواحــد الصمد
فالجسم يعــذل فيه النفس مجتهــدا وتلك تزعم أن الظالم الجســد
اذا هما بعــد طول الصحبة افترقا فان ذاك لاحداث الزمان يد
وأصبح الجوهر الحساس في محن موصولة واســتراح الآخر الجلد

(٢٠) لغز في آل التي للتعريف (الاشباه ٢ : ٢٨٩)

وخلين مقرونين لما تآوثا أزالا قصيا في المحل بعيدا
وينفيهما ان أحدث الدهر دولة كما جــلاه في الديار طريدا

(٢١) من جامع الاوزان التنوير ١ : ١١

كأن سنور العتيك اذا ناب أمر يفرس الاسدا
وتبيت الفأر دانيــة منه ان نوماً وان سهدا
نابهم دهر بقطهم فرأوا من عيشهم نكدا

السنور السدوالعتيك (١) حي من الازد . والفأر فأر المسك . والقط النصيب أوالضيون.

(٢٢) لغز في كاد*(الاشباه ٢ : ٢٨٨)

أنحوي هــذا العصر ماهي لفظة ؟ جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وان أثبتت قامت مقام جحود

(٢٣) قيل انه أوصى أن يكتب على قبره

(الوفيات ١ : ٣٤ الذهبي ١٣٣ البغية ١٣٧ الغيث ٢ : ١٩٨)

هــذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

(٢٤) من كتاب الاستغفار وهو استغفر واستغفري ° ابن أبي أصيبعة ١ : ٨٨

وهي محرّفة وماله والقدس . وكان سافر الى اللاذقية كما حققناه وزاد ثالثا وهو :

كل يشيد دينه ياليت شعري ما الصحيح

وما أراه الا اختلاقا ، فالبيت ركيك البنية لايشبه سائر شعر المعري

(١) أجاب عنه ابن مالك وابن الوردي فراجع الاشباه

سقيا ورعيا لجالينوس من رجل ورهط بقراط غاضوا بعد ازدادوا
فكل ما أصلوه غير منتقض به استغاث أولو سقم وعواد
كتب لطاف عليهم خف محملها لكنها في شفاء الداء أطواد

(٢٥) في المرقص والمطرب اصاحب المغرب في حلى المغرب ص ٤٦
وصبح قد نلوناه الليل عنه كما تقلي عن النار الرمادا

(٢٦) في الوافي بالوفيات (خط) في تأخر مشيبه
قد أورقت عمد الخيام وأعشبت فلك الحبال (؟) ولون رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كما سلا غيري ولكن للحزين تذكر

(٢٧) من جامع الاوزان — التنوير ١ : ١٣
ان تخمدي يانار فما عليك عار عار فاين النار

(٢٨) الغيث ٢ : ٢٤٤
راح من راح والثريا الثريا والسماك السماك والغفر غفر
ونجوم السماء تعجب منا كيف تبقى من بعدنا وتمر

(٢٩) ابن أبى الحديد ٣ : ٥٣
أستغفر الله ماعندي لكم خبر وما خطابي الا معشرا قبروا
اصبحتم في البلى غبرا ملابسكم من الهباء فاين البرد والقطر
كنتم على كل خطب فادح صبرا فهل شعرتم وقد جادتكم الصبر
وما درى يوم احد بالذين ثووا فيه ولا يوم بدر انهم نصروا

(٣٠) تتمة اليتيمة (خط باريس) ادبا ١ : ١٧٢ املاه في جواب كتاب عن بعض الرؤساء
وافى الكتاب فأوجب الشكرا فضممته ولثمته عشرا
وفضضته وقرأته فاذا احلى كتاب في الورى يقرا
فمحاه دمعي من تحدره شوقا اليك فلم يدع سطرا

(٣١) ذهبي ١٣١ وادبا ١ : ١٩٣ والعياذ بالله
ولا تحسب مقال الرسل حقا ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد فجاؤوا بالمحال فكدروه

(٣٢) ادباء ١ : ١٧٦ من خبر ذكرناه في كتابنا
هذا ابو القاسم اعجوبة لكل من يدري ولا يدري
لا ينظم الشعر ولا يحفظ القرآن وهو الشاعر المقري

(٣٣) الشريشي ٢ : ١٥٢
عجبت هند من تسرع شيبي قلت هذا عقبى نظام الدرر
عوضتني يد السفاسف من مسك عذاري ريشا من الكافور
كان لي في انتظار شيبي حساب غالطتني فيه صروف الدهور

(٣٤) ومما عزى له الغيث ٢ : ١٩٣ والنكت ٧٢ والعجب منه حيث عزاه مع آخر بعد

أربع صفحات ٧٦ الى ابي الحسن الحصري كما في الشريشي ٢ : ٨٩ ولفظه ومما يعزى الحصري . قال ياقوت ٥ : ٢٦٢ ان البيتين متنازعان بين الحصري وبين تلميذه ابي العباس الاعمى

سواد العين زاد سواد قلبي ليجتمعا على فهم الامور

(٣٥) ابو الفداء ٢ : ١٧٦ والعياذ بالله :

عجبت لكسرى واشياعه وغسل الوجوه ببول البقر
وقول النصارى اله يضام ويظلم حيا ولا ينتصر
وقول اليهود اله يحب رسيس الدماء وريح القتر
وقوم اتوا من اقاصي البلاد لرمي الجمار ولثم الحجر
فواعجبا ! من مقالاتهم ايعمى عن الحق كل البشر

(٣٦) وله فيما ظن الصفدي في الغيث ٢ : ١٩٩

الناس كالناس الا ان تجربهم وللبصيرة حكم ليس للبصر
والايك مشتبهات في مناظرها وانما يقع التفضيل في الثمر

(٣٧) في روضات الجنات والعهدة على صاحبه أن المعري لما خرج من العراق سئل عن المرتضى فقال :

يا سائلي عنه لما جئت أسأله (١) ألا هو الرجل العاري من العار
لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والارض في دار

(٣٨) لغز في القمح . الشريشي ٢ : ٥٩

وسمراء في بيض الحسان شريتها بصفر من العين الشبيهة بالشمس
وقد غيبت في الخدر عصراً مصونة محجبة عن أعين الجن والانس
فلما بدت عنه بدت سيمة النوى عليها ولم تجزع لحادثة الامس
فأهلا بأنثى لم ترد يد لامس بسوء ولا أبدت نفارا من اللمس

(٣٩) أبو الفداء ٢ : ١٧٧ والبراءة اليه تعالى

زعموا أنني سأبعث حيا بعد طول المقام في الارماس
وأحوز الجنان أرتع فيها بين حور وولدة اكياس
اي شيء اصاب عقلك يامسكين حتى رميت بالوسواس

(٤٠) في مدح حلب الدر المنتخب لابن الشحنة ص ١٥٤

ياشاكي النوب انهض طالباً حلبا نهوض مضني لحسم الداء ملتمس

وفي الاصل « لجسم » مصحفا

واخلع حذاك اذا حاذيتها ورعا كفعل موسى كليم الله في القدس

كذا والصواب ان شاء الله كفعل موسى

(٤١) دمية القصر (خط . ورق ٦)

وما ازدحمت عير على ورد منهل دنا خمساً ترعى الخيل من الحمض

---

(١) ذكرنا مادار بينهما من الاسئلة في غير هذا الموضع من كتابنا وان كنا نرى هذا تلفيقا

كذا والنسخة محرفة ولعل الاصل دنت بعد خمس ترتعي الحل بالحمض

تزاحم دمعي في الجفون وقد غدت وكأنهم بين العربين فالعرض

العربين كذا وورد في معجم البكري عربات والعربنات وأ ما العربان فاني لم أجده في المعجمين

ولا أم خشف أقبلت بعد فيقة لتمنحه من درها ـ صفوه ـ المحض

ولا أم بكر ساف عنها حوارها ظلوم سماة في الزكاة من الفرض

بأوجع من يوم قال رسولهم أمستوطن ؟ بعد الظاعنين لم تمض!

(٤٢) رواية السلفي عن أبي المكارم الابهري عنه ذهبي ١٣٣

رغبت الى الدنيا زمانا فلم تجد بغير عناء والحياة بلاغ

والقى ابنه الناس (؟) الكريم وبنته لدي فعندي راحة وفراغ

وزاد فساد الناس في كل بلدة أحاديث مين تفترى وتصاغ

ومن شر ما أسرجت في الصبح والدهى ؟ كميت لها بالشاربين مراغ

والدهى كذا ـ ولعله والضحى أو والدجى

(٤٣) الدميري سنة ١٣١٩ ه مصر ١ : ٢٩٧

ياطالب الرزق الهني بقوة هيهات أنت بباطل مشغوف

رعت الاسود بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

(٤٤) الادباء ١ : ١٧٢ زيادة على مافي اللزوم ٢ : ٨٧

فلا تشرف بدنيا عنك معرضة فما التشرف بالدنيا هو الشرف

واصرف فؤادك منها مثلما انصرفت فكلنا عن مغانيها سينصرف

يا أم دفر البيت ، لو أنك العرس البيت . ولكن البيت الثاني أفسد اللزوم الذى التزمه أبو العلاء

(٤٥) وقال الادباء ١ : ١٩٢ ولعله منحول

اذا كان لايحظى برزقك عاقل وترزق مجنونا وترزق أحمقا

فلا ذنب يارب السماء على امرىء رأى منك مالا يشتهى فتزندقا

(٤٦) الادبا ١ : ١٧٩ والنكت وللعاهد والبغية

لا اطلب الارزاق والـمـولى يفيض علي رزقي

ان اعط بعض القوت اعـلم أن ذلك ضعف حقي

والبيتان ضد لما مضى

(٤٧) الغيث ١ : ٤٨ ولفظه ووجدت منسوبا الى أبي العلاء المعري ونزهة الجليس ١ : ٢٨٣ ونسمة السحر ١ : ١١٠

زعم الجهول ومن يقول بقوله ان المعاصي من قضاء الخالق

ان كان حقا مايقول فلم قضى حد الزناء وقطع كف السارق

(٥٠) وزعم ابن السبكي في طبقاته ٣ : ٩٧ ان هذين البيتين

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الاوهام حائرة … وصير العالم النحرير زنديقا

له ـ وكالاجماع انهما لابن الراوندي وانظر المعاهد ١:٥٣ ـ ومر آنفا بيتان في معناهما

(٤٩) في مطالع البدور (١:١٠٢) قال ابو العلاء المعري الشروى (؟ وانظره) يهجو النرجس

أنظر الى نرجس تبدت … صبغا لعينيك منه طاقه

واكتب اسامي مشبهيه … بالسين ـ في دفتر الحماقه

كراثة ركبت عليها … صفرة بيض على رقاقه

(٥٠) الادباء ١ : ١٧٥ والمعاهد ١ : ٥٠

ياطيبة علقتني في تصيدها … أشراكها وهي لم تعلق باشراك

رعيت قلبي وما راعيت حرمته … فلم رعيت وما راعيت مرعاك

أتحرقين فؤادا قد حللت به … بنار حبك عمدا وهو مأواك

نسخة ماراك مخفف مارآك انة في رأى

أسكنته حين لم يسكن به أحد … وليس يحسن أن تسخي بسكناك

مابال داعي غرامي حين يأمرني … بأن أكابد حر الوجد ينهاك

وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع … يرجوك أن ترحيه ثم يخشاك

(٥١) نهاية الارب للنويري ١ : ٣٤

ياليت شعري وهل ليت بنافعة … ماذا وراءك أو ما أنت يافلك ؟

كم خاض في اثرك الاقوام واختلفوا … قدما فما أوضحوا حقا ولا تركوا

شمس تغيب ويقفو اثرها قمر … ونور صبح يوالي بعده حلك

طحنت طحن الرحى من قبلنا أمما … شق ولم يدر خلق أية سلكوا

وقال انك طبع خامس نفر … عمري ! لقد زعموا بطلا وقد أفكوا

راءوا سرائر للرحمن حجبها … ماالجن نبي لا ولا ملك

(٥٢) وعزا اليه صاحب روضات الجنات ص ٧٤ ولعله منحول :

فلا تيأس اذا ماسد باب … فأرض الله واسعة المسالك

ولا تجزع اذا مااعتاض (١) أمر … « لعل الله يحدث بعد ذلك »

(٥٣) العمدة لابن رشيق ٢ : ٨٢

لم يبق غير المذل من اسبابهم … فأحب من يدنو الى عذول

يغدو فلا مستخبر عن حالهم … غيري ولا مستخبر مسؤول

(٥٤) بدائع البدائه بهامش المعاهد ٢ : ١١٤ والوفيات ١ : ٢٣٣ واليافعي ٣ : ٧٠

قال القاضي ابو الطيب الطبري كتبت الى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد :

(١) كذا ، ويمكن ان يكون اعتاص

وما ذات در لا يحل لحالب ... تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء في الحالين حيا وميتا ... ومن شاء شرب الدر فهو مضلل
اذا طعنت في السن فاللحم طيب ... وآكله عنـد الجميع مغفل
وخرفانها للاكل فيها كرازة ... فما لحصيف الراي فيهن مأكل
وما يجتني معناه الا مبرز ... عليم بأسرار القلوب محصل

فاجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالا :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل
فمن ظنه كرما فليس بكاذب ... ومن ظنه نخلا فليس يجهل
لحومهما الاعناب والرطب الذي ... هو الحل ـ والدر الرحيق المسلسل
ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تمر وغض الكرم يجنى ويؤكل
يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يودك مقبل

فأجبته عنه وقلت :

أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طرا سابغ الفضل مكمل
ومن قلبه كل العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار يشعل
تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل
ولما أثار الحب قاد صعبه ... أسيرا بأنواع البيان يكبل
وقربه من كل فهم بكشفه ... وايضاحه حتى رآه المغفل
وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... ومرتجلا من غير ما يتمهل
فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا الى حيث الكواكب تنزل
فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر منها مطول

فاجاب مرتجلا وأملى على الرسول :

ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الضلال تسلل
فؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبل
فان كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون ممول
اذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا ... فانت ـ وهم مثل الحمائم ـ أجدل
كأنك من في الشافعي مخاطب ... ومن قلبه تملى فما تتمهل
وكيف يرى علم ابن ادريس دارسا ... وأنت بايضاح الهدى متكفل
تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما ... فعلت وكفى عن جوابك أجهل
لانك في كنه الثريا فصاحة ... وأعلى ومن يبغي مكانك اسفل
فعذري إذا في أني أجبتك واثقا ... بفضلك فالانسان يسهو ويذهل
وأخطأت في انفاذ رقعتك التي ... هي المجد لي منها أخير وأول

ولكن عداني ان أروم احتفاظها … وسرك وهو الفاضل المتفضل
ومن حقها ان يصبح المسك عاطرا … بها وهي في أعلى المواضع تجمل
فمن كان في أشعاره متمثلا … فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل
تجملت الدنيا بأنك فوقها … ومثلك حقا من به تتجمل

(٥٥) وأملى على الهكاري في خبره مع وزير محمود بن صالح وقد ذكرناه في موضعه السكت ١٠٨ وسر العالمين بومباي ص ٣٩ من البيت العاشر وكذا نسمة السحر ١ : ١٠٩ « خط »

أستغفر الله في أمني وأوحالي … من غفلتي وتوالي سوء أعمالي
قالوا هرمت ولم تطرق تهامة في … مشاة وفد ولا ركبان أجمال
فقلت اني ضرير والذين لهم … رأي رأوا غير فرض الحج أمثالي
ماحج جدي ولم يحجج أبي وأخي … ولا ابن عمي ولم يعرف منى خالي
وحج عنهم قضاء بعد ما ارتحلوا … قوم سيقضون عنى بعد ترحالي
فان يفوزوا بغفران أفز معهم … أو لا فاني بنار مثلهم صالي
ولا أروم نعيما لايكون لهم … فيه نصيب وهم رهطي وأشكالي
فهل أسر اذا حمت محاسبتي ؟ … أم يقتضي الحكم تعذابي وتسآلي
من لي ! برضوان أدعوه فيرحمني … ولا أنادي مع الكفار أمثالي
باتوا وحتفي أمانيهم مصورة … وبت لم يخطروا منى على بال
وفوقوا لي سهاما من سهامهم … فاصبحت وقفا منى باميال
فما ظنونك اذ جندي ملائكة … وجندهم بين طواف وبقال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت … فرعون ملكا ونجت آل اسرال
أقيم خمسي وصوم الدهر آلفه … وأدمن الذكر أبكاري وآصالي
عيدين أفطر في عامي اذا حضرا … عيد الاضاحيّ يقفو عيد شواله
اذا تنافست الجهال في حلل … رأيتني وخسيس القطن سربالي
لاآكل الحيوان الدهر مأثرة … أخاف من سوء (١) أعمالي وآمالي
[وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا … غصب لمكسب نحل ذات أطفال
نهيتهم عن حرام الشرع كلهم … ويأمروني بترك المنزل العالي
وأعبد الله لا أرجو مثوبته … لكن تعبد اكرام واجلال]
أصون ديني عن جعل أؤمله … اذا تعبد أقوام باجعال

(٥٦) ومن بديع أغانيه ـ الغيث ٢ : ٢١٥ والوافي الصفدي

هزت اليك من القد ابن ذي يزن (سيفا) … ولاحظتك بهاروت على عجل

(١) في نسمة السحر عن سر العالمين وابن أبي أصيبعة (أقوالي وأفعالي)

أرتك عم رسول الله منتقيا (عباسا) أبا حذيفة يحكي أو أبا جهل (بدرا)

(٥٧) ابن أبي الحديد ٤ : ٤٧٦

مااقضى الحاجات الا شمل نومه فوق فراش من نمال

(٥٨) من التبريزي عنه أدبا ١ : ١٧٥ والصواب ماقاله ابن القارح ص ٢٠٠ قال أنشدني الظاهر لنفسه :

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

(٥٩) في المجلة الالمانية ٣٨ : ٥١٨ بعد قوله من اللزوم (٢ : ٢٢٧) عقيبها زيادة بيت وهو :

بلى ويبلى البدر من سقم به فما لنفوس لايبل سقيمها

(٦٠) في البعوض ـ من الوافي للصفدي

اذا هي غنت لم يشقني غناؤها فبعدا لها من قينة لم تكرم
تحش من لايبتغي اللهو عندها وتطرد نوم الناسك المتأيم
وأحلف لاعانقتها ولقد غدا ابر (؟) ما بين كفي ومعصمي

(٦١) من العدل والتحري لابن العديم الحلبي

وقال في ابن أخيه القاضي أبي محمد عبد الله بن أبي المجد وكان يستملي له ومرضه في عدة أمراض وكان برا بعمه مشفقا عليه :

أعبد الله ما أسدى جميلا نظير جميل فعلك غير امي
سقتني درها ودعت وبانت تعودني وتقرأ أو تسمي
همت ان تجنبني الرزايا فرمت وقايتي من كل هم
كأن الله يلهمك اختياري فتفعله ولم يخطر بوهمي
حمدتك في الحياة اتم حمد وأيامي ذممت أتم ذم
أجدك ماتركت وأنت قاض تعهد مقعد أعمى أصم
جزاك البارىء ابن أخ كريما أبر بمعجز في بر عم

(٦٢) منه أيضا

وقال فيه أيضا لما مرضه بمرضه الاخير :

وقاض لايبام الليل عني وطول نهاره بين الخصوم
يكون أبر بي من فرخ نسر بوالده وألطف من حميم
سأنشر شكره في يوم حشر أجل وعلى الصراط المستقيم

(٦٣) فهرست دار الكتب ببرلين العدد ٣٣١٩ قصيدة أولها :

ضاقت علي برحبها الدنيا وجرى من الجفن القريح دما

(٦٤) لغز في الابرة الخزانة الصغرى ٣٩٣

سمت ذات سم في قيصي فغادرت به أثرا والله شاف من السم
كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

(٦٥) في الشريشي ٢ : ٢٥٦ زيادة بيت على ما في اللزوم ٢ : ٢٦٠

لايستوي ابناك في خلق ولا خلق ان الحديدة ام السيف والجلم

فاضرب وليدك البيت . فرب شق البيت .

(٦٦) وفي الغيث ٢ : ١٩٨ زيادة بيت وهو الثالث على ما في اللزوم ٢ : ٢٤٩

(ارى ولد الفتى عبئاً عليه لقد سعد الذى اضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوا واما ان يخلفه يتيما)
واما ان يصادفه حمام فيبقى حزنه ابدا مقيما

(٠٠) وزعم صاحب الفتح ٣ : ١٣٠ مصر ان بيت اللغز المعروف للمعري وهو :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وها ـ شم

ومعناه أقول لعبدة اتقى الله أو لعبد الله لما وهي سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس شم لنا البرق

وهذا خطأ منه فان البيت عائر وضع للمعاني وانظر مقدمة اللزوم ١ : ٥

(٦٧) ومن المحول له (النكت ٧٥ والغيث ٢ : ١٨٨ . ونزهة الجليس ١ : ٢٧٩ ونسمة السحر ١ : ٧ ١ وفي الشريشي ١ : ٨٩ أنه لبشار وفي غرر الخصائص أنه لأبي العيناء ص ١٦١)

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدا نكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقده العيون

(٦٨) وله (النكت ٧٥ وابن الشيخ ١ : ٣٨٢ وتذكرة دولت شاه ٢٥ . والتكملة لابن الأبار العدد ١٩٥٧ مسندا)

أبا العلاء ابن سليمانا عماك قد أولاك احسانا
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم ير انسانك انسانا

(٦٩) حسن التوسل ٦١

لم يبق غيرك انسانا يلاذ به فلا برحت لعين الدهر انسانا

(٧٠) أيضاً ٦٢

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحن في حفر الاجداث أحيانا

(٧١) الادباء ١ : ١٩٠ والنكت ١٠٦ والعياذ بالله

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنى

علمنا بأن الخلق من أصل ريبة وان جميع الناس من عنصر الزنا

(٧٢) أدبا ١ : ١٧٣ عن التتمة ، وليس في نسخة باريس منها

لست أدري ولا المنجم يدري ما يريد القضاء بالانسان

غير أني أقول قول محق قد يرى الغيب فيه مثل العيان

ان من كان محسنا فأبكيه لجميل عواقب الاحسان

كذا ولعل الاصل فابكى لجميل بل فأبكيه جميل

(٧٣) وفي المجلة الألمانية ٣٨ : ٥٢١ بعد قوله من اللزوم (٢ : ٢٨٥) أشطان زيادة بيت وهو :

وتزهر القيظ بالخرصان مشمرة بالهام وهي من الخطي شيطان

(٧٤) ذهبي ١٣٤

أتتني من الأيام ستون حجة وما أمسكت كفاي ثني عنان

ولا كان لي دار ولا ربع منزل وما مسني من ذاك روع جنان

ويمكن أن يكون ربع

تذكرت اني هالك وابن هالك فهانت علي الأرض والثقلان

(٧٥) روى أبو اليسر أن المستنصر الفاطمي بذل له ما ببيت المال بالمعرة من الحلال فلم يقبل وقال (ادبا ١ : ١٧٨)

كأنما لي غاية من غنى فعد عن معدن أسوان

سرت برغمي عن زمان الصبا يعجلني وقتي وأكواني

ضد أبي الطيب لما غدا منصرفا عن شعب بوان

وفي الاصل غاية لي وهو قلب غلطا . وضد الا أننا نرجح ضد .

(٧٦) ادبا ١ : ١٧٩ والنكت ١٠٥ والمعاهد ١ : ٥٠

حاول اهواني قوم فما واجهتهم الا باهواني

يحرشوني بسعاياتهم فغيروا نية اخواني

لو استطاعوا لوشوا بي الى المريخ في الشهب وكيوان

(٧٧) ادبا ١ : ١٩٢ و ١٩٤ وذهبي ١٣١ والنكت ١٠٦

صرف الزمان مفرق الالفين فاحكم الهي بين ذاك وبيني

أنهيت عن قتل النفوس تعمدا وبعثت أنت لقبضها ملكين

وزعمت ان لها معاداً ثانيا ما كان اغناها عن الحالين

(٧٨) حسن التوسل ٨٧

طول حياة مالها طائل نغص عندي كل مايشتهى

أصبحت مثل الطفل في ضعفه تشابه المبدأ والمنتهى
فلا تلم سمعي اذا خانني « ان الثمانين . وبلغتها »

(٧٩) في النبيت ١ : ٤٨ زيادة بيتين على ماني التزوم ٢ : ٣٤٥ بعد قوله فاذا كان مايقولون البيت

واذا كان راضيا بقضاهم فاشكروهم لاجل ماعذبوه
واذا كان ساخطا بأذاهم فاعبدوهم لانهم غلبوه

(٨٠) من جامع الاوزان التنوير ١ : ١٢

الا يا عالما ما العلم جار منه في تيه
فقيه خامل اذ لج يطوي تحتك الطيه
وخفّاك عروضيا ن والناقة نحويه

يقال فحل فقيه اذا كان حاذقا بالضراب . وعروض مكة وما والاها أي عملا من اديمها. ونحو حي .

استدراك

ص　س

٥　٢٣　أحوي . زد عليه رقم (١)

٦　٣١　الصواب　السرور

٧　الآخر . في نسخة المتحف البريطاني من الدُمْية ترعى النحيل من الحمض .
بين العرنين . صفوةَ المحضِ وهو الصواب . بعد الظماءن أم يمضي .
وفى أخرى بأُندره بالخط المغربىّ خمسها يرعى النخيل . بعد العرنين
صفوة المحض . أم تمضى . واسم الراوي أبو محمد الجداني الخاء

٩　٨　بأشراكي

«　٢٥　البيتان من العمدة . ثم رأيت في التكلة لابن الأبار في ترجمة أبي طالب
محمد بن إبراهيم القيسي الذي عاش الى سنة ٤٩٠ ﻫ : « قرأت بخطه
لأبي القاسم بن المغربي الوزير : بَمُدوا فلا. البيت. لم يبق غير . البيت
الليل عندي والنهار كأدهم　لا غُرّةٌ فيه ولا تحجيل »
فتبين أن المعري في العمدة مصحّف المغربيّ وكم قد تصحف
أحدهما بالآخر لتشابههما في الخطّ

١١　٤　زد أني وجدتُ في الصارم البتّار فى رحلة سالار لعبد الله بن
قائد المكيّ المطبوع بكلكتّة نحو سنة ١٢٥٦ ﻫ وليس صاحبه من الاثبات
هذه الأبيات منسوبة لأبي العلاء والعُهدة عليه :

الدهر يقصر ساعة ويطول　والمرء يصمت ساعة ويقول
والقول مختلف اذا ميَّزته　هذا يردّ وبعضه مقبول
لاتقعدن مع البخيل بمجلس　إن البخيل على الفراش ثقيل
لاتقطعن مع البخيل مسافة　ان الطريق مع البخيل طويل

١٥　١٢　زد بعده أن المقَّريّ (مصر ١ : ٥٠٥) نقل عن أبي حيّان عن
شيخه الرضيّ الشاطبي أنه أنشده للمعري [1] لُغزاً في وَرْد :

إذا ماشئت معرفة　لما حار الورى فيه
فخذ خمساً لأربعة　ودع للثوب رافيه

كلمات في الكتاب ومؤلفه

للأستاذ العلامة مؤلف هذا الكتاب النفيس محبون في الشرق العربي معجبون بنفثات يراعه ومآثر فضله وهذا بعض ما كتبوه عند اطلاعهم على هذه المجموعة وهي تحت الطبع

— ١ —

فمن ذلك ما أنشأه العلامة المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا عضو مجلس الشيوخ المصري ، والعلامة المفضال صاحب الفضيلة السيد محمد الخضر حسين من علماء الجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

أما بعد فان المشتغلين بالأدب العربيّ في هذا الشرق الاسلاميّ ما برحوا منذ بضع سنوات ينظرون بعيون الابتهاج والغبطة الى ما ينشره العلاّمة الجليل الاستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي من مآثرَ يخدم بها الآداب العربية والعلوم الاسلامية بتحقيقٍ وتثبّتٍ لا يقوىٰ على مثلهما إلاّ مَن أُشرِبَ قلبُهُ حبَّ العلم ، واستلذّ التعب في تحصيله ، وطابت نفسه بالصبر على تمحيصه

ولقد كنا نحسب قبل ذلك أن يد الاستعمار الأجنبيّ المتصرّفةَ في برامج التعليم في الشرق الاسلامي ـ إما مباشرة أو بالواسطة ـ تمكّنتْ من عزل أقطاره بعضها عن بعض ، وتوصّلتْ الى فصم ما بين أهلها من أواصرَ كان العلماء فيما مضى يزيدونها بتعاونهم العلميّ توثيقاً وتأييداً ، فجاءت أعمال العلاّمة الميمني حلقة ذهبية في سلسلة ما للهند في محصول الاسلام العلمي من حسناتٍ خالدات . وبتنا نرجو الله أن يكون ذلك فاتحة دور جديد في تاريخ رابطة العلم الاسلامي بملأه الاستاذ المؤلف وأصدقاؤه من أفاضل (دار المصنّفين) وزملاؤهم

(ب)

من أساتذة الجامعات الهندية الاسلامية والمتخرجون على أيديهم من نجباء تلاميذهم بما تُباهي به الهندالاممَ مقداراً وقيمة . وما ذلك على الله بعزيز

مصر : ٢٥ جمادى الاولى ١٣٤٦

أحمد تيمور   محمد الخضر حسين

— ٢ —

وكتب العلامة الجليل الشيخ أحمد الاسكندري من كبار أساتذة (دار العلوم) بمصر :

﴿ من مدرِّس الى مدرِّس ﴾

الى أخي الاستاذ الكبير والعلامة الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي حفظه الله

أخي ! كنت أقرأ بسرور كثير واعجاب عظيم تلك الرسائل الجليلة ذوات البحوث الدقيقة التي كنتَ تتحف بها قراء مجلة الزهراء . وكنت أحرص على اقتنائها بعد جمعها كتبا . وما كدت أسمع بأن المطبعة السلفية تطبع لك كتاباً في حيـاة أبي العلاء وأدبه حتى بادرت الى قراءة الجزء الاول منه قبل أن يتم طبع ماالحق به

والحق أقول اني قلّما قرأت لاديب معاصر بحثاً في أدب القدماء وشؤون حياتهم بمثل ماقرأت في كتابك الكريم من استقامة مذهب ونصفة حكم ونزاهة جدل وتأويل متشابه وتفتيح بحث وتزييف باطل وجبه مغرور

ولقـد استفدت منه في نفسي ودرسي واقتبست منه وعزوت اليه . فلله أنت ولله بلاد أنجبت مثلك . ولله ما أعنت طلابَ العربيـة وما زدت في ثروة آدابها

فجزاك الله عن الادب العربي وأهله خيراً وا كثر في حماة العربية من أمثالك ومدّ في أجلك وأمتع بأدبك والسلام عليك ورحمة الله

مصر : ١٥ محرم ١٣٤٦ أحمد الاسكندري

مدرس تاريخ الادب وفقه اللغة بدار العلوم بمصر

— ٣ —

وكتب الاستاذ الجليل الشيخ احمد ابراهيم من كبار مدرسي كلية الحقوق في الجامعة المصرية :

الى الأخ الفاضل رب العلم والأدب الاستاذ عبد العزيز الراجكوتي

أشكر لمجلة الزهراء أن عرّفتنا بمحقق فذّ مثلك معرفة أحلتكَ منا محل المحب المكرم ، ولقد كنتُ أترقب صدور أجزاء هذه المجلة الممتعة بفروغ صبر حتى اذا ظفرت منها ببحث من أبحاثك القيمة المتينة أكون كأني قد عثرت على كنز ثمين . وما زلت كذلك حتى زفت الينا البشرى بطبع كتابك « أبو العلاء وما اليه » فما كان أشوقني اليه لما أعلمه من سابق فضل مؤلفه ودقة بحثه وغزارة علمه ؛ ولقد ظفرتُ من ذلك بأمنيّتي اذ وجدت الكتاب على ما كنت أتوقع : استيعابٌ للبحث واحاطة كافية بما يتطلبه المقام وسلامة نظر ونقد يقظ بصير وانصاف في الحكم بحسب ما تؤدّي اليه المقدمات واحتياط في كل ما يحكيه عن أبي العلاء سواء أكان له أم عليه مما لا يصدر الا عن المؤرخ الخبير المنصف

ولقد كنتَ أيها الاستاذ الجليل موفقاً في كل ما كتبت حتى كأنك لشدة مخالطتك لكل ما أثر عن هذا الرجل وقوة اتصالك به وبكل ما كان يحيط به واستنباطك بفضل الله تعالى ونعمته ما استنبطته مما حدثتنا به عنه قد تغلغلتَ الى أعماق نفسه ونفذت ببصيرتك الى ما انطوت عليه جوانحه فلم يغادر قلمك صغيرة ولا كبيرة من شؤونه الا أحصاها ، فلقد تناولته من جميع نواحيه

وحالته أيما تحليل فكنت في صنيعك هذا كأمهر المصورين اذ أخرجت للناس صورة صحيحة جلية لأبي العلاء صورتها بيد الأمانة تصوير من أحاط بصاحبها خبراً . نفع الله بك الأدب والعلم ، وبارك فيك وكان لك ناصراً ومعيناً

كتبه

احمد ابراهيم ابراهيم

استاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق المصرية

— ٤ —

وكتب العلامة الجليل الشيخ عبد الوهاب النجار من كبار أساتذة دار العلوم ، وهو من محبي أبي العلاء والمعجبين بمن يشيد بذكر هذا الاديب العظيم :

قرأتُ كتاب (أبي العلاء وما اليه) الذي كتبه العلامة المحقق الواسع الاطلاع السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي ؛ فوجدته كتاباً ممتعاً قد جمع الى الفوائد الأدبية التحقيق الدقيق والعناية الفائقة بتحقيق المسائل وتصحيح غلط المؤلفين في شأن أبي العلاء وتزييف ما راج عندهم من الاوهام الباطلة ردّ الحق الى نصابه وابراز الحقائق ناصعة الجبين سافرة المحيا . والكتاب ينبيء عن سعة اطلاع كاتبه وصفاء ذهنه ونفوذ بصيرته وتنزهه من المحاباة وبراءته من التحامل لاتأخذه فيما يراه حقاً لومة لائم

بحث في كتابه أحوال أبي العلاء من جميع نواحيه أتم بحث وأدقه مع صبر طويل على مراجعة الكتب والاطلاع على الاخبار في مظانها وعزو كل قول الى قائله والدلالة عليه دلالة تسهل على القاريء الرجوع الى تلك المظان فجاء كتابه فريداً في بابه لم ينسج على منواله أحد ممن كتب في شأن أبي العلاء شافياً لما في النفس كافياً لمن طالعه عن طلب المزيد من سواه وافياً بحاجة محبي الاطلاع

ان اعجابي بذلك الكتاب الفائق في الوضع والترتيب المقنع في بحوثه لا يمنعني من أن أبدي ملاحظات قليلة راجياً من حضرة المؤلف الذي أنا معجَب به كل الاعجاب مقدّر لما لقي من النَّصَب كل التقدير أن يتقبل ذلك بقبول حسن وأن يحمل ذلك مني على النقد البريء الذي يقدره أفاضل الكتاب والمؤلفين قدره

(١) جاء في صفحة ٢٨ بعد أن أورد بيت أبي العلاء :

ولقد علمت فما التمضر نافعي أني سأتبع نيسبا لابني سبا

ما نصه : وليعلم أن التمضر هنا التمدد

وحضرة المؤلف الفاضل يعلم ولوع أبي العلاء بارادة المعنى البعيد للفظ ذي المعنيين . وفي رأيي أنه تبع ذلك في هذا الموضع . فلم يرد بالتمضر النسبة الى مضر أو معدّ وانما أراد سمن المال كما في تاج العروس (ج ٢ ص ٥٤٤) وعلى ذلك يكون المعنى : ولقد علمت أني سأتبع طريق الموت التي سلكها ابنا سبا فليس سمن المال نافعي . ولم يرد أنه يتبع طريقهما في النسب ولو فرضنا أن المعنى هو الذي ذكره المؤلف الفاضل في قوله (التمضر) فاني لا أزال أرى أنه أراد طريق ابني سبا وهو الموت فنسبته الى مضر غير نافعة مادام مآله الموت ولم يرد أنه سيتبع سبيلهما في النسب

(٢) يظهر من عبارة المؤلف صفحة ٣٩ أن أبا [illegible] ، بقوله :

فلا أجدك رديئاً في ذوي امم [illegible] نبيلا [illegible]

وسياق قوله في اللزوم لا يشعر بذلك

(٣) جاء في صفحة ٤٣ (وسكنى الوبر والمدر) والصواب أن يحذف لفظ (والمدر) اذ سكان المدر هم أهل الحواضر وعندهم الوسيلة المغنية عن الحفظ وهي الكتابة ، وأما أهل الوبر وهم البدو فذلك عندهم معوز

(٤) في صفحة ٧٠ (وقال الحافظ ابن حجر انه مكث بصنعاء سنة لا يأ كل اللحم) وقد عقب عليها الفاضل المؤلف بقوله « أقول ولعله يريد قبل رحلته الى بغداد الخ » وذلك تسليم منه بأنه مكث بصنعاء سنة لا يأ كل اللحم — ونحن لم نسمع برحلة أبي العلاء الى صنعاء — ولعلها محرفة عن (بضعا) ويكون في كلام ابن حجر نقص لم يصلح

(٥) جاء في صفحة ٩٧ :

يقولون في المصر العدول وانما حقيقة ما قالوا العدول عن الحق

وبعد أبيات أخرى قال « والمصر المحلى بال هو مصر لاغير كما نرجح » وأنا لم أفهم هـذه الجملة فان كان يريد أن لفظ (المصر) في البيت يراد به مصر أي الاقليم المعروف وانه يرجح ذلك فاني ارجح غير ما رجح وأقول انه يريد أيّ مصر من الامصار أي ان العدول يوجدون في الامصار وحقيقتهم أنهم عدول عن الحق . والعدل يطلق على الشاهد الذي أعد نفسه لتحمل الشهادة وأدائها بباب القاضي بعد تعديله

في البدو خراب اذواد وماشية وفي الجوامع والاسواق خراب

فهؤلاء تسموا بالتجار أوالـ عدول واسم اولالك القوم أعراب

(٦) في صفحة ١٨٧ : (وذكر لنا أنه عجز في هرمه عن الوضوء أيضاً قال يخاطب الدنيا

... لك أوداني فخليني اذا قمت اصلي

ودعيني ساعة فيك لمولاي الاجل

فعد جسدي للعنصر الطهر تسترح اذا صرت تقضي الفرض عند التيمم)

ولعل حضرة الفاضل أخذ عجزه عن الوضوء من البيت الأخير . والذي أراه أن له معنى سوى ما استنتجه حضرة المؤلف ، ذلك أنه يخاطب جسده

بالموحة ـسر الطهر وهو التراب وان ذلك راحة له وان المؤدي للفريضة سيتيمم به وهو في تلك الحال. وليس المعنى أن المعري يتيمم عند أداء الفرض

* * *

أما لغة الكتاب فنقية محكمة. ولا آخذ عليه فيها الا أنه يساوق أبا العلاء في أسلوبه وسجعه. وفي سجع أبي العلاء بعض الصنعة والتعمل. ولو أن المؤلف أطلق قلمه من ذلك القيد لـكان أجمل به. من ذلك قوله في صفحة ٦٥ «ولا يتحاشى من ذلك ولا يتحرج وهو ممن على أقران ابن خالويه تخرج». وفي صفحة ٩٩ «وهي من غرر المرائي وحسناتها، ودرر اللآلئ لا خرزاتها»

* * *

هذا كل ما عن لي أن ألاحظه على هذا الكتاب الفريد في بابه الممتع في مباحثه وتحقيقه

أما اعتقاد المؤلف في دين أبي العلاء فهو على حال الاقتصاد: يعتقد فيه الخير وحسن الاعتقاد بعد مكافحة للحيرة ومعالجة للشك، وقد شهد الله له لدفاع عنه في مواطن صالحات

واني لا أخفي على حضرته أني أخالفه بعض المخالفة في شأن حيرة أبي العلاء ووجود ما يوجب الكفر في أقواله. فاني من أولئك الذين يقول حضرة المؤلف عنهم في صفحة ٢٩٩ (وأولع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل الى المجاز) واني لمغتبط بأن أكون مخطئاً في جانب حسن الظن لأن ذلك خير من الخطأ في اعتقاد السوء في رجل من المؤمنين

وبعد ذلك فاني آمل أن يجد هذا الكتاب القيم من إقبال أهل الفضل وتحبي الاطلاع ما هو جدير به، وأسأل الله تعالى لمؤلفه المعونة وحسن الجزاء

عبد الوهاب النجار

مدرس بدار العلوم بمصر

وكتب العالم الفاضل الشيخ احمد محمد شاكر من علماء الازهر والقاضي بالمحاكم الشرعية بالديار المصرية :

الى الاخ العالم الباحث المنقب السيد عبد العزيز الراجكوتي الميمني :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت كتابكم (أبو العلاء وما اليه) وقد اعتدت تقريظ كتاب ، فلم أملك قلمي عن الكتابة اليكم . وجدتكم أوفيتم البحث حقه واستوعبتم كل مايستحقه موضوعه من الأدلة والحجاج ، مع دقة نظر وحسن ترتيب

ولقد أخذ بلبي انصافكم القول في شأن « أبي العلاء » فان رجلا من أهل عصرنا يريد أن ينشر بين المسلمين الحاده حاول أن يأخذ على « أبي العلاء » كلمات — لعله لم يحسن فهمها — ليذيع بين الناس أن له اماماً يتبع طريقه فأجهد نفسه وأتعب كاتبه وأخرج للقراء كتاباً يزعم به أنه نحوجديد من التأليف ، وما هو بجديد ولا بقديم

وأرجو أن تقبل تهنئتي على ما أوتيت من بسطة في العلم ومن سعة في الاطلاع ومن قدرة على امتلاك ناصية القول وأسأل الله أن يزيدك من فضله . وأن ينفع بك الادب واللغة العربية والمسلمين والاسلام . والسلام عليكم

كتبه

مصر : في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ — احمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

2018
5 1 月